سَلَيْمَانُ الْفُلَيّحْ

دِرَاسَاتٌ حَوْلَ التَّجْرِبَةِ- الشَّهَادَاتُ- الْحِوَارَاتُ

[1970-2013+]



اَلْمُجَلَّدُ الثَّامِنُ

اعْتَنَى بِهَا:
أُسَامَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْفَلَيّحِ

سَلَيْمَانُ الْفُلَيِّحْ

دِرَاسَاتٌ حَوْلَ التَّجْرِبَةِ- الشَّهَادَاتُ- الْحِوَارَاتُ

[1970-2013+]

اَلْمُجَلَّدُ الثَّامِنُ (8)



- **الْعُنْوَانُ** الْمَمْلَكَةُ الْعَرَبِيَّةُ السُّعُودِيَّةُ – الرِّيَاضُ
- **اسْمُ الْمُؤَلِّفِ** أَسَامَةُ سُلَيْمَانِ الْفَلِيحِ
- **دَارُ النَّشْرِ** مَكْتَبَةُ سُلَيْمَانِ الْفَلِيحِ
- **سَنَةُ النَّشْرِ** 1447هـ / 2025م
- **عَدَدُ الطَّبَعَاتِ** 1
- **لُغَةُ النَّشْرِ** الْعَرَبِيَّةُ
- **تَنْسِيقُ الْكِتَابِ** أَسَامَةُ سُلَيْمَانِ الْفَلِيحِ
- **تَصْمِيمُ الْغِلَافِ** أَسَامَةُ سُلَيْمَانِ الْفَلِيحِ



سليمان الفليّح – البدايات – شاباً

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةٌ مُخْتَصَرَةٌ

مُقَدِّمَةٌ مُخْتَصَرَةٌ

يضمّ **المجلد الثامن** مجموعة من الدراسات والرؤى النقدية حول تجربة أبي، ويزيد عددها على ثلاثين دراسة، في حين يتناول الجزء الثاني الشهادات المكتوبة عن تجربته، والتي تجاوزت سبعين شهادة. أما الجزء الأخير فيحتوي على الحوارات التي أجريت معه، وعددها أكثر من تسعة وعشرين حوارًا.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه المقدّمة موجزة للغاية، إذ تقتصر على التعريف بما أضيف في هذا المجلد، الذي يعدّ المجلد الأخير من المشروع التوثيقي.

ورغم كثرة ما كُتب عن تجربة سليمان الفليّح من دراسات وشهادات ورؤى نقدية، فقد حرصت على جمع أبرزها وتوثيقها ونشرها ضمن هذا المجلد، بوصفها خلاصة لما نُشر في الدوريات وبعض الصحف المتفرقة.

دراسات حول التجربة

الغناء في صحراء الألم أو مكابدات

العازف المنفرد والمغنّى المقطوع الرأس

بقلم: محمد يوسف[1]

سليمان الفليح صوتٌ شعريٌّ مشع، ينتمي إلى جيلٍ خرج ـ في الزمان والمكان من بين سنوات العجاف والعُقم والهزيمة، وضرب بجذوره في أرض الوعي، وحمل رأسه المقطوع على كفّه ليكون شاهدًا وشهيدًا معًا. ومأساة هذا الجيل أن طموحاته، وأبعاد علمه، أكبر من مساحة جناحيه، فضلًا عن أن واقعنا الرسميّ مولعٌ بقطع الرؤوس اليانعة، وقصِّ ريش الأجنحة الخضراء، ومسخ الإيقاعات الجيدة بالإيقاعات الرديئة..

(سليمان الفليّح) نخلةٌ صحراويةٌ مرابطةٌ في التيه الكوني، وصبّارةٌ جبليةٌ يانعة، وكيانٌ إنسانيّ يمتلك خاصيّة التجليات الشعرية التي تمغنط خلايا جسده

– **مجلة "امرأة الأمة"، العدد 487 – 1981م** محمد يوسف: شاعر ومؤلف مسرحي ومترجم وصحافي مصري معاصر، وُلد في مايو 1943م، وتوفاه الله في نوفمبر 2003م بعد صراع مع المرض. حاصل على ليسانس اللغة الإنجليزية من جامعة عين شمس عام 1964م. عمل في وزارة التربية بدولة الكويت منذ عام 1976م، إلى جانب عمله الصحافي في عدد من الصحف اليومية الكويتية مثل جريدة الوطن، السياسة، والقبس. كما تولّى منصب مدير تحرير مجلة التقدّم العلمي، وظل فيه حتى وفاته. أصدر عددًا من الدواوين الشعرية، من أبرزها: قراءة صامتة في كراسة الدم، ضمن سلسلة "أدب الجماهير"، 1970م. عزف منفرد أمام مدخل الحديقة، سلسلة "أدب الجماهير"، 1972م. داليا، دار اليقظة، الكويت، 1985م. شجرة الرؤيا، سلسلة "نوافذ"، القاهرة، 1997م. أناهيد شرقيات، القاهرة، 2001م.

النحيل، فتتفجّر كالينابيع الرائقة: شـــعرٌ ومملكةٌ وحصـــانٌ جموحٌ، يدقّ بحوافره الملتهبة ذبذبةَ الريح الكونية. تحت عباءة (ســـليمان): رمل، وجمر، وحصـــى، ومكابدات، وأسئلةٌ حارقة، وأبجدياتٌ ملتهبة تقف على حافة الرفض والشهادة! وحين تحترق العباءة، يظهر السرّ المكنون، ويبوح المغنّي بسرِّ القبائل المتناحرة!

ذات يومٍ، سألتُ (سليمان): أيّهما تختار لكي تعتلي عرش التجليات الشعرية؟ أن تكبح جماح حصانك الشارد في الريح الكونية، أم تقبل قطع رأسك لتثبت شهادتك الشعرية؟ تضاحك قائلاً: "جموحُ حصاني، وقطعُ رأسي... كتابةٌ بدمي، شهادتي الشعرية!" وداعبته قائلاً: وماذا تحت العباءة؟ قال: "جسم، وحُلم، وأغنيةٌ ممنوعة!"

(2)

كان لا بُدّ للجيل الذي ظهر بعد هزيمة 1967م أن يثقب الأقنعة، ويهتك سرّ التماثيل الشمعيّة، والسيوف الخشبيّة، وكان لا بُدّ للشاعر الذي يُعبّر عن "إحباطات" هذا الجيل، ويُلامس مكابداته، أن يُلقي "بالحمولة الشـــعريّة" على طريقة قصـــف "مدينة أهل الكهف" بالقنابل، لكي يصـــحو الراقدون تحت الثرى، وليستيقظ المعذّبون في الأرض؟!

هذه الظاهرة التي تبدأ بتأنيب الذات، والمحاورات، والأسـئلة الحارقة؛ فقد كان الشعر – قبل الهزيمة – سيلًا جارفًا من "التقيّؤ" الإعلامي المقيت، الذي يُصوّر

قضـيّة الإنسـان العربي (مع أنظمة الحكم، ومع صـراعه ضـدّ أعدائه في الداخل والخارج) بطريقة فجّة، لأنّ التيار السياسي الواحد "أفرز كيانات إنسانيّة" هشّة، تُمارس "الســلب"، ولا تُمارس الإيجاب، وتندغم في الأقنية ذات المقاييس السياسيّة المقنّنة، بحيث تتلاشى التمايزات، والإبداعات الفرديّة، ويتحوّل الوعي من تفرد في الرؤية، إلى "جشــطالتية" في التنظير والتطبيق، ويتحوّل الإبداع إلى إيقاع ترتيليّ لغســل الدماغ! وحين وقعت الواقعة 1967م، ســقطت أبجديّة، وأينعت أبجديّة جديدة، ترفض الهزيمة، وترفض ربط الرؤية الإبداعيّة بالترتيل الدعائي الذي يخدم إســتراتيجيّة الأنظمة العربيّة التقليديّة. وكان لا بُدّ أن ينهار عصــرٌ كامل بدورته الكاملة، من البزوغ، إلى الأفول، إلى التخلّل، ليبدأ عصــرٌ كاملٌ آخر! من الرفض، إلى التجاوز، إلى المقاومة. هل ترغب أيضًـــا بإخراج النص في هيئة أكاديمية أو نشرية؟

(3)

كان الشعر قبل الهزيمة ترفًا، ولغوًا، وثرثرة، وتفريجًا، وتفويضًا "شعوريًّا" لإشباع رغبة الكيان الإنساني "السالب" في الاسترخاء، والغياب، والاندغام، والاندماج، والاستجابة للإيقاعات الرديئة، وكان كماليّةً من الكماليات، و"بوقًا" عنتريًّا، وموشحًا عسكريًّا، وإيقاعًا جنائزيًّا. ولم يكن "رؤية" شمولية، ونحتًا، وتجسيدًا للحلم المرجأ، وتفويضًا لـ"الجشطلتية" ذات الأجنحة السوداء السميكة، وتفجيرًا للجدليّة الحياتيّة، وبناءً لمدينة جديدة يُشيّد المعذَّبون في الأرض بيوتهم وإعلامهم فيها،

وتكون مساحة الزرع، والضرع، والحرث، والنَّسل فيها أكبر من مساحة القمع، والدّمع، والحبس، والمصادرة!

(4)

في ديوانه «الغناء في صحراء الألم» يهدي سليمان الفليّح قصائده إلى: «جيلي، هذا المغني في صحراء الألم»، أي بأكمله، وولادة «زمان» بأكمله، على المسافة بين الموت برصاص الأعداء، والموت قمعًا! بعد الهزيمة، كان «الزمان» قد فسد، و«المكان» قد تقيّح، لأن الكل كان باطلًا، وكان قبضُ الريح.

"وحلمت الليلة يا أمي برياحٍ تجتاح المرعى

تقمع خيلي

تطرد إبلي

تجلدني علناً بالأفعى

تربطني خلف مضارب قومي

تسقيني إذ أعطش دمي

توسعني يا أمي قمعاً

ورأيت الليلة يا أمي خيلاً برؤوسٍ مقطوعة

تغزو قومي

ورأيت امرأة فوق البيرق مرفوعة

تهتف باسمي

عارية يغسلها الدم

ورأيت غيوماً راكضة فوق مضاربنا قانية اللون

ترش رجال قبيلتنا بمياه النار وروح السم

ورأيتك يا أمي مفجوعة

تذرين الرملا

بين القتلى

وتلمين فتات اللحم

ورأيت غراباً كبر الليل

ينعق حولي

ويدور كثيراً حول الخيمة ، يتغافلني

ينهب طفلي

ويطير بعيداً، يتركني

أتمرغ فوق الرمل الأسود

أفقد عقلي

ورأيت أسوداً تزأر همس

ورأيت كلاباً تعوي الشمس

ورأيت ذئاباً مسعورة

ورأيت حشود النمل الأسود فوق الورد

ورأيت تيوساً مخمورة!""

من قصيدة «توجسات في الزمن الفاسد»، وهذه القصيدة نموذج حيٌّ للشعر «المكاشفة» و*«الكشف»*، المحمّل برؤية سياسية ممزوجة ببوح وجودي وهموم ذاتية. ففي الغابة البشرية يختلط الأمر، ويصير زئير الأسود همسًا، وعواء الكلاب يستهدف النيل من الشمس (!)، ويلتحم الضد بالضد، ويكون «التناقض» الفوضوي قاعدةً لا استثناء. قصيدة «الصهيل في الزوبعة» تنويعٌ على هذا اللحن الأساسي، الذي يقوم على الكشف والمكاشفة، مع فتح «كُوّة» خضراء، وثقب بنفسجي في الأفق الرمادي الداكن.

"مراراً تمزقتُ قبل الوصول

تساقطن مني الخصالُ الجميلة

لأنِيِّ فوجئت أنّ الرياح

نباحٌ ، لهذا كرهت الرياح

فغادرت شعري لأخلي سبيلَه

وفي غمرة الحزن في ذات ليلهْ

من العمر كان انتهائي يجيءْ

رأيت الحصان الذي أسرجته القبيلةْ

وحيداً مع الريح يأتي
شهاباً يضيء
بلا سرجه والقيود الثقيلة
طليقاً بوجهي القتيل
يحاكي غيوم السماء
ورعدا يدوي: ، الصهيل ، الصهيل ، الصهيل."

من الكشف والمكاشفة إلى البوح بالإحباط، ثم كسر قشرة الأفق الرمادي الداكن، كما ينقر العصفور «بيضة» الولادة ليتسع الثقب البنفسجي لجسم الحلم المحاصَر! الضد والضد يلتحمان، ويقتتل الحلم الكاذب مع الحلم الصادق، لتكتمل دائرة الوضعية الإنسانية: المعذَّبون (بكسر وتشديد الذال) في جانب، والمعذِّبون (بفتح وتشديد الذال) في جانبٍ آخر!! الطرف الأول يمسك في يده بحبل المشنقة، وأدوات القمع، والتعذيب، والاغتصاب، بينما يمسك الطرف الآخر بالرأس المقطوع، وكتاب العشق، وأبجدية الدم المتسنبل في رحم الأرض.

في «الغزو»، وهي القصيدة التي يُهديها الشاعر إلى «زرقاء اليمامة» هذا الزمن، ينسكب الإيقاعُ الملتاع، ويشفّ، ويصفو، ويتصاعد من الصدر كالنشيج المكتوم، والبوح الحارق.

".. وحين العصف داهمني يدوّي مثل قنبلة ,

تنامى الخوف في قلبي

ونزّ القلب وارتجفا

وفي إغفاءتي للموت بين الصحو والهذيان

حيث الفكر في رأسي، يعاني النضب والنزفا

رأيت نضارة الأشجار رغم الجدب يانعة على سيقانها تلتف

ثعابين كأعمدة تنفث السم عبر الريح إذ تعصف

ولما صوتها يرتد في الأنحاء يأتيني

فحيح ذاهل يرجف

وخيل من ثعابين تهز الرمل في الصحراء إذ تزحف

إلى قومي.. وقد كانوا سكارى في مضاربهم، وفارسهم أمام " النزل " مصلوبا على بيدائهم ينزف

فهبت طفلة تبكي، وتخبرهم بأن " الغزو " قد جاؤوا على خيل...

ولا تعرف...

سوى خيالة يمشون فوق الأرض قائدهم بهم يهتف

وقالت: آه يا قومي

لقد شاهدت في نومي

لحى تنتف

وغرباناً عداد الرمل تأتينا من الأجواز جائعة لكي تخطف
صغار النوق والموتى وجرحى الحرب و " الضُّعَّفْ. "
وريحا تحرق النيران!! والإنسان والحيوان والأحجار والأشجار إذ تعصف
فقالوا: تكذب الطفلة، متى صارت بأسرار الورى تعرف؟!
ألا قوموا لكي نقطع، لسان الطفلة " المشؤومة " الأخبار كي تعزف
عن الكذب الذي ترويه
ما قالته شائعة وبلبلة، ودسّ يضعف الموقف!!
ولما جز سيدهم، لسان الطفلة الحلوة
ومات الصوت في الأوتار
أرعبهم هتاف هز رمل الأرض عبر الدم إذ يهتف:
لقد جاؤوا...
لقد جاؤوا
وأنتم مثلما كنتم، سكارى طول هذا الليل، لا تصحون من سكْر
كأن النزف يسكركم
ولم يبق بكم عِرق، من الإذلال لم ينزف."

المجاهرةُ الصارخة، والسردُ الروائي (!) تسم هذه القصائد بميسم الصراخ، والإقصاء، والتفريج. ولذا فإنها تميل إلى المنبرية، والخطابية،

والترددات الصوتية العالية؛ درجةُ الجهر وكميته، أكبر من درجة «الشعر» وكميته، لأنها قصائدُ تنبؤية أو (توبيخية للضمير الفردي والضمير الجماعي). أو هي قصائدُ كشفٍ ومكاشفة، إلى درجة الهتك، والاقتلاع! أما قصيدة «تحوّلات الخبل الزين»، فإنها تطفح بالحسّ النقدي، والتهكمية الحسية، وكذلك قصيدة «تصريحات لطيور العصر»، وقصيدة «من مفكرة صعلوك». في الجزء الثاني (ب) الستينات، من قصيدة «تحولات الخبل الزين»، يقول سليمان الفليّح:

"وتجيء سنين المحل المرعب
ويجيء الفقر القتال
يحصد إبل البدو الرحل
يحشرهم للمدن الكبرى
فامتهنوا كل الأعمال
فنسينا آلام الدنيا
وطوينا كتب الأجيال
وقرأنا في الكتب الأخرى
وشغلنا " تجميع " المال !!."

وفي المقطع الثالث (ج) – السبعينات يقول:

"جئت لأكتب عن إحدى شركات النفط مقالا

وعلى سلمها أوقفني. عانقني رجل الأعمال

فذهبت أقلب ذاكرتي.. من هذا؟ إني أذكره

فأستيقظ فيها الموال

«وضحا وسنامه عال

وردت على أم وعال»

كان (الخبل الزين) سعيداً. مسروراً. مرتاح البال

حدثني عن سر الدنيا

ومضى تشغله الأعمال."

وفي قصيدة «تصريحات لطيور العصر»، يلجأ الفليّح إلى التهكمية الكاريكاتورية، لينقل — على لسان طيور الغابة — صورةً قائمةً للعلاقات فيها. ففي وجه الصقر، يرسم هذه الصورة:

"الليلة جاء الصقر القادم من إقليم الزهر الميت

يحمل في الظلمة أخبار
أيقظني من غفلة نومي
كي يكشف سرا مجهولا..
يفضح ألاف الأسرار
قال: بأن الثلج الأسود..
أوقف زحف الريح فحادت
عن مهنة نقل الأطيار
وغدت إعصارا مجنونا،
ينفخ نيرانا خامدة
تحرق أغصان الأشجار
وتصير حريقا أبديا
يجبر أطيارا وادعة
ان تترك دفء الأوكار
وهنالك أغمد مخلبه في بطن الأرض ليبقرها
لكن غرابا داهمه , أغمد في المهجة منقار

اما لوحة "البوم" فانه يرسمها على هذا النحو:

أسمع في مرتفعات الروح نعيقا
يصدر عن بوم مشئوم
يصرخ في وادي الأيام
أتشاؤم , أقرف , أصمت
أنزف أفكارا قاتمة
أخلع أردية الأحلام
ولأني أعرف ان نعيق الطير الأحمق لايعني
غير الجبن الموغل في الأوهام
أصنع قنديلا من شعري
يكشف آفاقا مظلمة
يتطاول فيها الأقزام."

الجيل المقطوع الرأس، يقطع المسافة من الكشف والمكاشفة، مرورًا بالتوحش والإحباط، وصولًا إلى الحافة؛ فإمّا الصمت ـ الموت، وإمّا فضّ الصمت، واتخاذ الموقف.

"فاسمحوا لي أن أغني

فإجترار الصمت علة

وليقول الناس عني

شاعر قد خُلّ عقله

فأنا خل وصحو

واختلال الصحو خله !!

واختلال الخل وعي

بعد تبيان الأدلة

والأدلة ؟!

يا صديق الروح لا تخفى الأدلة

فابتداء العصف يأتي الصمت قبله

واحتدام الرعد للآفاق وعد

لا يفي .. إن لم يضئ البرق حوله

(القصيدة الادلة). "

(5)

الغنائية المفرطة تســيل من قصــائد هذه المجموعة الشــعرية، واحتدام الجذوة الشعرية، وتركيبية القصيدة تعتمد على السرد الروائي، وبِنيوية النسيج الشعري تتكئ على السلاسة والجزالة اللفظية، في المواقف التي تقتضي التكثيف الدرامي، والشــحن، واللجوء إلى الديالوج (والمونولوج) لنقل المجاهرة إلى المحاورة، وتجاذب

تنافر الأضـــداد. أما الخلفية الفكرية، فإنها تتمحور حول "رؤية" جيل ما بعد هزيمة 1967م، الذي يرفض "الجشـــطلتية" والانْدغام الذي يُمســـخ التمايز الفردي، ويقع في أسر الأقنية السياسية المقننة. ويكفي سليمان الفليّح فخرًا، أنه أراد أن يُدلي بشهادةٍ شعريةٍ مكتوبةٍ بدم القلب، ومكابدات الأيام الصعبة.

***

سليمان الفليّح الصعلوك
الذي يتصادم مع المدينة

بقلم: محمد يوسف [2]

الشاعر الكويتي – العربي سليمان الفليّح واحد من هؤلاء الشعراء الصعاليك، الذين ينتمون إلى جيل (الضـــد)، وهو الجيل الذي يريد أن تتماثل ممارســـاته الحياتية مع ممارســاته الإبداعية إلى الحد الذي تنتقي معه ثنائية الكيان البشــري وازدواجيته قدر الأماكن. ولذا، فهو يســتمد من حياة الشــعراء الصــعاليك إيقاعات متداخلة ومتشابكة، لكنها في ذات الوقت منسجمة مع الواقع الزماني والمكاني، الذي تتراكم فيه تجاربه الحيوية والنفســية وتترســب في الخلفية الذهنية لذاكرة الشاعر.

من هذا المنطلق يشـهر الشـاعر سـليمان الفليّح سيفه، بدءًا من ديوانه الأول: (الغناء في صـــحراء الألم) مرورًا بديوانه الثاني: (أحزان البدو الرحل). ومن ثم، فإن موقف الصــعلكة (أي موقف الضـــد) يفرض عليه أن يمارس حالة من الانخطاف الذهني والمادي. بعبارة أخرى، فإن "الفليّح" الصــعلوك منخطف،

– **مجلة مرآة الأمة،** محمد يوسف : شاعر ومؤلف مسرحي ومترجم وصحفي مصري معاصر ، سبق تم التعريف به

وبالحتمية فهو خاطف أيضًـــا، بمعنى أن فعل الإرادة الشـــعرية لديه يتكون في الاتجاه الموجب، خاصـة في هذا الزمن الصـعب. ولذلك، فإن الفليّح يسـتدعي عبر الإرادة الشعرية المتحفزة مُعادلاً مضادًا لحالة الاغتصاب التي تفرضـها هيمنة الزمن الصـعب. وتأسـيسًـا على ذلك، فالفليّح بقدر ما يخاطب "الآخر"، فإنه يخاطب نفس اللحظة – ذاتها المتصادمة.

" زمانك صعب

فكن مثله

وأياك أن تلتوي أو تساوم أو تنحني

فخلفك قوم يطلون لك

من شقوق العباءات

أو من شقوق البراري

يشدّون صبراً

أعنة خيلهم المطهمة

(قصيدة الزمن الصعب – ص 37).

(2)

قد يفسر البعض الفعل الموجب للإرادة الشعرية بأنه الفعل الذي يتسم بالاتساق الانفعالي والاتساق العقلي، والتوازن بينهما. ونتيجة لهذا التفسير، يعنفون الشاعر تعنيفًا شديدًا على مكابداته المتعارضة مع هذين الاتساقين، الانفعالي والعقلي، ويضعونه أمام خيارين: إما التنازل عن المكابدة التي تتضاد مع الاتساق، أو إخفاء السمات النفسية الأقل في حالة الانفراط الوجودي التي تطارده. أما طرح القضية فيعطل جانبًا أساسيًا من فعل الإرادة الشعرية، وهو الاعتساف المكثف الذي يحاصر الشاعر بين صخرتين. وهذا الجانب الأساسي يتركز في محاولة الشاعر المستميتة لتجاوز حالة الانفراط الوجودي، بممارسة حالة الاستخفاف المؤقت تجاه العالم، وهو هنا في هذه الحالة العالم المزري المليء بالزيف والتبريرية المخلة.

"حينما تقطن القلب الكآبة

وتمرين بذهني كالسحابة

يصبح العالم الشاسع في عيني ذبابه (!!)"

– قصيدة الكآبة ص 23–

لماذا هذا الانفراط الوجودي؟، ولماذا حالة الاستخفاف المؤقت؟

" تزهرين بقلبي كما السوسنة

تسكرين الجوانح بالعطر والنار

يهتزّ قلبي

ولكنه قبل أن ينتشي

آه – يا زهرة القلب – يجتثك الخونة"

-قصيدة سوسنة ص 24-

على أن الاستخفاف المؤقت مقترن بالوقف "الجسدمي"، لأن الشاعر الصعلوك أو الشاعر الضد متصادم – بحكم الإرادة الواعية – مع كل ما يعطل ويمسخ ويفسد الدورة الحياتية والإنسانية، ويحدث خللاً في قوانين الوعي الشعري:

"أنا طائر أعزل في حقول البكاء

شاجرتني – صباحاً – بلادي

لأني أغني لها في الماء

فهل – أيها العارفون بكل الأمور –

رأيتم بلاداً تشاجر أطيارها

في سبيل الغناء؟!"

-قصيدة الطائر ص 35-

(3)

رغم أن الشاعر الفليّح لا يفسر تبريرية سقوط العالم، وهذه مسألة كان ينبغي عليه أن يخضعها لفعل الإرادة الشعرية وفعل الوعي أيضاً، إلاّ أنه يطرح السؤال القديم: هل أنا فرد أم مواطن؟ وكأنه يصرخ في البرية؟! ولا يجد أمامه مفراً سوى أن يمارس التصـــعلك الوجودي.. وهو في هذه الحالة أميل إلى اتخاذ موقف "البرد"؟! (وليس موقف المواطن)، وبذلك يعطل الشحنة الموجبة لإدارته الواعية، لأن التصعلك الوجودي يسحبه سحباً هيناً إلى العزلة، والانكسار على الذات، بحيث تصب العزلة والانكسار على النهاية في مصب الممارسة الوجودية (بمعنى التباعد والميل إلى اتخاذ موقف ســـلبي مبطن بنبوءات انتفاضـــة الوعي الموجب) للذات:

"يعذبني أن غيماً كثيفاً إذا اعتمّ القلب و(اغتمّ)

يأتي بذهني كثيفاً

كثيفاً

بطيء

ويحزنني أن رعداً يهز جبال العذاب بقلبي

عنيفاً

عنيفا يجيء.

ويقتلني إن برقاً

يشع بصحراء روحي

ولكنه لا يضيء؟!"

-قصيدة غيم ص 6-

مع ملاحظة أن الفليّح لا يريد الاسترسال في التشعبات النفسية المضنية لزوم القافية (؟!!)

(4)

استدعاء الشاعر الفليّح لرفاقه الصعاليك (تأبط شراً، والسليك بن السلكة، وأبي الطحمان، والشنفرى، وعروة بن الورد) محاولة ذكية من الفليّح للحصان عن العزلة الذاتية والخروج – منفلتا كالبرق الخاطف – من حالة الانفراط الوجودي.

"آه يا الداهية المهلكة

أتدري بأن صحابك ألقوا بك

الآن للتهلكة

ودمك ما زال ينزف فوق الرمال

وسيفك لما جرحت أعادوه للغمد

واستسلموا

قبل أن تنتهي المعركة؟

وأنت الذي تخزن الماء للصحب منذ الشتاء

ببيض النعام

وتمضي تمارس يا سيدي الصعلكة"

-قصيدة السليك بن السلكة ص 30-

(5)

التعتيم، الجهرية الخطابية، ومجانية التبرير المأساوي تُضعف السياق الإبداعي، سواء على مستوى النحت التركيبي للغة، أو على مستوى الوعي الذي يُنصب في القصيدة، كما في قصيدة "زمن المدن العربية" (ص4). الشفافية الرومانسية والانسيابية الغنائية المغلّفة بالحزن المكثّف تمثّل حضورًا قويًا أثناء قراءة الديوان. تشرب أبعاد الشخصية البدوية، والاتكاء على التراث البدوي وتراث شعراء الصعاليك، يُعطي معادلاً موضوعيًا للآخر، وهو هنا المدينة، من حيث كونها رمزًا سياسيًا أو أيديولوجيًا وسيسيولوجيًا لدى الصعلوك سليمان الفليّح.

***

ديوان من الكويت

بقلم: د. عبده بدوي [3]

لعل من المسـلّمات الآن القول بأن الشـعر العظيم لا يوجد إلاّ حيث يكون الجموح، والجسـارة، والكشـف، والوصـول إلى عالم الغرابة. أما الشـعر الجذل المتحذلق المسـتأنس، فإنه يجيء الآن في المؤخرة؛ ذلك لأن لكل عصـر رؤيته ورؤياه، ولكل عصـر بلاغته ولغته. فنحن لا نتعامل الآن بالقيَم النبوتية، ونفجّر اللغة تفجيرًا شـديدًا، ولا نجد من ينقد الكبار المؤكدين في العربية قد أدركوا التطور على نحوٍ من الأنحاء، في ضـوء ما نعرف من ابن قتيبة، وابن المعتز، والآمدي، وابن طاطبا، والجرجانيين، وابن رشيق.. إلخ

- **مجلة الشعر – العدد 25 / 1982**. د. عبده محمد محمد بدوي، ولد في 5 يوليو 1927م في قرية كفر الدفراوي مركز شبراخيت بمحافظة البحيرة بمصر. حصل على ليسانس دار العلوم 1953 ودبلوم معهد التربية 1954 والماجستير 1961 والدكتوراه بمرتبة الشرف 1969. عمل في وزارتي التربية والإرشاد والثقافة ثم في جامعات السودان والقاهرة والكويت والإمارات. عمل مديراً ورئيساً للتحرير لعدد من المجلات الأدبية. عضو في اتحاد الأدباء ورابطة الأدب الحديث ولجنتي الشعر والنثر بالمجلس الأعلى للفنون والآداب. له عشرات الدراسات في المجلات العربية المتخصصة. حصل عبده بدوي على عدة جوائز معظمها يتصل بإبداعه الشعري أهمها جائزة الدولة في الشعر ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى سنة 1977م، وجائزة البحث العلمي لأعضاء هيئة التدريس من جامعة عين شمس، والجائزة الأولى في (مهرجان داكار)، عن التأليف الإذاعي، وجائزة أفضل ديوان شعر من مؤسسة يماني الثقافية عن ديوانه (دقات فوق الليل).توفاه الله يوم الخميس في ليلة الجمعة المباركة 16 ذو القعدة 1425 هـ الموافق 27 يناير 2005م، رحمه الله وأثابه عما قدمه خدمة لدينه ثم لغته وشعبه وأمته العربية والإسلامية.

وإن كـان هنـاك من وقف على النقيض من ذلـك، على نحو مـا نعرف من قدامة؛ ذلك لأن منطقه كان القول بأن الحقائق لا تتغير، وفي الوقت نفســـه لانعدام جيلٍ من الموفّقين بين القديم والحديث.

ويجيء في مقدمتهم أبو بكر الصـــولي الذي يقول في "أخبار أبي تمام": «إن ألفاظ المحدثين، مذ عهد بشـــار إلى وقتنا هذا، كالمتنقلة إلى معانٍ أبدع، وألفاظ أقرب، وكلام أرق، وإن كـان السـبق للأوائل بحقّ الاختراع والابتداء والطبع والاكتفاء. وأنه لم ترَ أعينهم ما رآه المحدثون فشبّهوه عيانًا، كما لم يرَ المحدثون ما وصفه أولئك مشاهدة، وعانوه مدة دهرهم من ذكر الصحاري، والبر، والوحش، والإبل، والأخبية، فهم في هذه أبدًا دون القدماء، كما أن القدماء فيما لم يروه أبدًا دونهم.» ما أريد أن أنتهي إليه أن التيارات الثلاثة التي واكبت المســـيرة العربية لم تعد تُشـكّل الآن القسـمات النقدية والشـعرية للإنسـان العربي؛ ذلك لأن التيار الرئيســـي الذي يُشـكّل الآن الأدب والفن هو تيار الجِدّة، والمغامرة، والتجاوز. ومن الملاحظ أن هـذا يتم في دائرة من المرارة، والعبوس، والتناقض، ومن الكرب العظيم!

(2)

لدلالة أعنى صـدق هذه المقولة أقدم ديوانا كويتيا بعنوان (أحزان البدو الرحّل) للشـاعر (سـليمان الفليّح) الذي يكتب ببسـاطة (خطرة) ووداعة (كاسـرة) ،

وهو في الوقت نفسه يضع يده – وشعره – على عصره الرديء وزمانه الرمادي ولغته المترئة ، وقبيلته المكسورة الجناح.. ومن هنا تأتي أهمية الديوان، فصاحبه يملك رؤية عصرية (جارحة) تنزف بالدم ، تصدع بالنبوءة، وهو حين يعبر عن الرؤية ببساطة شديدة يدير ظهره مثلا لأرسطو الذي يؤكد على ضرورة أن يضم العمل الأدبي نوعا من العظمة والجلال والرهبة ولجيل البلاغيين الذي لا يهتم إلاّ بتكديس الجماليات، ذلك لأن عينيه مفتوحتان على الدمامة التي تسود العالم ، ولأنه مع الذين يقولون بأن الشعر – عنف ننتظم – يرتكب بحق اللغة اليومية، ولأنه يطمح الى أن يخلق لغة في اللغة، ولأنه يتصارع مع اشياء كثيرة من حوله وداخل نفسه . وهو يفعل كل ذلك بما يسمى – النفس الواحد في الديوان – بفتح الفاء! - فهو لا يحلق ولا يقع..

وإنما يكتب بمستوى واحد وبطريقة واحدة في الاداء، وإذا طلبنا لهذا مصطلحاً من مصطلحات النقد القديم وجدناه في مصطلح اسمه – عدو الاخلاء - فاذا جئنا للمضمون وجدنا أن الشاعر يبدأ أساسا من منطلق إدانة للمدينة ، باعتبارها الوجه المقابل لعالم البراءة والنقاء والبساطة والبداوة ، ومن الطبيعي أن يركز الشاعر على تجاربه المحيطة في المدنة وعلى الخوف – وأكاد أقول الرعبّ - من يشكل الآخرون هذه النظرة اليائسة قد فاضت على عالم الشاعر حتى كادت تغرقه فالنساء مثلًا – وهن أجمل ما في الوجود – صِرن عنده تماثيل لها قلوبٌ معبّأة

بالفراغ، ثم يُبالغ في تشويه هذا الجمال فيقول إنّ وجوه النساء هلامية، وإنّ عيونهن تنظر ولا ترى شيئًا، أمّا الشفاه فإنّها من الرصاص!

فإذا تجاوز عالم النساء إلى العوالم الأخرى من حوله، وجدناه يصطدم بكلّ شيء، بل ويدين كلّ شيء. وهو يُرمز إلى مظاهر الحضارة من حوله – بالجمارك، أو بالسواحل، أو بالدرك – ومعنى هذا أنّه لا يتناغم مع الأشياء من حوله، بل يتنافر معها تنافرًا شديدًا.

وفي ضوء هذا تراه ينطلق جامحًا –كالحصان العربي، كما يُرمز إلى نفسه – في هذا العالم، فهو لا يحب البقاء في أسره، ولا يحب الاحتفاظ بشيء يذكّره به، فإذا كان لا بدّ من شيءٍ يفرض نفسه عليه، فإنّ هذا الشيء لن يكون غير التذكّر: الشرائط، التلميذات الصغيرات وهنّ في طريقهنّ إلى المدارس... وهو هنا صادق مع نفسه؛ لأنّه لا يذهب بعيدًا عن دائرة البراءة التي تُعادل عنده البداوة، فعالم الشاعر الحقيقي هو عالم البداوة، ومن هذا العالم يُقيم معماره، وإيقاعه، وصورته.

ولعلّ هذا يسوقنا إلى محورٍ يدور حوله الشاعر كثيرًا، وهو الرغبة في الهجرة من عالم المدينة؛ فلا مكان للحِصان الجامح في المدينة، وإنّما مكانه الطبيعي هو المكان الذي يمكن أن يمارس فيه جموحه البدائي، حتى ولو كلّفه هذا الجموح الخروج على النظام الحضاري المستتب.

ثم إنّ العالم الذي يكافح من أجله – أي المدينة والحضارة – هو عالم الخروج على الثبات، حتى ولو كان هذا الثبات يعني التناسق، والتلاؤم، والنظام.

هو من أجل هذه الغاية الجامحة، يكتب قصيدة رحبة بعنوان "أغاني الصعاليك"، وهي من الشعر المعاصر الذي يُطلق عليه مصطلح "الأقنعة"؛ ذلك لأنّه في هذه القصيدة "المهندسة" يتكلم بذكاء عن مواجع كثيرة من خلال عدد من الصعاليك العرب المعروفين، وهم: تأبط شرًّا، السليك بن السلكة، أبو الطمحان، الشنفرى، عروة بن الورد.

مع أنّ أكثر هؤلاء لاقوا من قبائلهم ما يُسمّى بالخلع، إلا أنّه ما كان أسعدهم بعملية الوضع هذه! وهذا واضح من شعرهم؛ لأنّهم عاشوا حياتهم، واتّبعوا أهواءهم، وتخفّفوا من قيود القبيلة، بل أنكروا إنكارًا شديدًا. المهم أنّ سليمان الفليّح تكلّم من وراء خمسة أقنعة، ووصل إلى ما يُريد الوصول إليه بالقليل من الكلام المدبّب كالرماح، والماضي كالسيف.

ثم إن عالم الانطلاق البدوي الذي سعى إليه الشاعر، والذي تحقق له بالفعل، جعله يصطدم اصطدامًا شديدًا بقضية الزمن؛ فهو هنا يرفض الزمان الوديع، ويدعو إلى الزمان الشرس، وهو في الوقت نفسه يدعو إلى ما يُسمى بالزمان الصعب، الذي يحتاج من الإنسان إلى الصمود، وإلى عدم الانكسار، والذي لا يكون انحدارًا، وإنما انبثاقًا.

وهو يرمز إليه بوعل الجبار، وبالحصان الجموح، وبالشيح، وبالمطر... ومعنى هذا أنه يدعو إلى الزمان البدوي، وأنه يرفض ويدين الزمان الحضري الأنيق المعطر. ومجمل هذا كله: أن الشاعر يُعبّر بكل الأسلحة، وبكل الأدوات المتاحة، عن قضية واحدة، هي: قضية البراءة أو البداوة.

(3)

إذا جئنا إلى الشكل، وجدنا أن الشاعر ينتمي إلى جموح المعاصرة، ويحمل في الوقت نفسه ارتفاعها وسقوطها؛ فهو يؤخّر الموسيقى على الصورة – بعكس الشعر القديم – وهو يتعامل مع الصور حين تكون في حالات الشروع والحركة، بل والمباغتة، وهو يبني بالصور قصائد رحبة ذات أقسام متعددة. ويستخدم ما يسمى بالتفتيت، وعدم الترابط، والاتكاء على التراث، على نحو ما نعرف من حديثه عن الصعاليك، وعن أبي لهب، بالإضافة إلى الرموز المعاصرة كحديثه عن الطائر – الذي يعني به نفسه، أو بعبارة أدق يعني به "الصحفي" الذي يكتب في الجريدة مساء، ثم يتشاجر الناس حول ما يكتبه صباحًا. وقد يستخدم ما يُعرف في الشعر الحديث بمظاهرة الاقتباس، موحيًا بانهيار الفواصل بين القديم والجديد، على نحو ما جاء من اقتباسه من بشر بن المغيرة (ص 26).

فإذا جئنا إلى لغته – ولعلها نقطة الضعف الوحيدة عنده – وجدناه يتعامل مع اللغة البسيطة الحادّة، وقد يستعير أو يتعامل مع بعض الاشتقاقات على غير ما ترضاه اللغة الصحيحة. ولهذا رأيناه يقع في عدد من المحاذير؛ حين يقول مثلًا: البواريد، والفشك، وصحْنا، ويجمع إزار على وزرات، وحين يقول: "كما يتمنى الجياع الجميلون قطفَ الثمر"، و"للضيوف الغريبين جدًا" (ص 17، ص 5).

ويستخدم لغة "أكلوني البراغيث" – وهي لغة مستهجنة – فيقول: "أقبلوا بالسياط العبيد"، وحين يقول: "أخي يا الحميد"، والمعروف أنه لا يجوز نداء ما فيه الألف واللام ما عدا لفظ الجلالة –وإن كان هناك رأي ضعيف بالجواز.

ثم إنه لا يُفرّق بين همزتي القطع والوصل (ص 12، ص 15). وكثيرًا ما نراه يخرج على نظام التفعيلة كما في (ص 22، 23)... إلخ، ويستعمل أساليب غير شعرية كقوله: "تزهرين بقلبي كما السوسنة"، ثم يجعل القافية المقابلة لها كلمة: الخونة. على أنه يُعوّض عن الأحكام العروضية بالتعامل مع النظام النبري في عدد من إيقاعاته، بمعنى التعامل مع ضغط معيّن على بعض عناصر الصوت، أو بعبارة أدق: على مفاتيح الصوت في الكلمة.

(4)

وبصفة عامة، فالشاعر يمتلك رؤية مشربة بحزن جياش، كما تسيطر عليه الرغبة في الخروج من الأزمنة المعاصرة، والرغبة في خلق الفوضى في النظام، أو على الأقل العيش بعيدًا عن الحضارة، حيث عالم البداوة، وحيث عالم معادل له داخل النفس، مع ملاحظة أن الرؤية العتبة تعصف أحيانًا بمعمار القصيدة، وتُحدث فيه عددًا من الفجوات.

(5)

أخيرًا، تبقى كلمة بشأن الشعراء الكُتّاب؛ فهؤلاء هم الذين يعطون الشعر الآن الدم، والحيوية، والألق، ذلك لأنهم لا ينعزلون، وإنما يصهرون أنفسهم في الواقع اليومي للحياة. لقد تنبّه الجاحظ من قبل إلى قضية علم الشعر، فقال: "طلبتُ علم الشعر عن الأصمعي، فألفيته لا يعرف إلا عربية. فرجعت إلى الأخفش، فوجدته لا يتقن إلا إعرابه، فعطفت على أبي عبيدة، فرأيته لا ينقد إلا فيما اتصل بالأخبار، وتعلق بالأيام والأنساب، فلم أظفر بما أردت إلا عند الكُتّاب، كالحسن بن وهب، ومحمد بن عبد الملك."

وبالتالي نقول إن الشعر نفسه عند هؤلاء الذين يعيشون في صميم الحياة، والذين نراهم الآن يواجهون الناس على جبهتي الشعر والنثر بمفاهيم عصرية واعية... ويجيء في مقدمة هؤلاء: الشاعر سليمان

الفليّح، الذي نجح في أن يُجسد – بشكل رائع – أشياء نحس بها من الداخل، كما نجح في الاقتراب من الناس... ومن ميراث القبائل!

***

الزمن الفاسد يفرض على شعراء
الالتزام الوطني رقابة حديدية القبضة

بقلم: خليل عبويني [4]

الزمن الفاسد يفرض على شعراء الالتزام الوطني رقابةً حديديةَ القبضة، وديناميةً في الرصد والمتابعة، لئلا ترتفع أصواتهم بإدانة حركته التاريخية، وتعرية أوضاعه المأزومة. لذلك، ولأسباب أخرى، يتجنّب غالبية هؤلاء الشعراء موقف المجابهة التصادمية مع واقعهم، في ظل غياب الديمقراطية التي تحمي حياتهم، وتكفل لهم حرية التعبير عن أفكارهم.

فيلجؤون إلى ممارسات فنية تُفرغ غضبهم الثوري، وتُشخّص أمراض مجتمعاتهم بمنظور الحلم الرؤيوي، أو بإيحائية الرمز والأسطورة، أو بتوظيف التراث. وهذا طريق وعر المسالك، شائك الاتجاهات، لا يجتازه إلا من عرف خفاياه، وتجنّب مطبّاته، وأدرك مفاجآته، وامتلك موهبةً مُبدعة قادرة على التمييز بين ومضة الترميز التنويري، وفوضوية التعتيم العبثي في صياغة التجارب الشعرية. فالموهبة

– من كتاب نافذة إلى رؤية نقدية 1982 . خليل إبراهيم محمود العبويني (الأردن). ولد عام 1936 حاصل على ليسانس في اللغة العربية وآدابها. عضو رابطة الكتاب الأردنيين. ومن .دواوينه الشعرية: البحث عن الزنبقة البرية 1979. مؤلفاته: نافذة إلى رؤية نقدية 1982

الأصـيلة تحمي الشـاعر من السـقوط في دوّامة التّصـنّع، واهتزاز الرؤية الفنية في بناء القصيدة، وتمنحه القدرة على الإبداع والتفرّد.

أما الشعراء الذين تتذبذب تجاربهم بين الترميز القائم والتقرير المباشر، فهم ما زالوا يبحثون عن بداية الطريق التي تقودهم إلى الساحة الشعرية. ودراستُنا هذه تتناول طريقة الترميز بأحلام اليقظة في شعر سليمان الفليّح، أحد الأصوات الشعرية الواعدة في الكويت، من خلال تجربته في ديوانه الغناء في صحراء الألم، على اعتبار أن الحلم ليس هلوسة أو أوهامًا تتراءى للنائم عندما تضغط عليه كوابيس الرحلة النومية القسرية خارج إطار الواقع المعاش، بل تصوّرات مستقبلية لرؤية الشاعر الثورية. ففي هذه الرؤيا:

" وحلمتُ الليلةَ يا أمّي برياحٍ تجتاحُ المرعى

تقمعُ خيلي

تطردُ إبلي

تَجلدني علنًا بالأفعى

تربطني خلف مضارب قومي

تسقيني إذ أعطش دمي

توسعني يا أمي قمعاً"

-(ص1)-

لا يُقْصي الشاعر الفليّح عن سامعيه أضغاثَ أحلام، ولا يستعيد كوابيسَ مزعجةً ضغطت عليه في منامه، بل يطرح تصورًا مستقبليًا لحصاد الزمن الفاسد من خلال رؤيته الناقدة لواقع الحركة التاريخية. لذلك، تحتل بيئته البدوية بكل عناصرها الأساسية: (المرعى، الخيل، الإبل، المضارب، الأفعى)، مساحة حلمه الرائي، وتمتزج به لتؤكد يقظة الشاعر الواعية، وواقعيته الرافضة، وحبّه الوطني الذي أفرز تحذيراته لبني وطنه من رياح الاستعمار، التي إن هبّت على مضاربهم، سوف تجتاح الأرض، وتعيث فيها نهبًا وفسادًا، وتسفك دماء أبنائها الأحرار.

فعشقُ الشاعر لوطنه، وحرصُه على مستقبل أجياله، دفعاه إلى كتابة تنبؤاته ومخاوفه بلغة الحلم—الرؤيا، تحريكًا للعناصر الوطنية، وتجنبًا للمخاطر القمعية التي تُصادر حرية الكلمة، وزيف الواقع، وقشرية الحضارة في مدنه الموبوءة.

فرفض الفليّح الملتزم بقضاياه الوطنية غربةً روحية، ووهمًا قوميًّا، ومسؤوليةً تاريخية. ولذلك كرّس أحلامه الرائية لتعرية واقعه المهزوم، وتشخيص الفوضى الحياتية التي تُخيّم على بني قومه، الذين لم يبقَ في أجسامهم عرقٌ لم ينبض بذلٍّ وعارٍ من المآسي التي تحرق حياتهم في زمن المؤامرات الاستعمارية وقراصنة الحضارة:

"وأنتم مثلما كنتم،

سكارى طول هذا الليل،

لا تصحون من سكْر

كأن النزف يسكركم
ولم يبق بكم عِرق،
من الإذلال لم ينزف"
-(ص 20) -

فواقع المأساة، زمناً أفرزه من أوضاع القهر والاستلاب والضياع الحياتي، هو هَمُّ الشاعر الذي يقُضُّ مضجعه، ويشغل تفكيره وإحساسه، ويشكّل مضمون أحلامه الرؤيوية. ومادام هذا الواقع لا يسمح للشعراء بدمعة رثاء، أو بنقدٍ إيجابي، فإن الفليّح قد أكّد أحلامه بالرؤية الواقعية في تصوراته المستقبلية، تحذيرًا لبني وطنه وقومه مما يحمله الزمن الفاسد من كوارث آتية لا ريب فيها، إذا هم استمرّوا في حالتهم الفوضوية المحبطة:

"وحلمت الليلة يا أمي أن عيوني معصوبة
ومضارب قومي مسلوبة
ورؤوس رجالي ملصقة بالحائط
ورأيتك يا أمي لا تبكين .. لأن الأدمع مصلوبة
ولأن " العقدة "في " الواسط"
-(ص 5)-

ويحذّر الشـــاعر بني قومه من تكرار التجربة القتالية الفاشـــلة المهزومة، أو الاستماع إلى أسطوانة الانتصارات العربية المثقوبة الجدران، لأنها ناشزة الأنغام، لما تراكم عليها من صـدى الغدر والخلافات التي أوصـلت العرب إلى وضـعهم الاستسلامي الذليل:

"ولما تجيء " المغازي " وتصحو القبيلة
على حلمِها في صراع الذئاب
تفر الكلابُ اللعينة
تخبئُ أنيابَهَا في لحوم الخيول
تبقى كسالى هجينةْ
تفرغ منها الصهيلْ
وأبقى أنا تائهاً في البراري
على ضوءِ نجم يُسَمَّى سهيل"
-(ص6)-

لذلك يدعو الشـــاعر إلى الحجر على تلك (الكلاب اللعينة) التي تفرّ من ساحة الحروب، وتترك شعوبها فريسة تنهشها ذئاب الأعداء، عندما تقوم بدورها المتآمر، وتنـــزع من الجيوش أسـلحتها وإيمانها بواجبها الوطني، لتكرّس الهزيمة

والواقع المأساوي، خدمةً لأسيادها، وحفاظًا على مكاسبها. وتوهن القوى، ولا يهمها إن تشرد الإنسان العربي أو ضاعت أوطانه، ما دامت تخدم مصالحها وتحمي وجودها. ولقد اقتلع الفليّح رموزه من بيئته البدوية (الخيول، القبيلة، الذئاب)، وشحنها بدلالات إيحائية: (القوة، حارس الدار، العدو الغازي)، لتطرح علاقاتها الجدلية على تركيبة واقعه العربي:

"صهيل مع الريح يأتي .. وكانت خيول القبيلة

نيامًا على بعض أمجادِها والكلاب

سعارى تهرُّ على ظلها والذئاب

تلوبُ البيوتَ الحزينة

وتفتض أنيابُها كلَّ باب"

-(ص 6)-

وتتمحور أحلام اليقظة في شعر الفليّح حول همومه الوطنية بكل جراحاتها وآلامها وأحزانها؛ فهو يطرح قضية غزو العمال الأجانب لوطنه على لسان الطفلة – زرقاء يمامة هذا الزمان – التي رأت قومها سكارى في مضاربهم، فأنذرتهم بأن الغزاة قد جاءوا على خيلٍ من ثعابين تهزّ الرمل في الصحراء، ولكنهم لم يصدقوها، وقطعوا لسانها الذي يروّج الشائعات ويحدث بلبلة بين الصفوف:

"وقالت: آه يا قومي

لقد شاهدت في نومي

لحى تنتف

وغرباناً عداد الرمل تأتينا من الاجواز جائعة لكي تخطف

صغار النوق والموتى وجرحى الحرب و " الضُّعَّفْ ".

وريحا تحرق النيران !!

والإنسان والحيوان والأحجار والأشجار إذ تعصف"

-(ص 18)-

ويكرّر الشاعر طرح هذه القضية لخطرها على مستقبل الأجيال في قصيدته (عن موت المغنّي)، عاشق الأرض الذي كان يرشّها دمعًا من شآبيب كآبته كلما جفّت لعقم الغيوم. المغنّي الذي كان يعشق الإنسان، ويقضي ليله مهمومًا، يغنّي للقبيلة التي ملأت أرضها بالذئاب:

"لم يكن يدري بأن (الغزو) جاءوا

بلحىً صفراء من غير شوارب

ينبشون " النزل" عن رأس المغني

بعيونٍ عشعشت فيها العناكب"

-(ص 32)-

لذلك اعتبر الفليّح أسراب (اللحى الصفراء) و(العيون العنكبوتية) من أخطر مظاهر الغزو الاستعماري، الذي لوّث مدن بلاده بالسموم الخانقة، وامتصّ خيراتها. صحيح أنّ الأيدي العاملة الأجنبية شادت المدن، ورفعت البنايات الشاهقة، ولكنها في الوقت نفسه حولتها إلى أماكن موبوءة، شغلها تجميع الأموال عن قضاياها الوطنية:

"وعلى إحدى هضبات بلادي

شاهدت المدن الموبوءة

تنمو كثآليل ميتة فوق صحار ميتة

تتناثر فيها كالفطر"

-(ص11) -

ولأنّ هذه المدن تحتضن أصناف الجنس البشري ولغات العالم، فقد تحوّلت إلى مسرح غريب، تُمثّل على خشبته مشاهد من الأخلاق والعادات والسلوكيات

المتناقضة، التي لا تُشكّل هوية انتماء لشخصية حضارية لها ملامحها التاريخية، وأبعادها الفكرية، وإنّما تُنذر بمصير مشؤوم:

"ورأيت المدن الكبرى تركض عبر سراب البرّ
يتعقبها الخوف المتعب
ويطاردها المرض المرعب
ويفتتها حجراً حجراً،
شيطان الوحشة والشر
ورأيت صقوراً وحداءات وبطاريق بأعاليها
ورأيت دماء أهاليها
تقطر من مخلاب النسر"
-(ص3)-

ومما يُؤخذ على الشاعر الفليّح في أحلامه الرؤيوية النافذة سوداويته المتشائمة اليائسة، التي تزرع الخوف في النفوس على مستقبل الأجيال، وتنذر بمأساة فاجعة تهدد مصير الإنسان في وطننا العربي. وما دام العرب في كل مكان تغزوهم خيول الاستعمار المقطوعة الرؤوس، وتقذفهم طائرات العدو بمياه النار

وروح السـم، وهم لأهون عن مصـيرهم الحياتي – الحضـاري، بمكاسـبهم الفردية وشؤونهم الخاصة:

"ورأيت الليلة يا أمي خيلاً برؤوسٍ مقطوعة

تغزو قومي

ورأيت امرأة فوق البيرق مرفوعة

تهتف باسمي

عارية يغسلها الدم

ورأيت غيوماً راكضة فوق مضاربنا قانية اللون

ترش رجال قبيلتنا بمياه النار وروح السم

ورأيتك يا أمي مفجوعة

تذرين الرملا

بين القتلى

وتلمين فتات اللحم"

-(ص2)-

ويؤخذ على الشاعر أيضاً إغراقه في النزعة البدوية، والإكثار من ألوانها البيئية، متجـاهلاً مـا أحرزه واقعـه من تطور مـادي وتغيير اجتمـاعي. بالعودة إلى المصطلحات البدوية (الطنب، العقدة، الواسط، الكحيلة، الضعف)، والاتكاء

على الصحراء ونباتاتها (الدوح، العرفج، الشيح، الديدحان، الشمطري، الأثل، الحنظل، السدر، الحلفا)، وحيواناتها وطيورها وبراريها في تشكيل صورته الشعرية، وتلوينها، أمر يدعو إلى التساؤل، خاصة أن الشاعر يعيش في عصر التفوق العلمي. ومن المآخذ الفنية على شعر الفليّح ركوده النثري المباشر، وتقريريته الناشفة حين يتكئ على مناسبة تاريخية كما في قصائده: (أغنية للطفلة الزجاجية، معزوفة الجنوب، الجفاف، الأدلة):

"ورأيت فرقاً واضحاً , كالشمس في كبد السماء
ما بين ثوار الفنادق
الجالسين يساومون
وبين ثوار الخنادق
ووجدت أن الشعب بين الثور والثوري فارق
وصرخت يا دنيا العذاب
ما عدت أحفل بالعذاب"
-(ص 58)-

كما يؤخذ عليه عدم وضوح رؤيته وضبابيتها واعتزازها في بعض أحلام يقظته، مما يقربها إلى عبث الأوهام، ويخرجها من دائرة الشعر الإيحائي، لأن طريقة

الترميز بالأحلام الرؤيوية واستغلال الحيوانات والطيور لطرح القضايا التي يدافع عنها الشاعر تحتاج إلى ومضة مشعة تضيء مساحتها، وتبرز فاعليتها في بناء القصيدة وإيحائيتها:

تقطر من مخلاب النسر
ورأيت عقاباً يخطف قصر
ورأيت غراباً يأكل نمر
ورأيت أفاعي في الآفاق
ترسم أقواساً قزحية
ورأيت وجوهاً في الشرفات
تلبس أقنعة شبحية
ورأيت عقولاً في الطرقات
تشرب أنخاباً ملحية !!"
-(ص 4)-

وعلى الرغم من هذه المآخذ، يبقى صوت سليمان الفليّح، قياساً إلى شعراء الأبراج العاجية الذين دجنتهم المناصب الوظيفية وأغمضوا عيونهم عن صور المآسي المحيطة بهم، صوتاً رائداً لحركة شعرية ملتزمة بقضاياها الوطنية:

"رأيت الحصان الذي أسرجته القبيلةْ

وحيداً مع الريح يأتي

شهاباً يضيء

بلا سرجه والقيود الثقيلة

طليقاً بوجهي القتيل

يحاكي غيوم السماء

ورعدا يدوي:

الصهيل

الصهيل

الصهيل"

-(ص**8**)

***

أسفار الترحّال والهجرة ومرجعياتها

في شعر سليمان الفليّح وإبراهيم الخالدي

بقلم: د. نجمة إدريس [5]

انطلاقات سليمان الفليّح وإبراهيم الخالدي الشعرية تكاد تنبثق من بؤرة معاناة (الاختلاف)، ومن الإحساس الحاد بالاغتراب والحصار حين معاينة الخلل أو الغبن في مفردات كون (ما كاني وزماني) حيث يتحدّيان تطلعاتهما ورغبتهما في الانعتاق والتجدّد. من ثمّ كانت تلك المحاولات الدؤوبة والمضنية لتجاوز ذلك الخلل (في الكون الخارجي) وقلق الاختلاف (في عالم الذات) عن طريق طلب الترحّل والسعي نحو هجرة واقع (زماني ومكاني) يبدو – في نظرهم – مجحفًا وناقصًا. إن ملمح الترحّل والسّفر والهجرة لدى الشاعرين (5) يكمن متخفّياً أو يبدو ظاهرًا في شكل التطلّع والارتياد والكشف بحثًا عن النقاء والتجدّد، واكتشاف الذات، وتخليصها من ركامات التشويه والقسوة، أو الاستلاب والغبن، أو التكرار والبلادة.

لذا تبدو السمة المميزة في مسألة (الارتحال) عن الواقع البليد أو المشوّه أو الظالم، إنها انطلاقة وحركة نافرة نحو الغد الآتي تتخذ سمت الرؤيا والاستشراف،

– عالم الفكر الأعداد يناير، مارس عام 2003. د. نجمة عبدالله ادريس، من شاعرات الكويت ولدت عام 1953م (الصالحية) حصلت على بعثة لدراسة الماجستير والدكتوراه وعينت على أساسها معيدة بعثة بين عامي 1982 إلى 1987 ثم حصلت على درجة الدكتوراه من كلية الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة "بندن" 1987م

ولكن هذه الانطلاقة نحو زمن آخر لا تكتسب زخمًا وعنفوانها إلاّ بمرورها عبر رموز ومنارات تراثية تبدو متجذّرة وعميقة الغور في وعي الشاعرين. إنهما يعيشان زمنًا (أوسط) يبدو فارغًا وموحشًا، زمنًا يتأرجح بين (مستقبل) يحلمان بارتياده وصنعه و(ماضٍ) تراثي سحيق يضيء ذاكرتهما بالألق والعنفوان، ويمنحهما شرارات هداية تنير طريق الرحلة. ماضٍ تراثي يهبهما زوّادة من إيمان بقيم إنسانية (ماضوية) ما تزال مرجعياتها التراثية مصدر إلهام لا ينضب. وعن طريق هذا الالتهام بالتراثي والماضوي يصنع كلٌّ من سليمان الفليّح وإبراهيم الخالدي أجنحتهما الجامحة للانطلاق من (زمنهما الحاضر) المتخثّر بالبلادة والخور نحو (زمنٍ آتٍ) ينهض فوق مشارف الحلم والأمنية.

هذا الشخوص الدائم نحو صهوة (الترحّل، والسفر) لا يُعبّر بالضرورة عن حالة من الاستجمام والفرح بالانطلاق من الحصار والاستلاب، بقدر ما يُعبّر عن محنة الاصطراع مع عالمٍ خائرٍ لا يرقى للطموح. وبالقدر ذاته، يشي بألم التحوّل ومعاناة التغيير حين التجرؤ عليهما. إنّ الشاعرين لا يوليان ظهرهما لواقعهما الزماني والمكاني، ويجترحان حلم السفر والرحلة إلاّ بعد معاينة وتجريب مضنيين، أخذا شكل المعايشة، فالمعاناة، فالنقد لذاتٍ أخرى بريئة ومتجددة.

أولاً: سليمان الفليّح

1- الصعلكة طريقاً:

يتخذ سليمان الفليّح من (الصعلكة) أسلوباً للتعبير عن المعاناة والرفض، إذ وجد في الصعلكة، بما فيها من إيحاءات تراثية غنية، الوعاء الأمثل لتجربته الشعرية المنطوية على الإحساس الفادح بالظلم، ورقّة الحال، والانكسار أمام مظاهر التسيّد والقسوة، ومشاهد التلوث الاجتماعي، وحصار الثقافة المادية، ناهيك عن اغتيال قيم البراءة متمثلةً بانسحاق الصحراء والبداوة أمام زحف مدينة جائرة تقزّم الإنسان وتهضمه وتنتهكه بلا هوادة؛ لذلك تبدو الصعلكة طريقاً لا مفرّ منه لشاعر مثل سليمان الفليّح، يعيش تجربته الشعرية بمستوييها الفني والواقعي.

إذ تغدو الصعلكة قدراً وواقعاً يتلبّس الشاعر، فيتّخذها مطيّته وأداته الوحيدة لبثّ معاناته ورفضه واستهجانه لواقعٍ يعاديه أو ينبذه أو يهشّمه. ولعلّ في ارتداء ثوب الصعلكة وإعلانها صهوةَ انطلاقةٍ ما، أعانه على التهامي بشخصيّات الصعاليك، واكتساب جرأتهم في المشاكسة والمناوشة والسخرية والتهكّم، وزهوهم بشجاعة المواجهة، والصَّلف، والتحدّي، وإخلاصهم للفقر، والشظف، ورقّة الحال، وخشونة العيش.

الأربعة التي تلت، مما يعني أن استخدامها وتمثّلها غدا موقفاً شعرياً يسم الشاعر بهذا الملمح المميّز. وأوّل استخدام للمصطلح نجده في نصّ (من مفكرة صعلوك) من ديوان: الغناء في صحراء الألم:

"توضأت بالرمل عند ارتحالي

تزودت بالتمر والنفط ، كانت طيور الجزيرة

رفوفاً مع الغيم والشمس تأتي

رفوفاً

رفوفاً

إلى واحة السدر عند الظهيرة

وكانت غيوم من القطن تندس فيها الطيور

مبللة تنحني فوق رأسي

تمارس هجراتها المستديرة

توقفت. قلت : ارتحالي طويل ،

تفيأت ظلي ونمت

وعقلي تفيأ ظل الشجيرة

أفقت من النوم، نظفت عقلي

وصارعت طعم النعاس، انتفضت

تذكرت زحف الأفاعي الخطيرة

وأيضاً تذكرت أني نسيت اصطحاب تعاويذ أمي

وحرزي، ووسم العشيرة

***

لهذا تخوفت لما رأيت الطيور التي في أعالي الشجر

تحد مناقيرها كي تعري الجذور الأخيرة

***

وواصلت سيري

تفاءلت أني مشيت ولكن طير " المريعي " عصاني:

" على العابرين التوقف " .

يحدث وجهي انصلاب السياج البعيد

وبعض التخوم التي لا تضيء

وشوق التلهف

ومن فجوة في السماء رأيت الصحاري، معلقة بالنجوم التي طالعتني

تدلت خطوطاً مرقمة فوق رأسي

تجاسرت، ألغيت صمتي، صرخت: لعنت الزمان المزيف

تنهدت ملء الضلوع

تجزأت حزناً

تساقطن مني الدموع

تجرعت دمعي ببقايا عذابي المخفف

وجاءت رفوف القطا أيقظتني

من الموت حزناً، تطلعت صوب الرفوف
تفيأت ظل الجناح المرفرف"

الصعلكة في هذا النص تأتي موازية للارتحال الكسير المرتجف، الذي يبدو فيه المرتحل متفّتًا ومتوجّسًا من (زحف الأفاعي، والطيور التي تحدّ مناقيرها)، وحادثًا بالاصطدام (بالأسيجة والتخوم) التي تثقب براءته وعنفوانه، وتملؤه حزنًا ودمعًا. ولكن الاصطدام بتخوم المدن الجائرة يحدث لا محالة... وتنتهي الرحلة بالانكسار، ولا يبقى من فيءٍ غير (ظل الجناح المرفرف).

وجاء الاستخدام الثاني لمصطلح "الصعلكة" مرتين في ديوان أحزان البدو الرحّل؛ مرة في نص (جرة على الربابة) الذي أهداه إلى شليويح العطاوي، الذي عرفه بقوله: "إنه من أشهر فرسان الجزيرة العربية الصعاليك في القرن التاسع عشر، بل ومن أنبلهم وأشجعهم"، ومرة ثانية في نص (أغاني الصعاليك) الذي اشتمل على ست مقطوعات:

1. "**أهزوجة** :"يعلّق فيها الشاعر رفض العبودية والدونية والانسحاق، كما يأتي على ذكر التعرض للخلع والتشرد والضعة والضياع.

2. "**تأبط شـــراً** :"وتمتلئ المقطوعة بالإحســـاس بالحصـــار الذي يدفع إلى الترحّل المنطوي على الحزن والحاجة، والمرتعش بلا أمن أو ظل، والتوحّد بذاته المنكسرة.

3. "**السليك بن السلكة.**"

4. "**أبو الطحمان** :"وفيهما إصـرار على التمسـك بالصـعلكة منهجَ حياة، رغم الخيانات والهزائم.

5. "**الشنفرى** :"وفيها يُؤنّب القبيلة التي نبذت أبناءها واعتقدت أنها مكتفية بذاتها، بأنها سوف تكتشف حاجتها إلى من نبذتهم.

6. "**عروة بن الورد** :"وهي المقطوعة الأخيرة، التي يرى فيها أن الحصـــول على الذات – بذاتها – يتوّج أحيانًا بالعنف والإغارة، محاطين بالرضـــى والزهو.

وكل تلك الإشـــارات والمعاني الواردة في المقطوعات الســـت هي جماع قيم الصـــعاليك وقانون حياتهم القائم على التشـــرد والارتحال، والإحســـاس الفادح بالظلم، ومناجزة مجتمع الصلف والقسوة.

أما في ديوان (ذئاب الليالي)، فهناك نص (الوصـــايا الأخيرة لصـــعلوك بني نفط)، وكذلك وردت لفظة (الصعاليك) وأسماء (عروة، والشـنفرى، والسـليك، وابن الغرابة) في نص "أغنية الولد البدوي". وقد جاء النص مشحونًا بالحنين إلى البراءة والبـداوة والنقـاء المفقود، حنين يتغلـب بـه على الهمود والبلادة وكـآبـة المكان. وهنا تغدو الصـــعلكة أيضًـــا ارتحالًا عن الثبات والتكرار، وتخثّر الزمن، وانطفاء الإنسان.

أما في ديوان (الرعاة على مشارف الفجر)، فهناك نص "مجرد صعاليك" الذي يُعبّر عن الفجوة بين مظاهر الغنى والمدينة والترف الذي أُقصــي عنه، وبين عالمه المنطوي على توحّشـــه ورفضـــه وتحدّيه وانطلاقه – ربما نتيجة الإحســـاس بقلة الحيلـة ورثاء الـذات – نحو العنفوان والنبـل، بحثًـا عن ملاذ. إنـه – دائمًـا – الرحيل والانبتات عن أولئك الغارقين في صـــلفهم وترفهم الفاحش ولا مبالاتهم، حين لا عزاء إلا بهذا الرحيل.

1– التماهي بالصعاليك تراثاً:

تبدو ظاهرة الصـعلكة في العصـر الجاهلي ظاهرةً تنطوي على المتناقضـات حين النظر إليها بمنظور عصـــري. فهي من جهة تشـــير إلى من يتجردون للغارات وقطع الطرق وشـــذّاذ الآفاق، والخلعاء الذين خلعتهم قبائلهم لكثرة

جرائرهم، أو لكونهم مجموعة من أبناء الحبشـــيات الذين تبرّأ منهم آباؤهم، وسُمّوا بأغربة العرب لسوادهم.

فهم إذن نتاج طبقة مسحوقة، مسلوبة الحقوق، تمتلئ نفوسهم بالإحساس بالظلم والتخلي ورقة الحال (12). والصـــعلكة من جهة أخرى تعني موقفاً حياتياً ينطوي على الرفض للواقع الجائر، والثورة على القيم القبلية الممثلة للاستكبار والصلف وقهر الإنسـان وتهميشه (13). ولا شـك أن النظر للصـعلكة من هذا الجانب سـوف يُسـبغ عليها هالة البراءة، ويجعلها مجلبة للتعاطف ومثاراً للإعجاب، ما دام الصـعلوك يناضـل من أجل إنســانيته المهدورة وبقائه المهدد بالحصـار. وإذا أضـفنا إلى هذا جوانب أخرى تعطي الصعلوك سِمته الخاصة، فسوف تزداد مساحة التعاطف والعجب.

فالصعلوك غالباً شاعر، وصفة الشعر توسّع آفاق إنسانيته ورؤاه، وتحدّ درجة إحساسه ورهافته حين الشخوص في متناقضات الحياة، وهو إلى جانب تردد صيحات الفقر والجوع، فإنه يختزن ثورةً عارمة على الأغنياء والأشِرّة. ويمتاز بالشجاعة والصبر عند البأس، وشدة المراس والمضاء وسرعة العدو وركوب الخيل. والصعاليك يتغنّون – في أشعارهم – بمغامراتهم ويتمدّحون بالكرم، ولديهم غير قليل من الترفع والشعور بالكرامة في الحياة، وكأنما تحولت الصعلكة في أواخر العصر الجاهلي إلى نظام يشبه نظام الفروسية. وهي حقاً تقوم على السلب والنهب، ولكنهم كانوا لا يسلبون ولا ينهبون سيداً كريماً (14). ولعل

صورة الصعلوك في العصر الجاهلي – وهي صورة تحمل إيحاءات الانكسار والنبل والتحفّز – الصعاليك والتماهي بشخوصهم ومسلكهم يبدو ملمحاً مميزاً من ملامح شعر سليمان الفليّح. فهناك ذلك التوجّه المستسلم للفقر ورقة الحال والشظف:

"نعاني التشرد والفقر لا بأس

فالدهر إن كان صلباً

فليس علاجُ الصلابة إلا الصلابة" (15)

وهناك ذلك العزوف القسري أو الإقصاء الذي يشبه الحرمان من الترف والغنى ومشاهد الرفاهية التي يضجّ بها المترفون ومدنهم الفارهة، في حين ليس للصعلوك غير أن يعيش على هامش هذا البذخ، منطوياً على الشدة:

"ليس للصعاليك

الاحتفالات

والكرنفالات

طقوس الدِّنانِ الثمينة

والبزز الباذخة

ليس للصعاليك

دعوات السفارات

أو واجهات المطارات

أو بهرج المرأة (الكاشخة)

ليس للصعاليك

غير ملح البحار

ورمل الصحار"(16)

نتيجة لهذا الإحساس الساحق بالانبتات وعدم القدرة على التأقلم مع مجتمع الرفاه، تنمو في نفس الشاعر نزعة السخرية والتهكم وتتأصّل، وهذه السخرية قد تتخذ أحياناً شكل الازدراء واحتقار الغنى والأغنياء، ومحاولة النيل منهم واستصغارهم، وسلبهم صفات النبل والمروءة أو التفوق والهيبة. وفي ديوان (رسوم متحركة) على وجه الخصوص، تتضح نزعة السخرية من (أصحاب الدينار) واحتقار غناهم في أشد صورها إثارة، وذلك حين يكون الغنى مدعاة لإذلال الفقير ويحثه:

"أذل من دجاجة

أقذر من صرصار

أحقر من بعوضة

أضخم من حمار

لكنه: سبحان معطي الرزق

لكي نقول الحق

جنوده نقوده

وسيفه الدينار

وفيه ما يكفيه من طيّب الأذكار

لكنه خادمه في الليل

ويركب العباد في النهار" (17)

(وندرة الدينار) لا تذل الفقير فقط، بل تقصيه أيضاً عن مراتب المجد، وتطفئ شمسه، وتعيده صاغراً إلى حياة الظل:

"في الزمن السخيف

هناك ألف سيف

بيني وبين الشمس

لا تقطع الأعناق

بل تقطع الرغيف" (18)

وبذلك يتحول غنى الآخرين ورفاههم، وما يستوجبه من نفوذ وتسيّد، إلى سيف معاناة آخر يقهر الشاعر، ويشعره بالصنعة إزاء التبجّح، وبالتقهقر والقماءة إزاء حواجز الاستعلاء:

"لي رجاء لا تصر

سيدي غضّ البصر

لست أصلح

من ندامك لأني:

بالمفيد المختصر

كلما عمرك طالا

سيدي عمري قصر" (19)

إن نزعة (السخرية المتهكّمة) التي خصّص لها الشاعر إصدارًا منفردًا، وهو ديوان (رسوم متحركة)، لا شكّ أنها تنطوي على وجه آخر من وجوه المعاناة. وهذه المعاناة تتّضح في عدم القدرة على التأقلم مع واقع شَعَرَ فيه بالغبن والاستلاب، ويزيد من الشعور بالانسحاق والضعة، فتتضخّم حينذاك الرغبة في رفض الواقع والنيل من رموزه، وإيلامهم بتلك السخرية اللاذعة. وكثيرًا ما تأخذ هذه السخرية أبعادًا غير مبرّرة، وتتحوّل إلى لون قاتم من السادية الشعورية، والتلذّذ بالانتقاص (20).

في كل الأحوال، السخرية والتهكم التي يتركها الفليّح لا يُشعِرانك من خلال سخريته وامتعاضه بأنه الأفضل أو الأنقى، بل يتمثّل فجيعته الشخصية من خلال هذا الواقع الشائه. فهو، كما في نص "حالة (21)"، يشارك أولئك الخورَ منهم تلوّثهم وغثيانهم، ويغرق معهم في جوّ من الجهامة والبلادة والخور وفراغ الطموح وبهجة الحياة. ومن خلال غمره في أوحالهم، يحلم بشكل ضمني بإمكانية النجاة من خلال الاعتراف والتطهّر. وكما ينتقم الصعلوك الجاهلي بالغارة والسلب والنهب وإلحاق الأضرار المادية بمن سلبوه حق الحياة الكريمة ودفعوه للتشرّد وشظف العيش، يتخذ صعلوك العصر ما يشبه هذا المسلك، إن لم يكن بالغارة الفعلية التي تتطلب الخيل وهدأة الليل وسرعة العدو، فبالذكاء والمسايرة والمداهنة التي تُحقّق الغاية. والشاعر إذ يعترف بقذارة الفعلة، فإنه يراها أهون شرّاً من التباكي والشكوى:

"دع البكاء
يا أيها الحكاء والشكاء
واغنم زمان النصب
ثم السلب
ثم النهب
فأقذر الأشياء في زماننا
صارت هي الذكاء" (22)

إن السلب والنهب ليسا في عُرف الصعلوك عارًا ولا نقيصة، بقدر ما هما سبيل لنيل الحقوق التي تحتاج إلى عنف وتجاوز، حينها تغدو الغارة مدعاة فخر وخيلًا وسبيلًا للعدالة. في إحدى مقطوعات أغاني الصعاليك، يتوحّد سليمان الفليّح بـ"عروة بن الورد" قائلًا:

"أمير الصعاليك يأتي

وفي بيته الآن ينتظر الجائعون " القرى "

والإقامة

يغير على " ذود "كسرى وحيداً

كما البرق قبل المساء

ويأتي قبيل العشاء

يسوق النياق " المغاتير "

كالبدر يشمخ فوق الغمامة" (23)

من الملاحظ أن إحساس الشاعر بالتلوث والمظالم في محيطه يكاد ينصبّ مجمله على شعوره بتلوث البشر ومظالمهم وصعوبة تقبلهم أو التعامل معهم. مشكلة الشاعر الأساسية هي إذن مشكلة (الناس – أو الآخرين)، المغارب بين ظهرانيهم، والرفض لصلفهم وتجاوزهم له. بينما في المقابل، هناك حب للأرض والوطن، ورغبة ساحقة بالانتماء إلى حضن يبدو أنه يرفضه ويقصيه. إن

(الوطن) كمستقر وملاذ يتحول لدى الفليّح إلى أمنية جارحة، لأنه صدر عاق، أو جنة تغلق أبوابها دون محبيها الأوفياء. فيظل مبللًا ببكائه وغنائه لتلك البلاد التي لا تنفك (تشاجره) لأنه يغني لها في المساء، أي يحبها بطريقته الخاصة رغم عدائها له:

"أنا طائر أعزل في حقول البكاء
شاجرتني صباحاً بلادي
لأني أغني لها في المساء
فهل أيها العارفون بكل الأمور
رأيتم بلاداً تشاجر أطيارها
في سبيل الغناء؟!"(24)

متخذًا قناع (الشنفرى) في مقطوعة بهذا العنوان، يؤكد سليمان الفليّح مرة أخرى ولاءه (للقبيلة – الوطن) رغم صنوف أذاها. ولكن القبيلة ستظل سادرة في بغيها، ظانّةً باكتفائها بذاتها، حتى تَكتشِف حاجتها إلى من نبذتهم من (أبنائها المخلصين). إن القبيلة التي فرّطت بـ(الشنفرى) وليلها نحو (الفيّاض العذيّة) في موسم الجدب، هي ذاتها تعود في عصر الفليّح لتَسِمه بـ(الصفات

الرذيلة) ظلمًا كما وَسَمت الشنفرى، وستفتقده يومًا حين الحاجة إلى (مُخلِصين) وأدلّاء:

"أتدري لماذا خُلعت؟!

- لأن القبيلة

تفكر دوماً بأن الخميلة

ستبلغ حتى " ضلوع الجمال "

وتمتد حتى حدود الخيال

ولكنها بعد أن يمضي " الوسم "

لما يجيء الربيع

وتكشف زيف الرؤى المستحيلة

أخيراً تفكر أن " المغازي "

إلى موطن العشب

في موسم الجدب

أعمال جد نبيلة

وتعرف أن الإدلاء نحو " الفياض العذيّة "

أبناؤها المخلصون

الذين رمتهم - جزافاً - بكل الصفات الرذيلة" (25)

ويبلغ التعلّق المِضـني مداه، حين تتحوّل أمنية التواصـل مع (الأرض – الوطن) إلى لونٍ من الارتحال الصوفي الشفيف نحو معشوقةٍ ضوئيةٍ نائية، يستقطر منها الشاعر الأمن والدفء:

"وعينا موضي واحة أمن وظل
وباحة بُنٍّ وفل
يفيء إليها القطا المستريب وتأوي الحباري
وعينا موضي نبعان ثرانا في حمأة القيظ
لما تشح الخباري
لعيني موضي وهج يضيء
إذا أعتم الوقت ليل الصحاري" (26)

ولكن (موضـي)، التي تتحوّل هنا في نص طير الغياهب إلى رمزٍ صـميمٍ للأمن والدعة، تفرّ تاركةً الشـــاعر يكدّ مســـافرًا وراءها في (عتمات الغياهب)، وقد (هدّه الارتحال) وانتظار وجه موضي يهلّ:

"أسافر في عتمات الغياهب
طيراً غريباً بلا جهة أو هدى
غير أني لما كرهت الظلام

وطال اصطباري

توجهت في ثقةٍ للضياء

التحمت به

ثم صار الضياء مداري

صحيح لقد هدني الارتحال

أنقّل عشقي على هذه الأرض

منتظراً وجه (موضي) يهل

إلى أن مللت انتظاري

فقلت سأصنعه قمراً

أو رغيفاً من النور

أهديه للجائعين أو الضائعين

فكان لذلك وجه موضي اختراعي الأخير

وكان الرحيل إليه قراري

وموضي أجمل ما خلق الله في الكائنات

تشع بروحي منذ قرون فتشعلها بالحرائق

ثم تفر

لذلك حان إليها بهذا الزمان فراري" (27).

يفجّر نص (طير الغياهب) مشـكلة الاغتراب، التي تمثّلت في الرغبة في الرحيل والســفر عن عالم الآخرين، بحثًا عن وطن يشــبه الحلم في دفئه واحتوائه، وخلوّه من القســـوة، ونقائه من الملوّثين والمتبجّحين والمختالين بنفوذهم وتســـيّدهم. واغتراب الشاعر يشبه اغتراب (الشنفرى) في (لامية العرب) في مستواه النفسي والروحي؛ اغترابٌ يُغذّيه التوحّش والهجرة عن وسطٍ إما يُناصبه العداء، أو يسلبه حقّ الاعتراض والحرية وتحقيق الذات:

"وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى

وفيها لمن خاف القلى معتزلُ

لي دونكم أهلون : سيدُ عملّس

وأرقط زهلول وعرفاء وجيأل

هم الأهل لا مستودع السر ذائع

لديهم ولا الجاني بما جرّ يُخذل" (28)

وكما يســتبدل الشــنفرى المغرّب عن مجتمع القبيلة الناسَ الذين آذوه وأنكروه، بحيوانات البرية وكائناتها المتوحشـــة، ويتّخذهم أهلًا وملاذًا يســـتعيض بهم عن خيبة أمله بإنســـانية الإنســـان وأخوّته، يتنكّب ســـليمان الفليّح ذات التفرّد

والتوحّش والتماهي بالحيوان والطير وكائنات البرية، فيلجأ من خلالها إلى عالمه، يألفه ويتفهمه، ويتمّ معه أواصر الحب والخلاص المفقودين في عالم البشر.

وهذا التهامي بروح الحيوان وعالمه يكاد يبرز على مستويين مختلفين:

المستوى الأول: يتّضح في ذلك الحنوّ والفهم المتبادل بين الشاعر وعالم الحيوان والطير، لدرجة التقمّص والاندياّح، اللذين يسبر الشاعر من خلالهما ما تنطوي عليه أرواح الحيوان من سمات أخلاقية تملؤه بالإعجاب والتقدير الجمّ.

في نص (أمير الوحوش) الذي يهديه، يعقد مقارنة بين هذين الكائنين: الذئب في حديقة الحيوان، وصديقه مسفر الدوسري في الشقة الوحيدة – يعقد مقارنة بين هذين الكائنين المرتهنين للأسر وعبودية الجسد رغمًا عنهما، وبينه هو الذي (يلوب بهذه المدائن منذ انحدر إليها "فطُعن ولُعن وأُهين"). ومن خلال هذه المقارنة، يتوصّل إلى أن القاسم المشترك بينهم – هم الثلاثة – هي تلك الروح الوثّابة التي تستعصي على القيد، وتتطلّع للانطلاق، وتظل (تزمجر مثل الرياح).

"مرحبا يا أميرَ الوحوش أحييك من قبةِ القلبِ

وأقدّمُ نوارةً من سهوب البراري إليك

وأرثيكَ من لعنة الانزواء

فأنت أسيرُ الزنازينِ

عبدٌ لحملقةِ الآخرين

ولا تقبلُ الارتهان كباقي الوحوشِ

ولا تقبلُ الاحتواء

تلوب طوالَ النهار بـ (مترين)

صارا إليكَ جميع القفارِ

وصارا الفضاء

وقلبي يلوبُ بهذي المدائنِ منذ انحدرتُ إليها

طُعنت

لُعنت/ أهنتُ

ولكن روحي ستبقى تزمجر مثل الرياحِ"

عن الدوسري:

"غرابٌ جميلٌ يعيشُ على الشعرِ والحب والأصدقاءِ

فيكويه عصره

يلويه دهره

ولكنه كعصا الخيزران

يرفضُ الالتواء"

عن الكلِّ:

"كلهمُ في البلاءِ سواء

(مسفرٌ) وأميرُ الوحوشِ وقلبي

كائناتٌ تُباد

وتبدأُ من حيث لا ينتهي الابتداء"

في هذه المقارنة تبرز صورة الذئب لتعطي الزخم والوهج للشخصيتين الأخريين في النص، وهما: الشاعر وصديقه مسفر الدوسري. إذ تبدو صفة رفض الارتهان من غرائز الذئب الأساسية التي تكتسب بعدًا أخلاقيًا جميلًا حين نسبتها إلى الإنسان. والحيوان لدى الفليّح لا يذهله (بأخلاقياته) فقط، إنما يثير في نفسه الحنو والشفقة على مصيره الذي تهدده شراسة الإنسان وعبثيته التي تغتال براءة الطبيعة التي تمثل رموزها الطيور والكائنات البرية.

"قرب جزيرة عوهةْ

سدد صياد أحمق (خرّازته)

نحو اللوهةْ

ما طارت

وبعينين بهما حزن الدنيا

كانت ترقبه مشدوهةْ."

المستوى الثاني للتماهي مع عالم الحيوان يتضح في تأمل الشاعر لطباع الحيوان الغرائزية وغرائب تصـــرفاته، ومن ثم إســـقاط هذه الطباع الحيوانية الغرائزية على الإنســـان وتحوّلها إلى طباع ممجوجة أو مثيرة للســـخرية والتهكّم. وهذه إحدى طرائق الفليّح في التعبير عن اســـتهجانه لأولئك الذين يمثّلون تهديدًا له، لأنهم يجتاحونه أو يسحقونه بنفوذهم وسطوتهم أو غناهم. فيدافع عن نفسه بأسلوب الســـخرية والتهكّم على فجاجتهم وغلظتهم وافتقارهم إلى الإنســـانية، وذلك بإســـقاط طباع الحيوان الممجوجة عليهم ورسمهم بتلك الصـــور الكاريكاتيرية الهازئة.

ونظرة سريعة إلى عناوين نصوص ديوان (رسوم متحركة) تزودنا بكمٍّ غير قليل من صـور الحيوان البرّية والبحرية والزواحف والحشـرات، التي يرى لها شـبيهًا من بني الإنســـان، مثل: "البطريق، الورل، القنفذ، الســـلوقي، الهرّ، الســـحلية، أبو جَعَل، خروف، حشرة، سخلة، السوسة، الضبع، الوبش، الخرتيت، عضاءة، الهيس، كلب، الخنّاق، الرعّاش، الشـــريب، الفريالة، اللخمة". والأمر لا يحتاج إلى تأمّل طويل لمعرفة رأي الشاعر بأولئك الذين يسمّيهم بأسماء هذه الكائنات. إن توظيف صـورة الحيوان عامة في شـعر سـليمان الفليّح قد يختلف بصـورة أو بأخرى عن مثيلاتـه في مرجع تراثي مثـل كليلـة ودمنـة، ففي كليلـة ودمنـة يأتي

تماهي الإنسان بالحيوان استجلابًا للحكمة والاتعاظ والتعلّم والتأمّل، وتكون شخصية الإنسان في سياق القص ضمنه أو افتراضية. في حين تأتي معادلة الفليّح لإبراز المعنى عن طرائف التقابل والتوازي وانعكاس المرايا. وهذا التوظيف يحوّل الطباع من طباع غرائزية محايدة لدى الحيوان إلى طبائع ممجوجة أو مستهجنة لدى الإنسان، ولكنه لا يبخس الحيوان براءته وتلقائيته، بقدر ما يستنكر في الإنسان خروجه عن آدميته وتزيّيه بزيّ لا يناسبه وسمات ليست له.

1- مرجعية الصحراء

يمكن اعتبار سليمان الفليّح – الشاعر والإنسان – خير من عبّر عن أزمة جيله من أبناء البادية المتناثرين على مشارف المدن المنطقية، الذين لفظتهم الصحراء لشُحّها أو لانتهاء عهدها كموطن في زمن التحضّر الكاسح. فوجدوا أنفسهم منكفئين على تخوم مدن ترفضهم أو تتحفّظ في قبولهم، وتعدّهم متطفلين أو زائدين على الحاجة.

إنه يجد نفسه كائنًا منبتًّا يقف بين عالمين موحشين: أحدهما صحراء غاربة تتلاشى روحها الأليفة وبراءتها وطُهرها، بكل ما تمثّله من قيم الأصالة والعودة إلى الجذور والحِصن.

وثانيهما مدينة تنطوي على القســـوة والنّبذ، وعداء أولئك اللاجئين إليها، الذين – نتيجة للمتغيرات القســرية – افتقدوا عنفوانهم وشموخهم، وغدَوا جماعة من المستعطين الفقراء، الممتلئين بالأحزان، الآيلين للانطفاء.

يمكن اعتبار نص (البدو الرحّل) من ديوان (أحزان البدو الرحّل) خير ما يعبّر عن هذه المعاناة في شـــعر الفليّح فنًّا وموضـــوعًا. إنه نص يتفجّر بالشـــجن واللوعة، ويضجّ بذلك الروع وارتجاف الإنسان من انكساره ومراراته، وعذابات ارتحالٍ قســـريٍّ يتخذ بُعدًا روحيًّا ونفســـيًّا أعمق مدى من بُعده الواقعي. إن حكاية آخر جماعات البدو الرحّل، اللاجئين إلى بوابات المدن، معفّرين بالحاجة والذل والفقر، تغدو في هذا النص أغنية فاجعة معذّبة تُعلن اندثار الصـــحراء، وسقوط رموزها، واندحار إنسانها:

"ها قومي انحدروا من مرتفعات الماضي – شهب الأعين –
تجلدهم ريح المستقبل نحو الواحات المأهولة بالأمطار.
ها هم مثل جراد القحط القادم من آخر إقليم في الدنيا
جاءوا وانتشروا في هذي الصحراء الرملية مثل الأحجار
ها هم عند حدود الغيم الأزرق ناموا
فتوسد كل فقير منهم " عرفجة "

عوسجة

حلموا بالفجر وأبكاهم برق شق الظلمة " يشعق "

يتعرج في دائرة الأفق المغلق

لكن ما يلبث أن يخبو

فابتلت من أدمعهم عند الفجر الريح ,

الأرض

الأشجار

ها هم قاموا

ساروا نحو تخوم المدن الكبري

جوعي

عطشي

(يستعطون) الخبز اليابس والماء الآسن والنار

ها هم عند حدود المدن الكبرى محنيو القامات

منكسرو الهامات

ومشتملون بأسمالهم الرثة لا تكسوهم

إلا الأطمار

ها هم تجلدهم

كي تبعدهم

عن أسوار المدن الكبرى

نحو تخوم المدن الأخرى

خيالة جيش التتار

ها هم يضطجعون هنالك

مثل الأخشاب المنخورة خلف الأسوار

ها هم ينطفئون هنالك

عند حدود الغيم الأزرق مثل الأنجم

كي يسدل عن آخر أخبار البدو الرحّل

في هذا العصر ستار" (32)

أمّا نص (تحوّلات الخبل الزين) في ديوان الغناء في صحراء الألم، الذي قدّم له الشاعر بقوله: (إلى جيلي، خريجي المضارب السوداء)، ففي تصويرٍ قريبٍ أشبه بالسيرة الذاتية المختصرة، تتناول المتغيرات المفاجئة والكاسحة التي انتقلت بهم من دَعَة الصحراء وشَظَفها إلى مدينة النفط والمعدن:

1. الخمسينات

أذكر في أعوام البدو الرحل نحو الشجر النامي عبر الآل

وسياط الشمس تقرحنا ببقايا تلك الأسمال

يشوينا الرمل فلا نخشى
أشباح الموت البرية...
يحدونا شوق التجوال...
للمدن المعدن. لحقول تنبت في الحال
لزهور الليل الحجرية. تخرج من طين الصلصال
أذكر إذ أوغل في ذهني
وتدق الذكرى في البال
وجهاً بدوياً محروقاً, صلباً. كجمود التمثال
يركض خلف الإبل العطشى
يحفر آباراً وهمية. تبعد آلاف الأميال (33)

هذا هو الوجه البدوي، هو وجه (الخبل الزين) الذي طالما كانوا يســـمعون حداءه في ليل الصــحراء، حين كان ابن الصــحراء في تلك الفترة. ولكن ما إن تأتي عقود الستينات حتى...

"وتجيء سنين المحل المرعب
ويجيء الفقر القتال
يحصد إبل البدو الرحل
يحشرهم للمدن الكبرى"

هكذا يجد (الخبل الزين) نفسه "محشورًا" ضمن أسوار شركة النفط بعد المحل الذي أصاب حياته في الصحراء. وما إن تأتي عقود السبعينات حتى تغيّر مدينة النفط ملامح (الخبل الزين)، فيستعصي التعرّف عليه، ولا تبقى من ملامحه القديمة غير صدى حدائه الذي كان يطلقه إبّان الخمسينات.

"وضحا وسنامه عال

وردت على أم وعال " (33)

وهكذا يتزامن سقوط الصحراء مع نهوض المدينة، التي اتّخذت – بالنسبة للشاعر – صورة المارد المعدني الذي ينطوي على التوحّش والقسوة، فيتضاءل أمامه الإنسان ويفقد عنفوانه وزهوه القديمين، ويغدو (قنفذًا بلا حراك) أو (حنظلة مقطوع الجذور)، ولا يملك حينها، وهو في هذا الوضع المستحذي المنكسر، غير أن يحلم (بمضارب قبيلته الغاربة):

"لذلك دعوني يا رفاق الوجع المر

أهجع بين الغابرين كقنفذ معدني بلا حراك

لعلها تحملني أكف الفجر البيضاء إلى مضارب قبيلتي الغاربة

التي تخفق بيوتها كرايات سوداء تعلن عن بدء أزمنة الذل

لأني بدأت أحس أنني حنظلة مقطوعة الجذور" (34)

وكما ينكسر الإنسان البدوي أمام مدينة جائرة لا تفهم لغة روحه وبراءته، كذلك يُذل (الحمل) ويقعي (الذئب) بلا عواء، ويتحولان من رمزين من رموز الكبرياء والعنفوان إلى كائنين مُستخدمين هيّنين، لا قيمة لهما في ظل المدينة الزاحفة.

"الجمل الذي خلّفه الرعاة

في الفلاة

مقيداً مهجور

قد نفرت هامته

كواسر الطيور

فخرج الدود من عيونه

وظل حوله نفسه

يدور "

***

"ذئب وحيد في العراء

يقعي على الحشائش الخضراء

يرنو إلى دخان النفط

ذئب بلا مأوى

ذئب بلا عواء

ذئب لربما ألقت به رياح الحرب

إلى متاهة الفظيع

ذئب بلا قطيع

ذئب لربما تبرأت من جنسه الصحراء!!" (35)

وكما تغتال المدينة كائنات الصحراء وحيواناتها، تغتال أيضًا واحاتها ومرابعها، وتحيلها – حين التنزه في الربيع – إلى صورة أخرى ممسوخة في حياة المدينة الصاخبة العادية:

"هذي الفيضة أعرفها ولو تغيّر الزمان

كانت مستعمرة للحباري

ومنبتاً للحمض والقلمان

كانت مرتعاً للإبل

إذ يمتزج حليب النوق بنكهة الأزهار

هذي الفيضة كانت مأوى للعربان

هذي الفيضة غدت الآن

– في الليل – بالربيعِ – مدينة تعجُّ بالأنوار

وحينما يستيقظ النهار

تعجُّ بالخيام البيض والعربات الأمريكية الصنع والنوار

تقطعها القبابر الحزينة

مرعوبة من (الشوازن) المصوبات في الهواء" (36)

غرائبي، فقد فيه البعض هويته وسمّاه، واختلطت لديه القيم والسمات التي أتى بها من الصحراء مع قيم المدينة المادية. لذلك لم يعد أمثال هؤلاء كما كانوا، وأيضًا لم يصبحوا مثل أهل المدن في تأقلمهم السهل مع طوارئ التحضر وأدواته وأساليبه الحياتية. ولعل خير من يمثل تلك الشخصية المتذبذبة المتخبطة ما نراه رسمًا كاريكاتيريًا مثيرًا للشفقة في نص (سهرة الجمل)، لذلك البدوي الذي تحول إلى جمل ممسوخ مشوّه الهوية عندما ارتدى عباءة لا تناسبه:

"جمل يدخل إلى الشيراتون

يرتدي خرجه الذهبي

يشد السنام بربطة عنق توشحها الزخرفات

ضجيج المغني في (البست) لا يستثير لديه الرغاء

ينيخ على أول الطاولات

ويجترّ حزمة شوكٍ رعاها بذاك الخريف
يعد النقود التي اختزنت في السنام.
تماماً كما هو يليق بأي بعير أليف.
تحرر من مهنة الشيل والحطّ و(الزرفلات)
تباغته بحة (الساكسفون)
ويصغي إلى الجاز منذهلاً
بالغناء العنيف
جاءه رجلان من (السيكيورتي)
أخذه إلى القبو
دققا في ملامحه جيداً
أودعاه إلى آخر الليل
في غرفة الانتظار
بعد يومين
أصيب بما يشبه الانهيار!
يصفق بخفّيه
يخجل أن الحداة القديمين قالوا به:
(أكواعهن باثفانها تقل شيال
بخفوفهن تسمع صريخ الجلاميد)

يتلكأ مضطرباً ثم يهدأ
يطلب كأساً من (الجعدة) الباردةْ
يصيخ لطاولة يتفاقم فيها الحوار:
لليمين المسار، لليسار المسار
ارتخت شفتاه، ويميناً إلى الخلف دار
فمد السنام المبجل
كان الضياء يطفأ شيئاً فشيئاً
وشيئاً فشيئاً ينار
تعاظم في كبده القيظ والغيظ والكدح عبر القفار
تناول باقة ورد ودلواً من الماء
راح (يمزمز) فيها مع (الكافيار)
تهلل بالبشر وجه البعير
أيقن أن النساء يقدّرن فيه الفحولةْ
إذ كُنَّ يهمسن شوقاً إليه. استدار
فأرغى وأزبد
حطّم كأسين. ثار"

هذه الرثائية المســرفة في تهكّمها – على شموخ ينهار وعنفوان يتهاوى ويتحول إلى مسـخ – تكاد تحاذي في فجاجتها ما يراه الشـاعر من حضـور للمفارقات الصــارخة في مفردات حياة غلب عليها التغريب وألوان الكرنفال والمتناقضــات الفزعة. إنه لا يملك إزاء هذه المشــــاهد غير أن يتأمل ويتهكّم وينطوي على رفضه واغترابه.

"هلا بك تأتين مع سلفادور دالي

وهو يضغط على فرشاة الرسم ليستخرج منها الألوان

وليرسم مياسم لإبل العشائر المصطرعة على المفلى

هلا بك تطلين من نقابك الشفاف على مايوكوفسكي

وهو يتحدث عن القبيلة المعاصرة كنكتة طويلة فاحشة

هلا بك تسمعين من خلف حجاب النسوة فتوى سارتر

وهو يتولى إحدى قضايا (سهج الوجه)" (38)

ويبدو أن اغتراب الشاعر إزاء هذه المشاهد الممسوخة التي تحاصر وتثير سخطه ورفضه كان مدعاة لسقوطه بين حين وآخر في هوة التوجس والفزع. لذلك تنمو بين الصورة الشعرية والرؤى المفزعة الموحشة، وتتكاثر الكوابيس وصور الرعب والخواء في عالم فُقد فيه الإنسان، وسادت آلة الدمار والقسوة والتهجّم والتلوّث:

"الناقة الآليةْ

تعرضت لموجة من اليورانيوم المشعّ

فأصبحت وحيدة الخليّةْ

دخلت مجال الليزر النفاذ

فاخترقت عظامها الأشعة السينيّةْ

تحولت لهيكل عظمي من فولاذ

وكتلة من الأسلاك

والأضواء

يدور في فضائها

دم ملون أخاذ

وذرات أيونيّةْ

تضيء الشيح والقيصوم

والجثجاث والثنداء وأحماض أمينيّة"

***

الناقة الآلية

رغت رغاء مدهشاً

يُقطّع الفؤاد

وجلجلت في دمها المعادن الغنيّة

نفثت لهيباً أزرق يُكلّس الهواء

وانطلقت من جوفها

أدخنة بنيّةْ

صار الحليب أسود

يسير في ضروعها الشفافة الزرقاء

وتخرج الغازات من مسامها

وفجأة طار أعلى سنامها

وانطلقت سحابة كونيّه

وكانت الناقة/ في خدر الإعاقةْ

وصحوة الإفاقةْ

باركة تجترّ

نفاية ذريّة!!" (39)

أما نص (وليمة الكارثة) (40)، فهو صـــورة من صـــور الفزع الأكبر، حيث تتزاحم الأســـلحة الجرثومية مع لهيب الغازات وتغير لون الصـــحراء، والأطفال المزرفين اللاعبين بالعقارب الميتة وكرات النار، والســـحالي التي تتدلى كحبال،

والأقمار المكسورة الهاربة من عصف النيران... إلخ. ويكاد (التوجس من الزمن الفاسد) يغرق الشاعر بالكوابيس والرؤى المرعبة التي تهدّد كلها بسوى المآل والتمزّق والاندحار الآتي:

"ورأيت الليلة يا أمي خيلاً برؤوسٍ مقطوعة

تغزو قومي

ورأيت امرأة فوق البيرق مرفوعة

تهتف باسمي

عارية يغسلها الدم

ورأيت غيوماً راكضة فوق مضاربنا قانية اللون

ترش رجال قبيلتنا بمياه النار وروح السم

ورأيتك يا أمي مفجوعة

تذرين الرملا

بين القتلى

وتلمين فتات اللحم

ورأيت غراباً كبر الليل

ينعق حولي

ويدور كثيراً حول الخيمة ، يتغافلني

ينهب طفلي

ويطير بعيداً، يتركني

أتمرغ فوق الرمل الأسود

أفقد عقلي" (41)

وإزاء هذا العالم المهاوي الذي لم يعد يملك أن يغيّر أو يعيد إليه براءته المفقودة، يقف الشـــاعر مرتعِدًا رعبًا. يحاول أحيانًا أن يواجه الغربة الطاحنة بالتحدّي المنطوي على الصـــلابة والتمسّـــك بالمبادئ في (زمن صـــعب) يتطلب منه أن يكون (ضـــاريًا من وعول الجبال) و (صـــامدًا مثل رمح) و (منتجًا مثل حقل قمح) و (شامخًا كالحصان الذي لم تكن أسرجته القبيلة)، وأحيانًا أخرى يتنكب النقد اللاذع للأوضـاع المقلوبة والتشـويه، ويدين الواقع المسـتخذي الفاسـد في (الزمان الرديء) الذي انعكست فيه القيم وتقهقر الخير وتنامى الفساد والتلوّث (42). وإلى جانب التحدّي والنقد اللذين قد لا يكونان مجديين مع عالم بهذا الزخم من المشـاكسـة واللامبالاة، تبقى نافذة الحلم مشـرعة، ويبقى البحث عن النفس المغتربة التائهة عن طريق التشـبّث بالحلم و(مدن مثل عناقيد الضـوء على الشاطئ تومئ):

"أن هيا يا وعل البرّ الجافل أدخلها آمن،

فالعشب هنالك ينمو بين شقوق الجدران،

ويعبأ ماء (القلتات) الضحضاحة بزجاج يشبه (عين الداب) ويسقي الظامئ بالمجان" (43)

ولعل من ضمن آفاق الأحلام التي تهدّئ الرّوع وتبلسم روح الشاعر المستوحشة يبرز حلم الصحراء مرة أخرى، الصحراء الغاربة المندثرة التي لم يبقَ منها غير الحنين إلى مفرداتها وروحها وبراءتها وطهرها الهارب.

لذلك تغدو الصحراء الحلم المسؤول الأخير لشاعر يبحث عن أمنه وهجعة روحه، فيصعد تلك الرؤى العذبة، ينسجها في لوحات وهمية لمضارب ورعاة على مشارف الفجر و (أجراس الزهر تدندن)، و(حقول لونية)، و(وحملان يثغو وغناء ربابه)، وحتى يتمثل بالأنين الأليف (يثمل بالأنين الأليف).

والشاعر، إذ يقطع هذه المفازة هاربًا ومرتحلًا عن مدينة ممسوخة وقاسية، وحالمًا بروح واحة صحراوية تحنو على اغترابه، فإنه في رحلة خلاصه هذه لا يتشبّث بمنابع عطاء أخرى، متمثلة بأصدقاء ورجال يمثلون للشاعر قيماً عليا أو أصالة أو شموخًا. فيمجدهم ويستهديهم ويلقي في ظلهم رحاله.

فإلى (جارالله الحميد) يشـــد نجائب حروفه ويســـوح قاطعًا الفيافي، رغبةً في الوصـــول إلى منبع العطاء الذي تغدو وعثاؤه ســـياحةً وانطلاقًا من الأسمى والأجمل، تلذّ الرحلة وتكتسب معناها الروحي (44). أما (خضير محمد الحربي) فهو (النخلـة التي مـا جنتهـا الرياح) والتي (تفيء إليهـا القوافـل من وطـأة الشـمس)، وأما باقي الأصـدقاء الذين يمجدهم ويسـتلهم عنفوانهم فهم (جياد البراري الأصـــيلة) التي (لم تحمهم في أي أســـطبل) و(لم تحنّ أعرافها للرياح) ، وواحدهم (شامخ باتجاه السماء تداعب أعرافه الريح ويمارس أبهى صهيل).

***

المفارقة في مقالات
سليمان الفليّح (1950–2013)

بقلم: د. محمد بن عبد الله المشهوري

ملخص البحث: [6]

تعد دراســـة المفارقة من أطروحات النقد الحديث، وهي معنية بالبحث عن مكامن وجودها في النصـــوص الأدبية، وتبيان هيئتها، وأنواعها. ولأنها لا تخضـــع لتعريف واحد متفق عليه، فيمكن إجماله بأنها إخفاء شـــيء فيقول شـــيئاً آخر. وهذا الطرح من المراوغة القولية يعزز الفكرة الرئيســـة للكتابة الأدبية التي تبتعد عن المباشرة والتقريرية.

ومن النصـــوص الأدبية الصـــالحة للبحث فيها من هذا المنطلق: المقالة؛ فلمرونتها وطبيعة جنســـها الأدبي فإنها تتفاعل مع المفارقة في إنتاج الخطاب الأدبي الذي يضـمها على شـرط براعة الكاتب الذي يتعاطى معها كما فعل سـليمان الفليّح، فقد اسـتطاع أن يصـل من خلال المفارقة إلى تفعيل أنواعها

[6] –البحث منشور في: "مجلة الجمعية العلمية السعودية للغة العربية العدد السادس والثلاثون" بعنوان: المفارقة في مقالات سليمان الفليّح (1951م–2013م) /03-07-2025م

واســـتدعاء تمثلاتها، ثم الإفادة من وظائفها كالســـخرية والتخييل والإقناع.

كلمات مفتاحية: السخرية، المقالة، الإقناع، الصحافة، الكتابة الأدبية.

ABSTRACT:

The study of paradox is one of the propositions of modern criticism. It is concerned with exploring its presence in literary texts, revealing its form, and identifying its types. Since it does not adhere to a single agreed-upon definition, it can be summarized as the concealment of something while expressing something else. This rhetorical maneuver reinforces the main idea of literary writing, which distances itself from directness and reporting.

Among the literary texts suitable for analysis from this perspective is the essay; due to its flexibility and the nature of its literary genre, it interacts with paradox in producing the literary discourse it encompasses, depending on the skill of the writer dealing with it, as Sulayman Al-Falih did. Through paradox, he was able to activate its types and invoke its representations, thereby benefiting from its functions, such as irony, imagination, and persuasion.

Keywords: Irony, essay, persuasion, journalism, literary writing.

المقدمة:

تصـطف المقالة إلى بقية الأجناس الأدبية النثرية في عصــرنا الحديث، وتقدِّم لكاتبها المرونة اللازمة من حيث هيئة تشـــكّلها وأدوات بنائها، مُعبِّراً عن موضـــوع حديثه وجوهر فكرته، وخصـــوصـــاً أن الصـــحف اليومية وعاؤها الرئيس.

والمطالع للدراســـات الأدبية للمقالة يجد بنظرة عامة "بكائية" نقدية، بأن المقالة مهملة تماماً في الدرس النقدي، متروكة التتبع البحثي. وفي ظني أن هذا ما عاد اليوم واقعاً دقيقاً؛ فالاحتفاء بالمقالة على المســـتوى الأفقي وتوجهاتها بلغ قدراً مقنعاً من التناول العلمي على صـــعيد عدد من الموضوعات، أما المستوى العمودي المعني بتخصيص كاتب ما بالدراسة، فذا

مما يشترك فيه الجميع من مبدعي الأجناس الأدبية؛ إشادةً بأحدهم أو إهمالاً له.

ومن أولئك المعدودين في كتابة المقالة سليمان الفليّح رحمه الله، فله نتاج كبير مبثوث في الصــــحف، وهو على قدر عالٍ من البّراعة، ومع هـذا الإبـداع اللافت إلا أن مقالاته على نحو خاص لم تنل دراسـة علمية حتى الآن، وهي مدونة ثرية جداً لعدد من المحاور والتطبيقات.

والحق أنني من قرّائه لسـنوات عندما كان للصـحافة الورقية مقروئية عالية قبل هجمة التقنية التي أخذت القراء إلى شـــعاب أخرى ومنافذ متعددة، فما عادت الصـــحف اليوم هي مصـــدر الخبّر الوحيد. وأُذوِّت هذا في المقدمة؛ لتســبيب أن تأمَّل المقالات لدراســتها ليس وقوفا بحثياً عارضـــاً؛ فالباحث مشـحون بمعرفة سـابقة للكاتب ونمط كتاباته بتفاعلٍ وجداني قديم! ولأن ما يمكن بحثه في مقـالاتـه كثير جـداً، وقع الاختيـار على "المفـارقـة"؛ لمحوريتهـا الشـديدة في مقالاته، فهو يذهب بك بعيداً عن شـيء قريب، ويتقلّب بك في صـــحرائه من داخل مدينته، ثم يعود مجدداً لخلق تخييل خاص به ليقنعك بأنه حقيقـة، وقبـل هـذا كله تجده نقطةً اجتمعت فيهـا المفـارقـات بأن تراه: البدوي المتمدن، والأديب الناقد، والناثر الشاعر.

والإشـــارة إلى عموم فكرة المفارقة في الأدب العربي قديمة، غير أنها لم تأخذ شكلها النقدي على نحو واضح في البحث الأدبي إلا من خلال الدراسات الغربية، فهو مصطلح يأخذك في منعطفاته؛ لدورانه المستمر بين مترادفات عدة، من مثل التهكم والسخرية والتناقض إلى آخره، فتناوبُ المصطلح بين أفكار شتّى تمرّدُ على التأطير، والنطاق غير المقنن للمفارقة -في زعمي- أمدتها بمساحة حرية أكبر في الحقل الأدبي؛ للاستزادة من تخوم علوم أخرى تصب في هدفها، فتبني قوامها، وتقوّي طرحها.

ومن التنبيه أن بعض المقالات المدروسة ضمت كلمات عامية خلّل بها الكاتب عباراته، فوضعتُها بين قوسين ( ) ثم شرحت معناها في الهامش مع وضوحها لشيوعها بين العامة أو لبيان معناها من السياق، وما كنتُ سأفعل، حتى رأيتُ اهتماماً من باحثين غير عرب بالدراسات النقدية السعودية، وكان مما يواجههم معنى الكلمة العامية في دراسة بعض السرديات/(القصة، المقالة)، وهي على رأي في النقد السردي سماحاً للأديب بها في حدود ضيقة، فبات من السديد أن أشرح واضحاتنا؛ لخفائها عند غيرنا.

أما منهج الدراسة؛ فالإنشائية التي تسمح بتكشيف أدبية النص، وتتبع مفارقاته، والنظر في أطروحاته، فقامت الدراسة على: تمهيد، ومباحث ثلاثة، فخاتمة، ومسرد بالمصادر والمراجع.

التمهيد:

أولاً: المفارقة (المفهوم والمدى:)

المفارقة (Paradox) من المصــطلحات الواقعة بين شـــدٍ وجذب؛ لما لها من مفـاهيم مختلفـة حيناً ومتقـاطعة مع غيرهـا أخرى[(7)] ، فهي تنبثق من معـارف متنوعة وعلوم متعددة، فباتت طيفاً له مدى نافذ في العديد من دوائر الاشتغال النقدي، وفق المحيط الذي تنطلق إليه، أو المعارف التي تتكئ عليها، أو الغايات رادة منها.

وتجاوزاً لمكرور القول فيما اجترحه كثير من الباحثين وقت عرضــهم للمفارقة من تتبعٍ لها في الحقول المعرفية وتاريخها الدلالي[(8)] ، يمكن تعريفها في الدراســـات الأدبية اليوم وفق توصيف ميويك (D. C. Muecke)

[(7)] -هذه الكلمة في اللغة الإنجليزية تتقاطع معها كلمات أخرى في المعنى ، مثل (Irony) وهي الأكثر تقاسماً مع (Paradox) للدلالة على المفارقة، ثم تليها (Antonym) وأخيراً (Satire) وفضّل الباحث (Paradox) على (Irony) لالتصاق الأخيرة الشديد بالسخرية/التهكّم، وما السخرية إلا جزء من المفارقة.

[(8)] -للتوسع انظر: خالد سليمان، المفارقة والأدب: دراسات في النظرية والتطبيق، دار الشروق، عمّان ط1 1999م ص11-19

- رقيق كمال، المفارقة بين المفهوم والاصطلاح، مجلة دراسات، جامعة طاهري محمد بشار، مخبّ الدراسات الصحراوية، الجزائر، العدد 3 يوليو 2013م ص51-61

- سيزا قاسم، فن المفارقة، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد 2، مجلد 2، سبتمبر 1982 م، ص 143

- منصور البلوي، المفارقة في الرواية السعودية المعاصرة: مقاربة في البنية والدلالة، النادي الأدبي بالرياض، ط 1 / 1440 هـ/ 2019م، ص 13-47

- نبيلة إبراهيم، المفارقة، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد 3-4 مجلد 7 سبتمبر 1987م ص131-140

بأنها: "طريقة في الكتابة تريد أن تترك السؤال قائماً عن المعنى الحر في المقصود: فثمة تأجيل أبدي للمغزى.

فالتعريف القديم للمفارقة -قول شـــيء والإيحاء بقول نقيضـــه- قد تجاوزته مفهومات أخرى؛ فالمفارقة قول شيء بطريقة تستثير لا تفسيراً واحداً بل سلسلة لا تنتهي من التفسيرات المغيِّرة".[(9)]

إن النقد العربي القديم يخلو من الذكر الصريح لمصطلح المفارقة؛ لذا تُعد دراسة ميويك بترجمة عبدالواحد لؤلؤة عام 1977 م التي انبثق منها التعريف الآنف -المنطلق الأول لمعظم الدراســات العربية عن المفارقة؛ إذ إن الدراســات الغربية هي أول من تنبَّهت لها على هذا النحو الممنهَج، فسعت إلى تعريفها وتشقيق أنواعها، وبيان حدودها، ثم محاولة الخلوص من مســاحاتها المتداخلة إلى حد ما.والتعبير بــــ"إلى حد ما" مقصود؛ فالمفارقة عصيّة على التأطير القار الذي يوثّقها في حدودٍ معلومة دون أن تتمرَّد على القيود، فتتدخَّل هنا أو تتداخَل هناك، وهذا أثّر لاحقاً في الدراسات العربية الحديثة. أما الحضور النقدي العربي الحديث لبحث المفارقة، فبداياته الأولى انطلقت من دراســتين مهمتين: الأولى لسـيزا قاسـم، بعنوان: "المفارقة في القص العربي المعاصـر"، صـدرت عن مجلة

[(9)] - د.سي.ميوك موسوعة المصطلح النقدي، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط1 / 1993م 161/4

فصول عام 1982 م، والثانية "فن المفارقة"، لنبيلة إبراهيم من المجلة نفسها عام 1987م

والحق أن المفارقة بوصـــفها مصـــطلحاً نقدياً وافداً لفتَ النظر إلى بعضٍ من البلاغة العربية القديمة، فقد اسـتطاع أن يصـنع من بعض الأطروحات البلاغية عدداً من الأدوات المساعِدة على تقصّي النص وتشخيص

المفارقة فيه.

وأخيراً، فالمفارقة برؤية فلســـفية عامة مكّنتها من ولوج عدد من العلوم، فكُلٌّ منها يصله بها خيط يناسب موقعه منها ويتناسب معها، فتنقلب ضبابيتها من ســـلبية -كما يرى بعض الباحثين- إلى إيجابية منفتحة القوى على غيرها، والمرتكَز في هذا والمعوَّل عليه نهجُ المدوّنة، ومنهج البحث، ومنهجية

الباحث.

ثانياً: الفليّح (التعريف والأثر) [(10)]

من أعلام الثقافة وأدبها: سليمان بن فليّح بن لافي العنزي، الشهير بـــ(سليمان الفليّح) ولد عام (1370هـــــ/1951) في إقليم الحمّاد شمال المملكة العربية السعودية، توفي والده في الرابعة

[(10)] – د.سي.ميوك موسوعة المصطلح النقدي، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط1 / 1993م 161/4

من عمره، فاحتضنه خاله، الضابط السابق في الجيش الأردني، وممن شارك في أحداث 1948م، وكثيرٌ من الوجهاء والشيوخ يفدون إلى مجلسه، فتهيأت لليتيم الصغير بيئة اجتماعية زاخرة بالقصة والرواية والشِّعر وأخلاق الرجال، أسهمت لاحقاً في تنشئته الثقافية إلى جانب تحصيله الدراسي.

وفي (1389 هـ/ 1970م) انتقل إلى الكويت للعمل في الجيش، ومن هنا بدأت في حياته مرحلة الصحافة بعد انتدابه من عمله للتدرّب في جريدة السياسة الكويتية، وعلى إثرها بُعث مراسلاً صحفياً على جبهة قناة السويس في حرب 1973م. ((11))

وبدأت كتابته في زاوية (مخاريز) بصفحة المجتمع التي اتسمت بالسخرية مع احتوائها على ملامح بلاغية وأسلوبية تمتح من شخصيته وروحه الخفيفة، فكانت البذرة الأولى لعموده الشهير الثابت في الصفحة الأخيرة (هذرلوجيا) أثناء تقلبه في عدد من الصحف منذ عام (1394هـ/1974م) آخر يوم من حياته.

ولظروف اجتماعية عديدة تنقّل الفليّح من مكان إلى آخر فمن الأردن، إلى الكويت ثم استقر أخيراً في الرياض عام (1419هـ 1999م) وبها كانت وفاته -رحمه الله- في (1434/10/14هـ 2013/8/21)

[11] – انظر: سامي سليمان الفليّح، الأعمال الشعرية الكاملة سليمان الفليّح 1951 م- 2013 م (، دار سعاد الصباح

وخلّف الفليّح نتاجاً يُذكر على صعيد الأدب لا يمكن تجاهله، انقسم بين الشِّعر والنثر فصدرت الأعمال الشعرية الكاملة عام (1435 هـ/ 2014م)، أما نثره فأبرزها مقالاته (هذرلوجيا) المبثوثة في الصحف حتى خرجت مجموعةً في نسخة رقمية[(12)]، واستطاع بهذا الإرث الأدبي ترك الأثر في أجيال عديدة تطالع حرفه، وتقلّب معناه، وتفحص رؤاه، وما ذاك إلا أنه كاتب استقى خصوصية فرادته من جذوره البدوية المؤطَّرة بالمدنية التي توسل بها إلى روحه ومن ثم إلى محيطه.

المبحث الأول: أنواع المفارقات.

أولاً: المفارقة اللفظية:

تأتي المفارقة اللفظية في صدر أنواع المفارقات، فهي تُوقع في فخ العلاقة بين الألفاظ إلى أن يتفطّن لها ضحيتها في زمن يطول أو يقصر وفق استعداده العقلي للغة، وتُعرّف بأنها "شكل من أشكال القول يساق فيه معنى ما، في حين يقصد منه معنى آخر يخالف غالباً المعنى السطحي الظاهر"[(13)] المتمثِّل في المعنى المعجمي للمفردة، أو الحقل الدلالي للكلمة.

[(12)] – بذل أبناء الفليّح –ولاسيما الأستاذ أسامة– جهداً كبيراً في أرشفة نتاج والدهم جمعاً وتوثيقاً ونشراً، وهذا أسهم في أن تكون (المدوَّنة بين أيدي الباحثين وقريبة منهم.

[(13)] – محمد العبد، المفارقة القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1 1994م ص71

إن المفارقة اللفظية تتكئ على مخزون الكاتب، وحسن تدبيره لمواضعها من القول، بالنظر في شبكة العلاقات بين دلالات الألفاظ وتصدير معنى المعنى وفق الكيفية اللفظية التي أرادها من جملته في تلفّظه، ولأن صلب قوامها الألفاظ، فإنها تتغيا بمباحث اللغويات والبلاغة، وفق ما يتهيأ لها من مدار معنى وإمكانية قول.

وبالنظر في مجمل المقالات، فالمفارقة اللفظية تمحورت في نقاط ثلاث رئيسة، هي:

1. التضاد:

التضاد اللغوي من أحد أشهر أدوات المفارقة اللفظية وأقربها إلى سطح البنية القولية، فمن مسافة التقابل بين التضادين يمكن الاقتراب من الحدود الفاصلة بين المعنى الأولي ومعنى آخر للقول. ومما يتبادر إلى الذهن أن التضاد من السهل كشفه وقت إنتاجه في العقل اللغوي، وهذا صحيح بوصفه مستوى من مستويات التضاد المتدرِّجة من السهل قريب المأخذ إلى الصعب بعيد الغور، وتبعاً لذلك فإن تفاوت المستويات حاضر في المقالات المدروسة وفق خدمتها للموضوع المكتوب عنه، أو لما أُريد لها من قصد.

والعنوان مما يبدأ به التضـاد، تلك الدمغة اللغوية للعمود الذي عُرف به الكاتب عقودا طويلة، فقد تخيّر له اسم (هذرلوجيا)، وهو اسـم في غاية المفارقة بعمقيها الثقافي والعلمي؛ فالهذر ارتبط بثقافة العامة أكثر من الخاصـــة -مع أن المفردة فصـيحة صــليبة في اللغة [(14)]-، ثم بفعل النحت اللغوي يحدث الاقتران مع كلمة أخرى تكسبها صفة العلمية/(لوجيا.)

وهنا تكمن المفارقة في مســـتوى عميق جداً؛ فالهذر الذي لا فائدة منه، بات لصـــيقاً بكلمة تقدِّمه علماً عميقاً، وقد تغيب عنك ملامح المفارقة لعنوان العمود حتى تعرف ســـبب الاختيار بقوله:الفرق بيننا وبين الأمم الاخرى أنهم هناك يصنعون التكنولوجيا ونحن الأمة الوحيدة التي لا تصنع سوى الهذرلوجيا!! وهذا هو السبب الحقيقي في تسمية هذه الزاوية بـ (هذرلوجيا)[(15)]

ولإدراك شـبكة العلاقات المتضـادة سـيكون تحت كل جزء من العنوان عددٌ من الأطروحات اللغوية المحتملة للتضاد، على النحو التالي:

هذر	X	لوجيا
جهل	X	علم
ثرثرة	X	إنتاج
خمول	X	عمل

[(14)] – الهذر: الكلام الذي لا يُعبأ به. انظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 4 ، 2005 م، مادة (هـ ذ ر)

[(15)] – صحيفة الرياض بين عامي 1990-1991م

وتسلسلاً بالنزول من عنوان العمود إلى العنوان المتغيّر مع كل مقالة، فإن المفارقة تتفاوت في الحضور والغياب وذلك شيء مألوف؛ لتبعية العنوان نفسه للموضوع، والتناوب يجعل مفارقة العنوان أقوى خصوصاً أن المقالة ثابتة يومية، فالتباين بين استعمال المفارقة وإهمالها يخاتل المتلقي في كل مرة.

ومن العنوانات القائمة على التضاد "الحراك الساكن"، وتبدو المفارقة بيّنة، لاعتمادها على التضاد المتداول بين مستعملي اللغة. وعلى قدر ما فيها من وضوح، ومن مخالفة منطق قانون الحركة الفيزيائي، إلا أنها تحقق بقوة أحد أهم وظائف العنوان المتمثلة في الجذب؛ فهي تدفع إلى طرح سؤال عقلاني: ما الحراك الساكن؟ هل يمكن أن يكون التحرّك بجمود؟! فتجيب المقالة عن السؤال، ومضمونها سلوك بعض المثقفين:"نرى مثقفينا اليوم وللأسف الشديد لم يزالوا يمارسون النواح على نجوميتهم الخاصة التي تجاوزها الزمان، ويمعنون

في اللطم على حال الثقافة السالفة التي لن يعيدها الوقت في الوقت الذي لم يزل واحدهم جالساً يحدق في الفراغ، ولم يقدم أي إسهام ضئيل في تحريك هذا الركود الثقافي المزعوم الذين هم السبب الرئيسي في ركوده وتأسّنه، وذلك من خلال خمولهم الإبداعي، ووهن مشاركاتهم في الأنشطة الثقافية، وضعف صلتهم

بوسائط النشر بما في ذلك النشر من خلال دور النشر الخارجية التي يعتقدون أنها الجديرة بإبداعهم !!!".) ((16))

إن الحراك الساكن مختزل في المثقفين المتذمرين، فهم طاقة كامنة يمكن أن تحدث حَراكاً ملحوظاً، إن تركوا العيش في الماضي، والمضي نحو الحاضر، والتطلع للمستقبل، إنهم مثقفون لكن ثقافتهم غير فعّالة؛ لجمود الخمول وضعف مادتهم المقدَّمة، ومع هذا يضنون بنتاجهم على دور النشر المحلية ويتجهون به إلى الخارج. وتجاوزاً لعتبة العنوان بحثاً عن التضاد في متن المقالات، نجده طيفاً لغوياً واسعاً عند الفليّح، يكاد أن يكون عنده من أبرز أدواته التقنية في الكتابة، وفي ظني أن حياته المتنقلة بين طرفين متناقضين إلى حد ما أحدثت هذا السلوك في وعيه الكتابي، فعن فعل الكتابة يعبّر من خلال التضاد -أيضاً-: "تقديري الكبير لكل من تجشم عناء الكتابة؛ لأنها بالفعل عناء حقيقي لمن كتب الله عليه الكتابة؛ وذلك لأن دربها مليء

(بالأشواك والورود، والأغربة والحمائم، بالغزلان والوحوش، بحقول العشب وحقول الألغام". ((17))

---

(16) - صحيفة الرياض 2004/4/14

(17) - صحيفة الرياض 1991/5/24

والكتابة عن الكتابة من أشكال الميتا (meta) التي تبرز ما يحدث خلف فعل الكتابة نفســـها ،فهي تبدو للمتلقي بأنها عبارات جاءت في غاية الجمال بيد كاتب ماهر، دون أن يستشعر الصعوبات التي مرت

بها الفكرة والجملة حتى تكتملا، ففيها وخز الشـــوك ونعومة الورد، وما يدعو للفأل والشؤم، وفيها المفترسات

والصـيد، وفيها الجَمال الآمن والقبح المخيف، إنها قوة المفارقة التي "لا تقضـي باتبـاع الاتجـاه الآخر، إنما تبيّن لنـا أن المعنى يأخـذ الاتجـاهين معـاً والبعـدين معاً". ((18))

ويصـل التضـاد اللفظي إلى ما هو أبعد من مجرد التضـاد المعجمي، بأن ينحت من كلمتين متضـــادتين كلمة واحدة، كما في وصـــف شـــخصـــيته الوهمية ابن ظلهاب التي يحاورها كثيراً في مقالاته بأنها من "أعدقائي:"تعرفون ولا شـــك أن ابن ظلهـاب مـا غيره، هو من ألـد أعـدقـائي الخـاصـــين جـداً، ومع أن هـذه الخصـــوصـــية التي يحظى بها لدي لا تمنحه الحق أن يفرض أفكاره البالية علي؛ وذلك لتباين وجهات النظر بين الطرفين، ولإيماننا القاطع -أنا خصـوصـاً- أن الاختلاف في الآريا أي الآراء-حسب فهمه- لا يفسد للود قضية"((19))

(18) - جيل دولوز، عن المفارقة، ترجمة: إدريس كثير، مجلة علامات، العدد 15 / 2001م ص46

(19) - صحيفة الرياض 3-4-1999

2.التشبيه:

من أساليب علم البيان في البلاغة العربية التشبيه، وهو معني بعدد من الأغراض التي من بينها اليوم المفارقة بمعناها الاصـــطلاحي. وانفتاح البلاغة القديمة على معطيات النقد الحديث يحسـب لها ولا يضـعفها -كما يتوهم بعضـهم- فهذا دليل على حيوية اللغة العربية، وتأقلمها مع الجديد، وتوظيفها له.

والبلاغة في حدها الأدنى تتقاطع مع النقد الحديث، فما يكون منها التقاء ثم افتراقاً وحده كافٍ على مقدار ما يمكن أن تفعله اللغة العربية في مثل هذه الأطروحات النقدية المستوردة.

وللتشبيه قدرة على إحداث المفارقة عندما يتوجه به الكاتب مباشرة إلى الغرض المراد منه، ومن ذلك: "بعض الرجال تكمن قوته في شوكه المتطاير حينما يتعرّض للمطاردة تماماً كحيوان النيص الذي يستوطن الأودية والجبال، وبعضهم بأنيابه ومخالبه كالكواسر، وبعضهم بمخالبه وأجنحته كالجوارح (...)

وبعض الرجاجيل[(20)] كالصقر صيدته ليست له، وبعضهم كالنسر الذي لا يقع إلا على الجثث والفطائس(...)، وبعضـــهم كالحبّار الكائن الرخوي أيضـــاً الذي يكمن سره في كمية الحبر التي يطلقها مجرد ما أن يقترب منه مخلوق؛ ليترك

(20) – كلمة عامية تعني : الرجال

بقعة هائلة سوداء يفر عبّها ويلوذ بالنجاة(...)،وبعضهم كالظربان (الذي يطلق رائحته الكريهة على من يقترب منه".) ((21))

إن التشبيه بالحيوان ليس جديداً في الاستعمالات اللغوية، وخصوصاً إذا ما نُظر إليه من مرئيات البلاغة القديمة الواقفة فقط على حدود وجه الشـــبه والغرض منه، أما رؤية المفارقة بالتشبيه فهي تحاول

تقديم تفسير يسوّغ تلك التقابلات بالاغتراف من مرجعيات ثقافية عدة؛ لخلق تناقضات بين طرفين، لتفضي لاحقاً إلى التناظر بينهما.

فالحديث عن الإنســـان الرجل في الثقافة العربية له محمولات ثقافية تحيل على المروءة والنخوة والشـــهامة واحترام الكلمة وبيانها بالأفعال. ومن صـــور تعريف الرجولة الحقة في زماننا في الاســتعمال اللغوي إعادةُ الكلمة نفســها بصــيغة التوكيد اللفظي، كقولهم: "فلان رجُل رجُل"، فالرجولة عندهم مستوى عالٍ

لا يصلون إليها لفظاً إلا بالكلمة نفسها لا سواها؛ فكيف إذا دخل الرجل في موازنة مع الحيوانات؟! وهنا يتشـــكّل طرفا المعادلة وفق المكانة الاجتماعية للحيوانات عند أهل اللغة، فبعضـــها له صـــيت جيد فيأخذون منها أقوى الصـــفات مع تجاهلهم أنه حيوان؛ لإعجابهم به، وإن لم يعجبهم أعادوا إليه

(21) – صحيفة الرياض 2000/5/24

حيوانيته بذكر أبشع صفاته؛ لترتد مجدداً بالوسم القبيح على الإنسان الذي لم يحقق رتبة الرجولة كما يجب.

ويمكن ملاحظة هذا من خلال تنقّل التشبيه للرجال الأقوياء بقوة الأشواك، وحدة الأنياب، ونفاذ المخالب، إلى الضد بذكر مرتبة دونية، بأن بعضهم خادم لغيره وصيده لسيّده وإن كان صقراً، أو كالنسر الذي يأكل الجيف، أو ذلك الجبان الذي يتخفّى مثل الحبار في بقعة داكنة سوداء من الحبّ

كأخلاقه، والأسوأ أن يكون الضراط تدرَّعاً!! فهذه التشبيهات القاسية تدك الرجولة ومعانيها من خلال مفارقات تشبيهية تبدو صغيرة خصوصاً بإيقاعها السريع في العبارة إلا أنها تنفتح على معانٍ كفيلة بإزاحة صفة الرجولة، فترى الكاتب في المقالة يتدرج في المراتب من القوة والاحترام إلى المهانة والضعف، وفي التنقل بين الرتبتين تقطن المفارقة.

وفي شكل آخر تخرج مفارقة التشبيه من ذاتية الكاتب إلى أبعاد مخصوصة لا تظهر حدودها إلا في إطار موضوع المقال نفسه، ومن ذلك الحديث عن فلسفته في الجَمال: "ابحث عن الجَمال في ركام البشاعة تماماً كورقة بيضاء ترفرف في الريح بين أكوام القمامة، كزهرة تتورد على حواف الانسرابات، كرنة عصفور يحط على نافذة في ضجيج العاصمة، كابتسامة آسرة على محيًّا كهل عجوز، كلثغة طفل يتعثر في بحر من الثرثرة، كوجه صبوح لفتاة كأنك تعرفها

من دهر. آنـذاك.. آنـذاك كن فخوراً بنفســــك أيهـا الكـائن الـذي اسمـه الإنسان". ((22))

إن تشـبيه الإنســان بورقة بيضــاء نقية تحلّق عالياً فوق أكوام القمامة والشـوائب تعطي مفارقة بين العلو والانخفاض بدافع البحث عن الجمال في أكوام البشاعة، فهي محاولة للبحث عن انفراج الجمال بين شــقوق القبح؛ فالزهرة في الشـــق، وتغريد الطائر في ضوضـاء المدينة، والبسـمة المشرقة تحفها تجاعيد العمر والكلمة المعيبة في غمرة التحدّث، وهذا الزخم من التشـــبيهات الخالقة للمفارقة هدفها الوصول إلى بناء الشعور بالإنسانية

3 .الإبراز:

تتحدث المصـادر التأسـيسية للمفارقة عن الإبراز((23)) ، وينطوي تحته عدد من التقنيات اللفظية التي تخدم طرحه، من أبرزها وله علاقة وثيقة بالبلاغة العربية: الذم بما يشبه المدح، وهو من المحسنات المعنوية في علم البديع. ((24))

وفي المقـالات يتجلى هـذا النوع من المفـارقـة اللغويـة على نحو لافـت، فمن يتســقّطها يجدها حاضــرة، ومنها: "ما شـــاء الله، ما شـــاء الله، وأردِّدها للمرة

(22) – صحيفة الرياض 2000/4/8

(23) – انظر: د. سي. ميويك، موسوعة المصطلح النقدي ص 195

(24) – انظر: عبدالعزيز عتيق، علم البديع، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط 1/، 1427 .هـ/ 2006 م، ص 119

الألف؛ لكي لا يتهمني أحد (بالنضـــل) ((25)) والعينة والحســـد والعياذ بالله؛ وذلك لأن قطاعاً كبيراً من مجتمعنا العزيز مصاب بفوبيا (النضل) التي أصبحت مرضـاً مسـتعصـياً يهيمن على أفكار الناس -وخصـوصـاً- من لا يملكون أية أفكار أصـــلاً!! إلا فكرة الشـــك والريبة إلى درجة الرهاب من عيون الآخرين، وكأن الآخرين ليس لهم شـغل شـاغل في الحياة سـوى (نضـل) هؤلاء الناس الخانعين للوسـواس والأخيلة والرعب من المجهول؟! أقول: ما شـاء الله ما شـاء الله، وعيني باردة؛ لأنها زرقاء مثل عيون الإنجليز الذين لا يخافون (النضـل) مثلنا ولا يعبؤون به". ((26))

في الأصـل يجيء الدعاء وذكرُ الله على شـيء يسـتوجب الخشـية عليه امتثالاً لتعاليم الدين بقول ما شـاء الله، وقولها هنا ليس مرة واحدة فحسـب بل مثنّاة للتوكيد، ثم بكناية العدد "للمرة الألف"، وهذا يدفع للتوثّب نحو ظنيّة ذهنية بأن القول اللاحق عن شيء إيجابي، بينما هو دفعٌ لتهمة العين والحسد

على ما لا قيمة له! وما ذلك إلا لهوس بعضهم؛ إنهم متفرغون جداً لهاته النظرية ومستعدون للتعليل بها، وخصوصاً ممن لا يحملون أي فكر، فعلام سيُحسدون؟! هي وسـاوس في رؤوس أصـحابها فقط! إن الكاتب يحاول إقامة مفارقة بين

---

(25) – كلمة عامية تعني: الإصابة بالعين.

(26) – صحيفة الجزيرة 2011/1/18م

الثقافة العربية والغربية بأن الأخيرة تخلو من هذه الظاهرة، فأعينهم زرقاء باردة – كما يزعم– ولعله ينجو من تهمة الحسد مثلهم؛ لاشتراكه معهم في لون العينين.

وإن نجت سابقاً الثقافة الغربية من مفارقة سلبية إلا أنها تظهر بقوة في مقالة أخرى، تكاد تكون من أبرز ما كتبه الفليّح في تأكيد الذم بما يشبه المدح في مقالته "الرصاصة الخضراء"، التي تنطلق من منظور الثقافة البيئية، والحرص على الأرض من الدمار، حتى ترقّى الأمر، فبات من هذا المنظور قتل الإنسان أخضر: "الغرب، هذا العالم الإنساني، الحضاري، الحنون الذي يهتم بالبيئة، والحيوان، والطير، والفضاء، وسائر المخلوقات، الغرب الذي يفتتح المستشفيات الضخمة من أجل الصحة النفسية للكلاب، وإيلاء أخبار الباندا في نشرات الأخبار جل الاهتمام، بل قبل أخبار الرؤساء. (...) حنَّ قلبه أخيراً فيما يخص الإنسان، واخترع الرصاصة الخضراء. وهي بالمناسبة قذيفة مغطاة بغلاف من النحاس وبقلب ورأس من الطنجستين ((27)) تقتل الإنسان، ولكنها لا تسمّم التربة!! وبذلك يزداد حنان الغرب للبيئة، ويزداد شراسة فيما يخص الإنسان. وهو إن فعل ذلك –أي الغرب – وطوّر اختراعه العظيم؛ فلكي يحافظ على التربة فقط، و(طز)((28)) بالإنسان؛ فالرصاصة القديمة المتخلِّفة التي اخترعها

(27) – التنجستن (Tungsten) معدن فولاذي ثقيل ذو لون رمادي

(28) – كلمة عامية تعني :عدم المبالاة

قبل ذلك لقتل الإنسان، كانت تحتوي على الفولاذ والرصاص، وكانت -يا للأسف الشديد- تسمّم التربة، وتفتك بالإنسان!". ((29))

إن الحديث عن البيئة والحفاظ عليها، ثم متابعة أمر الحيوانات، وما يتعلق بالتربة، بعد مروره بالصحة النفسية للكلاب بذكر مستشفياتها، يعطي انطباعاً بأن الاهتمام بالبشر قد وصل إلى ما هو فوق الحاجات الرئيسة، ووصل إلى كماليات الكماليات كما يقال، ولكن المفارقة في أن القتل لم يتوقف، والحروب والدمار كذلك، ولكن من المبهج أن الرصاصة التي يسعى إليها الغرب اليوم مصنوعة بالطاقة النظيفة؛ حتى لا تلوّث التربة! فنتذكّر رؤية شليجل (Schlege1) عن المفارقة بأنها: "ليست وسيلة لاستكمال فهمنا للحياة، بحيث يمكن بحثها في الإطار المعرفي، بل إن المفارقة هي الحياة نفسها، المليئة بما يعجز الإنسان عن فهمه أو إخضاعه لمنطق العقل الإنساني((30))

إذن، كيل المديح العكسي للثقافة الغربية هو من باب إقامة تناظر بين المدح والذم من منطلق التناقض المقلوب، فما كان حقه أن يكون للإنسان بات للحيوان وللجمادات، ولا يعني ذلك عدم الحق للأخيرة إنما هي الأولوية لحياة الأرض والبيئة؛ ليعيش الأول بسلام.

---

(29) – صحيفة الرياض 1999/3/15

(30) – نبيلة إبراهيم المفارقة، مجلة فصول ص135

4 .التناص:

تتمركز فكرة مفارقة التناص داخل النص نفسه؛ لمراوغة فهم المعنى الأساس للنص الضيف داخل ضيف/المقالة على غير ما أُعتيد فهمه، في ظروف إنتاج مغايرة باتت قارة في ذهنية المتلقي لها.

وهنا خصيصة الكاتب المتمرّس الذي يوقع ضحيته بين نصه المكتوب والآخر المنقول، فتتحقق "المفارقة بإعادة إنتاج نص سابق بوساطة الخلاف الدلالي".[(31)]

والشِّعر من أبرز النصوص التي وظفها الكاتب في تناصه؛ فهو مرجعيته الأساس لكونه شاعراً، ولأن ثقافته القرائية عالية، فمخزونه من الحفظ ألح على كتاباته النثرية. وهو منذ عنوان المقالة يتناص مع مفهوم الصعلكة ويدافع عنها ويراها في رتبة عالية لا تشبهها (الصياعة) [(32)]، ففي مقالته: "الصياعة غير الصعلكة" تناص مع المفهوم العام للصعلكة، ثم يدلف للتناص شعراً في صُلبها: "يسمونهم في مصر (الصِّيع) وفي بلاد الشام (الزعران) وفي الكويت (الهيلق) وفي المملكة (الدشير) وفي سائر البادية العربية(السرابيت).(...) ولكن للأسف الشديد اندرجت جميع صفات حثالات المجتمعات العربية تحت مسمى الصعاليك مع أن الصعاليك براء من كل هذه الأصناف إلا ما يقاربها أو يماثلها

---

(31) – محمد ونّان جاسم، المفارقة ومستوياتها في السرد الحكائي في العصر العباسي، دار تموز، دمشق، ط1/ ع 2018ص41

(32) – كلمة عامية تعني : إضاعة الوقت بالسير على غير هدى دون هدف.

بالسلوك والممارسة والإبداع،(...) فثمة فرق شاسع بين (الصايع) والصعلوك؛ وذلك لأن (الصايع) هو مجرد متسكّع اتكالي هامشي، بل طفيلي يقبل العيش على فضلات المجتمع دون السعي إلى تحصيل رزقه بعرق جبينه، وهو تحديداً الذي قال عنه سيّد الصعاليك عروة بن الورد في العصر الجاهلي:

لَحَى اللهُ صُعلوكاً، إِذَا جَنَّ لَيلُهُ

مُصَافِي المشَاشِ، آلِفاً كُلّ مجزرِ

يَنَامُ عِشَاءً ثُمَّ يُصبِحُ طاويّا

تَحُثّ الحَصَى عَن جَنبِهِ المتَعفّرِ

قَلِيلُ التماسِ الزَّادِ إلاّ لِنَفسِهِ

إِذَا هُو أَمسَى كَالعَرِيشِ المجَوَّرِ((33))

وهو بالطبع غير الصعلوك الحقيقي الذي يمثله عروة وجملة الصعاليك الأبطال الذين زخر بهم تاريخنا الأدبي الذين يقول عروة عن واحدهم:

[33] – النص في ديوان عروة ضمن قصيدته الشهيرة "أقلي علي اللوم يا ابنة منذر". انظر: ابن السكيت، شرح ديوان عروة بن الورد

"وَلَكِنَّ صُعلوكاً صَفيحَةُ وَجهِهِ

كَضَوءِ شِهابِ القابِسِ المِتَنَوِّرِ

فَذالِكَ إِن يَلقَ المَنِيَّةَ يَلقَها

حَميداً وَإِن يَستَغنِ يَوماً فَأَجدَرِ"

أي إن (...) هذه الأنماط الرثة (...) لا تماثل الشــعراء الأبطال مثل الســليك والشنفرى وأبو خراش صخر الغي والقتال الكلابي وأبو النشناش والهيزدان ويعلي الأحول، فهؤلاء الصــعاليك الأفذاذ هم فرســان أولاً، ومبدعون ثانياً، ويمتلكون رؤية اجتماعية واضحة، ولهم سلوك إنساني نبيل يتمثل بالشجاعة

والكرم والإيثار والإبداع، وهذه الصفات الحقيقية للصعلوك الحقيقي(...)، فهل فهمتم الفرق بين (الصايع) والصعلوك ((34))

إن الكاتب يعترض على إلصاق الصعلكة العربية القديمة بعدد من صفات همل الرجال في أنحاء العالم العربي، ويأنف بالصعلكة الأبية الكريمة الفارسة الشاعرة المبدعة عن حثالة التصرفات السلوكية من أولئك، فعروة بن الورد ومن سار على مبدئه من كرم وشـــجاعة لا يُقاس بهم أحد ممن هم عالة على مجتمعاتهم،

[34] - صحيفة الرياض 1999/10/11م

"انطلاقاً من سلطة الذاكرة والتعرف، ليضحي التذكر من آليات حل شيفرة النصوص على ضوء مجمل متراكمات سابقة".((35))

والتناص خلق مفارقةً بين الصعلكة الحديثة والصعلكة القديمة، فالأولى أفردت أدباً وبرّزت رجلاً وذا خلاف الأخرى، فهو "ترحال للنصوص وتداخل نصي، ففي فضاء نص معين تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة مُقتطَعة من نصوص أخرى ((36))"، وما كانت المفارقة ستنجح لولا استدعاء شخصية لها وزنها في الصعلكة مع فريد قولها الشعري الذي تفردت به في مقارنة صريحة بين نمطي الصعلكة في مرحلتها الأولى والثانية، ثم تعزيز شخصية عروة بعدد من الأسماء الشهيرة التي سارت على نهج صعلكته ومبادئ خلقه.

ثانياً: المفارقة السياقية:

ترد المفارقة السياقية بوصفها قسيمة للنوع الأول الخاص بالألفاظ، وهذا التقسيم منشؤه اللغة بالنظر إليها من حيث هي لفظ أولاً وسياق/مقام ثانياً. وهذا التقسيم في ظني من أقرب التصنيفات لأنواع المفارقات؛

لاعتماده على التحليل اللغوي؛ فاللغة مكمن صناعة المفارقة، ومعنى المعنى فيها يوقع الضحية في شباكها، كما أن ذا التقسيم يعطي مساحة كبيرة له هيئة

(35) – عيساني بلقاسم، التناص: دراسة في المنهج والتأويل ورهانات الترجمة، منشورات ضفاف، بيروت، ط1 /2016 ص139

(36) – جوليا كريستيفا، علم النص، ترجمة: فريد الزاهي، مراجعة: عبد الجليل ناظم، دار توبقال، الدار البيضاء، ط 2/ 1997 ص21

منظمة، يمكن أن نخزز تحتهما عدداً كبيراً من الأنواع الفرعية، التي مهما زادت تبقى منتظمة تحت فرعين كبيرين تتمنطق تحتهما.

ومن أبرز أنواع المفارقة السياقية في المقالات أشكال ثلاثة:

١ .مفارقة الحدث:

تقوم مفارقة الحدث على سلسلة من الأحداث التي تتصل ببعضها حتى تنفذ إلى مبتغاها من إحداثٍ للمفارقة، وهذا الشكل من المفارقات السياقية يأخذ طابعاً طبيعياً لا يكاد يكشف عن نفسه إلا في وقت متأخر، فالأحداث المتتابعة عادية لا تثير الشكوك تجاهها، ومنها: "كتبت في العام الماضي عن تأريخ السنوات بأسماء أحداثها كما كان يفعل المؤرخون النجديون في القرون الماضية، إذ كانوا مثلاً يسمون العام الذي اجتاح فيه الطاعون بلاد نجد بعام الطاعون، (...) وقد انقطعت تلك التسميات حينما تحضّر الناس ووجدوا العمل؛ نظراً لتدفق البترول الذي هيأ لهم الوظائف التي لا يؤثر فيها الدهر كما كان يؤثر في مواشيهم ومزارعهم،(...) وحينما ارتفع مستوى المعيشة والدخل في السبعينيات الميلادية عادوا إلى نفس تسمياتهم القديمة وسموا تلك الأعوام بأعوام الطفرة،(...) عادت البلاد إلى طفرة جديدة بسبب الأسهم وأصبح

الجميع يركض خلف السهم بسرعة تماثله في الانطلاق(...) ولكن لأن الهوامير والحيتان لا تعيش إلا على السمك الصغير (...) أخذت الحيتان

بابتلاعه(...) وسميتُ عامها بعام الأسهم؛ إذ دخل السوق كل من يعرف ومن لا يعرف، فدخل الجميع أخيراً في دوامة الحيتان. واليوم نرى الأسماك الصغيرة، أو بالأحرى صغار المساهمين، قد وقعوا في تلك الدوامة المرعبة، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من يلعق جراحه، ومنهم من أصيب بمرض

(الأسهموزيا) الذي يؤدي للجنون".([37])

لقد تسلسلت الأحداث انطلاقاً من سبب التسمية عبّ التاريخ بوصفه سلوكاً اجتماعياً أكثر من كونه عملية تأريخية؛ فالربط بالحدث جاء لشديد تأثيره في المجتمع الذي عاشه، فلا يشعر به إلا من أصابه شيء من غلوائه، فارتبطت التسميات بالأمراض أو الغرق بالسيول أو الحروب إلى آخره

من الكوارث، ولاحقاً انقلبت المؤثرات متحولةً من السلبية إلى الإيجابية/ (محفزات اقتصادية)، فجاءت التسمية بعام الطفرة -أي: الرخاء-، فندخل في مفارقة زمانية انتقلت بين طرفي نقيض، ثم تكتمل دائرة الأحداث بأخذ شيء من السلوك الاجتماعي بالتسمية السلبية مجدداً تارة، وبشيء من التجربة

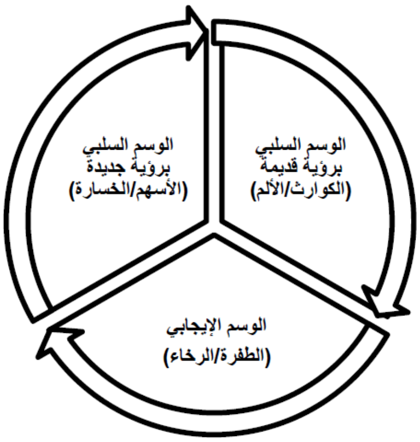
---

[37] - صحيفة الجزيرة 2006/3/5م

الإيجابية المدفوعة بالاقتصـــاد تارة أخرى بمجيء عام الأســـهم، ومعه وقفة فيها مفترق طرق؛ فالتســمية بما أحدث أعاد الوجع الجديد، ولكن بوجه مختلف عن الطفرة التي ملامحها جمالية؛ إنه بوجه سلبي قبيح أحدث ألماً بالخسارة.

والأحداث هنا فيها شيء من التأرجح المتعمَّد الذي قوى المفارقة، تولت زمامها الأحداث كأنها إبرة ميزان تنتظر الاســـتقرار، ثم ما كان متوقعاً يحدث العكس، فمن الأمراض والمصائب إلى طفرة نعيم العيش وصولا إلى وجه آخر للطفرة.

انظر الشكل التالي:



وفي جانب آخر من المفارقة المرتبطة بالتعلّم وتكوين المهارات، مقالة منها: "في بدء حياتي الكتابية كنت أكتب مقالتي في البيت(...) ثم أســلمها إلى ســكرتير التحرير وأمضي في سبيلي أمارس التسكع، وكنت أغبط ولا أقول أحسد بعض زملائي الذين يرســلون مقالاتهم من خلال ســائق العائلة ولا يكلفون أنفســهم تكبد المسافة، ثم لما أصبح الفاكس متوفراً في الأسواق أخذت أغبط من يملكون

الفاكس وسيلةً حديثة توصل مقالاتهم بأسرع من البرق إلى جهاز التحرير، وحينها وصل الهاتف بيتي بعد سنين متأخرة، تكرم أحد الزملاء وأهداني جهاز فاكس شفقة علي من عناء المسافة، ومنذ ذلك

اليوم وأنا منبهر بخدمة الفاكس إلى أن جاء الإنترنت ليلغي الفاكس كلياً، يصبح ضرباً من وسائط الماضي، ولأنني لم أزل متوجساً من التعامل مع هذا الوسيط المذهل بالنسبة لي، فقد واجهت مشكلة مع الزميل الأكبر رئيس التحرير الذي عيّرني أكثر من مرة بأن كل زملائي الكتّاب يرسلون عبر الإنترنت إلا أنت!! ومن هنا بدأتُ مرغماً أتعلم الكتابة الإلكترونية ولو بمساعدة صديق بالكتابة لا بالفكرة بالطبع!! حتى لا يتهمني أحد بأنه ثمة من يكتب لي!! ولكي أتحدى هذا التخلف الشخصي الذي أصبح سُبة لي فقد قفزت عدة مراحل ودخلت مرحلة التغريد بالتويتر".[38]

في هذه المفارقة القائمة على الأحداث نجدها تنتظم في سلك التطور التقني، وفي كل مرة يجد الكاتب نفسه مع مفارقة تخلق تحدياً مختلفاً، فما أن يصل إلى قمة حتى يجد نفسه ينحدر إلى قاع جديد، وهكذا، فمن الكتابة بالقلم حتى الإرسال بالفاكس، ثم الإنترنت، ثم الوصول إلى تطبيقات التواصل الاجتماعي.

[38] – صحيفة الجزيرة 2012/9/9م

وهي مفارقات تقوم على التقابل الضدي بين العلم والجهل أو العلم والتعلّم، وفي كل منهما ما يدفعه للتنقل بينهما، فتارة الزحام وقيادة الســـيارة، ومرة عدم وصــــول الخدمة، وم رة الجهل بالتقنية، وفي كل واحدة منها محفّز مختلف عن الآخر، فمن الهدية التي غيرت نمط تواصـله مع الصـحيفة إلى التندر على جهله التقني وصولاً إلى مرحلة التعويض عما فات.

وتعطي التنقلات مع الأحداث كشـفاً لتمرحلات الكاتب مع التقنية التي يقاوم فيها كل مرة ما يصــل إليه، فتغلبه مجدداً باختراع جديد عليه أن يواكبه ويخوض معركة تعلّمه.

وتتصـاعد مفارقة الحدث لتصـل مرحلة الصـدام، فتنتقل من مسـتوى الهدوء إلى الضـجيج وإحداث الصـدمة، من ذلك تلك المقالة التي يروي الفليّح فيها حدثاً مع مسـؤول: "ما سـاءني أكثر هو أن المسـعول أو المسـعور إياه قد نهض فجأة كـالملســــوع وبعينين قلقتين ومـد يداً مرتعشـــــة ليبـادرني بالقول: أنا لا تهمني الصحافة!!(...) مما جعلني أصفعه بالقول: إن من لا تهمه الصحافة فإما أن

يكون مسـؤولاً مثالياً ليس في جهازه أية أخطاء تسـلط عليها الصـحافة الضـوء، أو أن أخطاءه الهائلة مسنودة بشكل خيالي (...) أما فيما يخص المثالية، فاسمح لي أيها السيد المبجل أنني مررت على الأقسام التي ترأسها ووجدتها تعج بالسوء والقصور والفتور والتسيب والفساد وآنذاك ستهمك الصحافة!! مع أنني لست

ممن يتخذون مواقفهم نكاية بمواقف مضادة، ومن هنا فإنك لست مثالياً!! وهنا حاول أن يقاطعني المسعور بقوله: عفواً يا أخ ماذا؟! فقلت له: إن "الأخ ماذا" سيعلمك أولاً كيف تحترم الرجال، ثم كيف تحرص على وقت الوطن الذي تهدره (بسوالفك) ((39)) مع صديقك هذا، ثم كيف ستحترم الصحافة فيما بعد عندما يتوسط لك من يسندك. وإلى اللقاء يا مسؤول ماذا؟!".((40))

إن المفارقة الملموسة هنا أن الفليّح ما قدّم نفسه كاتباً، ولم يستخدم شيئاً من بريق اسمه خصوصاً أن أحد موظفي الإدارة عرفه كما في سردية المقالة، لكن المفارقة وقعت منه عندما تهجّم عليه المسؤول وجعله هدفاً لقوله، فقررت مفارقة الحدث التخلي عن اللطف والهدوء والتحول إلى الضد؛ لأن الموقف يقتضي هذا، ولا سيما عندما تجاهل المسؤول اسم الكاتب بعد تعريف أحد موظفي الإدارة به، فسماه تجاهلاً "الأخ ماذا؟" فعاد السؤال بماذا إلى تفريعات كثيرة استنبت منها الكاتب أسئلة عديدة يواجه بها خصمه، وهنا تأتي ثقافة صياغة السؤال التي على الإعلامي إجادتها لبناء مقولاته.

٢ .المفارقة الدرامية:

تتمايز المفارقة الدرامية عن مفارقة الحدث باختلاف متوارٍ؛ بأن للمفارقة الدرامية بصمة سردية ذات إيقاع قصصي واضح الأركان تمكّن من الوقوف بها

---

(39) – كلمة عامية تعني : الحديث مع الآخر.

(40) – صحيفة الرياض 2000/8/7م

تمثيلاً على ركح المسرح ((41))؛ لشديد التصاقها بحركة ديناميكية في منعطفاتها التي تقود إلى نهاية منتظرة، فهي أشبه بحلقةٍ من مسلسل درامي، وهذا لا يتأتى في مفارقة الحدث التي تتصف بسرعتها العابرة ضمن جمع من الأفكار غير المنتظمة -بالضرورة- في سياق بناء مشهد درامي مؤطَّر يُطلق عليه باطمئنان صفة الحبكة الدرامية، وربما لهذا السبب يطوي بعض الباحثين المفارقة الدرامية ضمن مفارقة الحدث ولا يفصلها عنها، وذا فيه شيء من وجاهة الرؤية البحثية من حيث الإطار العام الصاب في الحدث الواحد المنفرد الجزئي الذي ينفصل عما قبله وينقطع عما بعده، بينما برؤية أدق نجد مفارقة الحدث تتكئ أكثر على الواقعية ما أمكن ذلك؛ "فالعمل الأدبي الفني ليس موضوعاً بسيطاً بل تنظيم معقد بدرجة عالية وذو سمة متراكبة مع تعدد في المعاني والعلاقات".((42))

ومن ذلك مقالةٌ فيها روح سردية لقصة ممتلئة بالزخم الدرامي، فمما ساعد الكاتب على هذا النوع من المفارقة انفتاح المقالة على القص، ويمكن له أن يسترفد من القصة ما يعين على إحداث درامية عالية في السرد بروح القصة القصيرة التي تحفل كثيراً بالحدث الدرامي: "كان لنا صديق عربي يقيم في الكويت ويعمل في اليوم الواحد أحد عشر عملاً، لا أستطيع تذكرها الآن ولكنني أذكر منها أنه يفيق صباحاً ويقوم بإيصال بعض المعلمات بسيارته

(41) – انظر: د. سي. ميويك، موسوعة المصطلح النقدي 161/4.

(42) – رينيه وليك، أوستن وارين، نظرية الأدب، ترجمة: محيي الدين صبحي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط1، 1987م

الخاصة لقاء راتب شهري، ثم يحمل كيساً من (النفّيش) ((43)) ويبيعه على باب المدرســة، ثم يذهب الى إحدى وزارات الدولة ويؤجِّر ســيارته لها ثم يســتبدلها بوانيت ((44)) نقل يكدّه بالأجرة، ثم يداوم عصــــراً في التلفزيون، وإذا لم يكن لديه (أوردر) ((45)) يأخذ كاميرته الفوتوغرافية ويقوم بتصــــوير المتنزهين على الشــاطئ، ثم يذهب الى إحدى الصــحف ويحمّض أفلامه بالمجان؛ لأنه يعمل أيضاً في قسم التصوير في الصحيفة، ثم يتجه بعدها إلى (شبّرة) ((46)) الخضار ويشــتري بعض الصــناديق لبيعها على بقّال في منطقة ســكنه، وهكذا إلى أن يرتمي في غرفته منهكاً لا يلوي على شــيء. ونحن إذ نذكر هذا النشــاط الجبار لصاحبنا، فإننا لا ننوي حسده ولا السخرية من نشاطه اللامعقول؛ لأن العمل شرف، ولكن العجيب في أمر هذا الرجل، هو أنك حينما تسأله عن سر هذا الكدح يجيبك أن لديه مشاريع مستقبلية تخص القضية، وبعد أن تمكن صاحبنا من تجميع بعض المال سافر الرجل في إحدى إجازاته السنوية الى أمريكا، وسمعنا أنه اشترى قمامة إحدى المدن!! وعندما سألناه عن السر في ذلك أجابنا: إنه يبيع القمامة إلى مصنع للدائن، وأنه سيشتري في العام القادم المصنع، وسيقوم بعدها بشراء أراضٍ في المدينة، وهكذا سوف

(43) – كلمة عامية تعني : الفشار

(44) – كلمة عامية تعني : سيارة نقل ذات حوض.

(45) – كلمة إنجليزية (order) تعني : طلب .

(46) – كلمة عامية تعني: سوق .

يوســـع تجارته وبذا يقطع الطريق على رأس المال الصـــهيوني، ويحجّم اللوبي اليهودي الذي يتحكّم في المال، وســاعتها ســيكون الرأي والتأثير للمال العربي على الرأي العام الأمريكي."((47))

في المقالة تبرز المفارقة الدرامية، فذاك الرجل يســـعى في كد وجلد كبيرين خلف رزقه، فمن عمل إلى عمل ليل نهار، بمجهود فائق. وتتبّع سـلسـلة الأعمال هي نفســـها أحداث درامية ذات إيقاع زماني ومكاني متســـارعين. وفعله يُفهم في سياق جمع المال، ولا غرو فهو سبب تغرّبه، وفهم الغاية

على خلاف هذا يوقع في المفارقة، وذا ما حدث، فكدحه كما يزعم من أجل قضـية فلسـطين!! وهنا جوهر المفارقة؛ فما هو مكسـب مادي لشـخصـه يجيّر مصـلحته لشـيء لا يتأتى على الوجه الطبيعي، ثم يسـتمر زعمه في مرحلة تغربه الأمريكية للمتاجرة بالقمامة من أجل القضية أيضاً؛ لبناء ثروة تمكنه

من تحقيق قوى للرأي العربي!!

إن التنقل السريع من مفارقة صغيرة إلى مفارقة صغيرة أخرى، ومن ثم من مفارقة كبيرة إلى جوار أخرى مثلها دفعَ عجلة الأحداث في خط درامي لا يمكن إلا ملاحظته، فتلك الأعمال الصـــغيرة المتوالية (إيصـــال المعلمات، والبيع عند المدرسة، وتأجير سيارته، والعمل على سيارة نقل، والعمل في التلفزيون، وتصوير

(47) – صحيفة الرياض بين عامي 1990-1991م

المتنزهين، والتصوير للصحيفة، وبيع الخضراوات) تبني مرحلة أولية من الأحداث لتأتي مرحلة أكبر بالانتقال إلى أمريكا، ثم المتاجرة بقمامتهم، والتخطيط لشراء مصنع من أجل القضية الفلسطينية! وهنا جوهر المفارقة؛ فالكسب المادي غايته الانتفاع الخاص لا القضية كما يزعم، وتلك المراوغة في الأحداث الدرامية خلقت المفارقة والشعور بها في نهاية المقالة.

٣ .المفارقة الرومانسية:

تحث المفارقة الرومانسية على طرح الأسئلة؛ فمصطلح الرومانسية نفسه مرّ بتقلبات، ثم إن المفارقة جوهرها الرئيس السخرية، فيكف يمكن الجمع بين سخرية تحتقر الذات وذات لها أنا متفردة كما تنظّر الرومانسية؟! يمكن الخروج من هذا عبّ طرح فكرة خارج هذين الطرفين بأن المفارقة عموماً تجنح إلى فكرة المخالفة لما هو متوقّع، أما الرومانسية فتنبع من الاختلاف عن الجماعة بتفرد الذات، وبذا فقاسمهما المشترك هو الاختلاف، وهذه أرضية معرفية جيدة للانطلاق باتزان؛ فالمفارقة الرومانسية " مفارقة كاتب يعي أن الأدب لا يمكن أن يبقى غريراً لا ينطوي على تأمّل، بل يجب أن يقدّم نفسه واعياً بطبيعته المتناقضة، التي تضم النقيضين. ((48))

(48) – د. سي. ميويك، موسوعة المصطلح النقدي، 109/4

وإذا ما أردنا التوفيق بين المفارقة والرومانسية؛ للخروج بنوع واضح المعالم للمفارقة الرومانسية، فينبغي تحجيم امتداد معنى الرومانسية الاصطلاحي، ليكون ما استقرت عليها بعد القرن التاسع عشر، وهي "نزوع ذاتي إلى استنطاق الأنا وتغليب تصوره للعالم".((49))

إن جذور الفليّح البدوية كسته بالروح العذبة والرقة والتأمل الذاتي لمحيطه، فليس على الدوام أن تسم هذه البيئة طباع أصحابها بالغلظة والقسوة، فبمراجعة سريعة للشعر الجاهلي نجده رقيقاً، وقائلوه ممن عاشوا في الصحراء! وهنا وقفة أنثروبولوجية تستدعي التأمّل لحكم رمي أهل البادية بغلظة القلوب على الإطلاق.

وفي مقالته التالية منذ العنوان "المضارب أزهار سوداء" تتبدّى مفارقته الرومانسية: "كان ذلك أيام البراءة والأمل والعمر الجميل، حينما هبت نسائم الليل الشتائية على مضارب القبيلة اللائذة بالسفح، فأرعدت الأرجاء، ثم نهضت فينوس الصحراء لتمسّ أوتار البيت الأسود الكبير المصنوع من شعر الماعز، اشتدت الريح قليلاً لتعيد تشكيلات قوامها الدقيق كتمثال من الحليب الناصع تحت غلالة من الحرير الأحمر الشفاف، كان نقابها الهفهاف يطرح في الظلام وهي تشدّ الحبال الممتدة كالأسى، وفجأة التمع البّق اليماني، ((50))

---

(49) – سعيد علوش، معجم مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، دار الكتاب المجلد، ط1 / ،2019م، ص577 .

(50) – كلمة عامية تعني : يتحرك بشدة.

وأضاء المضارب وبيتها البهي الأجمل من كل البيوت، كانت المشاعر غضة آنذاك، والروح خضراء والقصائد أيضاً، وثمة هوى عفيف يتبرعم حديثاً في القلب (...)

ثم فجأة رأيت بملء الفؤاد ائتلاق أسنانها اللؤلؤية تبرق تحت وهج الضياء بينما جدائلها تتقاطر بنثيث المطر الأنيق، وينبعث عطر الخزامى والمسك من إهابها الفظيع، ثم انبلج ثغرها الرقيق عن ابتسامة هائلة أضاءت عالم الصحراء، وأحسست حينها بأن صاعقة مروعة تنحدر من الغيوم لتضرب جسدي النحيل وتشطر القلب وتبعثرني في الأنحاء:

-تبددتُ في الظلام الرهيب وتناثرت أشلاء، وتلاشيت كموقع تقصفه الطائرات، بينما بقيت القصائد تتردد عبّ أزيز الرياح؛ لتحملها إلى المجاهل البعيدة في مسيرتها الأزلية في حقب الزمان.

-حينما هدأت العاصفة تنفست طويلاً، تلفّت في كل صوب، وكانت أشلائي متفرقة في سهب الصحراء.

ولست أدري حينها لماذا تذكرت الشاعر الأسباني (خوان خيمنث) عندما يقول عن نفس

الحالة:

انحنيتُ قليلاً

لملمت أشلائي المبعثرة

وكان قد التصق بها بعض الزهر

والندى

وأعدتها إلى مواضعها

وهكذا سرت متبرعماً بشكل عجيب.

آنذاك، سمعت ضحكتها العذبة تعيد لي ما توزع من قصائدي في متون الرياح، وأحسست أن المضارب الهادئة قد أصبحت أزهاراً داكنة الزرقة كالزنابق السوداء التي تنمو في السواحل الافريقية، وشعرت أنني كائن مغرد بحجم طائر العقاب وأن الصحراء لي وكذلك الفضاء". ((51))

تتجلى المفارقات الرومانسية في المقالة بعدد كبير في صور متتابعة، بإطارها الكبير الصحراء، والحديث عنها جاء مغايراً لما هو معتاد عنها، بأن يكون القول عن مجرد الرمال وشح الماء والنبات، فقد جاوزت الصحراء الحدود المتكلّسة لصورتها الذهنية، إنها تنطلق الآن من ذاتية الأنا للفليح الذي كسّاها بالحداثة الفنية والتواصل العالمي مع بقية المنااطق الجغرافية الأخرى على هذا الكوكب بما

(51) – صحيفة الرياض 2001/12/24

فيه من أساطير وخرافات، إنه يستدعي فينوس[(52)] لتتشكل في شخصية امرأة بارعة الجمال تا ركةً بسحر جمالها تأثيراً بالغاً في محيطها/الصحراء.

إن المرأة البدوية ارتقت رتبة عالية بقدر منزلة فينوس، فأخذت من صـــفاتها وقدراتها، فتســـتطيع أن تحدث الأثر القوي في محيطها، ولا ســـيما من يتتبعها بالنظر، فهي تمارس لحظات من الغموض خلف نقابها الذي يكشـــف خلســـة عن فم يمكنه قول الكثير بابتســـامته، ومن ثم الانتقال من جمود المشـــاعر إلى تزعزعها، للوصـول إلى صـميم المفارقة الجوهرية من هدوء الصـحراء ورزانتها إلى التموج المتباين؛ امتثالاً لسـلطة الجَمال. فتحركت انفعالات كامنة للكاتب حثته على اسـتدعاء أبيات لشـاعر أسـباني، فحاول الارتقاء بشـيء من رتبة فينوس ولكن جذوره تشـده مرة أخرى إلى امرأة بيئته، فرسـم مفارقته الرومانسـية كما يراها، وبما يملك من وعي ثقافي، فأنبت في الصـحراء الزنابق، واسـترفد فينوس، واستدعى خوان سميث في الخيمة المصنوعة من شعر الماعز، وإلى آخره من تلك الثنائيات.

٤ .المفارقة المنطقية:

المفارقة التي تُعمل العقل بشـــدة تقوم على المنطق العقلي، فهو المعني بالخلوص إلى النتيجة من خلال المقدمات، ومقارنة المعطيات بالاحتمالات، وتعليل

[(52)] – آهلة احلب والخصب عند الرومان. انظر: حنا عبود، موسوعة الأساطير العالمية، دار الحوار، سوريا، ط1 / 2018م ص 312

الأســباب وربطها بالفرضــيات وتســويغ النهايات؛ فإعمال العقل من خلال منظومة ذهنية عالية هو المعوّل عليه لتكشيف المفارقات المنطقية.

ومن المسلّمات التي يمر بها الإنسان تلك العوارض الحياتية، ويقيِّم هذا النوع من المفارقات مســـتوى التيقظ العقلي، فمرورها المتكرر مع مثيلاتها إلى جانب مجموعة أخرى بالضد منها يستدعي التأمل فيها إذا ما كان المرء واعياً لها. وهذا مما يميز الكاتب الحذق الذي يستطيع جمع الأجزاء الصغيرة في إطار واحد؛ لبناء صورة واضحة يمكن إصدار حكم عليها بعد اكتمالها، من ذلك: "شاهدتُ مرة في الكويت تنفيذ حكم الإعدام شـــنقاً حتى الموت بمجرم قاتل ولم تهتز شـــعرة مني، وشــاهدت في الرياض تنفيذ القصــاص بحد الســيف بمجرم قاتل ولم تهتز شعرة مني، وشاهدت ضابطاً عراقياً إبان احتلال الكويت وقد عُلق لمدة طويلة على رافعة عالية وبقي لأيام طويلة يتأرجح في الهواء ولم تهتز شـــعرة مني، وشــهدت ســقوط شــهداء زملاء لي في حرب الاســتنزاف من الجيش الكويتي واحتســـبتهم عند الله، ولم أملك إلاّ الدعاء لهم بالرحمة والمغفرة، وشـــهدت في حياتي عدة حوادث ســيارات مأســاوية حدثت لأصــدقاء أعزاء لي وتمالكت نفسي وواريت بعضهم الثرى ولم أهتز. أقول: كل تلك المشاهد لم تهزني، لكنني ذات مرة شعرت بقشعريرة هائلة، وأحسست أن جسمي يهتز (شوشتي) ((53)) حتى أخمص القدم، ولم أستطع نسيان هذا المشـهد المروع حتى الآن رغم مرور

(53) – كلمة عامية تعني : شعر مقدمة الرأس.

أكثر من 27 عاماً على مروره، وذلك لأنني رأيت إعدام رجل حي وبقي حياً، لكنه في عداد الموتى بالنسبة لمن شهدوا موته المعنوي، والقصة يمكن تلخيصها في الآتي: لقد سطا أحد العرفاء[(54)] على مسدس من مخزن ذخيرة تابع للجيش الكويتي، وقام ببيعه رغم أنه أمين مستودع، فاكُتشف أمر الرجل، وجيء به مقيداً في ساحة التدريب، وكانت الطوابير تصطف على حواف الساحة، ثم تقدّم أحد الضباط وتلا أمراً بعنوان: خيانة الأمانة، ثم تقدم إلى العريف ونزع رتبته العسكرية مع قرار طرده من شرف الخدمة وتسويد وجهه، ولذلك تقدم الضابط من العريف وهو يحمل علبة من صبغة الأحذية وأخذ يطلي وجه العريف، وبعد أن سوَّد وجهه تماماً أخذ يقتاده ويمر عليه بالطوابير، وكانت دموع العريف تنزلق على الصبغ الأسود في منظر يثير القشعريرة والمهانة والرثاء، ويقدم درساً قاسياً لمن يخون الأمانة.

هذا المنظر تذكرته بالأمس، وأنا أقرأ الأخبار الآتية:

1. إغلاق صيدلية تبيع أدوية فاسدة سممت طفلاً.

2. إحباط تهريب 72 كيلو غراماً من الحشيش.

3. ستون في المائة من علب حليب الأطفال مغشوشة!

4. إلقاء القبض على أفراد عصابة تسرق كيابل الكهرباء.

---

(54) – جمع "عريف" وهي رتبة عسكرية

5.إلقاء القبض على مقيم في حوزته عملات مزوّرة.

6.إلقاء القبض على باعة العسل والتوت المغشوش.

7. سقوط عصابة لسرقة الأغنام في تبوك.

8. محاولة خطف طفل.

وهكذا.. وهكذا.. فبربكم ألا يستحق هؤلاء اللصوص والغشاشون تسويد الوجه على الأقل وفي التلفزيون، ثم ألا يستحق كل من يسرق الوطن أو يغش المواطنين سواد الوجه؟! قولوا على الأقل: سوّد الله وجهه". ((55))

ارتكزت المقالة على عدد من المعطيات التي تؤل إلى نتيجتين:

- الشجاعة والثبات
- الخشية والقلق

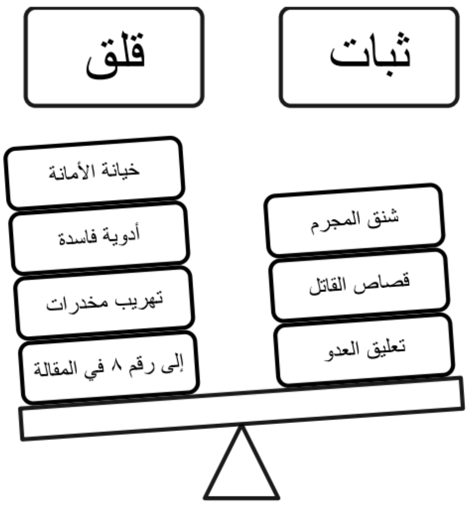
وقعت المفارقة المنطقية بين أن ما هو موجب للقلق لم يضطرب له الكاتب، وما هو أقل منه أحدث الخوف، فمشاهدة إقامة الحد على الجناة من المشاهد القاسية التي تترك أثراً قوياً في النفس، وكذلك هلاك الأحبة ودفنهم، وهذا كله في سياق الموت الحقيقي المفزع للنفس غير أنه لم يحدث، بينما التشنيع على سرقة أحدهم بالتشهير لخيانته فاقت مشاهد الموت؛ فهي مؤرِّقة مخيفة أرعدت

(55) – صحيفة الجزيرة 2007/7/17

الكاتب أكثر من غيرها، فالمقياس العقلي لم وجبات الخوف عند الفليّح خيانة الأمانة –التي ذكّرته تلك العنوانات بموقف قديم–، وهي بمقياسه لا تقل عن جريمة سرقة أمين المستودع من مخزن يحرسه.

وفي المفارقة المنطقية يتكشّف المعيار الأخلاقي وهو نسبيٌّ من إنسان لآخر، فتتعرَّض المفارقة المنطقية لاحتمالية الفشل، إلا أن الكاتب راهن على وعي الجمهور، فأي واحد منهم يريد أن يتعرّض لما ذكره من عنوانات الصحف؟!!

انظر الخطاطة الذهنية لتتبع المفارقة المنطقية بمعيارها الأخلاقي في المقالة وتأثيرها في مشاعر الخوف:



ويمكن من هذه الخطاطة ملاحظة أن خيانة الأمانة ترجح على نحو واضح بالثبات حتى مع وجود الموت في معادلة الشعور، وعليه فإن العقوبة التي تندرج

تحت غش حليب الأطفال لا تقل عن السرقة وتخريب المخدرات الموجبة لتسويد الوجه حقيقةً، والتشهير بهم وتلطيخ سمعتهم؛ فهم خائنون لمجتمعهم.

المبحث الثاني: تمثّلات المفارقة.

أولاً: التمثّل السياسي:

التمثّلات عند الكاتب التي يقْدم عليها وقت بناء مفارقته، هي الرؤية التي يمتلكها تجاه موضوع ما أو موقف. ومنها التمثّل السياسي، وهو مسار كبير في مقالاته على نحو لافت، فهو المواطن المخلص لبلاده وقادته، والعربي الأصيل الذي يريد للعرب مكانة عالية.ومن المفارقات ذات التمثّل السياسي: "حسبي أن أقول إنني معجب بعبدالعزيز، فقد خُيّل إليَّ وأنا

أحادثه أنني أمام بسمارك مُنشئ الوحدة الألمانية، ولا أظنكم تخالون أني أبالغ بالقول. هذا ما قاله النمساوي د. فون وايزل.

أما ما أقوله أنا: فإن عبد العزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود لا يشبه بسمارك فقط، فهو يشبه في ثورته الإصلاحية والتوحدية الكثير من ثوار العالم الذين قاموا بالتغيير الأجمل في بلادهم (...) إلا أن عبد العزيز استطاع أن يقفز فوق الأسطورة؛ ليصبح شخصاً عادياً عجزت أن تجيء بمثله الأساطير.(...) أي أن عبدالعزيز لم يأتِ على ظهر دبابة تحيط بها المدرعات وتغطي سماءها الطائرات؛ لكي يسيطر على جزيرة عظمى مترامية الأطراف، بل أتى على ظهر

ذلول ضـــامر، وجيش تموينه التمر والحليب، وهو يقطع فيافي يموت الطير في سمائها من العطش وبعد المسافات ووعورة التضاريس(...). وهنا بالضبط دعوني أقارن بين عبد العزيز وكل الذين ناضلوا لتوحيد بلادهم، فكل أولئك المناضلون كانوا يقاتلون في بيئات ملائمة للقتال(...) بينما كان عبد العزيز يقاتل تحت شمس محرقة، وأرض ملتهبة وصحراء مكشوفة إلى أقصى الأبعاد".((56))

ابتدأ الكاتب برأي منقول بأن باني ألمانيا في الغرب يوازي شـــخصـــية عربية في الشـــرق، هكذا وصـــف فون وايزل (Von Weisl) وهي مفارقة عنده؛ لذا ختم: "ولا أظنكم تخالون أني أبالغ بالقول"؛ لمعرفته بأن الشـخصـية الألمانية لها أثر بادٍ في التاريخ وفي الذاكرة العالمية. ولأن الذات المتضـــخمة عند الغرب ترى العرب عموماً أقل منها، فوجود شـــخصـــية عربية بحجم الملك عبد العزيز قادرة على خلق المفارقة مع ما هو في ذهنية الغربي.

ومع هذا، فإن الكاتب يجذّر المفارقة على نحو أعمق بأن جعل نجاح الملك المؤسِّـس أكثر نجاحاً من أي سـياسـي آخر في مناطق جغرافية مغايرة؛ إذ قام مشروعه لتوحيد البلاد على مكوّنات البيئة نفسها بعيداً عن الآلات التي تسخّر الأرض أو تطوّع السـمـاء، وهذا في حد ذاته من جهة أخرى من مفارقات النجاح؛ فطبيعة الطقس الحارق والبيئة الجافة من معوقات الإنجاز التي قد تصـل به إلى الموت عطشاً في الصحاري. ثم ترتسم صورة في تمثّل الشخصية السياسية

(56) – صحيفة الجزيرة 2012/9/27

بأن أبطال الذاكرة الوطنية للأمم تحوّل قادتها من بشر عاديين إلى خارقين يعتلون رتبة الأسطورة إلا عبد العزيز الذي تجاوز الأسطورة نفسها ليكون شخصاً عادياً لا تضيف له أسطورة الشخصيات شيئاً، وهذا ما أسميه المفارقة المقلوبة.

والفليّح في مقالاته يحمل وعياً سياسياً جيداً، وعنده قدرة على تحليل الأحداث وتكييف الوقائع وتسويغ النتائج، فبما يحمله من ذاكرة المنطقة السياسية ومن ثقافته العالية عن العالم تجده مدركاً لمحيطه. ولقلمه وزنه إبّان أزمة الخليج/تحرير الكويت، وهو من الأسماء المهمة التي ما انفكت عن كتابة المقالة السياسية وقتئذ.

وفي ظني أنه الاسم الأبرز حينها، ومن تلك المقالات ذات التمثّل السياسي الواعي: "من المؤسف حقاً أن بعض الذين يضعون ساقاً على ساق في أفخر الفنادق(...) يتجادلون بخواء مميت هل البيضة أم الدجاجة أولاً؟ وبيزنطة تحاصرها جيوش الغزاة، بل اجتاحتها(...) يجوبون ردهات المقاهي ويواصلون نفس الجدل والدجل!! ويزايدون على بسطاء الوطن بتنظيراتهم العرجاء وتقسيماتهم التافهة (...) فأولئك هم الأعداء الحقيقيون للوطن(...) لم يعد يهمهم إن ذهب وطن، أو شُرّد شعب، أو طُمست هوية، أو ظمئت أسرة

كويتية على مشــارف النفود (...) وأعني بذلك حاملي أقلام الديبون ونظارات الكـارتيه الـذين امحت المرايا من كثرة تحديقهم فيهـا، والوطن يســـيل دمه من السقف حتى أحذيتهم اللامعة(...). يبقى القول أخيراً: إنني قلت

كل ما أســلفت؛ لأنني أسمع جعجعة حتى في هذا الوقت الضــيق الذي لم يعد يتســع إلا لرص الصــفوف، وإعادة الانتظام للوقوف باتجاه الوطن؛ لاســتعادة كرامة التراب وتطهير بحرنا(...) إنني أقول وبأعلى الصـــوت: إن الكارثة أكبّ مما تتصورون، وإن الآتي أفظع، هذا إذا لم يدرك الجميع وبالعقل كله أن لنا وطناً لن يعود إلا بالوعي الكبير، والإيمان الحاد بقضـيتنا الأولى، ومحبتنا لكل ذرة رمل من أرضنا الرائعة تماماً مثلما نحب كل قلب كويتي أو عربي صميم".[(57)]

ينبع التمثّل السياسي للمفارقة من جهات شتى، أولها أن المقالة ناقشت مبكراً المراحل الأولى لغزو الكويت الذي سيؤول إلى قضايا خطرة في النهاية إن لم تُحل الأزمة ســريعاً، وثانيها أن من يناقش الأزمة بأريحية نفســـية واطمئنان مكاني لا يدرك المأساة الواقعة على أهل الكويت؛ فهم يحملون الأقلام الفخمة والنظارات الحديثة وقت نقاشـاتهم البالية، وهناك من فقد وطنه وربما تعرض للموت عطشـاً أو قتلاً.

[(57)] – صحيفة الرياض 1990/10/10

إن التنقل بين مفارقة المأسـاة الواقعة على المعنيين وما يفعله من يناقش مصـيرهم في ملهـاتـه، ثم بين الحيـاة المرفَّهـة ومـا يحـدث من اقتراب الموت والخطر على آخرين، –هو صميم التمثّل السياسي للمفارقة في المقال.

واستشراف الكاتب لمستقبل المنطقة السياسي حصل إلى حد كبير، فالمداولات على المســتوى الدولي آنذاك بشـــأن الكويت وما حدث لها، ثم بحث الحلول، كانت تلك هيئته من عدم إيجاد الحلول الســـريعة الناجعة، ثم تدهورَ الأمر من مجرد دخول الغازي إلى الكويت إلى السيطرة عليها، فتشكيل خطر أعظم يهدد اســتقرار المنطقة برمتها، فانتقلت المفارقة بالجنســية من الكويتي إلى كل "عربي صـميم" إلى أن تدخلت المملكة العربية السـعودية بثقلها السـياسـي لحل الأزمة ((58))

ثانياً: التمثّل الاجتماعي:

ينعقد التمثّل الاجتماعي للمفارقة في موضـــوعات عديدة، والمتتبع للمســـار الاجتماعي في المقالات يجد الفليّح ممن أولى اهتماماً كبيراً بالمجتمع ومناقشـــة قضـــاياه، وكثيراً ما يلحّ عليها، ومنها نظرته الفريدة التي جمعت بين التمســـك

(58) – أنظر : أحمد الدجاني وآخرون، أزمة الخليج وتداعياتها على الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1997م.

بالقبيلة وأعرافها مع الموازنة مع ما يجب على المنتمي لها فعله بوصـــفه مواطناً يعيش مع غيره من خارج قبيلته.

وفي المقـالـة التـاليـة ينـاقش ظـاهرة اجتمـاعيـة يفعلهـا بعض المراهقين: "تلـك الممارســات الجاهلة التي ترتبط باللاوعي وعدم اسـتيعاب منجزات العصـر هي الملصــقات الرقمية التي ترمز إلى القبائل، التي يُعلِّقها بعض الصـبية الجهلة على مؤخرات (مواترهم) ((59)) كأنهم يعودون بنا إلى وســم القبيلة، ولكن على جمَل حضـاري ألا وهو (الموتر/السـيارة) الأمر الذي يدعونا هنا إلى محاربة ونبذ هذه الظاهرة المتخلّفة، بل إنّنا نتمنى أن يوقع رجال الشـرطة بمن يضـعون تلك الرموز أقصى العقوبات؛ لأنّها أسوأ نمط للتمييز الاجتماعي بين أفراد المجتمع

الواحـد، وهي لا تقـل عن التمييز العنصــــري الـذي ينبـذه ديننـا الإســـلامي الحنيف(...)، ولكي نقضي كلياً على البّوز العفوي للعصبية القبلية، سواء أكان ذلك بسـبب الجهل أو غيره(...) ونتمسّـك فقط بوحدتنا الوطنية المباركة، فهي سبيلنا الوحيد للنجاح والفلاح والصلاح والإصلاح".((60))

ويكمن التمثل الاجتماعي في المفارقة التي أحدثتها التقنية بالتحول من ممارسات القبيلة الاجتماعية بالسـلوك الطبيعي إلى ممارسـة رقمية للفعل نفسـه من خلال

---

(59) – أنظر : أحمد الدجاني وآخرون، أزمة الخليج وتداعياتها على الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1 ،1997م.

(60) – صحيفة الجزيرة 2007/11/4

تلك الأرقام التي تدل على قبيلة ما، ثم ربطها بوسم القبيلة، فالرقم على السيارة يوازي الوسم على الجمل، ثم تصل بنا المفارقة في تمثلها الاجتماعي إلى مستوى أعمق بأن الجمل الحضاري في ذا الزمن هو السيارة لا المخلوق الصحراوي الذي اعتدنا عليه، ثم إن هناك مفارقة انطلقت من تضادية الألفاظ عندما جعل تلك التصرفات تصدر من "صبية" والعقوبة عليها من"رجال" الشرطة. إن الكاتب يقوي الصلة بين سفاهة الفعل وفئتها العمرية، ثم يقابلها بفئة عمرية راشدة لإيقاع العقوبة عليها، وجوهر التمثل الاجتماعي في المفارقة تلك السلوكيات من عوامل الفرقة بين فئات المجتمع التي لا تعزز الوحدة الوطنية كما يجب؛ لتجنيب الوطن ومجتمعه آثارها السلبية.

وفي تمثّل اجتماعي آخر للمفارقة الحديثُ عن اللقاءات، وما يعتريها بين الأفراد، ولأن الكاتب ممن يخالط الناس كثيراً في الملتقيات والمناسبات الاجتماعية تع رض لمعضلة لا يكاد يخلو منها أحد، هي نسيان أسماء الناس الذين قد يكونون في يوم ما من معارف مرحلة خلت: "قد تلتقي بشخص يعرفك تمام المعرفة وأنت لا تعرفه،(...) وقد تعرفه أنت، ولكنك نسيته بحكم ذاكرتك المثقوبة،(...) ولكنك ما أن تلتقي به في مجتمع عام وتكون ساعتها مصطحباً ذاكرتك السيئة تلك ولم توله الاهتمام الخاص(...) يحاول أن يذكّرك بنفسه بطريقة قد تكون في بعض الأحيان محرجة، لا سيما بالنسبة للأشخاص

المصـابين بالنرجسـية الفجة والتضـخم الذاتي والتورم الاجتماعي إذ(...) يحاول إدانتك لأنك لم تتذكر جنابه(...)، بل الأدهى من ذلك

هو أنه يصـــفعك بالســـؤال الفج إياه بالقول: الظاهر أنك لم تعرفني! وحينما تحاول أن تجامله بطريقة مهذبة وبالقول الماســـخ إياه: وهل يخفى القمر؟! يروح القمر إياه بتوجيه لكمة حادة إلى كياستك وتهذيبك بالسؤال الأهوج الأعوج: ولكن من أنا؟! وهنالك بالضبط سيتحول وجهك المزدهي بالابتسامة المصطنعة إلى كوكتيل عجيب من الألوان من جرّاء الخجل، هذا إذا كنت خجولاً بالفعل، أما إن لم تكن كذلك فالأجدر بك أن تقول له جواباً لسؤاله الفظ: أنت شيء سخيف فقط!! وهذا برأيي هو الجواب الرادع القامع لمثل هذا النمط من الناس الذي لم يشـأ أن يكون قمراً كما أردت بل يراعة وضـيعة كما أراد هو. والحل الأمثل والأشمل لمثل هذه المواقف المحرجة التي لا أعرف لماذا لا نمارسـها في هذه المنطقة بالذات على العكس من ســائر المجتمعات الأخرى؟ ألا وهو التعريف الذاتي المســبق للأشـــخاص الذين يلتقون في أي مكان ما وتحت أي ظرف كان". ((61))

في النموذج أعلاه تتمثل المفارقة الاجتماعية في أطوار متسلسلة يمكن متابعتها، فالذي ينســى أسماء الآخرين، يســتشــعر الحرج في ذلك إذا ما التقى بهم، والواجب على الآخر مراعاته بعدم الإحراج؛ لأنه يعلم بأن تشـــبيهه بالقمر رد

(61) – صحيفة الرياض 1999/6/21

مهذب لرفع الحرج عن الطرفين، ولكن إصراره على إيقاع الحرج هو الموجب للرد عليه بطريقة تقلل من قدره؛ لانطلاقه من دافع الغرور والنرجسية. ومن يعرف شخصية الفليّح من مقالاته يدرك كرهه لهذا النوع من السلوك الأخلاقي، وحيئذٍ لا عجب أن تراه ينقل المغرور من رتبة شدة الاحترام إلى رتبة الحط من قدره؛ لأنه أصر على إحراج الآخرين، ولأنه لم يتقبل فكرة كيف يُنسى شخص مثله؟! ثم يعود الكاتب بإحداث تثمل اجتماعي لمفارقة كبرى بين العرب وغيرهم الذين يختطون سلوكاً اجتماعياً جيداً بأن الواحد منهم يعرّف بنفسه أثناء اللقاء، فلو انتقلت مثل هذه الآداب إلينا، فإننا وفق تعبير الكاتب نتخلص من الإحراجات ونترفع عن الصدامات.

ويغوص الكاتب في التمثلات الاجتماعية لمفارقته في العلاقة بين الرجل والمرأة بوصفهما زوجاً، ففي مفارقة اجتماعية ينتقل من وصف المرأة بالرقة إلى النسرة، ومن الأمان والاستقرار إلى القلق وسوء العشرة، وربما التعاطي مع مثل هذه الموضوعات بات مكروراً في الطرح الاجتماعي للمقالات، إلا أن تهكمية السردية

القصصية تجاوزت الجمود؛ إذ انصب قوله على الرجل تعليقاً على ضعفه وتعقيباً على وضعه، ومن ذلك:الفلاسفة الرومانس يقولون: لا تضرب المرأة ولو بوردة، حسناً هذا قول في غاية الرقة فيما يتعلق بالجنس اللطيف، ولكن ما رأي أولئك الفلاسفة بالرجل الذي لا تضربه المرأة فحسب، بل تدبغه بعصا المكنسة حتى

تتساقط أضلاعه وأسنانه أيضاً ورجولته؟!(...) برأيي المتواضع يستحق الدبغ والسلخ والسحل أيضاً في كل شوارع العاصمة؛ ليتأدب هو وكل من هو مثله من الرجال عفواً الرجاج أو الدجاج لا فرق!! وإلا لما اقتنى في بيته مثل هذه النسرة الكاسرة الكاسحة الـــ: أعوذ بالله منها باعتبارها من صنف "شر ما خلق"، فهل هنالك شر أشد من هذا الشر القابع في بيتك الذي تعوّل عليه في تربية أبنائك رجال المستقبل؟! إلا إذا كنت تريدهم أن يطلعوا مثلك فهذا شأن آخر(...) أتذكر جيداً أنني قد قمت شخصياً ولأكثر من مرة بتحرير أكثر من ضحية لأولئك النسرات، وكان أولئك الضحايا معلقين بمخالبهن كما يتعلق الفأر في مخالب العقاب(...) ذات مرة قد أوصلت واحداً من إياهم في آخر الليل إلى منزله(...) وحينما أوصلته الى البيت كانت النسرة إياها تقعي على الباب متوثبة متحفزة للانقضاض عليه لمجرد التأخر، وهنا رجاني بهلع وارتجاف أن أترجل معه؛ لكي أكون شاهداً على تعطل سيارته التي كانت السبب في تأخره!!(...) وهنا انتضيت عجرة أو عصا كنت أحتفظ بها معي للملمّات، وشهرتها في وجه النسرة، ونهرتها بجلافة صارمة أن تدخل إلى جحرها أو بيتها سيان، وأن تعتق هذا المسكين من سطوتها وجبّروتها وإلاَّ..، ورحت أهز بوجهها العصا فارتعبت، وولّت الأدبار".((62))

(62) – صحيفة الرياض 2000/3/29م

إن التناوب في موقف الفليّح مع جنس الرجل بدا واضـــحاً، ففي مطلع قوله ارتضـى ما يحدث للرجل الضـعيف الذي لا يقوى على صـد هجمات زوجته المستقوية، ويستحق ما هو أشد؛ لهوانه وإفلاته زمام الأمر، ثم راح في هذا الرأي حتى تخلّى عنه في منعطف قوله -لحدث عبّ به- بأن تضـــامن مع الرجل؛ ليقنع المرأة القابعة على الباب بأنّ تأخر زوجها لتعطل ســـيارته؛ تحريراً له من ورطته.

ويبدو أن هذا التمثل الاجتماعي في المفارقة يملك كما وافراً من المفارقات، فقول الفلاسفة شيء وما يحدث من بعضهن شيء آخر، وأيضاً موقف الرجل المهزوز المتقلب، وجبنه عن أخذ موقف تجاه ما يعيشـــه من ظرف اجتماعي/أسري. وأخيراً تأتي المفارقة من موقف الكاتب نفسه الذي تحول من ضدية الرجل في أثناء التنظير بالتشنيع عليه إلى الوقوف معه، فيقدّم إجابة عن سؤال طرحه: "فهل هنالك شر أشد من هذا الشر القابع في بيتك"؟؛ لتمضي إجابته من خلال مفارقة الموقف: العداء للرجل قولاً ثم التضامن معه فعلاً.

ثالثاً: التمثّل الثقافي:

أول ما يأتي في مقدمة التمثّل الثقافي للمفارقة عند الكاتب شـــخصـــية المثقف نفسه، خصوصاً المنتمي إلى مرجعية الكاتب الثقافية التي تجمعه إلى جانب غيره في المنطلقات وليس بالضرورة في الغايات، فهو الواعي منذ السبعينيات الميلادية

بالحراك الثقافي في العالم العربي ومن المسـهمين في نتاجه، ولذلك فالتمثل الثقافي عنده أصيل في كتاباته من ممارسة حقيقية قراءةً ونتاجاً ونقداً.

وعليه، فإن من أبرز تمثلاته الثقافية تمحور بإلحاح على المثقف عينه: "لقد كنَّا نقول دوماً إنّه ليس هنالك حداثة بالمفهوم الثقافي(...) بمقدورها أن تنهض ما لم تستند على أصالة، وليس هنالك أصالة ترسخ ما لم تقبل بنهوض الحداثة عليها.

وهذا الاتزان هو ما يحتاجه المثقف العربي اليوم للقيام برسالته على أحسن وجه، أي أننا ضد المثقف المنبتّ والمعلّق في الهواء بلا جذور تمتد في أرضية صالحة للنمو، وضد المثقف المتشبث بالثبات بلا مواصلة للنمو، وهذا هو الوضع الذي يجب أن يكون عليه المثقف".((63))

إن الصدام بين الحداثة التقدمية والأصالة التراثية من الموضوعات الفكرية التي عَبَّت في مرحلة ما على المثقف العربي عموماً، والانشطار في الموقف تجاهها أحدثه مفارقة فهمها وما يمكن أن تكون عليه، فالمفارقة بينهما عند بعضهم صدامية تواجهية لا بد أن تنتصر إحداهما على الأخرى، فيعالج الكاتب هذه المعضلة بأن الحداثة الثقافية لا تستطيع أن تنهض نهوضاً سليماً دون أصالة تستند عليها، وبالمقابل فإن الأصالة تعجز عن البقاء والنمو والاستمرار إذا لم

---

(63) – صحيفة الجزيرة 2007/10/4

تواكب التطور؛ لأن الجمود على أحد الموقفين لا يتناسب وطبيعة الثقافة ومن ثم المثقف الذي عليه أن يكون متواكباً مع الزمن غير منقطع عن جذوره.

ومن مفارقات التمثّل الثقافي ما حدث بين رفيقين في عهد مضى، ثم القطيعة وعدم السؤال، فتتشكل مفارقة الغياب والحضور في حبهما للثقافة: "إيه أيها الصديق القديم. ما أقربنا اليوم وما أبعد الذكريات! لقد مر نصف قرن على رسائلنا النبيلة(...) وآه ما أجمل لقاءاتنا السنوية حينما تحل عطلة الصيف ونلتحق بالقبيلة الظاعنة في صحراوات الله التي لم تكن تعرف آنذاك الحدود. وكنتَ تحمل لي ونحن نلتقي على الآبار (...) روايات أجاثا كريستي، فرانسوا ساغان، ديكنز، شارلوت برونتي، فيكتور هيجو، بلزاك، غوغول، وأحمل لك دواوين جبّان، رامبو، إيليا أبو ماضي، إلياس أبو شبكة، فهد العسكر، طاهر زمخشري، ألكسندر بلوك، بوشكين، يا إلهي يا إلهي من يصدق أننا في السادس الابتدائي نقرأ هذه الأعمال العظام؟! وأين، في الصحراء حيث لا يصلنا بالعالم سوى الراديو/لندن والذي نتابع فيه ندوة المستمعين أولغا جويدة والطيب صالح (...)

فأذكر أننا كدنا أن نتعارك حول رواية تيسير سبول أنت منذ اليوم أو رواية الصحراء جنتي لكمال سعيد (...) إذن لمَ هذا البعد أيها الصديق؟! لقد صحبتَ اليابانيين كثير اً وتحول قلبكَ إلى آلة صماء تماماً كآلاتهم وأصبحت

تتعامل مع الأشـــياء مثلهم، ولكنني أكتب كل ذلك وفاء لذلك الزمن الجميل وقبل أن يطوي كلانا النسيان!! تحية مني إليك".((64))

إن المفارقة في التمثّل الثقافي الآنف واصــلت حضــورها في أجناســية الكتب المقروءة المتناوبة بين الشـعر والســرد، وبين كتّاب غربيين وشـرقيين، وبين عرب وعجم، وبين ســـعوديين وغيرهم، كل هذا التبادل المعرفي الثقيل نتاجاً وأعلاماً كان بينهما وهمُا في الصف السادس الابتدائي فقط! وتزداد المفارقة تجذراً بأنهما في الصــحراء المنقطعة عن المدنية إلا من بث الإذاعة الذي كان ســبيلاً لإدراك العالم الخارجي، مع التثقف أيضـــاً من برامجها، وفي هذا إلماح من الكاتب بأن الجيل الحاضــر أقل من هذه الهمّة مع توفر كل إمكانيات التعلّم والثقافة. وأخيراً يجد الفليّح العذر لصـديقه بأنه ربما تأثر بأولئك المهتمين بالصـناعة حتى تحولت حياتهم كآلاتهم صــماء لا مشــاعر فيها، فلم يبق إلا دافع حفظ حق الود لزمن جميل جال بينهما يوماً، وهي مفارقة شعورية بين الآلات والبشر.

ومما عُرف به الكاتب في تمثله الثقافي، نقده لشـــريحة من النخبة المثقفة بقوة المثقف الفاعل في محيطه:"أعتقد أن المناخ الثقافي اليوم في المملكة مهيأ للحراك الإبداعي أكثر من أي وقت مضى، بل إن دوره الحضاري والوطني والتاريخي قد أصـــبح يفرض عليه التفاعل مع كل القضـــايا المطروحة على الســـاحة الدولية والعربية والوطنية، وبشــكل مؤثر وفعال ومســاهم ومشــارك في تشــكيل الرؤية

(64) – صحيفة الرياض 2005/1/19

المســتقبلية العامة للمواطن الســعودي(...) نقول هذا بينما نرى مثقفينا اليوم وللأسـف الشـديد لم يزالوا يمارسـون النواح على نجوميتهم الخاصـة التي تجاوزها الزمان، ويمعنون في اللطم على حال الثقافة الســالفة التي لن يعيدها الوقت، في الوقت الذي لم يزل واحدهم جالساً يحدق في الفراغ، ولم يقدم أي إسهام ضئيل في تحريك هذا الركود الثقافي المزعوم الذين هم السبب الرئيسي في ركوده وتأسّنه، وذلك من خلال خمولهم الإبداعي، ووهن مشــاركاتهم في الأنشــطة الثقافية، وضعف صلتهم بوسائط النشر بما في ذلك النشر من خلال دور النشر الخارجية التي يعتقدون أنها الجديرة بإبداعهم!!!(...) لا بد الآن من نفض غبار الكسـل والانخراط في الإسهام الثقافي؛ لأنه كما قيل :فمن نام لن تنتظره الحياة".((65))

انفرق التمثل الثقافي هنا للمفارقة في عموم الزمن إجمالاً بأن المثقف الســعودي عليه أن يواكب الحالة العامة للبلاد من ريادة ومشـاركة وفاعلية، وعدم البقاء في قيد ذكريات جيل ســلف أدّى ما عليه فأثرى وأثّر، بالإضــافة إلى شــريحة من المثقفين كانوا ملء السمع والبصر في الصحف والمجلات والندوات، ثم تلاشت النجومية التي كانوا عماد مرحلتها -ربما لظروف حافة ســاعدت على ذلك- وعندما جزرت عنهم لم يســتطيعوا البقاء في الوهج؛ لأســباب أهمها خمولهم المعرفي، والاتكـاء على وهج مـاضٍ ســلف. والعيش على الـذكريات لا يليق بالمثقف ابتداءً، ولا المرحلة التي تستدعي مشاركاتهم. وتستطيل المفارقة بأن تلك

---

[65] - صحيفة الرياض 2004/4/14

الشــريحة المتباكية على الماضــي ونجوميتهم بأنهم الســبب الرئيس لركود المشــهد الثقافي وتلوّث مائه لا كما يزعمون، وهذا وصـــف قاسٍ من الكاتب يحاكي وجهة نظره فيما يراه.

المبحث الثالث: وظائف المفارقة.

تسعى المفارقة على تنوع أنواعها وتباين مستوياتها إلى عدد من الوظائف، وجعل ضحيتها تحت حكمها، وهي كثيرة متنوعة وفق ما يراد منها وبها. ومن المقالات يمكن حصر ما يلي:

أولاً: السخرية:

الســخرية في هذا الســياق هو التهكم، والســخرية والمفارقة ملتصــقتان جداً في النقد الغربي وأدبه[(66)] بل ان المصطلح اللاتيني (Irony) للمفارقة هو نفسه للسخرية عند كثيرين، وقد كان ذلك أحد أوجه ارتباك المصطلح المفارقة كما مر بنا. [(67)] وليس بالضرورة أن تحمل السخرية على الإضحاك، فهي- أيضاً - صورة من صور الهجاء التي تُجذّر الموقف تحت وطأة المفارقة.

والكاتب أحياناً لا يترك مســاحة للتأويل بأنها ســخرية؛ إذ يخبرك مباشــرة أنه يســخر، وهذا الوضــوح الشــديد يعود إلى إحدى ملامح شــخصــية الفليّح

[(66)] – انظر: نعمان محمد امين طه، السخرية في الأدب العربي، دار التوفيقية، مصر، ط1 1398هـ 1978م ص54

[(67)] – هذا السبب اختار الباحث لترجمة المفارقة مصطلح (Paradox) انظر: التمهيد.

الأخلاقية؛ الصدق الشجاع والمباشرة السامية، من ذلك:" كنا نسخر من ذلك الطالب الذي كتب موضـــوعاً في مادة التعبير عن الفقر؛ لأنه ذكر أن جيرانه فقراء وسيارتهم قديمة وسائقهم ملابسه رثة!! واليوم لن نسخر من ذلك الوصف الذي بدا لنا آنذاك أنه يشــي بأن هنالك في مجتمعاتنا العربية من لم يعرف معنى الفقر، لأنه قد وُلد وفي فمه ملعقة من ذهب كما تقول تعابيرنا القديمة!!(...) ونحن إذ نقول إننا اليوم لم نعد نستغرب وصف ذلك الطالب الغني لجاره الفقير بأن سيارته قديمة، فلأن الفقر اليوم أصبح يتعدى الضروريات إلى الكماليات، (...) ومن هنا بودنا القول إن الفقر لم يعد

يعني العثور على اللقمة فقط، بل تعددت مطالبه وتعددت أســاليب مكافحته، وكذلك اليوم فإن الفقير بحاجة إلى علاج، والعلاج بحاجة إلى تأمين، والتأمين بحاجة إلى نقود. ولكي ينقل الفقيرُ مريضَــه فإنه بحاجة إلى ســيارة توصــله إلى الطبيب، وهكذا تتعدد مطالب الفقير".((68))

وتقطن السخرية في كيفية إخفاء معنى الفقر، ثم أشكلته بوصفه قضية؛ ليكون مادة كتابية لطالب غني معرفته بعمق الفقر لا تتجاوز اللقمة واللباس، وهذا بدا معقولاً عند الكاتب في ذلك الوقت، وذا أيضــاً دافع الســخرية منه؛ فالفقر في زمن مضى كان بسيطاً خالياً من التعقيد يجعله واضحاً، ويمكن ملاحظته ومعرفة أصــــحابه دون إعمال شـــديد للذهن، فضــــلاً عن الكتابة عنه، فهو أشـــبه

---

(68) – صحيفة الرياض 2003/12/3

بالفاضحات التي تشرح الواضحات، إلا أن الكاتب يمر بمرحلة انتقالية ليأخذ موقفاً مضاداً يتراجع فيه عن سخريته القديمة، فلم يعد مفهوم الفقر سطحياً كما في زمن مضى، لقد تعقد أكثر في ظل الحياة المدنية وباتت معرفة الفقير صعبة ومتطلباته أصعب، فما كان من مكمِّلات الحياة أضحى ضرورة للعيش؛ فالسيارة سبب للشفاء، ومصارف النقود جاوزت حدود الطعام واللباس. وبمثل هذا الطرح القائم على المقابلة في السخرية، نفهم معنى السخرية الإيجابية -كما أسميها-، فهي تعطي عدداً من المؤشرات التي يمكن بواسطتها قياس المتحولات بين أطراف شتى، فالتحول حدث بين الكاتب ونفسه بالتراجع عن السخرية، وبين مفهوم الفقر قديماً وحديثاً، وبين رؤية المجتمع للفقر والفقير بين مرحلتين، وهكذا.

ويلجأ الفليّح إلى السخرية بالحط من قدر الآخر لما يحمله من صفات رديئة مستفزة له وللوعي الجمعي لعموم القراء: "والفاشوش -يارعاك الله- ولا رعاه- أنموذج فريد من معارفنا أنا وأنت يتصدر المجالس المكتظة منتفشاً (محرنفشاً) [(69)] كالديك الرومي المنتفخ (اللغاصم) [(70)] والأوداج، يهدر بالحديث الدبق كمجرشة قديمة يمجد ذاته بشكل ممجوج، ويحيك المآثر والبطولات من حوله من عندياته، ويتحدث ببسالة نادرة عن صولاته وجولاته في الدوائر الرسمية

---

(69) - كلمة عامية تعني: منتفخاً

(70) - كلمة عامية تعني: شحم/دهون الرقبة.

والمؤسسات والشركات، وتأثيره على الأفراد العاديين وعلائقه المتشابكة مع خلق الله، وينسج ومن عندياته أيضاً وكما تفعل اليرقة حول ذاته المتضخمة المتفخمة هالة من الكبّرياء الكاذبة وبكارزمية غثيثة تكاد أن تخرج هامته الملأى بالخواء من السقف؛ لغلوائها وذلك لكثر ما يهرف عن خدماته الجلى وأياديه البيضاء على عباد الله الذين تنكروا –سامحهم الله– لمواقفه الشهمة في هذا الزمن الأغبر". ((71))

يتبدّى الهجوم الساخر من المنتفخ المتكّبر الذي يقول ما لا يفعل، ويصنع مجداً ببطولاته الكاذبة، فينتخب له الفليّح من الصفات الخارجية ما يوحي بذلك؛ ليعريه أمام المجتمع ويكشف من هو مثله. إن المفارقة التي تهدف إلى السخرية الحادة تنطلق من النظرة الدونية لأولئك المنتفخين الكذابين في المجتمع، وهو موضوع يكاد يمس كل قارئ عربي، ومن كلمة "عربي" خصوصاً تتلامس هذه الصفات الضدية مع طبع الفليّح الذي تغلب عليه المسحة العربية الأصيلة لظروف نشأته، فتراه في مقالاته يتحوط من الكذابين، ويعرّي الجبناء، وينأى عن المنسلخين.

---

(71) – صحيفة الرياض : 1999/4/14

وهنا المفارقة بوصـــفها خصـــلة في فعل الكتابة، فبعد مطالعة نتاجه ومعرفة شخصيته نجد أن السخرية التي تجنح إلى التعالي والانتقاص من الآخرين ليست في مقالاته إلا في سياقات مخصوصه كما مر بنا عن ذلك المتعالي المزيف، بل إنه ينوه بشـــأن ذلك مراراً إذا ما أحس بأن القول ســيُفهم في هذا الســياق، فيضمّن ذاته في الفعل نفسه قبل الخوض في شيء من التهكّم حتى يكون هناك شـــيء من التوازن في إصـــدار الحكم عليه من خلال ما كتبه، ومنه: "وبالطبع، نحن كلنا ذاك الشـريك المسـرف، فإذا ما ارتفع سـعر سـلعة في السـوق هرولنا للحصـــول عليها، بالرغم من عدم حاجتنا لها، أو أنّنا نملك البديل عنها، وهذا ما شـجّع بعض الجشـعين من تجار المواد الغذائية لرفع أسـعارها متى ما شـاءوا، وبالرغم من ذلك نسـتهلكها صـاغرين، ونحن لم نزل نملك القرار الشـخصـي بمقاطعتها، أو البحث عن بديل آخر عنها".((72))

فالحديث عن العادة الاســـتهلاكية وتوجيه اللوم تجاهها فيه تهكّم بمن يرى أن أسعار البضاعة ترتفع في موجة صاعدة دون توقف، وهو لا يدري أنه سببٌ في ذلك عندما يشـــتري ما لا يحتاج أو ينجرف تجاه العروض الترويجية، وهنا لا يهاجم الكاتب من يفعل ذلك بفجاجة كما يفعل بعض كُتاب الاقتصـــاد؛ إنه يتأنى في الحكم، ويلطّف الخطاب، ثم يضـــمّن نفســـه في الفعل المنقود، بقوله

[72] – صحيفة الجزيرة : 2007/10/11م

"نحن كلنا كذلك" وفي ظني أن هذا من سمات المقالة الأدبية وكاتبها الذي تغلب عليه العاطفة ومراعاة الآخرين بخلاف المقالات الاقتصادية.

وفي ذا السياق نجد الفارق الكبير بين مقالة وشّتها الروح الأدبية وتلك الجافة الخانقة التي تقدمها مقالة الأرقام ثم تلقي باللوم على المستهلكين!

ثانياً: التخييل:

يمكن للمفارقة القيام بوظيفة التخييل، فتبني عددا من السيناريوهات في خطاطتها السردية التي تتطلب وعياً خاصاً بها. وارتباط التخييل بالقص عموماً لا يرده عن تمهيد طريق له إلى المقالة الأدبية إذا تلبستها روح القصة، فيلج إليها من باب ما اعتاد عليه في السرد القصصي.

وبعد فحص المقالات تبيّن مقدار كم وافر منها يجنح نحو المقالة القصصية التي فيها غير عنصر من عناصر البنية السردية للقصة. وامتداداً لهذا القول، فإن المفارقة يمكن ملاحظتها في شخصية ابن ظلهاب التي اختلقها الفليّح في مقالاته؛ ليُسقط عليها، ثم رافقته في عدد من المقالات متلونةً وفق سياق المقالة وموضوعها إلى الحد الذي جعلها شهيرة: "تعرفون ولا شك أن ابن ظلهاب ما غيره هو من ألد أعدقائي الخاصين جداً، ومع أن هذه الخصوصية التي يحظى بها لدي لا تمنحه الحق أن يفرض أفكاره البالية علي، وذلك لتباين وجهات النظر

بين الطرفين، ولإيماننا القاطع -أنا خصـــوصـــاً- أن الاختلاف في (الآريا) أي الآراء --حسب فهمه- لا يفسد للود قضية.

ومع أنه والحق يقال ضد هذه النظرية جملةً وتفصيلاً؛ لأن المسألة عنده (آماك معي وإلا ضدي) [(73)] بل على الخير والشر أيضاً وإلا لن تحظى بصداقة ابن ظلهاب النادرة، وستعيش أبد الدهر ملوماً محسوراً على خسرانك لهذه المأثرة العظمى!!". [(74)]

لقد تعددت المفارقات في النموذج السابق، فمن خلال التخييل تُرافق شخصيةٌ خيالية/ابن ظلهاب شـــخصـــيةً حقيقية/الفليّح، وهما على خطان متوزايان من اختلاف الأفكار والمنطلقات، لذا هما كثيرا الجدل، على نحو تُوصف علاقتهما بـــ"الأعدقاء"، تلك الكلمة المنحوتة من كلمتي الأعداء والأصدقاء؛ لشديد امتزاجهما، فصـــداقة ابن ظلهاب مع كل هذا الافتراق المنطقي، والتفارق الموقفي، والانفراق العقلي -مطلوبةٌ ولا يُزهد فيها.

إن المفارقة بالتخييل لشـــخصـــية ابن ظلهاب تطرح مع الوقت ســؤالاً مهماً: أشخصية وهمية تدفع إلى كل هذه المحاورات؟! فيتقمّص الفليّح هذه الفرضية؛ ليطرحها في مقالة أخرى: "من ذا الذي يقول: إن ابن ظلهاب ليس حقيقة واقعة؟! أنا شخصياً لا أجرؤ حتى على مجرد التفكير في اقتراف مثل هذه الجريمة

---

(73) – تعبير عامي يعني : إن لم تكن معي فأنت ضدي.

(74) – صحيفة الرياض 1999/4/3

التي تنضـــوي تحت باب تجاهل عَلم معتبٌ مثل ابن ظلهاب،(...) فكيف لو تنامى إلى علمه –مثلا – أن أحدهم ســـألني عنه ذات وليمة عامرة: لماذا لم تحضر معك صديقك ابن ظلهاب؟ اعتقاداً منه أن ابن ظلهاب هذا متوفر دوماً في البقالات والأسواق المركزية، ويتواجد حسب الطلب، وهذه بالطبع مسألة لا تليق بشـــخصـــية فذة مثل ابن ظلهاب،(...) ولكنه على أية حال هو ابن ظلهاب ما غيره عليك أن تقبله كله أو ترفضـــه كله؛ لأنه لا يقتنع بأنصـــاف الحلول والألوان الرمادية، فإما أســـود أو أبيض، وإلا لن تحظى بصـــداقته الرائعة". ((75))

وبذا يصل التخييل إلى قدرته السردية المنوطة به في المفارقة بخلق الإيهام بالواقع، فالكاتب يدافع عن ابن ظلهاب ويبيّن مكانته العالية، إنها شـخصـية لا يمكن لك معها إلا الرضوخ لعلو شأنها، ذلك التسامي الذي لا يسمح بانخراطها في الحياة اليومية بين العوام! إنها أيضـاً شـخصـية لا تتوافر لكل من أراد؛ فليسـت متاحة في أي وقت، إنك الآن أمام شـخصية تُشعرك بسطوتها، وخصوصاً أن الفليّح مفتاحها الوحيد، الذي ينصحك بأن تتقبل تمنّعها؛ لنفورها من أنصاف الحلول، ولما فيها من مفارقات مكثّفة منذ بدء اللقاء بها إلى الرحيل عنها.

ولا يكتفي التخييل بخلق شـــخصـــيات خيالية بعيدة عن الواقع، ففي بعض المقالات تأتي شـخصية حقيقية، ومن خلال تخييل الحدث وإخفاء كنهه تكمن

---

(75) – صحيفة الرياض 2000/4/10

المفارقة بين الحدث الآني والحقيقة: "بالأمس رأيت الجرذي، بل كنت وجهاً لوجه معه(...) كان الجرذ صبياً يدرس معنا في المرحلة الابتدائية، أي حينما كان يقرفص في الزاوية ليقضم فُسحته التي افترقنا ولم نكتشف بعد سرّ كنهها، أو ماذا تحتوي عليه؟! فبعضنا يقول: إنها من اللبن الجاف (الإقط)، وبعضنا يقول: إنها من البطاطس، وبعضنا يذهب بعيداً، فيقول إنها: من قديد لحم الجمل!! لكننا في الحقيقة لم نصل إلى قناعة قاطعة بمحتويات رغيفه العجيب،(...) أما سبب انشغالنا بالجرذ فلأنه كان انطوائياً لا يشارك أحداً بأي شيء ولا يُسلِّف قلمه أو مسطرته أو ممحاته(...) افترقنا قبل أن نكمل الدراسة، فانخرط أغلبنا في شؤون الحياة إلا الجرذ الذي سمعنا أنه قد أكمل الدراسة، وأنه حصل على وظيفة معتبرة(...)، وقلنا على البعد ليرزقه الله فقد كان متكالباً على الدنيا بدءاً من (سندويتشه) القديد حتى الشركة المفضلة التي سمعنا أنه يملكها وحده.(...) وبينما أنا أدلف إلى أحد المجمعات العقارية الضخمة؛ لزيارة صديق، رأيت الجرذ ما غيره ماثلاً أمامي، وهو يحمل حقيبته على طريقته المدرسية العتيدة، ولكنها هذه المرة ليست ملأى بالقديد بل بأوراق (البنكنوت) [(76)] التي لا أعرف أسرارها. وهنا تقدمت منه وسلّمت عليه وعرّفته بنفسي، ووجدته ذات الجرذ الذي لم يتغير بنظراته المرتبكة وحركته المربكة(...) ثم سألته عن منزله- بخبث- لا لأنني متوقع بأن يعزمني إليه، بل

(76) - نوع من السندات البنكية.

لأنني أريد أن أعرف بأي الأحياء الراقية هو، لا سيما أنه قد أصبح بخير، وأنني أريد له المزيد من الخير، ولكنه كالعادة التفت إلى الجهات الأربع دفعة واحدة وقال: (ها..بيتي هناك)، وأشـار إلى جهة غامضـة، ثم سـحب يده من يدي، ومضى يدب هذه المرة لا كالجرذ القافز بين الفصول، بل كسلحفاة هرمة أصابها الروماتيزم وآلام المفاصل، وكان يلتفت ذات اليمين وذات الشمال؛ لئلا تجتاحه سيارة جامحة، وغاب الجرذ في الزحام".((77))

تضمّن التخييل هنا بناء صورة ساخرة/كاركتورية، وإذ ما أردنا إعمال لغة النقد الحديث، فهو بورتريه (Portrait) للرجل الجرذ أي: "نوع الوصـف الذي يتعلق بالأفراد،(...) كما في البورتريه الاجتماعي للقرن السـابع عشـر؛ حيث يقدم مشـهد البورتريهات في بغض البشـرية"((78)) ،حيث إنه يدخل في ثنائية مع زملاء صـفّه الدراسـي منذ كتم نوع إفطاره عن زملائه، ثم هو اللئيم الذي يشي بهم، والطمّاع منذ نشأته، فيقابل بكل هذه الصفات الدميمة زملاءه ومن بينهم سـليمان نفسـه، ثم عقب هاته السـنون ما تزال الثنائية قائمة، والمفارقة الأبرز في النموذج أن الرجل تحول بفعل الزمن من جرذ إلى سـلحفاة، مع بقاء خصـائصـه الأصـيلة في شـخصـه!! وفي النموذج تظهر مقدرة التخييل في إبراز المفارقات إذا اختلطت بالواقعية؛ فالسـرد الكتابي للمقالة خلع عليها لباس

(77) – صحيفة الرياض 2003/1/8

(78) – جويل جارد طامين، ماري كلود هوبر، قاموس النقد الأدبي، ترجمة: محمد بكاي، دار الرافدين، بيروت، ط1 ،2021م، ص320

القصة الذي يحتاج إلى عملية التخييل من خلال التصوير القائم على التشبيهات والاستعارات، فغادرت سرديةُ القص الواقعيةَ الجافة إلى الواقعية السحرية التي لا تنفي عنها أصالة القصة وحقيقة وقوعها.

وفي ظني أن هذا النوع من الكتابة لا يسـتطيعه إلا أديب بارع كالفليّح، الذي اجتهد جداً في المقالة إلى جانب محاولاته الشـعرية الناجحة، وربما لو كتب لنا سـيرته الذاتية أو رواية سـيرية لرأينا كاتباً معدوداً من كتّاب الروايات السـيرية، وليته فعل.

ثالثاً: الإقناع:

إن إحداث المفارقة من الطرق الفاعلة للإقناع؛ فضـحيتها يكون مُسـلِّما بالخطاب مستسـلماً له حتى يجد نفسـه واقعاً تحت سـلطة حجتها. ووظيفية الإقناع تدلف من باب المفارقة المنطقية التي تملك الأدوات المناسبة للوصول إلى الفوز على المناظِر أو الحامل للفكرة المضـادة، وربما لأن المفارقة ظاهرها الأعم السـخرية من تحت عباءة التهكم، إلا أنها في صـور خطابية أخرى قادرة على إحداث فارق خطابي في الفكرة المتبناة أو التوجه المتضاد.

ومن أبرز أطروحات الإقناع عند الفليّح: الصـحراء والنفط، وكيف يمكن أن يكون لهذين المكونين الطبيعيين جانباً سـلبياً مُتوهماً في نظر الآخر بأنهما سُـبة

لأصحابهما؛ لضعف تصورهم الحقيقي، وعدائيتهم تجاه أهلها وعنصريتهم!!

يقول: "ناهيك عن المخيلة الأوروبية المشوشة، بل المشوهة أحياناً عن عالم الصحراء الذي يتمثّل بكثيب من الرمل أو بالأحرى (طعس) أو رعص بالعربي الفصيح. تنتصب فوقه خيمة صغيرة، ولربما نخلة جرداء، وجمل وحيد بينما يسبح في سراب الأفق عمود أو ريج بئر من النفط، بينما يتربع في وسط الخيمة أعرابي يرتدي عقالاً من القصب أو الذهب لا فرق، ولابد من كاريكاتير سخيف يشير إلى أن هذا المخلوق هو الذي يتحكّم بموارد الطاقة للعالم المتحضِّر أو المتحقِّر سيان، وأقول المتحقر؛ لأن المتحضر عادة لا يحتقر بني البشر، وتلك من أهم مقومات الفكر الحضاري الذي يحترم الأمم وعاداتها وتقاليدها ومعتقداتها وإن اختلف معها.(...) أقول أيضاً: إن ذلك المشهد لا يقبع في المخيلة الأوروبية فحسب، بل للأسف الشديد في المخيلة العربية التي تجهل ذلك العالم الرحب التي تنتمي إليه من الأساس، فأنا أعرف العديد من المثقفين الذين لا يرون في عالم الصحراء إلا اللون الأصفر الفاقع الذي يمتد بلا نهاية حتى تخوم المدن والواحات، والذين لا يرون فيه سوى عالم كئيب قاحل ماحل لا شجر ولا طير ولا حياة فيه، وهذا المشهد القاتم قد كرسه في أذهانهم بالطبع عدم الإضاءة الكافية على ذلك العالم العجيب المبهج في الأساس.(...) وكل ما قُدّم عن عالم الصحراء وخصوصاً في أعمال الروائي الليبي الشهير ابراهيم الكوني هو عالم مليء بالأساطير والخيال والسحر مما جعل بعض النقاد يصفون

تلك الأعمال بالسحرية الواقعية أو الأسطورية الواقعية!! مع أنها أبعد ما تكون عن عالم الصحراء نفسه بكل ما فيه من بشر وطبيعة، إلا أن المخيلة العربية الهشة أيقنت بأن ما قدمه الكوني

هو عالم الصحراء بكل ما فيه، مع أنني أعرف أن الصحراء ليست كثباناً فحسب، بل هي تلال وجبال وأودية وشعاب وأشجار وكائنات جميلة ومخلوقات متوحشة وأزهار خلابة وخضرة في مواسم الربيع تبز أرقى الحدائق

المنسقة، والذي لا يصدّق ما أقول، فليشد الرحال هذه الأيام الى الصمَّان [79] وليرَ أبهى المشاهد في الحياة". [80]

فيما مضى عدد من المفارقات التي أوجدها الكاتب عن الصحراء والنفط، وبدأها بنظرة العالم الأوروبي للعربي الذي لا يرى فيه سوى الصحراء ومظاهر الحياة البدائية، ومع هذا يتحكم في طاقة العالم الذي يفوقه تحضراً وتمدنا كأن العربي منقطع عن التحضر لا لشيء إلا لأنه يعيش في بقعة جغرافية ذات مناخ صحراوي!! وهل هذا منطق يمكن أن يتصل بفكرة الأفضلية أو يتواصل مع طرح الاقتصاد؟! إذن، هذه هي المفارقة التي أوقع فيها الكاتب ذلك الآخر صاحب التفكير السطحي، الذي لا يمت للتحضر بصلة كما يزعم، فلو كان

---

(79) – هضبة تقع شرق المملكة العربية السعودية

(80) – صحيفة الرياض 2001/2/10

كذلك ما احتقر أحداً، وهنا مفارقة أخرى؛ فالتحضر صفة عالية الشأن توجب احترام الآخرين وفهم بيئاتهم.

ثم يمتد هذا السلوك إلى بعض من أهل المخيلة العربية التي تابعت فيه طرح العقل الأوروبي بنظرتهم إلى الصحراء، كأنهم لا ينتمون إلى هذه البقعة الجغرافية، فكانت ثقافتهم عنها هشة، وهذه مفارقة أخرى كيف لإنسان ينتمي إلى مكان لا يعرف تفاصيله ولا طبيعته، ولذا فروايات الكوني في نظر الفليّح لا تعرف شيئاً

عن الصحراء، والنقاد الذين ربطوها بالصحراء معرفتهم محدودة بطبيعة مكونها الجغرافي، فكان خطأ الربط لتلك الروايات والوصف بأنها نبعت من ثقافة غير دقيقة عن الصحراء، والقول من الكاتب ليس ظناً منه أو حدساً؛ فهو ابن الصحراءِ التي تغنّى بها كثيراً في شعره، وكتبَ عنها في نثره.

إنه يسعى من إحداث تلك المفارقة إلى إصلاح نمطين من تشوّه الطرح: الأول: التفكير الأوربي تجاه العرب وبلادهم وربما هو في هذا يرى أنهم ثنائية مع العرب، فيحاولون انتقاصهم وازدراءهم والنيل منهم من خلال تنميط الصورة العامة لهم ونشرها عنهم وخصوصاً في بلدانهم، أما الثاني: وهي الأشد، إقناع العربي- الذي لا تخلو أرضه من صحراء- بأن الصحراء ليست تلك الكثبان والخيمة والجمل، ثم يتابع في تفكيره الأوروبيين دون أن يأخذ وقفة مع نفسه، ثم تأمل

فكرتهم الخديجة بطرح سؤال مهم: أليس عربياً يُنظر إليه بالنظرة نفسها من الآخر الأوروبي ثم يعيد تصديرها إلى عربي آخر؟! وهذا شيء مضحك.

والمفارقة في النص يمكن القول عنها بأنها ذات رؤية مركّبة من مدار بعيد المدى يستهدف الآخر، البعيد الذي لا يشترك مع الكاتب في أي من مرجعياته الثقافية والعرقية، ومدار قريب ينطلق معه من المرجعية ذاتها؛ ليشنّع عليه جهله الذي بنى عليه حكمه المتطرّف، وهي معرفة راسخة منه بأولئك المثقفين الذين جهلوا الصحراء تماماً كما يدركها هو من دونهم.

الخاتمة:

المفارقات في النقد العربي القديم معروفة متداولة غير أنها لم تأخذ العمق الكافي له في كتاباتهم، على خلاف النقد الغربي الذي أسس لها على نحو واضح، وحاول التقعيد لها، وتعريف مصطلحها نوعاً ما، وأقول نوعاً ما لأن التفتيش عن المعنى المقصود من المفارقة عندهم يتناوب بين التهكم والسخرية والاستهزاء، والتناقض، إلى آخره.

وفي ظني أن تمرد المصطلح على الاستقرار الاصطلاحي، والعصيان لشروط العلم جعل المفارقة نفسها تدخل من باب آخر في مفارقة جدلية! كأنها اكتسبت من

معانيها أن من المفارقة لا تعريف للمفارقة!! ومن يبحثها في مدونة أدبية يجد نفسه أمام مادة هلامية لها كتلة واضحة ولكن دون ملامح محددة.

وسليمان الفليّح المعني في هذه الدراسة أديب ذو صنعتين: الشعر والنثر، ومساحة نثره الكبّى المقالة التي بدأ فيها منذ وقت مبكر، فعمل على مدى سنوات طوال على تشييد رف ضخم من هذا النتاج. وهو كاتب يجيد التعامل مع معطيات الحياة، ومواقف الإنسان، ونقد الأفكار، فاندمغت مقالاته ببصمة واضحة لها أسلوبها الخاص الذي اختطه لها في طرحه. وهنا ما يميز كتاباته فالقارئ للصحف وقتها يتسلسل من الصفحة الأولى المعنية بالخبر الرئيس، ثم يتدرج حتى ينتصف مع الصفحة الرياضية، ويتدرج نزولا لموافاة صفحة أدبية يتيمة، ثم تكون الأخيرة وعلى جانبها الأيسر من الأسفل نجد (هذرولوجيا)، فنقرأ نمطاً مختلفاً من الكتابة ووشي الأسلوب وعرض الأفكار، فمقالته أدبية بامتياز لما فيها من خصائص الكتابة الإبداعية والسمات الفارقة حتى في الموضوعات ذات الصرامة الشديدة كالطرح السياسي.

والمفارقة في مقالاته تأتي على سجيتها دون تصنع متكلف إلى الحد الذي يفقدها مرونتها في التلقي، وليست ساذجة تمكن من كشفها بسهولة، وهي مهارة كتابية لا شك عصية على كاتب عمود يومي في مساحة محدودة عليه أن يحافظ على هذا النمط الكتابي وإن شئت فقل اللياقة، فالمساحة الورقية الضيقة للمقالة تعجّل بفضح أي مراوغة من الكاتب لإبطاء فهم المتلقي.

وقد جاءت على صعيد عدد من المستويات التي تناولتها الدراسة فانطلقت من أنواع المفارقة وهي المفارقة اللفظية والمفارقة السياقية، وفيهما عدد من التفريعات التي بدت واضحة في المقالة من مثل: التضاد،

والتشـــبيه، والإبراز، والتناص في النوع الأول. ثم مفارقة الحدث، والدرامية، والرومانسية، والمنطقية في النوع الثاني. وهي مفارقة تقوم على عدد من التمثلات التي وقفت وراءها كالتمثل الســياســي والاجتماعي والثقافي، لتؤدي عدداً من الوظائف من أبرزها السخرية والتخييل والإقناع.

وأخيراً فمقالات الفليّح لم تحظ حتى اليوم بدراســة متعمقة، وهي مادة جيدة لرســالة علمية تفتقدها أرفف المكتبات، وخصــوصــاً أن العائق الأول لدراســة جنس المقالات متلاشٍ، فهي مجموعة مصــنفة وفق تاريخها الزمني، ومكانها الكتابي.

مسرد المصادر والمراجع.

أولاً: المصادر:

1.صحيفة الجزيرة.

2.صحيفة الرياض.

ثانياً: المراجع:

1. أحمد الدجاني وآخرون، أزمة الخليج وتداعياتها على الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ط1 /1997

2.جوليا كريستيفا، علم النص، ترجمة: فريد الزاهي، مراجعة: عبد الجليل ناظم، دار توبقال، الدار البيضاء ط1997/2

3. جويل جارد طامين، ماري كلود هوبر، قاموس النقد الأدبي، ترجمة: محمد بكاي، دار الرافدين،ط2021/1

4. حنا عبود، موسوعة الأساطير العالمية، دار الحوار، سوريا، ط 2018/1

5. خالد سليمان، المفارقة والأدب: دراسات في النظرية والتطبيق، دار الشروق، عمّان، ط 1 /1999

6. د. سـي. ميويك، موسوعة المصطلح النقدي، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط1993/1م

7. رينيه وليك، أوستن وارين، نظرية الأدب، ترجمة: محيي الدين صبحي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط1987/1م

٨ .سامي سليمان الفليّح، الأعمال الشعرية الكاملة سليمان الفليّح (1951 م- 2013 م)، دار سعاد 2024

9. سعود بن سلمان آل سعود، أزمة الخليج بين المبادئ والأهواء، مكتبة العبيكان، الرياض، ط 1994/1

10 . سعيد علوش، معجم مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، دار الكتاب الجديد، ط 2019/1م

11. ابن السكيت، شرح ديوان عروة بن الورد العبسي، صححه: ابن أبي شنب، مطبعة جول كربونل، الجزائر ط1 /1926م

12 . عبدالعزيز عتيق، علم البديع، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط 1 /2006/1427م

13. عيساني بلقاسم، التناص: دراسة في المنهج والتأويل ورهانات الترجمة، منشورات ضفاف، بيروت، ط1 /2016م

14 . محمد العبد، المفارقة القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 1994/1

15. محمد ونّان جاسم، المفارقة ومستوياتها في السرد الحكائي في العصر العباسي، دار تموز، دمشق، ط1 /2018

16. منصور البلوي، المفارقة في الرواية السعودية المعاصرة: مقاربة في البنية والدلالة، النادي الأدبي ط1 /1440هـ /2019م

17 . ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط2005/4م

18. نعمان محمد أمين طه، السخرية في الأدب العربي، دار التوفيقية، مصر، ط1 /1398هـ 1978م

ثالثاً: الدوريات:

1. جيل دول وز، عن المفارقة، ترجمة: إدريس كثير، مجلة علامات، العدد 2001/15م

2. رقيق كمال، المفارقة بين المفهوم والاصطلاح، مجلة دراسات، جامعة طاهري محمد بشار، مخبر الدراسات الصحراوية، الجزائر، العدد 3، يونيو 2013 م.

3. سيزا قاسم، فن المفارقة، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد 2، مجلد 2، سبتمبر 1982م

4. نبيلة إبراهيم، المفارقة، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد 3-4 مجلد 7 سبتمبر 1987م

القبيلة العربية في شعر سليمان الفليّح

بقلم: علي عبد الفتاح[81]

الشاعر سليمان الفليّح واحد من الشعراء الشباب الذين يمتلكون القدرة على خوض مغامرات شكلية وموضوعية في إطار القصيدة الحديثة. ووصفه بأنه من الشعراء الشباب ليس من وجهة نظر نقدية، وإنما من ناحية مرحلة عمره التي لا تزال تنضج بحيوية الذاكرة والخلق ومواصلة الإبداع الشعري. هذه الدراسة هي غوص في أعماق شعر الفليّح وتحليل موضوعه الذي يشكل سرّ قلقه وتوقه إلى الغضب والرفض... رفض الواقع بكل ما فيه من انحرافات، والغضب على حال القبيلة التي ينتمي إليها، والتي استطاعت المدينة أن تمتد إليها أطراف تلوثها .

ومن خلال قصائده يتضح أنه يحاول أن يكسر حاجز الوهم الحضاري ويدين فلسفة وإنجازات المدينة الحديثة التي أعطت الإنسان كما هائلًا من الرفاهية، فجعلته يلجأ إلى الخراب والدمار فسقط من قمة عليائه.

– علي عبد الفتاح ، شاعر وناقد وصحفي مصري يعمل في وزارة التربية في الكويت منذ عام 1977وقد كتب أول مقالة في الصحافة الكويتية عن الشاعر سليمان الفليح رحمه الله

ومن خلال قصيدته أيضًا يعلن انتماءه الجذري إلى الصحراء، ويهاجر إلى مضارب بني قومه، فيشتبك معهم في شجار ويصطدم في صراع لا ينتهي، لكنه يظل واقفًا في وجه موجات العصر التي تتوالى لتسلب كل مقوماته الإنسانية:

"أنا طائر أعزل في حقول البكاء

شاجرتني صباحاً بلادي

لأني أغني لها في المساء

فهل أيها العارفون بكل الأمور

رأيتم بلاداً تشاجر أطيارها

في سبيل الغناء؟!"

ويظل الفليّح في ذلك الصراع الذي يشكل عنده المأساة الحقيقية لقومه، أو هي مأساة المدينة الحديثة. أو كما يقول الدكتور (حسين مؤنس) في كتابه (الحضارة): إن ما يسمى بالتقدم أو مسيرة التاريخ والحضارة إلى الإمام أو إلى الأحسن إنما هو وهم، لأن غرائز الإنسان وأخلاقياته المركبة في طبعه باقية كما هي، بل زادت حدتها وضراوتها، ولا يزال الوحش راقدًا تحت جلد الإنسان المتحضر.

ثم يقول: "إما الإنسان فيدبر لإبادة الألوف أو الملايين وهو راقد في فراش وثير في غرفة مكيفة الهواء تضم آخر مبتكرات التقدم المادي."

فمأساة الشاعر تنبع من هذه المتغيرات التي طرأت على وجه الصحراء فدمرت معنويات الإنسان. فالشاعر ممزق ما بين منهج الأخلاقي والفكري الذي كانت تنهج عليه القبيلة، وكلف هذا وتراحم وتعاطف وصـــدق وصـــداقة وإخاء – والأســـلوب المتمدن الحديث الذي طرأ على المجتمع فهو يرى وجه المدينة قبيحًا مشوهًا، لأن هذهِ المدن هي التي مزقت قومه وأشعلت النيران في خيامهم:

"ها هم قاموا
ساروا نحو تخوم المدن الكبري
جوعي
عطشي
(يستعطون) الخبز اليابس والماء الآسن والنار
ها هم عند حدود المدن الكبرى محنيو القامات
منكسرو الهامات"

والفليّح يشتد غضبُه لأن الإنسان العربي قد فقد أصالته التاريخية، ارتباطه الوثيق بأصوله العريقة عبر مسيرة الزمان والتاريخ، وكيف صمد أجدادنا في وجه الرياح، وكيف يحملقون في وجه الشمس بجرأة وإقدام ليشكلوا لوحة التحدي لعوامل الطبيعة وجحافل الغزو الأجنبي.

إن الفليّح يثبت أمام هذا العصر أنه عصر خائن وزمن (رديء)، ومدنه (موبوءة)، ويقف كالشجر العاري في الصحاري حزينًا بلا قطرة ماء، ولا أنداء، ينادي بني قومه لتضيء روحه المثقلة بالهموم، وينادي القبيلة أن تعود إلى جذورها، إلى أصالتها الفكرية الإنسانية:

"ويحزنني أن رعداً يهز جبال العذاب بقلبي
عنيفاً
عنيفا يجيء.
ويقتلني إن برقاً
يشع بصحراء روحي
ولكنه لا يضيء؟!"

إلى المسألة أمران:

أولًا: المتغيرات الحديثة التي جاءت وزحفت على الصحراء والقبيلة.

ثانيًا: ما يحدث في العالم باســـم المدينة الحديثة والمباني الشـــاهقة الارتفاع، والتقدم الهائل في وسائل الاتصال والمعرفة ووسائل الثقافة.

هذه المتغيرات أســـقطت القبيلة، وانهارت الخيام، لتقوم المجتمعات والســـلطة الحكومية والقوانين على أحدث وســـائل العلم والحضـــارة. ولكن، هل كل هذه المتغيرات ســـاعدت الإنســـان العربي أو الغربي أن يظل محتفظًا بكل مقوماته الإنسانية وعقائده الأولى؟

وكما يقول الدكتور حسين مؤنس في كتابه (الحضارة) ومن الدراسات في تغير المجتمعات، ظهرت حقيقة نلمســـها جميعًا وهي تأخر التطور الثقافي والفكري والمعنوي عن التطور المادي، وهذا ما يســـمى في مصـــطلح علم الاجتماع بـ (الركود الثقافي).

وهذه الظاهرة تبدو في أيامنا هذه أوضـح مما ظهرت فيه في أي حقبة ماضـية من أحقاب التاريخ، وهي في صميمها انعدام التوازن بين التقدم المادي الشاسع المدى والتقدم الإنســـاني الأخلاقي الذي لا يتم منه إلا شـــيء قليل من ظواهر الأعمال والتصـــرفات في الغالب. ومن مظاهر اختلال هذا التوازن في عصـــرنا انتشار الرذيلة، واتساع نطاق استعمال المخدرات، وضلال شباب في متاهات التمرد.

ومن هنا تنشأ المأساة الحقيقية، فالمدن التي قامت هي مدن موبوءة، فلا زال هناك أطفال، ولا زالت هناك وسائل قمع الثوار، واضطهاد أصحاب العقائد الدينية. ولا تزال هناك تجارة الرقيق الأبيض، وإن تسترت تحت أسماء مستعارة، ولا زال الحكام يشنقون كل صباح أطفال الأمل... العلم؟؟ وهل هي تلك الإنسانية، الإنسان في العالم؟

لذا يجد الشاعر نفسه وحيدًا في الصحراء، في المنفى، يبكي ولا أحد يرى دموعه، يصرخ ولا مجيب، ينادي فيجد حوله الظلام يمزقه ويذبح روحه. فالمدينة اليوم هي المعمول الذي حطم شجر الإبل واعتدى على ظلال المرعى في مضارب القبيلة، وسلب من البدو الرحل النقاء والتفاني الإنساني. فبرغم ما تتسلح به المدينة من ماديات قوية، فقد فقدت الثروة الأخلاقية والإنسانية التي كانت تتميز بها القبيلة رغم شظف الصحراء وقسوتها:

"وعلى إحدى هضبات بلادي
شاهدت المدن الموبوءة
تنمو كثآليل ميتة فوق صحار ميتة
تتناثر فيها كالفطر."

ونتيجة حتمية للصراع في كيان الشاعر، ما بين أن يظل مكسورًا وحيدًا ممزقًا ساخطًا، متعاطيًا جواد الغضب، أو ينساق كالآخرين في هذا التيار الزاحف، التي تجرفه الماديات وتسلبه قيمه الإنسانية، ويتناسى ما كان ويصبح شيئًا آخر أردته المتغيرات الحديثة:

"إلا ما سنبقى نمارس هذا الجنون؟!

ونبقى نحاول يا صاحبي أن نكون

كما نبتغي نحن

لا مثلما يبتغي الآخرون"

ولذلك يقف الشاعر موقف الرفض، لا يهادن، ويعلن أن هذا الزمن عسير وصعب، لأن الرياح لعينة والمدن مبهمة. وهناك يتربص ويراقب الإنسان العربي... هناك لصوص مأجورون يحاولون انتهاز فرصة للانقضاض على مقومات الإنسانية وأصالة العربي، والوقوف في وجه اتحاده وثورته.

ويعدون أنفسهم لمحو صلابة وكيان الإنسان العربي. فيصرخ الشاعر البدوي بالغضب، ويصهل في الصحراء بالحقائق بأن هذا الزمان صعب، فأصمد وحيدًا أيها الإنسان العربي، ولا تنحنِ ولا تنكسر:

"زمانك صعب
فكن مثله
وإياك أن تلتوي أو تساوم أو تنحني
فخلفك قوم يطلون لك
من شقوق العباءات
أو من شقوق البراري
يشدّون صبراً
أعنة خيلهم المطهمة."

ويرى الفليّح أن المدينة تغتال قومه، تمتص من فوق جباههم لظى الصحراء وتمنحهم برودة الرفاهية، وتلون وجوههم التي لفحها الشمس الحارقة إلى وجوه ملونة بالمساحيق. إن هذه المدينة تجفف عرق الكفاح والبذل والعطاء، والصمود مع الرياح والغبار و"الطوز"، وتنثر عليهم أغلى العطور الأوروبية، فيجلس الإنسان العربي لا يرى في المدينة إلا المتعة المادية. ومن هنا يسقط من الإنسان ذاته، وعلى ذلك يدور الحوار بين الشاعر الغاضب وقومه:

"قلت: لماذا جئتم ؟!
قالوا: ماذا يمكن أن يمنحنا الربع الخالي غير الجوع ؟!

وفي زمن أطعمنا ثلجاً، وسقانا رملاً ودموع
وعلى أطراف الصحراء
حين تغادرنا الأنجم تسحب أضواء خضراء
نبقى في العتمة كالعتمة
نحلم أحلام الشعراء!!"

وينفث الشاعر أنفاسه الغاضبة في وجه الواقع العربي الراهن، فهذا الواقع العربي هو أحد المعاول التي اغتالت شجر الصحاري، وردمت ينابيع الماء العذب، وأشعلت النيران في خيام القبيلة، فهاجرت الطيور البرية إلى مدن وزمان خارج الزمن. وتوالت موجات الغزو الفكري المادي من كل اتجاه، فصار الواقع العربي ذلك التبادل الذي فيه كل عبقريات الشرق تتضاءل في معجزات الأحرار، ويُشنق فيه (...).

"لا شيء تحول
فيكم منذ الزمن الأول
لا شيء تبدل
فيكم غير ملامحكم
تلك الحجرية

صارت أقنعة من خشب

بين الفينة والفينة تستبدل

لا شيء تحول"

فها هو الواقع العربي كما هو، رغم التفوق التكنولوجي والتقدم المادي، والمدن العربية كما هي أشبه بـ"مجرم" قام بفعل جريمة عن سبق إصرار وتعمد.

فالواقع العربي اغتال أشجار الحرية.. الواقع العربي يترصّد طيور الصباح ليقتلهم برصاصات الغدر والخيانة.. الواقع العربي يجتث زهور الأمل من الجذر إلى الجذر.. الواقع العربي يقتلع من فوق ضفاف الخليج ذلك العشق للأرض، والصحاري، والجياد، والخيام، والسيف، والقلم، والكتاب. الشاعر غاضب في ثورة البحر، وسيفه هو الكلمة التي تبتر، وتمزّق في لحم الخيانات والبذاءات والخيانة.

فالواقع العربي اغتال أشجار الحرية.. الواقع العربي يترصّد طيور الصباح ليقتلهم برصاصات الغدر والخيانة.. الواقع العربي يجتث زهور الأمل من الجذر إلى الجذر.. الواقع العربي يقتلع من فوق ضفاف الخليج ذلك العشق للأرض، والصحاري، والجياد، والخيام، والسيف، والقلم، والكتاب. الشاعر غاضب في ثورة البحر، وسيفه هو الكلمة التي تبتر، وتمزّق في لحم الخيانات والبذاءات

والخيانة. فماذا يكون بعد هذه الجرائم النكراء التي اقترفتها المدن العربية؟ فالحق مضطهد، والعلماء يتسوّلون في الأسواق، و(...) والقادة موقوفون في المخافر والسجون كأنهم "خارجون على القانون"، فمن يستطيع أن يقول للطاغوت كلمة الحق؟ فهل صمت الإنسان العربي ليحفظ باستمرارية رزقه وهو يرى هذه الصورة المفجعة في المدن العربية؟ فالثراء الفاحش قاصر على طبقة معينة من الشعب، والأطفال الفقراء يقفون أمام البقالات بأثوابهم البالية، ويرمقون السلع والأثواب الغالية وهم يشعرون بالحسرة والألم.

وفي كل مدينة عربية، وعلى أبوابها، وفي مخافرها، يرقد آلاف الأبطال والشرفاء داخل السجون والمعتقلات.. فالحرية في هذا الزمن مطلوبٌ القبض عليها، والحق لصّ تطارده المخافر والكلاب وحُرّاس القصر.. وكم من شهيدٍ سقط مضرجًا بدمائه حين وقف في وجه الظلم، وكم من جموع الشباب الأحرار حصّتهم مدافع الرشاشات، فالمدن العربية تتعامل مع الثوّار والثائرين بمنطق "الرشاشات". في هذه المدن اللائي فيها يتعلّم منذ الصغر بنوها: "مفهوم الثورة والثورات/ لكي نحصدهم حين بلوغ الواحد منهم سنّ الرشد، الثورة بالرشاشات".

***

سليمان الفليّح بين أحزان البدو الرُحَّل
ورفض الواقع المُهترئ

بقلم:علي عبد الفتاح[82]

منذ عشرين عامًا، بينما كنت أتابع صفحات الثقافة في الجرائد الكويتية، أثار انتباهي مقال ســـاخر تحت عنوان "هذرلوجيا"، وأعجبتُ بالفكرة التي يتناولها كاتب المقال كل يوم. وحين سألتُ عنه، عرفتُ أنه شاعر وقد صدر له ديوان "أحزان البدو الرُحَّل".

في لقاءٍ آخر، في أمسية شعرية، فوجئتُ بالشاعر نفسه يقف أمام الحشد الكبير من الجمهور، يُلقي قصائد الغضب والحنين، وشعرتُ بتيار جارف من العاطفة الجياشـــة يندفع بين شـــرايين قصـــائده، وكأنه يودّ أن يُعانقنا جميعًا، ثم يبكي على أكتافنا كالطفل التائه اليتيم.

أحببتُ سليمان الفليّح، وقرأتُ قصائد ديوانه التالي "الغناء في صحراء الألم"، وأدركتُ أن هذا الشاعر يغني في صحراءٍ حقًا اجتاحها طغيانُ الألم، وانتشرت فوق رمالها نباتات موبوءة.

- الطليعة 17 مارس 1999م العدد 139 / علي عبد الفتاح ، شاعر وناقد وصحفي مصري

وتساءلتُ: إلى أين يذهب هذا الشاعر البدوي؟ ابن الخيمة والسماء والصحراء؟ إلى أين يذهب هذا الشاعر الضارب في أعماق الوحشة، التائه في دروب المدن الزائفة؟ وعرفتُ سليمان الفليّح .. شاعرًا سكن الصحراء، غاب في بريق الأفق حين يُعانق الرمال، وهدأت ذاته التي تتأمل غروب الشمس في ثوب الأصيل، فصار يغني للريح والعشب والنخيل.

لم يكن سليمان الفليّح يدري أن هناك خيامًا سوف تقتلعها رياح المدن الخائنة، وجذورًا تحاول اجتثاثها خناجر دخيلة غريبة. ويقف الشاعر حائرًا بين قيم الصحراء وزيف المدائن، وما تفرزه من عمائر شاهقة يبدو الإنسان في داخلها وكأنه لا يزال بلا عنق، لا يُطاول سيادة السحاب، وكبرياء الرمال، وغطرسة لهب الصحراء. يودّ الشاعر أن يصرخ، أن يقول، أن يعترض، أن يقف في وجه الزيف والفساد. ويهرب الشاعر إلى صدر أمه، صارخًا:

"وحلمت الليلة يا أمي برياح تجتاح المرعى
تقمع خيلي تطرد إبلي
تجلدني علنا بالأفعى
تربطني خلف مضارب قومي
تسقيني إذ أعطش دمي
توسعني يا أمي قمعا"

وأدركتُ أن لحظات الألم الحقيقي تكمُن لدى سـليمان الفليّح في صـدمة المدينة، التي زحفت عواصـفُها تلتهم الخيمة والبئر، وتمزق سـتائر الليل الحزين السـاكن، وتُشيع الضجر والغربة في كيان الشاعر. فلا شك أن هجمة المدن، والتحوّل من الخيمة والصحراء الآمنة إلى العمائر الشاهقة والمادية المفرطة، قد مزّق إحساس الشاعر، وأحاطه بالوحدة والعزلة، ثم حرّضه على الرفض والتمرّد على كل ما تأتي به المدنية الحديثة من علوم وتكنولوجيا، تسـقط من داخلها القيم الإنسانية.

"ورأيت المدن الكبرى تركض عبر سراب البر
يتعقبها الخوف المتعب
ويطاردها المرض المرعب
ويفتتها حجرا حجرا شيطان الوحشة والشر
ورأيت صقورا وحداءات وبطاريقا بأعاليها
ورأيت دماء أهاليها
تقطر من مخلاب النسر"

فهل يمكن اعتبار سليمان الفليّح من أغربة العرب؟ لا شكّ أنه ينتمي إلى حركة شعرية جديدة تميّزت بالغضب والرفض للواقع المهترئ، الذي يستعبد الأفراد ويحوّلهم عبيدًا للمادة والآلة. وكما رفض الشاعر الصعلوك تقاليد القبيلة العمياء، وأبت نفسه الكبيرة الخضوع والمذلّة لدنايا الأعمال، ورفض أن يُسلّم ذاته لذلّ الحاجة والقيام بدور يأنف منه السادة الكبار، وانتمى الشاعر الصعلوك إلى حركة شعرية إنسانية تدعو إلى القيم والمثِل العُليا، كذلك فقد انحاز الشاعر سليمان الفليّح إلى البسطاء وأبناء الأرض والشعوب الصامدة أمام قوى الطغيان الأجنبي.

إن هذا الواقع قد قسّم الشعوب إلى عالم متقدّم، وعالمٍ آخر نائمٍ مغلوبٍ على أمره، لا حول له ولا قوة. وبالتالي فقد انعزلت القيم والمثل الرفيعة، وأُهملت المعاني الرقيقة، وتدمّرت أحلام البسطاء. ومن هنا جاء رفض الشاعر لواقعه، الذي جعله أقرب ما يكون إلى أسطورة الصعاليك الذين خرجوا على القبيلة، وأسسوا لوجودهم حياة زاخرة بمعاني الرحمة، والحب، والبطولة، والشجاعة، وإغاثة المنكوب، وإعطاء المحروم، ومساندة الفقير والمعدم. ويرسم الفليّح صورة ساخرة للواقع الذي يرفضه وهو يقول:

"قبر يرفرف في الريح فوق الجبال

أشجار ترفع شعرها الأخضر وترقص في العراء

ظباء تبحث عن ماء في الصحراء

هذا هو الشرق

مضارب من الرخام الأسود

نياق إلكترونية يحرسها رعاة آليون

أعراب يعدون القهوة بالطاقة الشمسية

صقور يدربها قوم غرباء بواسطة الرادار

قطعان ترعى نفايات ذرية."

وسألت سليمان الفليّح ذات يوم: كيف تشكّلت شاعريتك واتجاهاتك الإنسانية، وهذا الفيض المتدفّق، والوهج المتمرّد في شرايين قصائدك؟ حَمْلَق في وجهي مندهشًا لتساؤلي الذي بدا ساذجًا، وقال: "عمق التجربة الإنسانية التي عايشتُها مع معاناة الشعوب، ونبض المثقفين، واتجاهات الأفكار، وذلك خلال مشاركتي في حرب الاستنزاف في مصر عام 1972، حيث عشتُ على الجبهة المصرية أروع أيام الصمود والتحدي."

كنا في سويعات الراحة نلتقي بكبار الشعراء في مقهى "ريش"، منهم: نجيب سرور، وعبد الرحمن الأبنودي، وفؤاد حداد، وأمل دنقل، وعبد الرحيم منصور، وصلاح عبد الصبور، وأحمد عنتر مصطفى، ومحمد يوسف، وحسن فتح الباب، وغيرهم. عشت مع فكر هؤلاء جميعًا، وانصهرت شاعريتي، وتعمّقت تجربتي الإنسانية. وكنت أشاهد الناس في الشوارع، كيف يبدو عليهم الاستياء من الحرب، وكذلك ملامح الصمود والنضال.

كنا نقرأ قصائد أمل دنقل، والأبنودي، وعبد الصبور، وقصص نجيب محفوظ، ويوسف إدريس، ونناقش الأفكار، ونغني للحرية والنضال الإنساني. فلا غرابة أن استطاع الفليّح أن يكون شاعر الموقف والقضية، وقد تتشابه قصائده مع الأناشيد الرعوية التي ظهرت في الشعر اليوناني القديم، حيث يقف الشاعر ليغني لبراءة الريف والحقول، ويطلق لخياله الامتداد الشاسع عبر رؤى حالمة تتوحّد مع السكون والصمت، وغناء الريح، ودفقات المطر، والليل الحنون. وكان الشعراء الرعويّون يكتبون هذا الشعر حنينًا إلى جمال الريف، وكبرياء النخيل، وعذوبة البحيرات، وكانوا يتشوقون إلى حياة ذات عصر ذهبي تجسّدت قبل المجتمع المتحضّر.

وكان الشاعر اليوناني "ثيوكريتوس" يصف ذكرياته بين جبال صقلية وجزر اليونان والفضاء الكبير، ولكن عندما تفجّرت الحضارة بعناصرها وظواهرها، تهدّمت الصور الجميلة، وضاقت الجزر، وكسرت آلياتُ العلم والصناعة براءةَ العالم الذي كان يعايشه الشاعر.

وقد ثار شعراء الإنجليز "شعراء البحيرة" حينما وجدوا دخان المصانع يلوّث الريف الإنجليزي النقي، فانقسموا في ذواتهم وأعماقهم، ورفضوا هذا الواقع الذي اغتال الجمال، ونشر القبح، والضجيج، والضجر، والضوضاء، وسلب أجمل معاني الحب والرحمة من قلب الإنسان.

فهل تلك قضــية الشــاعر ســليمان الفليّح؟ أجل، تلك قضــيته، وإن اتخذت أبعادًا أكبر من ذلك. فالصحراء لم تعد سالمة الآن من جرائم البشر في الحروب، والاســتيلاء على مســاحات كبيرة منها، لتصــبح تخطيطًا للمدن الجديدة التي يسكنها أناس ليس لهم من هدف سوى إشباع حاجاتهم المادية. وتقف الخيول في الصحراء حزينة، والنخيل منكسِر الهامة، وليس هناك سوى الصهيل:

"وفي غمرة الحزن في ذات ليلة

من العمر كان انتهائي يجيء

رأيت الحصان الذي أسرجته القبيلة

وحيدا مع الريح يأتي

شهابا يضيء

بلا سرجه والقيود الثقيلة

طليقا بوجهي القتيل

يحاكي غيوم السماء

ورعدا يدوي

الصهيل الصهيل الصهيل"

ولذلك، يظل سليمان الفليّح يتشوّق إلى هذه الصحراء، بكل ما توحي به من معاني الكرم، والبطولة، والنبل، والكبرياء، في مواجهة دولٍ عظمى تحلم أن تسحق إرادة العربي، وتُرغمه على أن يظل تابعًا أمينًا لها، ومستهلكًا نشيطًا لمنتجاتها، ومُقلدًا مخلصًا لعاداتها وتقاليدها الغريبة عن واقعنا الأصيل.

وبذلك، فالشاعر ملتزمٌ بقضايا بلاده، بينما هو يمضي ساخطًا على واقعٍ تحوّلت فيه الصحراء إلى آلياتٍ تُنذر بالذعر، وتُشيع الهلع والخوف من المستقبل في روح أبناء الأمة. ويحلم الشاعر أن تنهض أمته من سباتها وتبعيتها للغرب، وتشق طريق النور الذي أشرق مع الماضي العريق في ظل حضاراتنا الكبرى. وأحببتُ الشاعر سليمان الفليّح إنسانًا مناضلًا، ومثقفًا واعيًا، وشاعرًا ملتزمًا بقضايا أمته. وعاش في وجداني، وما زال نابضًا في كياني بصور إبداعية وإنسانية.

***

علام الشعر في الكويت: سليمان الفليّح

الانتماء لشعراء الحرية والرفض والنضال

بقلم: علي عبدالفتاح [83]

سليمان الفليّح وجه طالع من رمال الصحراء يغني نزيف الألم، وإشراق الصباح بعد ليل مظلم. سليمان الفليّح شاعر يركض وحيدًا على حافة الشمس، ويمشي على خناجر من لهب ودموع، لا يعرف سوى الكلمة الشجاعة الجريئة التي تثير الأشياء، وتتحدى الفساد والفوضى والضياع في المدن الكبيرة.

***

في تجربته ثراء روحي ورحاب نفس، تتمزق من أجل أطفال الأمة وجراحات الوطن. وتلك بعض جراح هذا الشاعر تنساب على الصفحات... فمن يوقف نزيف الدماء؟؟

تجربته نثرية:

(83) - 1 سبتمبر 1993 . علي عبدالفتاح ، شاعر وناقد وصحفي مصري ، يعمل في وزارة التربية - الكويت منذ عام 1977 وقد كتب أول مقالاً في الصحافة الكويتية عن الشاعر سليمان الفليّح رحمه الله

سليمان الفليّح صوت شعري اخترق الأفق الشاسع، وأكد أبعاد تجربته الشعرية خلال فترة حاسمة من تاريخ الأمة العربية، بدأت بهزيمة 1967م، وانتهت بغزو الكويت عام 1990م، واتفاقيات السلام الشامل مع إسرائيل.

بدأ الشاعر كتابة قصائده منذ نهاية الستينات، وأصدرها في ديوانه الأول عام 1979م بعنوان "الغناء في صحراء الألم". وقد تشكّلت تجربته منذ هذا الديوان بالتمرد على الأوضاع العربية البائدة، وحالة اللا سلم واللا حرب، وضياع الأراضي في حرب خاسرة، وانفلات القيم والمعايير التي نشأ عليها الشاعر، ليواجه الخراب في المدن الموبوءة، وانفصال الإنسان عن تراثه وقيمه الأخلاقية الحالية والمثل العليا.

وإذا كانت الأمة العربية قد خاضت حرب أكتوبر 1973م لتعيد للعالم أسطورة الجندي العربي وحقه في استرداد الأرض السلبية، وإقامة العدل بقوة السلاح، وعودة الحق إلى أصحابه، فقد تحول الموقف إلى اتفاقيات سلام، ذهب على أثرها أول رئيس دولة عربية إلى القدس ليجري مباحثات وقف الحرب بين مصر وإسرائيل عام 1979م.

ولعل المناخ العربي لم يكن يتوقع هذه المفاجأة التي واجهت الرفض والغضب، ولا سيما أن دماء الشهداء العرب في الحروب لم تكن قد جفت بعد. أما الآن، في عام 1994م، فقد تبدلت الأحوال وتقبل الضمير العربي مفاوضات السلام

مع إسرائيل دون ضوضاء أو غضب. وكل هذه الأحداث لا شك أنها أيقظت في ضمائر الشعراء الصادقين المؤمنين بعروبتهم وقوميتهم ودينهم الإسلامي أفكارًا كثيرة وردود فعل وانفعالات متباينة، ظهرت آثارها في قصائدهم وكتاباتهم الكثيرة.

***

الشعر والحرب:

عاش سليمان الفليّح في وجدان قومه، يستشرف أفكار المستقبل القادم من خلال مشاركته في حروب الاستنزاف على ضفاف قناة السويس في عامي 1971-1972م، وهي الفترة التي تميزت بالنضال والصمود في مواجهة الحرب مع إسرائيل.

وهناك تعرف على حقيقة الجندي العربي، ولحن تنهداته في ظلام الليل، وحلمه بالحرب وتحرير أرض سيناء المغتصبة أمامه، ولم يكن يقوى على إطلاق رصاصة واحدة، فلم يكن هناك إلا الشعر والقصيدة، وحديث الحرب مع مجموعة من المثقفين والمبدعين الذين التقى بهم سليمان الفليّح في مدن السويس وفايد والإسماعيلية، ومنهم الراحل أمل دنقل. في تلك السويعات التي يختلسها الشاعر من الجبهة، كان يمضي فترة على مقهى ريش يتجاذب الحديث مع مجموعة كبيرة من الشعراء والأدباء والمثقفين حول الحرب والشعر والتعتيم

الإعلامي على بعض الشعراء الثائرين الرافضين لموقف النظام المصري من قضية الأرض والحرية.

***

شعراء الالتزام:

وفي مقهى ريش أيضًا اقترب سليمان الفليّح من الشاعر الثائر نجيب سرور، واستمع إلى أشعاره وأعماله المسرحية، وانفتحت أمامه صورة كبيرة على حقيقة الحياة التي يعاني فيها المبدع الملتزم ببلاده وقضاياها الوطنية والقومية.

ذلك، جلس على هذا المقهى نجيب محفوظ ومجموعة كبيرة من الشباب الظمآن إلى ما يطفئ لهيب الحسرة وأجيج الثورة في دمهم والرغبة في الحرب والنضال.

وفي تلك الفترة، قامت مظاهرات عام 1979م تطالب الرئيس السادات بالحرب وعدم التباطؤ وإضاعة تفاصيل القضية، وقد رددت الجماهير قصائد أمل دنقل ونجيب سرور وأحمد فؤاد نجم، ونشرت مجلات الحائط قصائد أخرى كانت تتداول سراً بين الطلبة لمحمد يوسف وأحمد عنتر مصطفى وأحمد الحوتي وأحمد سويلم وحسن فتح الباب وحسن توفيق. كما كتب الأدباء الشباب عن قصيدة "الأرض الخراب" لتوماس سترن إليوت، وقصائد ثورية من الأدب الروسي لشعراء بارزين مثل "ماياكوفسكي، وليرمنتوف، وماكسيم غوركي،

وميخائيل إيســاكوفيسـكي"، وكذلك قصــائد شـعراء الأرض المحتلة ومن أهمهم محمود درويش وتوفيق زياد وسميح قاسم وعبد الرحيم محمود وغيرهم.

***

البحث عن جذور:

ذات سليمان الفليّح في هذا العالم الملتهب بالإبداع والفكر المحترق بنار الهزيمة، واختزنت في ذاكرته الصور والشموس المضيئة، وشعر بالتواصل الطبيعي مع قومه وإخوانه ســواء في مصــر أو الكويت أو الدول الأخرى، واتســعت الرؤيا أمامه وامتدت المســاحات لتصــبح قضــيته هي صــحوة هذه الأمة والحفر في باطن الصحراء للبحث عن الجذور والآمال لنحدد اتجاهاتنا ومواقفنا.

إلى جانب ذلك، ثقافة الفليّح التي أضاءت في كيانه النزعة الثورية والرغبة في تغيير الواقع، حيث قرأ في الشعر الجاهلي وتوقف أمام شعراء الصعاليك عروة بن الورد، والشنفرى، والسليك بن السلكة، والحطيئة، وتأبط شراً، وكذلك اهتمامه بموقف شعراء الرفض والالتزام الواعي برسالة الشاعر بين قومه، فكتب إلى نجيب سرور قائلاً:

"تأخرت عن " ريش " هذا المساء الرمادي ماجئت

كانت سماء المدينة

رصاصية مثل أحزاننا والغيوم

تؤرجحها الريح مجنونة بإتجاه اليمين

لتصفع فيها غصون الشجر.

***

الشاعر الإنسان:

وحين يطيل غياب الشاعر نجيب سرور، يتلفت الشاعر سليمان الفليّح بحثًا عن هذا الإنسان الذي يحلم برغيف خبز للفقراء، وشمعة تضاء في ظلام الهزيمة، وينشر إبداعه الشعري المسرحي في ثلاثيته: ياسين وبهيه وآه يا ليل يا قمر ويا ليل يا عين، كفاح الإنسان ضد الغزاة وقدرته على محو الباطل وإثبات الحق. فيراه بين الألوف يمزقه الهم والاغتراب فيقول له:

"ستلقاه بين الألوف التي فوق أي الجسور تمر

حزينا يمزقه الهم والإغتراب

وحب التسكع طول العمر".

***

رحيل المغني:

قدر رحل أمل دنقل ونجيب سرور وخلفا وجدان سليمان الفليّح، نبتة أينعت وناضلت، أصبحت شجرة كثيفة تتصدى للريح والرمال والقيظ والغبار، ولا تنحني أغصانها إطلاقًا. وربما كان هذا المعنى الذي ينعاه الشاعر الفليّح يتألق فيه وجه أمل دنقل فيقول:

"كان يبكي كلما جفّت لعقم الغيم في الأفق سحابة

ويرش الأرض دمعاً.. من شآبيب الكآبة

ويغني كل ليلة

كان يهوى الأرض والإنسان، والبدر المدلّى فوق بابه

والربابة

والقبيلة

كان يقضي الليل مهموماً يغني في لياليه الطويلة

من أغانيه الجميلة

للقبيلة، في القبيلة، بالقبيلة

لجديلة

داعبتها الريح في رفق وأنّت

كأنين القوس في جيد الربابة"

***

شعر الصعاليك:

تأثر سليمان الفليّح بشعر الصعاليك ودائمًا يرتدي قناعهم ويتحدث بأصواتهم في توجيه النقد الاجتماعي اللاذع لمظاهر الحياة الحديثة ولذلك لنا أن نعتبره أحد صعاليك هذا العصر في خروجه على القيّم السائدة في المجتمع وهي القسم المادية والحسيه وتقدير الجانب الشكلي في الإنسان وعدم الاهتمام بالأحاسيس والمشـــاعر والطاقات الإبداعية والفكرية فالمجتمع الحديث قد نقض عن ذاته قيّم الصحراء القديمة، وتحولت الخيام إلى عمائر شاهقة وجد الإنسان نفسه داخلها غريبًا لا يشعر بالانتماء الحقيقي إليها.

فقد جاء هذا التحول بصــورة ســريعة بعد اكتشـــاف النفط في دول الخليج وتطورت أدوات الحياة من مجتمع من مجتمع صـحراوي قبلي بسـيط يعتمد على البحر في أكثر موارده إلى مجتمع حضـــاري قائم أحدث أجهزة العلم ومخترعات الغرب وهيمنة التقنية والتكنولوجيا الحديثة.

فكيف يجد الشاعر ذاته في هذا التغير الغريب؟ ولذلك يصف رحيله الى هذه المدن الجديدة قائلا:

"توضأت بالرمل عند ارتحالي

تزودت بالتمر والنفط ، كانت طيور الجزيرة

رفوفاً مع الغيم والشمس تأتي

رفوفاً

رفوفاً

إلى واحة السدر عند الظهيرة

وكانت غيوم من القطن تندس فيها الطيور

مبللة تنحني فوق رأسي

تمارس هجراتها المستديرة

توقفت. قلت: ارتحالي طويل ،

تفيأت ظلي ونمت

وعقلي تفيأ ظل الشجيرة".

***

صعلوك المدينة:

وإذا كان الصعاليك هم الجانب المتمرد على أوضاع تقاليد قاسية، وحملوا السيف لإعادة التوازن الاجتماعي لحياة خلت من الموازين والمقاييس، فإن

سليمان الفليّح يستشعر نوعًا من غياب هذا العدل، وسيادة الظلم والقهر على الأمة العربية. فما زالت هناك شعوب تعاني من سيطرة المحتل الدخيل، وشعوب تموت أطفالها من الجوع في إفريقيا، أو مصر أو بيروت، أو الدول التي جثم على أنفاسها أنظمة الطغيان والفساد.

الصعلكة تعني الفقر والإغارة والمشاغبة. فقد كانت هناك طوائف في الجاهلية ينهبون القوافل، ويغيرون، ويخطفون، ويسرقون، ثم يعطون الفقراء. فهم كرماء، يضرب بهم المثل في الجود والكرم، لأنهم لا يستأثرون بالغنائم وحدهم، وإنما يعتبرونها وسيلة للبذل والعطاء وإنصاف المحتاجين من أهوال الأغنياء والبخلاء. إلى جانب اتصافهم بالشجاعة والنبل في الأخلاق والفروسية والبطولة، فإن هؤلاء ثاروا على القبائل وخرجوا على التعاليم والنظم القائمة ليحققوا وحدهم قانون الصحراء في التوحد النفسي والروحي مع أبناء هذه الصحراء، وإغاثتهم، والنضال من أجلهم.

***

وجه التمرد:

يعدُّ سليمان الفليّح الصعلوك المعاصر بما يتميز به من حدة غضب وانفعال صارخ داخل قصيدته، حيث تبرق وتصبح سيفاً للعدل والتقدم والسلام. تُعَدُّ القصيدة أداة للفعل الثوري والتغيير والنقد العنيف للشعر، حيث يتمرد على

هذه النظم ولا يعترف بما يســـود المجتمعات من ثقافات تافهة وحروب طاحنة بين الأخ وشـقيقه، وعداء بين المثقف وذاته نتيجة إحسـاسـه بالتناقض في فكره وحياته.

يميل الفليّح إلى الصدام مع الواقع والصراع، مُفرداً بقصيدته في وحشة المدن الحجرية وألفة الصحراء، وقسوة المدينة ووداعة الشجر في الرمال الناعمة.

إن معاناة الفليّح تصـل إلى أبعد من ذلك، تتعمق لتسـتشـعر الخوف من هذه البنايات الشـــاهقة، والســـيارات الفارهة، ولعب الأطفال الآلية، والزحام الهائل على أحداث المنتجات العالمية التي لم نشــارك بعرقنا في صـنعها أو حتى التفكير فيها. وهذا التكالب على الغرب الأجنبي واسـتيراد أفكاره ومظاهره وأسـاليبه في الحياة من خلال وسـائل الإعلام والأقمار الصـناعية، بحيث تجتمع دول العالم في مخدعك كل يوم، ســواء رغبت أم لم ترغب. لم يُضــف إلى الإنســان العربي إلا مزيد من التعاسة والتفاهة.

سليمان الفليّح لا يطمئن الى هذه الوسائل القادمة من الغرب الأجنبي يتخوف من توحش المدينة والإفراط في الترف والدعة، بينما هناك في أراضي أخرى من يجاهد ويكافح الفقر والمرض والأوبئة والمستعمر كما يحدث في البوسنة والهرسك وفلسطين والتفرقة العنصرية في جنوب أفريقيا والجدب والموت في مناطق أخرى من العالم.

يدرك الفليّح أن قضــيته لا يحدها حد او تحاصــرها حدود إقليمية، إنه مهموم بالإنســـــان وطموحاته وتطلعه الى غايات أكثر إشــــراقاً وحياة جديدة يخلفها بذاته، يزرعها بسواعده وينتج ويزرع ويصنع ويحقق إنجازات كبيرة بجوار ما يحرزه الغرب من تقدم هائل في كافة فروع العلم والمعرفة.

***

ضد من؟

وينطلق الفليّح بعيدًا عن المذاهب والمعتقدات التي خضــع لها بعض الشــعراء، مثل الماركسية والعدمية والفوضوية والاشتراكية والميتافيزيقية، فهو بفرديّته وتوحّده مع مبادئه، وانتمائه لشــعراء الحرية والرفض والنضـــال، وللشــعراء الصــعاليك، يشـكّل مدرسـة قائمة بذاتها، قوامها الانفجار في وجه الخونة والمرتزقة والسـفهاء والأوغاد، وأصــحاب الشــعارات المزيّفة، وطغاة العصــر، والتافهين، والمنافقين، وأدعياء الشعر، ولصوص العصر الذين يمتصّون عرق الشرفاء وجهدهم من أجل حياة كريمة، في هذا الشرق الذي يصفه الشاعر ويقول عنه:

"هذا هو الشرق

قبر يرفرف في الريح فوق الجبال

خريف يعصف بحقل من الورد

أشجار ترفع شعرها الأخضر، وترقص في العراء

ظباء تبحث عن ماء في الصحراء."

***

"هذا هو الشرق
مضارب من الرخام الأسود
نياق اليكترونية يحرسها رعاة آليون
أعراب يعدون القهوة بالطاقة الشمسية
صقور يدربها قوم غرباء بواسطة الرادار
قطعان ترعى نفايات ذرية
أجهزة لا سلكلية لغزل النسوة
جراء تنبح بالتلفاز"

بصوت خليجي متميّز

بقلم مسعد اسماعيل[84]

واحد من أهم أقدار الشاعر المعاصر أن يصرخ في وجه الدنيا، ويحوِّل الكلمات إلى رصاص يتناثر فوق رؤوس البشر ليوقظهم، كي يتغيّر وجه العالم. فلم يعد مطلوبًا أن تتمازج موسيقى الأوزان الشعرية مع رنين الكؤوس في مجالس السمر والطرب، كما لم يعد من خصائص الشاعر أن يدغدغ حواس الراقدين على شواطئ بحيرات الأحلام، فنحن في زمن لا يطربه إلا الدم.

وعندما يخرج شاعر من رحم البادية، مؤصَّلًا بما غنى عن الذكر والإفاضة من خُلُق ومنزع، ليجابه الحياة العصرية التي يختلط فيها صوت القنابل بموسيقى الجاز، وأنين الجرحى برنين الكؤوس، ولون الدماء بحبات هذه المجابهة؛ فإن الحصاد هو الشعر الذي يكتبه هذا البدوي على رمال صحراء الألم، فيكون وثيقة إدانة لهذا العالم، لا تستطيع كل رياح العالم أن تمحوها. الشاعر سليمان الفليّح، كويتي، ينسج قصائده

- مسعد إسماعيل (1946-20015) كاتب وناقد مصري عمل في عدد كبير من الصحف داخل وخارج مصر، كما عمل مذيعا بالتلفزيون الإماراتي، وأنهى رحلته مع الصحافة المصرية في جريدة "اليوم السابع" بالعمل في قسم الديسك المركزي والمراجعة التحريرية.

مـن واقـع تكوينـه الـذاتي، الـذي تحتـل الباديـة مسـاحات... واسـعة منـه، إنّـه يحـنُّ بالفطـرة إلى حيـاة الباديـة، ويتـذكّر بعطـفٍ لا يُخفيـه، ومـودّةٍ لا يتـبرّأ منهـا، جـزءًا مـن حيـاة الغجـر علـى الحـدود السـورية التركيـة. فهـو فطـريُّ المنـزع، بـدويُّ النشـأة، يحـتفظ للباديـة في قلبـه بخارطـةٍ تـتراءى تضاريسـها بين حروف وكلمات قاموسه الشعري.

والديوان الذي نعرض له اليوم هو ديوانه «الغناء في صحراء الألم» الذي صدر في الكويت العام الماضـي. ولأن سـليمان الفليّح يعيش واقع التحولات العربية بصـفة عامة، والخليجية بصـفة خاصـة، فإن رؤيته الشـعرية لهذه التحولات تأتي صـادقة إلى حد بعيد، عاكسـة هموم وقضـايا جيله الذي يهدي إليه الديوان. وابتداءً من القصـيدة الأولى في ديوانه، يُحبذ القيام بدوره كشـاهد على عصـره وتحولاته، بخيرها وشرها:

"ورأيت الليلة يا أمي خيلاً برؤوسٍ مقطوعة
تغزو قومي
ورأيت امرأة فوق البيرق مرفوعة
تهتف باسمي
عارية يغسلها الدم
ورأيت غيوماً راكضة فوق مضاربنا قانية اللون

ترش رجال قبيلتنا بمياه النار وروح السم".

هكذا يبدأ سليمان الفليّح غنائه في صحراء الألم، بنبوءة شاعر، أو كما أسماها (توجسات في الزمن الفاسد)، حيث يغني ألمه ومرارته في حلم كابوسي أو حلم موحش، ولكنه حتمٌ واعٍ متيقظ، لا يترك الشاعر في دورٍ كمنبّه ومنذِر، ومتنبئ بالنتائج استدلالًا بالمقدمات:

"ورأيت المدن الكبرى تركض عبر سراب البرّ
يتعقبها الخوف المتعب
ويطاردها المرض المرعب
ويفتتها حجراً /حجراً ، شيطان الوحشة والشر"

وسليمان الفليّح شاعر يجيد استخدام أدواته الشعرية بحكمة واقتدار، فإيقاعاته المتلاحقة، وصوره الجزئية والمركبة، ورموزه التي قد تشفّ أحيانًا وتغمض أحيانًا أخرى، وكلماته المسنونة بذكاء، كل ذلك يوظفه لخدمة البناء الشعري، ويساهم تمازج القوافي المتنوعة والمتكررة في جعل القصيدة تبدو وكأنها موقف حادّ يقفه الشاعر من نفسه ومن عالمه، ولا مجال.

لديه التراجع عن هذا الموقف، وفي نفس الوقت فهو قادر على ربط المتلقي به إلى درجة موافقته عليه.

وللصحراء النصيب الأوفر في قاموس سليمان الفليّح الشعري، ففي قصائده انفساح الأفق، وكثبان الرمال، والرياح، والحنظل البري، ولهيب الشمس، والظمأ، والسيف، والقبيلة، والنجوم، والصهيل، وما إلى ذلك من مفردات حياة البادية التي تشكّل جزءًا من لغة وصور ومشاعر سليمان الفليّح. وهي في الوقت نفسه الوطن الذي يهرب إليه لينجو بروحه من تمتمات المدن وجهامتها:

"في روحك اهرب يا وطني

من زيف المدن الموبوءة"

ويرصد سليمان الفليّح التحولات الحضارية التي شهدتها منطقة الخليج العربي قبل وبعد اكتشاف النفط، من خلال متابعة شعرية ذكية لحياة أحد حُدّاة الإبل. وفي القسم الأول من قصيدته «تحولات الخبل الوين» التي يهديها إلى جيله (جريجي المضارب السوداء)، يتذكّر سليمان الفليّح وجه ذلك الحادي البدوي الذي يخدر العطاش في الصحراء بحداء يشبه إيقاع الموال:

"أذكر إذ أوغل في ذهني

وجهاً بدوياً محروقاً،

صلباً.

كجمود التمثال

يركض خلف الإبل العطشى

يحفر آباراً وهمية

تبعد آلاف الأميال

نقطعها بعيون الموتى

نمشي أياماً وليال.

إذ كنا نبكي من ظمأ

يعصر أكباد الأفيال".

ثم ينتقل سليمان الفليّح عبر بوابات الزمن الخمسينات إلى الستينات، حيث يتغير الزمن:

"وتجيء سنين المحل المرعب

ويجيء الفقر القتال

يحصد إبل البدو الرحل

يحشرهم للمدن الكبرى

فامتهنوا كل الأعمال

فنسينا آلام الدنيا

وطوينا كتب الأجيال

وقرأنا في الكتب الأخرى

وشغلنا " تجميع " الأموال!!

وفي السبعينات، ينهي بنا سليمان الفليّح إلى وصف الحال التي صار إليها ذلك الحادي، فيُبيّن كيف توجّه إلى إحدى شركات النفط ليكتب مقالًا عنها:

وعلى سلمها أوقفني.

عانقني رجل الأعمال

فذهبت أقلب ذاكرتي..

من هذا؟. إني أذكره

فأستيقظ فيها الموال

«وضحا وسنامه عال

وردت على أم وعال»

كان (الخبل الزين)

سعيداً.

مسروراً.

مرتاح البال

حدثني عن سر الدنيا

ومضى تشغله الأعمال.

وقد أطلت في اختيار المقاطع من القصيدة لأنها تحكي واقعًا خليجيًا، فلها أهمية خاصة في إبراز الطابع المحلي للحياة في هذه المنطقة من العالم العربي، خاصة في فترة التحول من زمن الغوص والتجارة إلى زمن النفط.

ولا يعني هذا أن اهتمام الفليّح يقتصر على القضايا المحلية والإقليمية فقط، بل إن اهتمامه بأحداث وطنه الكبير واضح في عدة قصائد تضمنها الديوان، منها قصيدته «معزوفة الجنوب» التي تقطر حزنًا على جنوب لبنان، وتفيض ثورة على من يتاجرون بالحرب والدم في هذا الوطن:

"وعلى بقايا الهيكل العظمي للعز القديم

شاهدت أطفال الجنوب، يتساقطون كما الزنابق

يشوون من أجل الكلاب القادمين مع الجنود

الرابضين على المفارق

ورأيت أعواد الزهور المائسات مع الغروب

تغدو جذوعاً للمشانق.

فيقدر رقة حزنه على الأطفال والدماء التي تسيل هناك، فتبدو كلماته المسنونة كحراب موجهة إلى صدور الخونة وتجار الحروب وثوار الفنادق كما يسمّيهم، دون مواربة أو لجوء إلى رمز.

وكما يتألم الفليّح لأطفال الجنوب، يتألم أيضًا لوفاة الشاعر نجيب سرور. ويبكي فيه صوتًا شعريًا حادًا كان ينزع القناع دائمًا عن وجوه الذئاب، ويعري زيف العصر دون خوف، ويغرس كلماته حرابًا في جسد الظلمة. ويحلم في الليل –كما يحلم الفليّح – بعيون بهية وعين الشمس. وحين يرثيه الفليّح، فإنه لا يرثي شاعرًا وصديقًا فحسب، بل يرثي مدينة وواقعًا:

"تأخرت عن " ريش "
هذا المساء الرمادي ما جئت
كانت سماء المدينة
رصاصية مثل أحزاننا والغيوم
تؤرجحها الريح مجنونة باتجاه اليمين
لتصفع فيها غصون الشجر".

صحراء الألم على ما يشبه صوت نجيب سرور وطريقته الشعرية في الحوار مع النفس ومع الآخرين، إلا أن هذا ليس مجال بحث في هذا العرض. رغم بعض الهنات العروضية واللغوية في الديوان، إلا أنه يمثل صوتًا متميزًا بنكهته المحلية التي تبرز وتهتم وتعالج أهم القضايا الخليجية، ومن أبرزها تلك التحولات الاجتماعية والنفسية لمواطني المنطقة بين عصري الغوص والنفط، متمثلة في قصيدة (الغزو) و(تحولات الخبل الزين) و(عن موت المغني) وغيرها..

***

الفليّح غنى في صحراء الألم

دون أن يسمعه الآخرون

بقلم: فيصل السعد[85]

لا شك في أن الصراخ غير المسموع يرسخ في عمق الإنسان الذي يعي أن لا قيمة لصراخه عند الآخرين. صحراء موجعة مجدبة، لا تنزف إلا الجفاف.

وحين نتهّم الذي اعتاد الصراخ بالذاتية والتقوقع، فإن رد الفعل الحقيقي يكون تهمة موجهة لنا تؤكد صـــممنا، وأغلقنا أبواب الســـمع بوجه الصـــراخ المذكر بالوجع، الســبات، التلون. وهذه الحقيقة الممارســة منذ قرون أثمرت ســـليمان الفليّح ليضـــيف حروفه إلى حروف الآخرين الذين اتهموا – جزافًا – بالابتعاد عن دائرة الآخرين. الصــحراء عند الفليّح تعني الصــمم، الجدب، التيه، ولذلك رسم – «الغناء في صحراء الألم» – أسماء مجموعته الشعرية الأولى.

وأدرك الشــاعر أنه يمثل جزءًا من حالة تشــاطر، مارســها الذين امتنعوا الوعي وحاولوا العبور إلى الحقيقة، ولذلك أهدى مجموعته إلى جيله... هذا المغني في

– فيصل عبد الحسن محيي السعد ، ولد عام 1942 في العراق. ، أكمل المرحلتين الابتدائية والإعدادية بالعراق، وأكمل المرحلة الثانوية في مصر، ثم التحق بجامعة بيروت العربية ولكنه توقف عن الدراسة بعد الفرقة الأولى. عمل في الصحافة لفترة تجاوزت العشرين سنة،

صحراء الألم. وقد عايشت هذا الشاعر كما عايشته للآخرين، أحيانًا كان بعضي، وفي أحيان أخرى كان كلي، كما أني أحسسته في أحيان أخرى بأنه لا يمت لي بصلة، ولكنه يظل الفليّح الذي رأى غرابًا كبر الليل، ينعق حوله، ويدور كثيرًا حول الخيمة، يتغافله، ينهب طفلة، ويكمل قصيدة «توجسات في الزمن الفاسد» ويقول:

"ويطير بعيداً، يتركني
أتمرغ فوق الرمل الأسود
أفقد عقلي
ورأيت أسوداً تزأر همس"

أعتقد أن الأسود رآها أو أحسّها سليمان تزار همسًا، تعني توأم الشاعر، تعني الفليّح الباطن، ذات الشاعر المتخضبة والمختلفة تمامًا عن مضمون الشاعر الحياتي الذي نحسه فيه كالآخرين:

"يا أمي كابوس هذا أم وهم ؟!
أم شيء آخر يأتيني أم
هذا الأرق الموحش حلم ؟؟!

الفليّح بهذا، رغم إدراكه أن ما يحســـه لا يعني أكثر من لكزة ذاتٍ مذكرة لصاحبها بضرورة الالتفات قبل البدء بالخطوة المقبلة. وفي قصيدة «الصهيل في الزوبعة» يحدثنا الشاعر ويقول:

"وفي غمرة الحزن في ذات ليلهْ
من العمر كان انتهائي يجيءْ
رأيت الحصان الذي أسرجته القبيلةْ
وحيداً مع الريح يأتي
شهاباً يضيء"

وفي مخلوقات الربع الخالي يقول الفليح:

"رش بعيني ضوء القفر
وعلى الضوء رأيت طيوراً نائمة
فاجأها البرق وأفزعها
فأنتفضت رعباً لتفر"

وفي قصيدة تحولات الخبل الزين يقول الفليّح:

"أذكر في أعوام البدو الرحل نحو الشجر النامي عبر الآل

وسياط الشمس تقرحنا ببقايا تلك الأسمال

يشوينا الرمل فلا نخشى

أشباح الموت البرية..."

الستينات:

"وتجيء سنين المحل المرعب

ويجيء الفقر القتال

يحصد إبل البدو الرحل

يحشرهم للمدن الكبرى

فامتهنوا كل الأعمال."

ثم تأتي تصريحات طيور العصر مؤكدة ما نحن بصدده، وهو أن الشاعر لا يزال ينزف أنينًا ينتمي إلى بئر واحدة، ويحاول هذا الأنين أن يوخز أذهان الآخرين، ويخترق أجدَرها، من أجل أن يضيء العتمة التي كادت أن تتكلس في الداخل.

ومادام صدى هذا الصراخ هو رافع الحاجب استغرابًا من هذه اللغة وتساؤلات عما يعنيه الشـــاعر، فإن الفليّح ســـيظل داخل دائرته، راسمًا له العالم الذي نجد

خطوطه في كل قصــيدة من قصــائده، رغم اختلاف المواضــيع. إذ إن الوضــع الذي يعاني منه الشاعر يظل يترقّب صاحبه ليفرض نفسه على حروفه في لحظة الكتابة.

وأريد هنا أن أجزم بأن الفليّح والشـــعراء الآخرين يكتبون بلغة جيلهم الذي تناســـى لغته، وحاول أن يتدفّأ بغلاء آخر لا يمت إلى ذاته بشـــيء. إن روح الشاعر تصرخ، وأوديته تصرخ، ولياليه تصرخ، بحثًا عن صدى صراخه، ولكن سيظل هو وحده من يعيش عالمًا آخر:

"أسمع في مرتفعات الروح نعيقا
يصدر عن بوم مشئوم
يصرخ في وادي الأيام
أتشاؤم , أقرف , أصمت
أنزف أفكارا قاتمة
أخلع أردية الأحلام."

***

سليمان الفليّح في «ذئاب الليالي» جدد البيعة للانتماء الصحراوي، وأعلن العشق للحياة واضحًا رغم الوجع!

بقلم: محمد حسن مصطفى[86]

لعل ظهور ديوان جديد للشاعر سليمان الفليّح يكون بمثابة الرد العملي على الذين يتساءلون عن الشعر والشاعر: أين؟ كيف؟ متى؟ وإلى آخر هذه التساؤلات المحبّة ربما، والمتعطشة أيضًا، والتي ارتبط أصحابها بالود والتواصل مع هذا الشاعر الذي استطاع أن يشكّل ذاته وإبداعاته في كينونة واحدة، وأن يكون هو داخل القصيدة وفي مضمار الحياة، يمارس كل انطلاقات الشاعر ووجدانياته، ويخلق منهما معًا عالمه الخاص.

والذي تنفك منذ البداية عن أن كل منهما شيء واحد لا ينفصل، وهكذا كان. ويأتي مجيء المجموعة الجديدة أيضًا متلاحقًا مع نشاطات سليمان الفليّح في الحضور الأدبي الدائم بين زملائه وتلاميذه ومحبيه في رابطة الأدباء، ومشاركته في نشاطات المناقشات الأدبية واللقاء الأسبوعي، مما زاد من لهفة محبي "سليمان" لقراءة ومتابعة أعماله الجديدة وأن يجدوا السؤال له إجابة! ولقد

– محمد حسن مصطفى سالم ناقد وشاعر مصري عمل في الصحافة الكويتية لسنوات عدة ، و كتب المقال السياسي والأدبي في العديد من الصحف المصرية والعربية

فرحت أشد الفرح عندما رأيت سامي يحمل الديوان إلى والده المنتظر لوصول النسخة الأولى ليطلع عليها، ولم يمهلني "الفتى اليافع" وقتًا يسمح بالاطلاع، إلا تصفح بعض الأوراق الداخلية ومتابعة الغلاف المعبر الذي صاغه الفنان "حلمي التوني" بلمساته الرقيقة ورؤيته الفنية العالية.

أما وقد حان الوقت للاطلاع والمتابعة، فسرعان ما جاءت تترى هذه الاستعارات المحببة لسليمان والتي لا تخلو منها قصيدة له، ومفرداته التي تشكّل من خلالها عالمه الضارب في الانتماء للبداوة. وتجد "الولد البدوي" هو أول الاستهلالات التي يأخذنا معها الشاعر إلى فضائه ويبدأ:

"أيها الولدُ البدوي

إئتنا بالربابة

البدوي وغن لنا يا طويل البقا ما ينحي الكآبة".

إذن هي هذه النبرة الحنونة والنغمة الأثيرة، تلك "الجرة" التي يعرفها، يترك لها أن توقظ حِسه، وأن تهيم به في فضاءات مشاعره، وتعيد إليه ما افتقده، ويتمنى لو يريح الصدر المنهك، ويواصل معه:

"وتأن قليلاً بلحنك

إن السماء ملبدةٌ بالعقارب

والليل يُرخي حجابه"

وقنن للولد البدوي شروط الرحلة: "فالدهر إن كان صلباً/فليس علاجُ الصلابة إلا الصلابة."

ولماذا الغناء أيضًا:

"غن لي أيها الولد البدوي
فثلجٌ تراكم في الروح منذُ سنينَ
يريد الإذابة."

ويواصل أيضًا:

"تبارك شجوكَ
إني ثملت بهذا الأنينِ الأليف
رحلتُ لكل العصورِ
انتبهتُ لضوءِ الصباحِ الجديد
فتحتُ ذراعيَّ للفجرِ
قلت: هلا به."

ولعلّي أكون موفقًا إن قلت إنها من أجمل قصـائد الديوان، رغم الدفء الذي تبعث به كثير من القصائد، وعلى وجه الخصوص القصائد القصيرة التي حملها الشـاعر بالوجدان والتجربة، وكل ما يملكه من فهم ورؤية للحياة والإنسـان والعصر الذي نعيش فيه.

وسأترك هذه القصائد القصيرة لبصيرة القارئ وحده، دون أي تدخل قد يفسد عليه استعادة قراءتها واستنباط ما يروق له من معانيها ورؤاها. أما عن قصيدة «أمير الوحوش» التي أهداهَا إلى «مسفر» صديقه الدائم، الذئب، والذي ربط بينهما، وجمعهما معًا في لحظة مدهشة، ثم انتهى إلى ربط مصيره أيضًا بهما، ولم يرضَ أن يفترق عن صاحبه، واستحق صورة تذكارية معهما حين قال:

"كلهم في البلاء سواء
مسفر وأمير الوحوش وقلبي
كائنات تباد "

وتبدأ من حيث لا ينتهي الابتداء، تاركًا لمتلقيها أن يدرك هذا الرمز وهذه الإشارات الموحية الممتلئة بها شطر القصيدة. وتبحر مع صفحات الديوان إلى «نحت على الهواء الجاف»، وهي قصيدة تقدم الشاعر في أوضح صورة، حيث يقدم مفرداته التي جبل عليها فاعتادها.

وتجد كلمات مثل «عباءة الكون»، «بشت الحكمة»، «سماء مقلوبة»، «منخل الريح»، «سهل أزرق»، «امرأة شقراء»، «العراء الكئيب»، «ريح الرعد»، «الأبدية»، «كحل الطبيعة»، «النحل»، وغيرها من مجموعة صور وتراكيب سليمانية، لغة صحراوية، وفكر ينسل من بين قلمه ليقدم هنا ذاته بوضوح، حين يقول: «هنا أقرأ، هنا أنام، هنا أكلم النجوم، هنا أرواح مكاني». وهكذا، وليودع هذه الأشياء كلها عبر سؤال لها: هل ترغب في متابعة صياغة السؤال أو إضافة مزيد من التوضيح؟

"فإن أردت رؤيتي أيتها الشقراء

وجدتني بدونما عناء

دشداشتي الرياح

ونعلي الإسفلت

و(غترتي) السماء."

وكذلك يمضي ليؤكد انتماءه وهمّه ويقينه، وأيضًا حقيقة أنه يخوض معركة لا ليهزم، بل من أجل أن ينتصر، وتجده واثقًا:

"توجهت في ثقةٍ للضياء

التحمت به

ثم صار الضياء مداري

أقاتل ليلاً بسيفٍ من الضوء

كيف إذن لا يجيءُ انتصاري."

وأجدني أردد معه، بعد أن رأيته قويًّا وقادرًا، وهو الذي انتظر وجه (موضـــي) يهلّ، إلى أن ملّ انتظاري، فجعله اختراعه الأخير: يضـــعه قمرًا أو رغيفًا من النور، وكان الرحيل إليه قراره الأخير: "جدائل موضـــي غيم من المســـك يعبق بالعطر/ لما تجف خزامى الصحاري."

قصائده عن الأزمة:

وإذ يقدّم للأزمة الكويتية، وعنها، مجموعة قصائد تستحق أن نقف معها وقفة هامة، إذ إن التجربة لا تزال تنتظر كتابات أخرى كثيرة قادمة، كما أن الكتابة التي تُظهر اهتمامًا كبيرًا تليق بحجم الكارثة. وأعتقد أن ما قدّمه ســـليمان في الأزمة هو عزف هادئ رغم أتون الوجع، وهكذا يكون الشعر الذي استبعد كل المفردات الزاعقة والمباشـــرة، ليقدّم ربْطًا جميلاً لمجموعة من الصـــور التي تتراءى متلاحقة، تُقدّم الكويت الجميلة ونقيضـــها من أثر الاحتلال البغيض، وشـــريط الذكريات، ومع مسفر أيضًا بمناسبة التشرد.

"على ساحل البحر تمشي وئيداً

لتحمي النوارسَ من قصفهم

وتسمع أم كلثوم وهي تغني:

(الدر في بحرها.. والتبر في برها)"

وتغذ المسير

"ويواصل حتى الى ما يريد ..

لقد مات من مات

ليس المهم، ولكن

لتحيا بلادي الكويت

وشعبي العظيم

ويحيا الأمير"

ويتناولها أيضًا من خلال صورة قائده العسكري التي لمحها على التلفاز وهو يعلن صوت المقاومة، فيفرح قلب الشاعر الذي يعيش من خلال هذا القائد الكويتي ببحرها وبرّها ومنشآتها، ويرى في عيونه ما لم يره. وأيضًا يقدم في الدفاع عن شهيدة القلب قصيدة كويتية دافقة، قصيدة معبرة ولعلها أروع ما كتب سليمان عن الأزمة، ويبدأ بالسؤال من:

"من يعيد لحنجرة يقطر الدم منها أغاريدها

في الصباح العليل"

ليدخل بك إلى عالم الغزو البربري بكل أبعاده، ويجســـد صـــورةً تلو الأخرى ليقدم هذه القصيدة المعبرة: من يعيد لضم الرضيع الممزق:

"ثدي الشهيدة تلك التي

بعثرتها الشظية

فوق الجدار الذي قد أزيل."

وأغنية الطفلة الكويتية في المنفى تأتي مثل وردة جميلة مهداة إلى وجه باسم نصر، ووعد بالفرح والانتصار:

"سيأتي الشتاء، ويغسل الكويت

من درن الغزاة

ويزهر الرصيف بالعشب و(النوير)

ويرحل المحتل

في الفجر مثل الطيف"

قصائده عن الأزمة:

أما المحور الثالث في الديوان فهو في حاجة إلى دراســـة مفصـــلة حول توجه الشاعر ورحلته مع قصيدة النثر، والتي يقدم من خلالها قيمًا جمالية لا تقل روعة عن قصـائده الشـعرية، ولا تخلو من تراكيب "سـليمانية" جميلة أيضًـا لها تجريبية الطرح والربط فيما بينهما على أفق جديد.

الغناء في صحراء الألم

رحلة العناء من صحاري العذاب إلى مدن الخوف

بقلم: محمد حسن الحربي[87]

الغنـاء في صـحراء الألم» هـو الـديوان الأول للشـاعر والصـحافي الكـويتي سـليمان الفلـيّح، صـدر عـن مؤسسـة دار السياسـة بالكويـت، ويحتـوي الديوان على 18 قصيدة.

الفليّح ليس شـاعرًا متطفلًا على مملكة الشعر، وعدم انتشـار شعره إنما يعود لظروف لا تزال تشـكل عائقًا أمام التعريف بالأدباء، خاصـة في منطقة الخليج. ورغم ذلك، لم يبخل الشـاعر بإنتاجه، واسـتطاع تجاوز كل المعوقات، والتي كان العامل المادي وعدم وجود من يحتضـن المواهب الشـابة في بداية طريقها أسـاسًا لها، حتى ظهر ديوانه الأول بعناء. واسـتهله بكلمات قليلة تشـير إلى عنوان المجموعة، تقول: «إلى جيلي... هذا المغني في صحراء الألم».

- محمد حسن الحربي: عمل في مواقع صحفية واقتصادية عدة في الإمارات ودول الخليج، يحمل شهادة الماجستير في الصحافة والإعلام، وله عدة مؤلفات في الإعلام، والتعليم، والأدب، والدراسات النقدية. له مشاركات في المؤتمرات الإعلامية، والمهرجانات الفنية والأدبية العربية والأجنبية. نشرت له مقالات سياسية، وبحوث إعلامية واجتماعية وأدبية في مطبوعات عربية

ولكن الشاعر، بدوي المنشأ والأصل، فقد حمل بيئته في قلبه بأمانة وإخلاص، وعبر عن رفضها المساومة وأساليب التدجين الحضرية تحت كل الظروف والضغوط العصرية التي تحاول استئصال البراءة والصدق الفطريين اللذين يتمتع بهما البدوي.

الفليّح، في ضوء هذه المعطيات، يمثل البدوي بكل صلابته، ويتضح هذا من التصاقه الشديد بالصحراء ودلالاتها ورموزها، فهو لا ينفك يتحدث عن المضارب والإبل، صهيل الخيل، الكلاب المسعورة، الربابة، دلال القهوة، والريح العاصفة، حتى إنه أحياناً يذكر هذه الأشياء مجتمعة في مقطع واحد من قصائده:

"وحلمت الليلة يا أمي برياحٍ تجتاح المرعى
تقمع خيلي
تطرد إبلي
تجلدني علناً بالأفعى
تربطني خلف مضارب قومي
تسقيني إذ أعطش دمي".

والشاعر ينقل القارئ في لحظات من عبث المدينة وزيفها، ليضعه في وسط الصحراء تحت ضوء القمر، على الرمال بين (العرفج) و(الأثل)، أو تحت بيت من الشعر كما في قصيدته «مخلوقات الربع الخالي»:

"وهنالك من شرفة قلبي، دخلت قافلة قادمة

من جزر " العرفج " و" الشيح "

يركبها بدو عرفوني، جاؤوا من عاصمة الموتى

فأناخوا النوق على قبري)

واعتصموا في قبة قلبي

ضد رمال الربع الخالي، والزمن الداجن، والريح".

سياسة دون المعركة:

البدوي –كما يرصدُه الشاعر – في المدينة غريب، ويشك في مجتمعنا الذي لا يقبله، فهو ينظر إليه كأنه قادم من عصـــر التخلف بأسماله البالية ووجهه الذي شقق جلده الشمس والريح، فينطوي على نفسه ليجتر أمجاده بحزن.

أناس المدينة عنده كالكلاب المسعورة التي تجوب بين المضارب وتفرغ الصهيل من جوف الخيل، والصـــهيل عند الفليّح دلالة على محاولة الارتقاء، ورمز

للطموح. ولكن هل يقتنع مجتمع المدينة الصاخب بأن الذئاب قادمة تريد شرًا بالبلاد؟ فهو يقول في قصيدته «الصهيل في الزوبعة»:

"صهيل مع الريح يأتي .. وكانت خيول القبيلة
نيامًا على بعض أمجادِها والكلاب
سعارى تهرُّ على ظلها والذئاب
تلوبُ البيوتَ الحزينة
وتفتض أنيابُها كلَّ باب"

إلى أن يقول:

"تفر الكلابُ اللعينة
تخبئُ أنيابَهَا في لحوم الخيول
تبقى كسالى هجينةْ
تفرغ منها الصهيلْ"

كانت الكلاب أيام البداوة تفرغ الصهيل من الخيول، واليوم تقف سياسة العصر دون المعركة، وهما صورتان متشابهتان. أضواء المدينة وبريقها يغريان بهجرة الصحراء، ولكن بعد الإحباط الذي يتعرض له البدوي، وتحت وطأة الشعور

بالخيبة، يعود في هجرة معاكسة ليجد نفسه وحيدًا، فيلقى مصرعه تحت الشمس، كما في قصيدة «مخلوقات الربع الخالي». ثم يخيل إليه أن الرمل الذي يضم رفات أجداده قد أخذ ينحسر عنها، لتخرج الأجساد وتبعث فيها الحياة من جديد:

"ورأيت قبوراً أعرفها تنفض عن موتاها " خاماً " مثل بياض الثلج
فهبوا وانتصبوا كغصون السدر
حملوا أسلحة في وجهي، رقصوا قبل مجيئي غضباً
لوحت إليهم بردائي
وعقالي
وقفير التمر
هدأوا
قلت: سلاما قومي
جئت إليكم أحمل دمي، وبقية أعوام العمر)."

تحولوا إلى قيود:

بين البدو والغجر قاسم مشترك هو الترحال الدائم، ويجد الشاعر نفسه المفقود في جماعة منهم، فهم يعانون من الاضطهاد مثله، فيخاطب غجرية تدعى (صلنفة):

"صلنفة.. أين الغجر؟!

أما عبروا واديك يزدان بـ " الشيح " و " الديدحان "

وحطوا عليه كتلك الطيور التي تجثم الآن"

وكما يشــك مجتمع المدينة في البدوي القادم من الصــحراء، فالبدوي بالمقابل يشــك في رجال الشـرطة والجمارك، ويرى أنهم لا يعملون من أجله، وقد تحولوا في ذاكرته إلى قيود وأسوار تشهر في وجهه حرابًا كلما قابل أحدهم.

وينقل هذه الصـورة على لسـان (صـلنفة) الغجرية وجماعتهما، المطاردين الذين تطاردهم ثلل من رجال الجمارك والجيش و(الحرس الدركي)، ولكنهم كالعصـافير في الحرش يختبئون، وتبني عليهم خيامًا من غصون الشجر.

ويرى هذا البدوي أن الطريق إلى المجد محفوف بالمخاطر، ويشــبه نفســه بزرقاء اليمامة، فهو يملك نظرًا بعيد المدى، إذ يخبر قومه بالخير اليقين:

"وقالت: آه يا قومي

لقد شاهدت في نومي

لحى تنتف

وغرباناً عداد الرمل تأتينا من الاجواز جائعة لكي تخطف

صغار النوق والموتى وجرحى الحرب و " الضُّعَّفْ "

لكن قومه لا يصغون إليه، فقد طاب لهم السكر واللهو، وغفلوا عن الخطر الداهم، فحدث عن المأساة:

"وأنتم مثلما كنتم ،سكارى
طول هذا الليل
لا تصحون من سكر
كأن النزف يسكركم
ولم يبق بكم عرق من الإذلال
لم ينزف"

ويتحد بالجرح العربي:

تكبر المأساة في قلب الشاعر ويتحد جرحه النازف بجراح الوطن العربي المحزون.. كيف يقتل الطفل؟ وكيف يقتل الشاعر؟ يموت الشاعر من يبكيه غير السماء وعيون الصبايا، حتى الكلاب المسعورة تنقطع فجأة عن النباح لأن الشاعر مات:

"حينها " رذت " سحابة
حينها ما هرَّ كلب في القبيلة
حينها خرّ شهاب مثل ومض السيف في كف المحارب

حينها رفت جديلة"

وعندما لا يجد بابًا يهرب منه ليحتفظ برأسه، راح يتوضأ ليصلي قبل الرحيل الأبدي ويتزود:

"توضأت بالرمل عند ارتحالي
تزودت بالتمر والنفط ، كانت طيور الجزيرة
رفوفاً مع الغيم والشمس تأتي
رفوفاً
رفوفاً
إلى ساحة السدر عند الظهيرة
تذكرت أني نسيت اصطحاب تعاويذ أمي
وحرزي ووسم العشيرة."

ويحذر قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة من أن الحقيقة لابد أن تظهر، وأن الجيل المقبل لابد أن يعثر على الأدلة. ويختتم غنائية (الأدلة) التي أملتها التغيرات الأخيرة، ويرمز بها إلى ثورة الشعب الإيراني ، متعذرًا في الوقت نفسه على اليأس الذي تملكه قبل ظهور هذا الدليل، ليقول:

"يا صديق الروح عفواً

ظهرت بعض الأدلة

هاج في الآفاق رعد

وأضاء البرق حوله

فإذا بالشعب يهتف

إن للباطل " زولة "

***

سليمان الفليّح خريج المضارب السوداء، والغناء في صحراء الألم

بقلم عايد المنّاع[88]

غالبًا ما يكون الشعر تعبيرًا عن أحاسيس الشاعر، وتكون لهذا الشعر فاعلية عندما يجيد فن التعامل مع الواقع، وتحليل الماضي، ويقارن الماضي والحاضر بالمستقبل. والشعر أنواع، منها على سبيل المثال الشعر السياسي والعاطفي والحربي، وأيضًا هناك الشعر الرمزي الذي قد يكون اللجوء إليه اضطراريًا، ولكن ليس من السهل فهمه فهمًا تامًا.

الشاعر سليمان الفليّح يجيد هذا النوع الأخير ويجيد الأنواع الأخرى، ومن خلال قراءة ديوانه "الغناء في صحراء الألم" تستطيع أن تقرأ تاريخ وواقع شريحة اجتماعية من شرائح المجتمع العربي، وهذه الشريحة هي البادية العربية، وبالذات في الكويت والجزيرة العربية والمناطق المحيطة، حيث تتشابه وسائل الإنتاج وسبل العيش. من قصيدته "توجسات في الزمن الفاسد" يقول:

".. وحلمت الليلة يا أمي برياحٍ تجتاح المرعى

تقمع خيلي

– د. عايد المناع الظفيري باحث وسياسي وأكاديمي كويتي

تطرد إبلي

تجلدني علناً بالأفعى

تربطني خلف مضارب قومي

تسقيني إذ أعطش دمي

توسعني يا أمي قمعاً."

وفي مقطع آخر القصيدة يقول:

"ورأيت عقاباً يخطف قصر

ورأيت غراباً يأكل نمر

ورأيت أفاعي في الآفاق

ترسم أقواساً قزحية

ورأيت وجوهاً في الشرفات

تلبس أقنعة شبحية

ورأيت عقولاً في الطرقات

تشرب أنخاباً ملحية !!"

ويمضــي الفليّح يحدثك عن بعض ما يمكن أن يســمى بالمصــطلحات البدوية مثل "الطنب"، وهو الحبل الذي تُربط به الخيمة، و"الواســـط" هو العمود الأوســـط الذي تعتمد عليه الخيمة. ومن قصـــيدته "مخلوقات الربع الخالي" نقتطف:

"وهنالك من شرفة قلبي، دخلت قافلة قادمة
من جزر " العرفج " و" الشيح "
يركبها بدو عرفوني، جاؤوا من عاصمة الموتى
فأناخوا النوق على قبري
و " أفاقوني " بتسابيح
وبنوا في الذهن مضاربهم
وأضاؤها بمصابيح
واعتصموا في قبة قلبي
ضد رمال الربع الخالي، والزمن الداجن، والريح."

ويسـألهم الشـاعر قائلاً لماذا جئتم فيجيبون: "ماذا يمكن أن يمنحنا الربع الخالي غير الجوع ؟! وفي زمن أطعمنا ثلجاً، وسقانا رملاً ودموع"

والشـاعر هنا يصـور وضـعًا اجتماعيًا لشـريحة كبيرة تغوص في رمال الفقر، في الوقت الذي يغوص فيه غيرها في جبال وتلال الذهب. وفي موقع آخر من ديوانه يتحدث الشاعر عن خريجي المضارب السوداء، وهؤلاء هم أبناء البادية، والمضـارب السـوداء هي البيوت (خيام) الشـعر. ويقسـمها إلى ثلاث فترات زمنية: في الخمسينات، والستينات، والسبعينات، ويتحدث بلسان جيل الفترة الأولى قائلاً:

"يشوينا الرمل فلا نخشى
أشباح الموت البرية...
يحدونا شوق التجوال...
للمدن المعدن. لحقول تنبت في الحال
لزهور الليل الحجرية. تخرج من طين الصلصال
أذكر إذ أوغل في ذهني
وتدق الذكرى في البال
وجهاً بدوياً محروقاً, صلباً. كجمود التمثال
يركض خلف الإبل العطشى
يحفر آباراً وهمية. تبعد آلاف الأميال"

ويأتي التحول في الستينات حيث بدأ الاستقرار شبه النهائي، ويتحول البدوي من البحث عن الكلأ والماء إلى البحث عن العمل وتجميع الأموال:

"وتجيء سنين المحل المرعب

ويجيء الفقر القتال

يحصد إبل البدو الرحل

يحشرهم للمدن الكبرى

فامتهنوا كل الأعمال

فنسينا آلام الدنيا

وطوينا كتب الأجيال

وقرأنا في الكتب الأخرى

وشغلنا " تجميع " المال!!"

وفي الســـبعينات، هناك تحول ثالث، وهو أن الذي كان يبحث عن العمل وتجميع المال قد أصبح رجل أعمال. وهذا تصوير لواقع ليس بعيدًا، فمن شقاء البداوة إلى الاســتقرار إلى المضــاربات المالية الكبيرة والانشــغال بالأعمال المدرة للأرباح.

وإذا كان سليمان الفليّح قد ركز كثيرًا على الصحراء وأبنائها، فإنه لم ينسَ أن يعبر عن وضع الوطن العربي الراهن. ففي قصيدة «معزوفة الجنوب» يقول:

"بعيون تجار الحروب المتخمين كما البيادق

وعلى وحول الدم حيث الريح تعوي في المفارق

شاهدت أفقاً أسود مثل الهزيمة في العيون المدلهمة

كالحرائق."

ويمضي قائلا:

"شاهدت أطفال الجنوب،

يتساقطون كما الزنابق

يشوون من أجل الكلاب القادمين مع الجنود

الرابضين على المفارق

ورأيت أعواد الزهور المائسات مع الغروب

تغدو جذوعاً للمشانق

ورأيت فرقاً واضحاً ,

كالشمس في كبد السماء

ما بين ثوار الفنادق

الجالسين يساومون

وبين ثوار الخنادق."

وهذا هو أول ديوان يصــــدر لســــليمان الفليّح، ولهذا فلا بد من وجود بعض الأخطاء، وخاصــــة النحوية والمطبعية. وبالتأكيد فإنه يحق للشــــاعر ما لا يحق لغيره، ولا أعتقد أني في موقع الناقد ولا حتى المحلل.

كل ما قمت به هو تقديم بعضًــا من قصــائده، وللقارئ الحكم على الديوان. لقد وصـف الأديب والشـاعر الكويتي خالد سعود الزيد سـليمان الفليّح فقال: "تلتقي البداوة بفطرتها والمدينة بخبرتها في شخص سليمان الفليّح". وأستطيع أن أقول بأن ســـليمان الفليّح هو: **ســـفير البادية في المدينة، وســـفير المدينة في البادية.**

***

يا (طويل البقاء) ستموت سريعًا

بقلم: قاسم حداد [89]

هذا هو الولد البدوي سليمان الفليّح، يمزج جمال عذابه بأجمل عذابات اللغة، وهي تتنقل على يده بين العربية الفصـحى والعربية الأخرى، حيث "يسـتنبط" الصورة الجميلة ببسالة الشعر.

بدوي يحسن العصف بالقبيلة ويمجد الخروج. في قصيدة "أغنية الولد البدوي" التي نشرها أخيرًا في مجلة "اليمامة" السعودية، يطرح الفليّح تجربة طريفة تنطوي على مزج خاص بين الفصـحى والنبط، وربما مثل هذا اختراق تعبيري يحمل مبرراته الذاتية في تجربة الشاعر نفسه.

فالشاعر لم يغادر جروجياته وصعلكته منذ أن طلع علينا بقصائده الأولى، يريد أن يثبت لنا يومًا بعد يوم أن للشـعر طاقة يمكن أن تشـكل فعل رؤية، لواقع يأخذ السـلب، التي عدها البعض إحدى بسـالات العرب المؤيدين ببدوية تتعرض للمسخ بلا هوادة.

– قاسم حداد (مواليد 1948،) شاعر معاصر من البحرين. شارك في تأسيس (أسرة الأدباء والكتاب في البحرين) عام 1969. وشغل عدداً من المراكز القيادية في إدارتها. تولى رئاسة تحرير مجلة كلمات التي صدرت عام 1987 وهو عضو مؤسس في فرقة (مسرح أوال)، ترجمت أشعاره إلى عدد من اللغات الأجنبية.

وطاقة الشعر تلك التي لا يتوقف سليمان الفليّح عن التشبث بها، وهي التي ظلت تحصنه ضد مواهب الاستهلاك ومغريات الفقد الرائجة، متذرعًا بعفويته الأولى. وسوف يخترق الشاعر هنا أداة الشعر النبطية لينكل بالذين ينحازون بها نحو الانحطاط، مضيئًا جوانب الجمال في هذا الفعل: "(ائتنا بالربابة.. وغنِ لنا يا طويل البقاء ما ينحي الكآبة)"

وعندما يضع "طويل البقاء" بين قوسين، سيتيح لنا احتمالات السخرية المريرة على مستويين: إما شك في طول البقاء هذا، الذي يراود الصعاليك في كل مكان وزمان، أو استهلاكًا لديباجة تقليدية مألوفة، وليست مشروطة هذه المرة بمعطى يشكلها.

ثم يصعقنا ببيتين من النبط منكوزين بجمال شعري ورؤية إنسانية، ستظل تحديًا له طوال النص بعد ذلك، ولعله كان يعي ما يفعله، كما لو أن هذا التحدث قد تهندس جيدًا.

(راكبٍ فوق حرٍّ يذعره ظله/مثل طيرٍ كفخ من كف قضّابه
ماحلا فزته والخرج زاهٍ له / والميارك على متنه تثنى به) [(90)]

– أبيات للشاعر محمد عبدالله العوني

ليس لنا أن نعرف حدودًا واضحة بين الولد البدوي الشاعر وبين صاحب الربابة الذي يطلق علينا هذه الكلمات الجميلة، إنه هو ذاته الصوت والكلام والربابة معًا. وليس ترفًا انحياز سليمان الفليّح منذ بدايته إلى جانب الصعاليك العرب، فمن هناك حتى هنا، ليس ترفًا، لأنه يتعرف على تجاربهم في الحياة والواقع قبل أن يكتشف رؤاهم وطاقتهم الشعرية. ذلك فنحن نفهمه جيدًا عندما ينوي السهر معهم حتى الصباح، يقتسم معهم التمر والعذاب.

فحين يُوصد الآخرون أبوابهم، فإن الصعاليك يظلون نارًا مفتوحة على كل عذاب، حتى "هذا الزمان":

"(نعاني التشرد والفقر لا بأس
فالدهر إن كان صلباً
فليس علاجُ الصلابة إلا الصلابة
وسيفٌ يطيلُ الإقامة في الغمد
لا شك يؤتى الصدأ في جرابه)."

ترى هل أصبحت الكتابة، لدى الصعلوك "المعاصر"، هي بديل الفعل لسيف الصعلوك السابق؟! ولكن أية كتابة هذه التي يعدنا بها الولد البدوي، وهو يهتاج نحو قافية تغرر به مثل فرس شاردة؟! لقد تاق الصعلوك إلى سيف غير

الكتابة، سيف نام طويلاً في صدأ الغمد، والروح قد تراكم عليها ثلج السنين. ذلك سيسرع الشاعر إلى رفاقه الموزعين على خريطة العذاب، وهو حين يعدد لنا أسماء الماضي، فإنه يستحضر تجارب رفاق معاصرين يتجاور معهم في عذاب، يتبادلون الهدايا ويحسنون الانتقال.

صعاليك يعرفهم واحدًا واحدًا، هنا الآن، وإلا فلا معنى لأن نسمع للمرة التاسعة أو العاشرة ذات الأسماء في قصائد الشاعر نفسه. ولو أن الولد البدوي لم يرصف لنا هذه الأسماء، لكنا اكتفينا بالطاقة الإيحائية التي تتسلح بها القصيدة، كمناخ عام، ولكن جسد القصيدة الرهيف قد نجا من "كولاج" كبير كهذا:

"(أضئني فإني لمحتُ بنارك
عروة والشنفرى والسليك
وابنُ الغرابة)."

وربما كانت قصيدة قصيرة جميلة مثل هذه ستنجو أيضًا من الشتات، لو أن الشاعر اكتفى بالروح الغامرة، دون اللجوء إلى قائمة باتت حاضرة في تجربته أكثر من مرة. ولو أن الاحتفاء في النص كان مقتصرًا في التجربة على هذا المزج الطريف بين النبط والفصحى، لتيسّر لنا تفادي مع الشاعر الخطاب المتمثل في تقريرية الأسماء. في جانب آخر، سوف نلاحظ تفاوتًا تعبيرياً بين بيتي النبط

الذين افتتح بهما الشـــاعر النص، وبين بيت النبط الآخر الذي ســيدفع به بعد ذلك:

(من خطّ درباً واضحاً للمعالي لازم على الشدات تضرب ركابه)

فنبرة الخطاب العالية في هذا البيت، وغياب الصـــورة الفنية قياسًـــا للبيتين السابقين، سيجعله ضعيفًا، ومعطوفًا "في تقريريته" على قائمة الأسماء تلك، مما ينم عن تفاوت في بنية النص، دون أن يواجه الشاعر ذلك التحدي الذي أشرنا إليه قبل قليل.

لكن صعلكة الولد البدوي ستغرر بنا دومًا لكي نهيم بهذا العالم الوحشي الذي يحســـن ســـليمان الفليّح كشـــفه لنا "فيما هو يكتشـــفه، حياة وكتابة". وعندما اســـتوقفتنا هذه "الأغنية" زاد يقيننا بأن هذا الشـــاعر الذي يمثل إدانة واقع لا يكف عن الانحدار، يؤكد زهده في هكذا واقع، متنكراً لمواهب الخضـــوع فيه، متشبثًا برفاق لا يخذلون القلب، يضع رأسه على نار هادئة تنضج الوقت، لا يتنازل عن عذابه إذا كان الفقر بديلاً له. الصـــعاليك لا تعرف اليأس من القصيدة هكذا:

"انتبهتُ لضوءِ الصباحِ الجديد

فتحتُ ذراعيَّ للفجرِ

قلت: هلا به"

***

التعابير البدوية في قصائد

الشاعر الكويتي سليمان الفليّح

بقلم: علي عبيد الساعي[91]

إن من الأهمية بمكان عند دراسة شاعر ما، الإلمام بظروف البيئة التي عاشها ذلك الشاعر، والأخذ بعين الاعتبار ما تعكسه البيئة، سلبًا أو إيجابًا، على شعره وخاصة الصور الشعرية التي يطرحها. ولهذا السبب، فقد تقصيت أخبار الشاعر الكويتي سليمان الفليّح، فعلمت أنه من خريجي المضارب السوداء – على حد تعبيره – وأنه واحد من الذين تجرعوا مرارة الحياة في الصحراء، وعاش طفولته وصباه فيها.

عندما أتيحت لي فرصة قراءة ديوانه الأول "الغناء في صحراء الألم"، وجدت نفسي أعيش مع الفليّح نفس أحاسيسه، وأقاسمه شعوره بالإحباط والمعاناة، واجتر معه تلافيف الذاكرة أيام الصحراء التي اكتوت بها جنوبنا، واصطلت بها أقدامنا.

– علي عبيد الساعي عمل محررا في جريدة الوحدة عام 1981 في الإمارات العربية المتحدة وعمل محررا في الملف الثقافي في مجلة الظفرة في الإمارات و أعد وقدم برنامج من تراث الريف والبادية لعدة سنوات في التلفزيون الاردني وله العديد من الإصدارات الشعرية منها شجون صحراوية ، وزهرة العباد، حيث أسس الساعي مدرسة شعرية خاصة تميز بها بمنتجه موروثه الشعري والأدبي .

كنت أتخيل كيف كنا نجوب الصحراء بحثًا عن الكلأ والماء، فكان همنا الأول والأخير أن نجد (خبراً) نشرب من مياهها الضحلة الملوثة، ونسقي إبلنا. تبتسم لنا الحياة في السنين التي يكثر فيها المطر، وتعبس لنا، ونحن كذلك نعبس في السنين التي يعيشها البدو في صحرائهم. هذا ما جاء في قصيدة الفليّح "الجفاف" من ديوانه الأول "الغناء في صحراء الألم"، والتي قدم لها بقوله: (إنه عام لن تنساه الجزيرة، فيه طاردت ثعالبها من الجوع البشر، وأصيبت بالسعار ضبانها).

"عاد الجفاف

ويصيح صوت :

يا ويلنا جاء الخراب

يا بر يا وطن الجياع

يا ألف آه

اني أموت !!

الإبل في صحرائنا

تثوي وتجتر التراب

والسلّ يمتص النخاع

والموت يقتحم البيوت

الذئب جاع

والطير من سغب يحوم

وكلابنا تعوي النجوم

بين البيوت السود في وضح النهار

أين الحياة ؟!

يا ألف آه."

رجعت بذهني إلى الخمسينات، عندما كانت البادية تقذف بالبدو إلى المدن مع ما تبقى من إبلهم، بعد أن جحدت الصحراء مياهها وأنهكهم الركض وراء (الآل) الخادع. كانوا، وهم يصلون المدينة، يشعر المرء بالتعاطف معهم، وقد لوحت وجوههم الشمس المحرقة وأنهكهم الجوع. منذ ذلك الحين، رسخت في ذاكرتي أحاديثهم عن الرحيل، والبحث عن الكلأ والماء، وعن سنين المحل، وجحود الصحراء، وانحباس المطر.. وغيرها. ومما نحن بصدده أنه لابد من أن يبقى في ذاكرة الشاعر – وقد عايش هذه الحياة بكل معاناتها – شيئًا مختزنًا في ذاكرته يترك أثرًا واضحًا في شعره على شكل رموز تُعتبر النكهة المميزة الخاصة لهذا الشاعر. فنجد في شعره ثورة العاصفة في صحراء الربع الخالي، وهدوء الليل الساكن تحت ضوء القمر الفضي الذي يوشي رمال الصحراء الندية ليلة هادئة. وأحيانًا نجد في سخط البدوي ونزفه، وأحيانًا أخرى الوداعة والعاطفة الفياضة، والهدوء، والعذوبة، والرقة.

صوّر الفليّح سنين القحط في قصيدته "تحولات الخبل الزين" من ديوانه الأول "الغناء في صـــحراء الألم"، والتي أهدى فيها إلى جيله (خريجي المضـــارب السوداء). وقد قسم القصيدة إلى فترتين زمنيتين: (الخمسينات والستينات)، أي قبل ظهور النفط وبعده:

"أذكر أعوام البدو الرحل
أذكر إذ أوغل في ذهني
وتدق الذكرى في البال
وجهاً بدوياً محروقاً, صلباً. كجمود التمثال
يركض خلف الإبل العطشى"

"إلى ان يقول في قصيدته:

إذ كنا نبكي من ظمأ
يعصر أكباد الافيال
لكن (الخبل) يخدرنا بحداء يجتاح الليل"

يشبه إيقاع الموال:

"« وضحا وسنامه عال
وردت على أم وعال »

وتبعد عنا " موعال "

وهكذا فقد طعم الفليّح قصيدته بالتعابير البدوية التي تتناسب ومضمون قصيدته فأورد أهزوجة يغنيها عادة البدوي عندما ترد إبله على الماء:

"« وضحا وسنامه عال

وردت على أم وعال »"

على أن استعمال الفليّح لبعض العبارات البدوية لا يعتبر نقصًا في شعره بقدر ما هو عنصر قوة، فإذا كيف يؤخذ على هذا الشاعر ألفاظه البدوية ولا يؤخذ على أكثر الشعراء المعاصرين بعض ألفاظهم العامية، ويتلمسون لهم الأعذار في استعمالهم للألفاظ الجنسية والسوقية، ويعتبرون هذه الألفاظ بمعانيها الرمزية ووعي ذرائع لم تتوفر للفليّح؟

ومن خلال الدراسات النقدية التي قرأتها عن شعره، نخلص إلى القول إن شعر الفليّح وبنيته وصوره هو انعكاس لبيئته وظل حياته الصحراوية.

ويبقى للفليّح طعم خاص تتذوقه من خلال شعره، وله القدرة على لفت نظرك إلى أية قضية يطرحها. كنت وأنا أقرأ ديوانه الأول، أتخيله بذلك البدوي القادم إلينا من أعماق الصحراء، محملاً بآلامه ومعاناته وبؤسه، أشعث أغبر،

يطل من عينيه رعب مريع، يحمل على وجهه المكدود سمات الواقع المؤلم. كنت أستمع إلى قصائده فأجد فيها الصراخ والبكاء والتوجع، لكنه ممزوج بالأمل في قدرة هذه الأمة على تجاوز كبواتها، ولعل هذا بينا في قصـــيدته "الغزو" التي أهداها إلى "زرقاء يمامة هذا الزمان".

"على كثبانك الصفراء كان الحنظل البري بين السدر والحلفا
يواصل زحفه الأبدي فوق الأرض ملتفًّا
وكانت من لهيب الشمس تأتيني رياح تنفض الأغصان والسعفا
لتذرو الرمل في وجهي، ويشويني شواظ يسبق العصفا
ليلغي وجهيَ المكدود من ترحاله البدوي عبر الليل
من منفى إلى منفى."

إلى أن يقول:

"إلى قومي.. وقد كانوا سكارى في مضاربهم، وفارسهم أمام " النزل " مصلوبا على بيدائهم ينزف
فهبت طفلة تبكي، وتخبرهم بأن " الغزو " قد جاؤوا على خيل...
ولا تعرف...
سوى خيالة يمشون فوق الأرض قائدهم بهم يهتف
وقالت: آه يا قومي

لقد شاهدت في نومي

لحى تنتف

وغرباناً عداد الرمل تأتينا من الأجواز جائعة لكي تخطف

صغار النوق والموتى وجرحى الحرب و " الضُّعَّفْ ".

وريحا تحرق النيران !!

والإنسان والحيوان والأحجار والأشجار إذ تعصف

فقالوا: تكذب الطفلة، متى صارت بأسرار الورى تعرف؟!

ألا قوموا لكي نقطع، لسان الطفلة " المشؤومة " الأخبار كي تعزف

عن الكذب الذي ترويه

ما قالته شائعة وبلبلة، ودسّ يضعف الموقف!!

ولما جز سيدهم، لسان الطفلة الحلوة

ومات الصوت في الأوتار

أرعبهم هتاف هز رمل الأرض عبر الدم إذ يهتف:

لقد جاؤوا...

لقد جاؤوا

وأنتم مثلما كنتم، سكارى طول هذا الليل، لا تصحون من سكْر

كأن النزف يسكركم

ولم يبق بكم عِرق، من الإذلال لم ينزف."

نرى أن الفليّح قد استعمل أكثر من تعبير بدوي في قصيدته السابقة ابتداءً من عنوانها (الغزو) وحتى آخر بيت، فالصحراء وموجوداتها كانت دائمًا –– وأبدًا –– الإناء الذي ينضح منه الفليّح قصائده. فاستعمل (الحنظل البري)، (سكارى في مضاربهم)، (لحى تنتف)، وهو تعبير يدل على الإذلال والإهانة، فالبدو يعتبرون اللحية رمزًا للكرامة، فإذا ما نتفت أو قُصّ شعرها فمعنى ذلك أن صاحبها قد أُهين. وفي قصيدته (توجسات في الزمن الفاسد) استعمل الفليّح كلمات قد لا يعرفها الكثير من سكان المدن، لكنها أعطت قصيدته قوة وجزالة:

"لكني منذ الصحوة كنت أحس وأنا أسند رأسي

فوق " الطنب "

ألتمس العشب

يلسعني كالإبر العشب

ويحز.. يحز العنق " الطنب"

ويسير من " العقدة " نحو " العقدة للواسط "

استطاع الشاعر من خلال هذا الاستعمال أن يوصل ما يبغيه إلى القارئ، إذ إن ذلك مهم بدرجة كبيرة، فالشـــاعر يكتب إلى القارئ العربي المثقف وغير المثقف لشحنه بالفكرة.

والفليّح اســتطاع أن يحدد مكان العقدة (الفشــل) وســببه، إذا ما علمنا أن الوســط في الخيمة هو العمود الأكبر بين أعمدة الخيمة، والذي لا ترتفع الخيمة بدونه:

"ويحز..

يحز العنق " الطنب"

ويسير من " العقدة " نحو "

العقدة للواسط "

وهذه إشـارة واضـحة وصـريحة إلى مكمن الداء وسـبب البلاء: "الواسـط". أما قصــيدته (الصــهيل في الزوبعة) فقد اســتمد رمزيتها من حياة البادية، وكثف تعابيرها البدوية للدلالة على واقع الأمة العربية المعاش:

"صهيل مع الريح يأتي .. وكانت خيول القبيلة

نيامًا على بعض أمجادِها والكلاب

سعارى تهرُّ على ظلها والذئاب

تلوبُ البيوتَ الحزينة

وتفتض أنيابُها كلَّ باب"

وفي المقطع الثالث من القصيدة:

"رياح الخماسين أخفتْ صهيلَ الخيولِ الأصيلة
وكانت نجومُ الثريا مرايا يُصَوَّر لونُ الصحارى عليها
ركاب " الكحيلة "

أصـرّ الفليّح في قصـيدته السـابقة على اسـتعمال الألفاظ البدوية وتعابيرها للإشـارة إلى دلالات معينة مثل (الصـحاري)، (ركاب الكحيلة)، (المغازي)، وقبلها استعمل (الطنب)، (الواسـط). في ديوانه الأول "الغناء في صـحراء الألم" استطاع الفليّح أن يصوّر مدى المعاناة التي يعانيها المواطن العربي نتيجة للظروف التي يعيشـها، ونتيجة للغزو سـواء الفكري أو العسـكري، وحذّر في قصـيدته (موت المغني) من مغبة الصمت واللا اكتراث.

أما ديوانه الثاني (أحزان البدو الرحل) فقد جاء على شاكلة ديوانه السابق، ولم يتطور الفليّح فنياً من خلال المقارنة مع ديوانه السـابق، واسـتمر في اسـتعمال التعابير البدوية كرموز في قصـائده. ورغم عدم تغير أسـلوبه، إلا أن نكهة الألم والشـكوى والشعور بالغبن ما زالت واضـحة في قصـائده. والفليّح يشـيد بانتباه القارئ إلى أن هناك قضـية مشـتركة بينهما، ويسـتطيع أن يقنعه بحميمية الصـلة وضرورة المشاركة بشيء ما.

ولكن هذا موضــوع آخر، فما يهمنا هو اســتعمال الفليّح اللهجة البدوية في قصائده. وفي قصيدته (احتشـاد) التي وجهها إلى صـديقه (عبدالعزيز الشـمري) جاءت القصــيدة لتثبت إصــرار الفليّح على اعتزازه بحياة البادية وإصــراره على التمسك بعادات البادية وتقاليدها، فضرب المثل على شوقه لصديقه بحياة البدو في صـــــحرائهم بانغلاقاتهم واحتراقاتهم ورحلاتهم وترحالهم، والمضـــــايقات التي يتعرضون لها والتي تحد من انطلاقهم وتعكر حياتهم:

"تعرف البدو أنت

وتعرف كيف تكون ارتحالاتهم في صحاري الجزيرة

" محاويلهم" للشمال ،

اصطداماتهم بالجمارك أو بالسواحل أو بالدرك"

"تعرف البدو أنت

وتعرف كيف تكون احتشاداتهم للثريد،

انتشاءاتهم بالقصيد.

اكتظاظاتهم في " المقائظ " حول البرك"

إلى هنا يكون الفليّح قد وصــف الحالة التي يكون عليها البدو في كل معاناتهم وحياتهم اليومية وعذاباتهم في صـحرائهم، أسـفارهم، سـنين القحط، احتفالاتهم، بحثهم الدؤوب عن الماء واجتماع منازلهم حول البرك، وأعطى صـــــورة معبرة عن

الشوق الذي يصطخب في فؤاده لصديقه. وفي آخر القصيدة يورد هذه الومضة السرية لتزيد من توضيح حالة الشوق لديه، فيقول:

"هكذا أختنق

أنغلق

أحترق

عندما تختفي!!

أما قصــيدته (جرة على الربابة لارتحالات شــليويح العطاوي في فيافي الجزيرة) فقد اســتعمل الفليّح الشــعر النبطي كإشــارة يثبت من خلالها نبل أخلاقيات الشـاعر والفارس المعروف شـليويح العطاوي، ومرمى إليه الفليّح أن هذا الفارس الذي استطاع أن يخيف كثيرًا من القبائل البدوية بسبب قوته وبطشه وشجاعته، كان وديعًا عطوفًا مع فتاة ترعى إبلها في الصـــحراء فلم يريعها ولم يفزع إبلها وتركها تعيش لحظة أمنها رغم أنها له أعداء:

"هدّك الظمأ المر

لا قربة في الهجير

ولا مضرباً تلتجئ من سموم السعير

ولا كسرة من زهاب

أطلق الآن ساقيك للريح، ها أن

" رجماً " يطلّ على آخر البيد

أكمن

إبل ترى؟!

أشهر السيف لا.. سدّد البندقية

تأن قليلاً"

فتاة تغني:

"الورع راع الذود حبه شعاني

شعي القطيع اللي شعاهن شليويح

شقح شعاهن من ديار قحطاني

يوم اغفلوا رعيانهن المصاليح "

***

أقبل الآن كالسهم لا تفجع الراعية

اعتصر قربة الماء

ارجع كما كنت ، لا تجفل الإبل

صوت يجيء :

- أنت من أنت؟!

يا أي هذا القميء المشرد. من أين جئت؟!

"يا ناشدن عني تراني شليويح

قلبي على قطع الفيافي جزومي

أكمن اليا صكت علي النوابيح

والصبح أصالي كل قبا قحومي "

من خلال هذه القصيدة، ركز الفليّح على استعمال الشعر النبطي كإشارة لما يتمتع به البدوي من شهامة، واتخذ الشاعر (شليويح العطاوي) صعلوك البادية وكريمها وفارسها المعروف رمزًا لهذه الشهامة. فلم يشأ شليويح العطاوي أن يفزع الفتاة الراعية التي كانت تغني على حبيبها وتقول بأنه أخذ قلبها كما أخذ شليويح العطاوي الإبل الشقح "البيض" من ديار قحطان، عندما غفل عنها رعاتها "المصاليح" الذين يسعون لإصلاح أحوالها بالرعاية والاهتمام.

ويورد الفليّح مقطعًا من قصيدة شليويح العطاوي لتعريف القارئ به، فيقول العطاوي، كإجابة على تساؤل الشاعر مفتخرًا بنفسه: (أنا شليويح العطاوي الحر الذي يأبى الدنية بقطع الفيافي والقفار إذا ما عزم على ذلك ومن عاداتي

أن أهاجم عدوي ليلاً وأختبئ إذا نبحت عليها كلاب الحي لا تمكن منهم على حين غرة وفي الصباح أطاردهم على ظهور الخيل).

وعودًا بنا إلى قصائد الفليّح التي لا تكاد تخلو من كلمة أو تعبير مستمد من البادية في ديوانيه (الغناء في صحراء الألم، أحزان البدو الرحل)، وهذا أمر مسلم به بعد إيراد أكثر من مثل على ذلك. ولعل هذا الصوت الشعري المتميز القادم إلينا من صحراء الكويت قد أغرانا – بعد هذه القراءة السريعة – بالاستيضاح عن موقفه من القضايا المصيرية، ولا سيما قضية فلسطين. وجوابًا على هذا التساؤل، لا بد من إيراد قصيدته "جمل المحامل" التي استمد عنوانها من الجمل القوي الذي يحمل عليه البدوي كل أمتعته وخيمته وينهض شامخًا. هذه القصيدة أهداها الفليّح إلى الفلسطيني الذي يُذبح كل يوم وينهض شامخًا وقويًا كالجمل:"قفوا أيها البدو لا تذبحوا للضيوف الغريبين جداً/ بعير المحامل/ أعيدوا الخناجر مصدوءة يفرح الغمد/ حلوا عقال البعير/ كفاه جراحاً"

***

الكلمات تتحول إلى طلقات
والصور والدلالات جمرات تحرق

بقلم: أمين مرسي [92]

في ديوانية ذئاب الليالي ينقر الشاعر سليمان الفليّح على زجاج القلب، ويعبر البرزخ الذي يفصل بين الواقع والحلم، فيستبطن النفوس ويستمد ألحانه من قطرة الحب النقية، ويكشف عن جيشان روحه المتقدة. ولو لم يكن شاعرنا موجودًا في حياتنا الشعرية، لاخترعناه؛ هذا الفارس النبيل الذي احتفظ بمكونات شخصيته العربية البدوية واعتز بها دومًا، فكانت سمته الأصالة.

الولد البدوي:

الديوان هو الإصدار الشعري الثالث للشاعر، يضم بين جلدتيه عددًا من القصائد تبدأ بـ"أغنية الولد البدوي" وتنتهي بقصيدة "الكوابيس"، ويقع في 70 صفحة من القطع الصغير، وهو صادر عن دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع. والقصائد نظمها شاعرنا في الفترة من عام (1981م حتى عام 1992م)، ويأتي الديوان بعد ديوانه الأول: (الغناء في صحراء الألم 1979م).

– امين عبدالحميد مرسي (2014/1942) أديب وشاعر مصري حاصل على ليسانس في اللغة العربية وآدابها .

ويتميز الديوان بالانسـيـاب المتدفق، حيث لا نجد لفظة ينكرها مكانها، كما يبتعد شاعرنا عن الرؤية التقليدية المعتمدة على التكرارية والسكونية والتعاقبية. فالشاعر يمتلك طاقة من الحب الجارف يسبغها على المحيطين به، كما أن الاتجاه الإنساني، والتوغل في الجو البدوي، خصيصة من خصائص شعر سليمان الفليّح، ومحور من أهم محاوره. يستحضر جلال الصحراء في وجدانه وشعوره ويعبر عنها جمالياً بأنغام وكلمات مؤثرة، ففي "أغنية الولد البدوي" يهتف:

"أيها الولدُ البدوي

إئتنا بالربابة

وغن لنا يا طويل البقا ما ينحي الكآبة."

ومن أشـعاره تنبت وردة تتيه بالحب وتفاخر بثوبها القاني، فقد سـقاها من عصارة قلبه. رصاص الحنين، وسليمان الفليّح يملك قدرة الفنان الإنسان على صياغة القصيدة "الرحماني" المهداة إلى "أبي فهد"، صوت المقاومة الكويتية، فيقول:

"أطل من زجاجة التلفاز

ملثم. يزف للتاريخ

بلهجة مؤثرة

بأننا من ها هنا

من أرضنا المحررة

نلقن العدو في نضالنا

أسمى دروس الصبر في ثباتنا

ضد القوى المستعمرة."

إن شاعرنا يرسل المعاني والكلمات طلقاتٍ، والصورَ والدلالات جمراتٍ تحرق وتصهر، وتَسخر وتُطهّر، وتُكبّر... هاك بعضها:

"تئز الشظية يضطرب الموج

تهوي، تفجر قصر السلام

ويشمخ في قلبك الصلب وجه الأمير

إلى جهة الخلف يا صاحبي تستدير

وتطلق في كل صوب رصاص الحنين

وتحصي الصحاب

شهيد

فقيد

جريح

أسير."

والقصـيدة عنوانها "قصـف على سـاحل السـلام"، وهي مهداة إلى مسـفر الدوسري وفوز، نظمها الشاعر في مدينة الرياض أثناء احتلال الكويت.

إنها سـراج يضـيء عتمة العمر، والعيون المطفأة، حيث تتراكب وتتلاحم عناصـرها الوجدانية والفكرية مع عناصـر تجربته الأخرى من ألفاظ، وصـور، وأخيلة، وإطار موسـيقي. ومن خلال هذه العناصـر جميعها تتكوّن القصـيدة. وفي ختام قصيدة "الشرق" يعلو صوت الشاعر:

"هذا هو الشرق
ناقة الله تكتظ أثداؤها بالحليب
تمد لها الناقلات خراطيمها في الرسو
وتقلع ملآنة بالحليب
لتطلق في سمعها الصافرات."

هكذا صوّر شاعرنا الشرق؛ فهو لقمة لكل آكل، وفريسة لكل كاسر. ولغة الشـاعر طيّعة، مبدعة، من غير إعنات أو مشـقة أو تعقيد. ويغني في أغنية قصـيرة لطفلة كويتية في المنفى، إذ إن الأطفال – على حد تعبير الحكيم العربي الأحنف بن قيس – هم ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرضٌ ذليلة وسماءٌ ظليلة. يقول سليمان الفليّح:

"لا تحزني، إن ذبحوا النوارس البيضاء
وأفزعوا (قباقب) المياه
وجن (بو الخصيف)
لا تحزني، لا تحزني
إن قصفوا بالمدفع الرشاش
أرنبك الصغير واللعبة الزرقاء وقطك الأليف.
والقصيدة في الصدور أوقع وفي الآذان أولج ، وبالأفواه اعلق."

***

أحزان البدو الرحل " وغنائية " سليمان الفليّح "

بقلم:د محمد مبارك[93]

سليمان الفليّح، اسمٌ ظهر على صفحات الجرائد، وبرزت ملامحه الفنية متميزة ذات خطوط واضــحة من خلال صــور "الهذرلوجيا" (1). في هذه الصــور الشعرية ظهرت قدرته على صياغة العبارات المركزة، وظهرت قدرته على إنشاء الحوار البرقي الســريع، مع القدرة على القفز على ظهر المعاني. كان حديثه اليومي هذا بمثابة صور شعرية، كلام منثور لا يخلو من الشاعرية.

هذا الأســلوب المؤطر بالقفزات فرضــته صــور المعاني التي يكتب فيها، فموضــوعاته حادة، قوية، ســريعة، غاضــبة، ولكنها لم تســتطع أن تخفي ليونة الطباع، ورقة المشاعر، وهدوء الأعصاب، برغم ما يرتسم على وجهه من خطوط الجد، وخيوط الطموح، وعمق التجربة الحياتية.

ولعل هذه الطباع المتناقضة المتباينة هي وليدة البيئة البدوية الحادة التي نشأ بها هذا الرجل الشاب. فهو من الصحراء، من البادية، يغني ويتغنى، يرسم ويقول، ويصــف ويقف، يتأمل ويتألم، يحلم، وتصــحو ذكرياته فجأة. وظهرت غنائيته

– د. محمد مبارك كاتب وناقد .

الشـــعرية واضـــحة في قصـــائده النثرية، واحتضـــنتها دفتا كتابه "أحزان البدو الرحل".(2)

وهذا الديوان يحتوي على مجموعة من القصائد الشعرية التي تقترب من الشعر المنثور، حيث الإكثار من الصور الشعرية المصاغة بعبارات لم تخلُ من عنصري السـرد والحكاية، بما فيها من مواقف ومشـاهد. كما أن هذه المجموعة الشـعرية تخضـع لمشـــاهد معنونة أو لفصـــول مســـماة تســـبق مشـــاهدها المتعددة. فـــتحت عنوان "سحب متفرقة "جاءت المشاهد: (1) سنابل، (2) غيم، (3) موت، (4) كون، (5) أجراس، (6) نساء، (7) احتشاد، (8) طالبات، (9) حصـــان، (10) ريح، (11) نخلة القلب، (12) أبو لهب، (13) عمال من اليمن، (14) جميلة، (15) الوعل، (16) كآبة، (17) سوسنة، (18) طائر.

فمن هذه المســـميات والأسماء تتضـــح صـــور التناول عند ســـليمان الفليّح واختلافها، فالأعراض مختلفة، والصـور متباينة، والموضـوعات عديدة، بما يشـير إلى أننا أمام مجموعة قصـصـية صـيغت بأسـلوب شـعري، كما هي الحال مع المسرحية الشعرية. ويُلاحظ طغيان صور التشاؤم والسوداوية على موضوعاته الشعرية، واندفاعه نحو الصورة المطروحة مع الجِدّة أثناء تعامله مع الموضوع:

"يعذبني أن غيماً كثيفاً إذا اعتمّ القلب و(اغتمّ)
يأتي بذهني كثيفاً

كثيفاً

بطيء

ويحزنني أن رعداً يهز جبال العذاب بقلبي

عنيفاً

عنيفا يجيء.

ويقتلني إن برقاً

يشع بصحراء روحي

ولكنه لا يضيء؟"

وفي "الموت" يروي الحياةَ كيف تكون بعد الموت، وكيف أن الموت مرحلة لحياة جديدة عند الشهداء والأبطال:

"تخيرت موتك فذاً فريداً

لأنك آمنت أن الحياة قصيرة

وأنك تلْقى المصير الذي قد تخيرت

حيث الجميع سيلقى مصيره

لذلك أنت نثرت دماءك فوق الرمال

لأنك تعرف أن الدماء التي تتسرب

بين رمال الصحاري

تصير إذا أينع العشب

زهراً يوشي صحاري الجزيرة."

لقافية عنده تبدأ حيث تبدأ الصـــورة، صـــورة الحكاية أو "حدوتة" الموقف، وتنتهي حيث يلملم الشـــاعر معانيه، فالقافية مرهونة بالغرض الشـــعري. أمّا التفعيلة فهي منســاقَة إلى صـــور حرف الروي المختلفة، لا تَرِكُه على حال، أو التي تنساب على ضفاف بحر واحد.

إنّه القلق الذي ساور صاحبنا "الفليّح"، وقلقه هذا يدفعه إلى أن يرى التاريخ ورجاله بصور أخرى مقلوبة ساخرة، لكي يضحك عليها ويضحك نفسه فيها. فـ"أبو لهب" هو الظل الذي يمشي وراء الطوافين في مكة، ووجوه في هذا المكان، لا لكونه أسلم وارتدّ عن غيّه في نظر الشاعر، بل ليمارس سلوكًا مشينًا عرفه الشاعر عنه، وإضافة إلى ذلك هو سلوك السيادة المدفوعة المشتراة بالذهب.

"أبو لهب

شاهدته في مكة المكرمة

يوزع الذهب

على شيوخ البدو في الخفاء

وحينما سألت ما السبب؟!

أجابني (مطوّفي) (7) الفقير:

كي يشتري قبائل العرب(8) "

إن صـــورة التمثيلية في قصـــائده النثرية هذه لا تخلو من البداية، بداية الحدث الدرامي ثم تصـــاعده وتناميه. ولعل قصـــيدة (جميلة) ذات الرقم 15 (9) من مجموعة مشـــاهد هذه اللوحة، أكثر قصـــائده النثرية في هذا الديوان امتلاكًا لعنصري الموقف والحكاية بوضوح تام، فهي قصة غنائية بحتة، بما في شعره من صور غنائية:

"كما يدخل النور للغرفة المعتمة

تجيئين عبر اصطخاب القصيدة في الرأس

بيتاً جميلاً " يدوزنه " (10) الصمت

ترسمه البسمة الحالمة

أو تجيئين عبر الهدوء المباغت في القلب

نوراً رضياً

يهزّ شبابيك صالاته المظلمة."

وللموقف الفلسفي مساحة كبيرة في شعر سليمان الفليّح، حيث يطير مغنيًا مستفزًّا عقلية القارئ، فهو يختتم هذا الجزء الأول من مجموعته الشعرية هذه بقصيدة تحت عنوان (11)، التي يقول فيها مُنشِدًا، مستخدمًا أكثر من صورة مجازية حقيقية في اقترابها من معانٍ في ذاته:

"أنا طائر أعزل في حقول البكاء
شاجرتني صباحاً بلادي
لأني أغني لها في المساء
فهل أيها العارفون بكل الأمور
رأيتم بلاداً تشاجر أطيارها
في سبيل الغناء؟!"

بعد هذا الجزء تبدأ "أغاني الصعاليك"، مستفتحة بعبارة شعرية لبشر بن المغيرة:

"كلهم قد نال شبعاً لبطنه
وشبع الفتى لؤم إذا جاع صاحبه."

وهو، من بداية إيمانه بهؤلاء الصعاليك المتشرّدين، يؤكّد ارتباطه بهم ارتباط المبدأ، وإيمانه بأنهم "صاعوا" لأنهم لم يقبلوا أن يبيعوا الشرف والرجولة. فهو، من

البداية، يصـــرخ مقدّمًا "أهزوجة" (12) هذا المبدأ، رافضًـــا الخضـــوع على سجاجيد أهل السيادة:

"لأنا أبينا

وتأبى الرجولة

بأنا سنبقى

عبيداً سبايا

لديكم

ونبقى جوارٍ بغايا

يقدمن ليلاً لشيخ القبيلة

خُلعْنا

وضعنا

و" صِعنا "

وجُعنا

وهرّت علينا كلاب القبيلة."

الرمز واضح، والإسقاط يشع في إشارته إلى شيوخ القبيلة وكلابهم التي نزيد. للإنسان الحر أن يخضع ويُخضع من مقولة "بشر بن المغيرة" إلى الصعلوك "تأبط شراً" و"أبو الطمحان" و"الشنفرى"، ثم "عروة بن الورد" أمير الصعاليك:

"أمير الصعاليك يأتي

وفي بيته الآن ينتظر الجائعون " القرى "

والإقامة

يغير على " ذود "كسرى وحيداً

كما البرق قبل المساء

ويأتي قبيل العشاء

يسوق النياق " المغاتير "

كالبدر يشمخ فوق الغمامة (13)"

فالصعاليك هم عناوين للكبرياء والرفض، ابتداءً من "تأبط شراً" إلى "عروة بن الورد"، فهم رموز وأبعاد يستدعيهم الشاعر ليسقط عليهم أحوال "صعاليك" العصر الحديث. وبعد الحديث عن متشردي العصور الغابرة والحاضرة، يأتي الحديث عن "الأزمنة" نفسها، ضمن عنصر المكان وشخوصه إلى عنصر الزمان. ابتداءً من "الزمن الصعب" إلى زمن المدن العربية، مرورًا بـ"الزمن الرديء"، والزمن العربي عند هذا الشاعر هو زمن تتجمع فيه الصعوبة والرداءة؛ فهو زمن المدن العربية، الزمن الرديء والزمن الصعب.

"(زمانك صعب

فكن مثله

وأياك أن تلتوي أو تساوم أو تنحني)."

واياك ان تلتوي أو تساوم او تنحني بل ان الزمن رديء إلى حد الثمالة:

"(بهذا الزمان الرديء

يطأطئ كل الرجال المجيدين هاماتهم

ويشمخ فوق انحناء الجميع الغبيّ!!) "

زمن المدن العربية يحكي مأساة العربي مع زمني الرداءة والصعوبة، وهو يعيش في مدنه العربية:

"لا شيء تحول

فيكم منذ الزمن الأول

لا شيء تبدل

فيكم غير ملامحكم

تلك الحجرية

صارت أقنعة من خشب

بين الفينة والفينة تستبدل

لا شيء تحول

غير مضاربكم تلك الوبرية

صارت أكواخاً من حطب

ولها أبواب مثل وجوه بنيها تتهدل.

***

لا شيء تبدل

مادام التاريخ العربي الأول

يتسكع عبر شوارعكم

لا يحمل إثباتاً منكم

يتنكر كي لا تحبسه الشرطة كالمتسلل

***

لا شيء تبدل

مادام محمد والفاروق وأبوبكر موقوفين بمخافركم

وأبو ذر في عتبات متاجركم يتسول

لا شيء تحول

في هذي المدن الممتدة من أقصى المغرب حتى رأس الخيمة

هذي المدن اللائي بيعت منذ الكيلو (101) حتى آخر مؤتمرات القمة

هذي المدن اللائي فيها اللقمة

تخنق في أفواه بنيها الكلمة

هذي المدن اللائي فيها الصمت المطبق حكمة!!

لا شيء تبدل

في هذي المدن اللائي يتنهد فيها أطفال الفقراء

أمام البقالات

وتبكيهم رؤية أسماكهم و الرثة عبر زجاج «الفترينات»

لا شيء تبدل

لا شيء تبدل

في هذي المدن اللائي فيها يتعلم منذ الصغر بنوها

مفهوم الثورة والثورات

كي تحصدهم حين بلوغ الواحد منهم سن الرشد الثورة

بالرشاشات

لا شيء تبدل

لا شيء تحول

أنتم أنتم وستبقون كذلك أنتم أنتم

منذ الزمن الموبوء الأول."

ثم يأتي الحديث عن (الركائب)، ابتداءً من "مهرة القبيلة" و"جياد البراري الأصيلة" و"جمل المحامل" (15)، إلى أن يقف عند "النجائب" ليبدأ حديثه

الشعري عن قصص "الوجودة" وملامحها، فمن "وجهها" إلى "ثلاثة أضاءات لعتمة المقهى" التي يقسمها إلى ثلاثة وجودات، حتى يأتي الحديث عن "أحزان البدو الرحل" (16)، حيث ينهي ديوانه هذا بالحديث عن "ارتحالات شليويح العطاوي(17) " في فيافي الجزيرة، بعد أن بدأه في حديثه الشعري القصصي هذا عن (البدو الرحل)، حيث قال عنهم شاعراً هذه الصورة الشعرية:

"(ها قومي انحدروا من مرتفعات الماضي – شهب الأعين –
تجلدهم ريح المستقبل نحو الواحات المأهولة بالأمطار.
ها هم مثل جراد القحط القادم من آخر إقليم في الدنيا
جاءوا وانتشروا في هذي الصحراء الرملية مثل الأحجار
ها هم عند حدود الغيم الأزرق ناموا
فتوسد كل فقير منهم " عرفجة "
عوسجة
حلموا بالفجر وأبكاهم برق شق الظلمة " يشعق "
يتعرج في دائرة الأفق المغلق
لكن ما يلبث أن يخبو
فابتلت من أدمعهم عند الفجر الريح ,
الأرض

الأشجار

ها هم قاموا

ساروا نحو تخوم المدن الكبري

جوعي

عطشي

(يستعطون) الخبز اليابس والماء الآسن والنار

ها هم عند حدود المدن الكبرى محنيو القامات

منكسرو الهامات

ومشتملون بأسمالهمو الرثة لا تكسوهم

إلا الأطمار

ها هم تجلدهم

كي تبعدهم

عن أسوار المدن الكبرى

نحو تخوم المدن الأخرى

خيالة جيش التتار

ها هم يضطجعون هنالك

مثل الأخشاب المنخورة خلف الأسوار

ها هم ينطفئون هنالك

عند حدود الغيم الأزرق مثل الأنجم
كي يسدل عن آخر أخبار البدو الرحّل
في هذا العصر ستار)"

وبعد، فإن كان "سليمان الفليّح" قد قدم نفسه جيدًا في هذا الديوان، ومن خلال قصائده "فكرًا ولغة"، وإذا كان الفليّح الشاعر قد نجح في قصيدته النثرية بمثل هذا الوضوح، فإن اتجاه الشباب نحو الشعر كأداة تعبيرية لم يقف عند اللغة الفصحى أو الفصيحة.

التعليقات الهامشية:

1- ظهرت كعمود شبه يومي تنشره له جريدة السياسة في صفحاتها الأخيرة.

2- ظهر هذا الديوان الشعري ضمن إصدارات شركة الربيعان للنشر والتوزيع في طبعته الأولى 1981، الكويت، شعر سليمان الفليّح، وله ديوان آخر سابق صدر عام 1979 بعنوان (الغناء في صحراء الألم).

3- من حقها أن تأخذ رقمها التسلسلي (9)، ولعلها غلطة مطبعية أو شيء من النسيان.

4- هنا عودة لنفس الخطأ السابق.

5- قصيدة (غيم) الديوان، ص 6.

6- ص 7 (الديوان).

7- المطوف هو الطواف الذي يقوم بعملية.

(8 – 9 – 10 – 11 – 12 – 13 – 14 – 15) مفقود من الورقة.

16- عنوان الديوان قريب من هذه التسمية فهو "أحزان البدو الرحل".

17- أشار سليمان الفليّح في مقدمة قصيدته هذه عن هذه الشخصية معرفًا بها قائلاً عنها: (شليويح العطاوي من أشهر فرسان الجزيرة العربية – الصعاليك – في القرن التاسع عشر، بل ومن أنبلهم وأشجعهم، عُرف بغزواته الشهيرة المنفردة وبشجاعته الفائقة). انظر قصيدة الشاعر الفليّح عن هذا الصعلوك من ص 74 إلى ص 77.

18- لعله يقصد استعمال الكتابة والنطق العامي لاسم الإشارة المؤنث هذا، فقد كثر استعمالها على هذه الصورة في أكثر من موقع.

19- (العرفج) نبات صحراوي يُستعمل كوقود بعد تجفيفه.

20- لعلها لفظ له معناها في القاموس اللفظي الخاص بأهل البادية.

21- أي يطلبون ويسألون العطية.

22- القصيدة موجودة في الديوان السابق من ص 71 إلى 73.

***

الشاعر سليمان الفليّح

والصور المستمدة من واقع المعاناة

بقلم: د .عبد القادر كراجة [94]

ما يكتبه الزميل الشاعر سليمان الفليّح من معزوفات شعرية سيظل مستوعبًا ما وراء الرمز والصورة، دون تحليل لحالات الإفراز التي تسبق عمليات الإجهاض القيصـــرية التي تخرج عنها – قبل المخاض – صـــور معبرة عن معاناة حقيقية يعيشها سليمان بكل جزيئاتها ودقائقها البالغة الألم.

صور الفليّح لا تخرج مصطنعة ولا خارجة عن حدود ملكوته الذي لا يتجاوز حدود الأم البسطاء والمعذبين.. وصورة لا تتصدر المعاني المختارة بقدر ما تعبر عن المعاني المترجمة للفكرة.. المعمقة لها، وهذا هو الفرق بين شـــاعر حرفي يجيد صناعة الحديث واختيار ما هو مجمل للمعنى، وفوق الرمز.. وبين شاعر تلقائي لا يجهد نفســه كثيرًا في مســائل ديكور الشــعر الصــناعي الذي يغلف معظم نتاجات شعراء هذه الأيام.. صور الشاعر تستمد إذن من واقع الحديث وواقع

– الدكتور عبدالقادر كراجة كاتب وناقد ومؤلف فلسطيني مقيم بالأردن .

الشـــاعر.. وواقع ظروف الفكرة، ومتطلبات الموضـــوع.. فلنقرأ بعض أبيات قصيدته:

"افوق الأسرة يرقد نخل الصعيد

آه يا نخلة هاجرت من أعالي الصعيد إلى القاهرة

أبهرتنا المدن

جذبتنا إلى ضوئها كالفراشات همنا

بها .."

تشـبيه الشـاعر أمل دنقل، والمراد التعبير عنه في هذه القصـيدة بالنخلة، جاء موفقًا مســـتمدًا من جزئيات البيئة التي عاشـــها أمل دنقل، هذا إلى جانب توظيف هذا الرمز توظيفًا دراميًا يدركه القارئ. فالنخيل شـجر عملاق يضـرب بإطنابه إلى عمق التربة، ويتمتع بالقدرة على تحدي مظاهر الطبيعة، إلى جانب كونه من الشـــجر المثمر، وكون هذا النخيل يهاجر من أعالي الصـــعيد إلى القـاهرة. معناه القتل والموت، لكون تلك التربة الجـديـدة لن تكون قـادرة على منحه الحياة، كونها مختلفة تمامًا عن تربة النخيل الأصلية.

هذا التغير الكبير من حياة البساطة والوداعة والحب إلى حياة المدينة القاسية المليئة بالصراعات والتمزقات، عبّر عنه الشاعر برؤية لم تجنح للخيال، ولكنها تترجم المعنى ترجمة إبداعية واقعية، أقرب إلى اللون الملحمي البريختي في التعبير دراميًا، وكان الشاعر يعزف بفرشاة حزينة ليصور لوحة تجريدية مكتملة الفكرة، ناضجة التطور .

هذه الصور الجمالية المغرقة في المعاناة قد لا تجدها في معظم قصائد الشاعر، فأحيانًا يلجأ للمباشرة والوضوح، معبرة عن حالة من الرفض والاستنفار لا يجدي معها البيان وقوة الصور، فهو يقول في قصيدة (وحيد الزمان):

"يا وحيد زمانك

إياك من لعبة الأنظمة

تنبه..

لقد خلع الإخوة الكاذبون قناع الإخوة وارتدى الأصدقاء القبيحون جلد الوجوه العدو

وحوصرت وحدك بالقوة الغاشمة

فقاتل بقوة..

وواصل بقوة."

الموضوع هنا هو الذي تقمص الشكل الأدبي وحدد مسار إشكاله، فخرجت الصرخة مباشرة لأن الموضوع لا يحتمل مزيدًا من الصور المعمقة للحدث.

لهذا فإن جزئية الصدق تتحقق في هذه القصيدة، ومعدل المعاناة يحدد فورة القريحة واستلهام الفكرة، وهنا يكمن لون جديد من الشعر. أغلب الظن أنه من الشعر المتجه اتجاهًا جبريًا لشعر محمود درويش، وإن كانت روح الشاعر وصفاته الذاتية تصبغه بلون جديد من المعاناة والتفاعل.

***

المقاومة في شعر الصحراء العربية

بقلم: حلمي الزواني[95]

هل للبدو الرحل أحزان غير الأحزان المألوفة؟ أم للبدو الرحل أحزان أخرى مجهولة؟ لا أدري، فالحزن العربي من البحر إلى البحر جراح يابسة، والفرد العربي من البدء إلى اليوم مسافات شاسعة، أحرقها الذل ومزقها الصبر وحطمها فرسان الغزو الموسومين بحرب الردة.

لا أدري.. فالصحراء العربية منذ الخلق صفاء ونقاء، والإنسان العربي الذي تعفّر بترابها واكتسب بفضل قوة شمسها سمرته المحبوبة، لابد وأن يدين بشيء من الوفاء لهذه الأرض، متأثرًا بها حتى النخاع. ومن هنا كان الفرد العربي في الصحراء العربية بعامة، والشاعر بخاصة، شديد الحساسية تجاه الأمور الحياتية اليومية، وخاصة تلك التي تتعلق بالكرامة والشهامة والنخوة والشرف.

وكما كان للقبيلة العربية فرسانها المغاوير الذين يذودون عنها بسيوفهم، فقد كان لها شعراؤها الذين يثنون على من يمدحها ويهجون من يقدحها، حيث كان الشاعر لسان حال القبيلة.

- مجلة اليقظة 22 مايو 1981

قبل خوض غمار هذا الموضوع، وذلك بمطالعة المجموعة الشعرية الثانية لشاعر الصحراء العربية المقاوم – سليمان الفليّح – أود أن أشير إلى حقيقة علمية مفادها أن كل فئة اجتماعية في الكون تُبدع ثقافتها، وبالتالي فنها. ولقد عرف التاريخ الأدبي والفكري على مر العصور عدة ثقافات اصطبغت بلون مبدعيها، والصحراء العربية أفرزت لونًا من الشعر أُطلق عليه في حينه أدب الصعلكة، وهو في الحقيقة أدب رافض، والأدب الرافض بالضرورة أدب مقاومة، والمقاومة هنا تبدو في مقاومة الذل والعبودية والطبقية والانصياع لأمر القبيلة.

منذ عهد قريب صدر للشاعر المقاوم – الصعلوك سليمان الفليّح – مجموعة شعرية جديدة عنوانها – أحزان البدو الرحل – ولهذا الحزن البدوي مذاق لا يختلف كثيرًا عن حزن المدن العربية، ومن هنا أُجيز لنفسي أن أسمي كلا من – مظفر النواب – و– نجيب سرور وأحمد فؤاد نجم – و– محمد العشرين، صالح بحر العلوم ومن سار في دربهم صعاليك القرن.

لو نظرنا بدقة إلى قصائد هذه المجموعة الشعرية لوجدنا مزيجًا من الرفض للواقع المعاش عبر المواجهة اليومية المجسدة مع هذا الواقع، وهكذا صور لنا الشاعر الواقع عبر الزمن المتحول وتغيير الأشياء بقول من قصيدته "سنابل":

بهذا الزمان المخاتل

حرابا تصير السنابل

رماحا تصير الغصون الأنيقة
تروسا تصير الوجوه الحقيقة
وتغدو الورود قنابل

وعندما يتحدث الشـاعر عن جدلية الدم والنار والموت والحياة فهو لا يختلف كثيرًا عن الشـاعر الصـعلوك – الشـنفرى – الذي قال في قصـيدته "لامية العرب":

"ولي دونكم أهلون سيد عملس
وأرقط زهلول وعرفاء جيأل
وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى
وفيها لمن خاف القلى متعزل"

وأما سـليمان الفليّح فله رأي مشـابه في الحياة، ولكن هذا الرأي مغموس بالدم، زاهد في الحياة وتكاليفها:

"تخيرت موتك فذاً فريداً
لأنك أمنت أن الحياة قصيرة
وأنك تلقى المصير الذي قد تخيرت
حيث الجميع سيلقى مصيره

لذلك أنت نثرت دماءك فوق الرمال

لأنك تعرف ان الدماء التي تتسرب

بين رمال الصحاري

تصير إذا أينع العشب

زهرا يوشي صحاري الجزيرة"

إذا كان سليمان الفليّح مستعدًا تمامًا لزرع دمائه الحمراء في جسد الصحراء العربية عشقًا حتى الموت، فهو لا يفهم الشعر المقاوم بعيدًا عن سير حركة المقاومة، ولذا فهو لا يعزله، بل إنه يطمح إلى ممارسة التأثير في الجماهير والحركة الجماهيرية.

ومن هنا فإن للشاعر المقاوم مهمات ثورية داخل الشعر وداخل الجماهير ووعيهم، بل إن مهمات الشاعر أن يبلور وعي الجماهير ويعمق انتماءهم لدائرة الصراع والارتحال الدائم والجراح النازفة المعذبة.

وإذا أدركنا هذا إدراكًا ساميًا لا يصل بالضرورة إلى جنون الوعي، فإننا نعرف بما لا يدعو إلى الشك العلاقة التفاعلية بين الشعر والمقاومة بشكل عام، وبين الشعر المقاوم والجماهير من جهة أخرى.

في هذه المجموعة أرى سليمان الفليّح يقف بعيدًا عن دائرة التصفيق والهتاف، ولأنه يؤمن بالتأثير المتبادل وبالترابط العضوي بين الثورة والشعر الثوري من

خلال المعادل الفني، فهو يرفض بشدة أن يقول "أنا عربي – في صحراء العرب" لأنه يعتبر ذلك نوعًا من التعصب الأعمى والتحدي الفاشل، ولكن الضد هو البديل الصحيح.

"لأنا أبينا
وتأبى الرجولة أنا سنبقى سبايا لديكم
ونبقى جوار بغايا يقدمن ليلا نهاراً لشيخ القبيلة
خلعنا وضعنا وصعنا) وجعنا وهرت علينا كلاب الخليفة"

هذا هو الزمن الصعب الذي إذا فقد فيه الربان مجدافيه تقاذفته الأمواج وطمع به البحر، وإذا توجه إلى بداية الوعي وتحديد النقاط وجد نفسه خارج الزمن وخارج التاريخ. وهذا ما حدث فعلاً للحصان الذي ما دجنته العواصم وما سامه الأثرياء، ما حدث لجمل الحامل – الفلسطيني – في عهد القهر والقمع والاستلاب. وإذا كان الكثيرون جدًا يؤمنون بما يؤمن به سليمان الفليّح، فقد سلبتهم هجرتهم خارج الجراح القدرة على تمييز الألوان، فما استطاعوا مضيًا وإنهم على مكانتهم باقون:

"قفوا أيها البدو لا تذبحوا للضيوف الغربيين جدا بعير المحامل
– لماذا؟

لأن الضيوف الغريبين جداً هم الغزو... هيا

أميطوا لثاماتهم واحداً واحداً... تعرفوهم

وإذ ذاك تدرون كيف يكون التحايل

نسيتم بعير المحامل – عيني عليك – بعير المحامل ا

لأجل الغريبين جدا تموت

انت الذي قد تحملت

ترحالنا المستديم

تغالب في وطاة القيظ طول المسافات

تجتر شوكا وتحمل ثقلا يهد الجبال

وتعرف كل المجاهل"

ليس لي أحد سوى القصيدة!!

بقلم سعد فرحان[96]

نحو الاحتراف المضيء في ليل ذئبي أبيض، يحشد الشاعر الجميل سليمان جمله الشـــعرية في ثالث دواوينه.. (ذئاب الليالي) بطلقات الورد. هل تتذكر قول الشاعر خالد سعود الزيد محتفيًا بديوان الفليّح الأول (الغناء في صحراء الألم): "تلتقي البداوة بفطرتها، والمدينة بخبرتها في شخص سليمان الفليّح"؟!

ثمة ما يؤكد حقيقة الشاعر الفليّح الثابتة تلك في ديوانه الأخير، ولعله الانطباع الذي يتصـــدر قائمة الانطباعات لدى قارئ الديوان.. في حين أن بقية الانطباعات لا تمنح – في تسلسلها – سوى هائل كمية التشاؤم والضبابية التي تغلف روح الشاعر.. حتى تلك المقاطع التي يدعي الفليح فيها غير ذلك، كأن يقول في أماكن متفرقة من قصيدة الديوان الأولى "أغنية الولد البدوي":

"أيها الولدُ البدوي

إئتنا بالربابة

– سـعد فرحان –ولد عام 1966 في الجهراء ، حاصـل على الشـهادة الثانوية العامة, وقد درس في جامعة الكويت –كلية العلوم – قسـم الحاسـب الآلي, وتخرج في الفصـل الثاني 93/92. عمل محررًا ثقافيًا في جريد ة السـياسـة, ومجلة الغدير المهتمة بالأدب الشعبي, وسبق أن عمل محررًا ثقافيًا في جريدة الفجر الجديد وجريدة الوطن.

وغن لنا يا طويل البقا ما ينحي الكآبة:

***

فالدهر إن كان صلباً

فليس علاجُ الصلابة إلا الصلابة

***

فثلجٌ تراكم في الروح منذُ سنينَ

يريد الإذابة

***

انتبهتُ لضوءِ الصباحِ الجديد

فتحتُ ذراعيَّ للفجرِ

قلت: هلا به.

ولا عليكم.. فيها هو يغلف الديوان بقصيدة "كوابيس"، حيث ينهيها بـ: "حينما استيقظت غارقًا بدمعي":

كانت الشمس تطل من النافذة

وتمد لي لسانها وتضحك.

ثم ليس أدل على قلق روح الفليّح من أن يعترف في قصـيدة "نحت على الهواء الجاف":

"أنا ليس لي أحد سوى القصيدة "

وأن ينزف مؤكداً اعترافه هذا بقصيدة " صديق" :

صديقي، ولكن بيني وبينك تنأى المسافة

فما زلتُ أحيا تماماً كصعلوك

وما زلت تحيا حياة الملوك

لهذا أقول وداعاً صديقي

وإن وحدتنا الثقافة."

كما أن قصيدة "الشرق" تخترق كلا المحورين: "التاريخ – الجغرافيا – السياسة – الاقتصاد"، ليصطحبنا معها عنوة فنكون جميعًا بنفس الموقف والحال، وحسبما يمليه علينا نزفُه الروحي:

"هذا هو الشرق

عجوز على ساحل البحر تقعي"

***

"ناقة الله تكتظ أثداؤها بالحليب

تمد لها الناقلات خراطيمها في الرسو

وتقلع ملآنة بالحليب

لتطلق في سمعها الصافرات"

أم القصائد:

ولم تهدأ روح الفليّح الشـــاعرة بعد، بل لكأني أقرأها تتصـــدع في أم قصـــائد الديوان "الوصايا الأخيرة لصعلوك بني نفط":

"(أحس أن نجمة الأماني) تأفل

إن روحي يشققها الظمأ

لمياه الجداول

النزقة التي تبرأت من أسلافها الينابيع.

***

لأني بدأت أحس أنني حنظلة مقطوعة الجذور

كيف لهذه الروح أن تدلي وليس سوى النضوب: لا وصايا. لا وصايا إذن (إن الأمور تمضي كمياه النهر فلا تعود للمجرى مرتين).

هكذا إذن.. فليس لواحد مثل سليمان الفليّح أن يتدحرج – مرفوضًا ممنوعًا – إلا إلى الإمام.. فما جدوى الوصايا؟! ومثلما في "ابدأ"، ولا تغفل قصائد سليمان الفليّح، وهي تقرئنا روحه بقلقها وتململها ونزفها، إن تضعنا لدى المسببات.. ففي ذات القصيدة السابقة الذكر، ما يحرض حقيقة الشاعر ومصداقيته على الركون إلى هكذا جوّ:

(معذرة، نسيت أن أغسل فمي بعد مناقشة تافهة مع بعض أدعياء الشعر الذين يلوبون في الجرائد المتشابهة كالقطط السائبة). وتستوعب تضاريس قصيدة "طائر الغياهب" قممًا بركانية من روح الشاعر لإيمانه بقضيته التي يتقلدها من الظلم الأول:

"أسافر في عتمات الغياهب

طيراً غريباً بلا جهة أو هدى

غير أني لما كرهت الظلام

وطال اصطباري

توجهت في ثقةٍ للضياء

التحمت به

ثم صار الضياء مداري
أقاتل ليلاً بسيفٍ من الضوء
كيف إذن لا يجيءُ انتصاري.

وليس أبهى من استدعاء الذاكرة، واستحضار أواخر السبعينات، فتلميح إلى إيمان سليمان الفليّح بقضيته كشاعر وكإنسان، وهو سابق في تأكيد ثباته. إن شيئًا من هذا التأكيد التاريخي في حياة الفليّح كتبته جريدة "الاتحاد" الظبيانية:

"إن الفليّح يتجاوز نفسه وجغرافيته ليكون دائمًا في المعركة بسيفه المصقول وسهامه القاتلة، وليس مهمًا أين تكون هذه المعركة.. المهم أنها في أية بقعة من الوطن العربي، والمهم أنه يساند كل من يريد فجره ويتبين مصيره." وسليمان الفليّح يحتفظ بخزينة جيله العربي من شعراء السبعينات كاملة، حاملها على كاهل أمانيه وآلامه بأمانة الشاعر الملتزم إزاءها حد احتدام القلق، وازدهار الضجر، غير مكرس كلية لقضيته الخاصة:

"وبقلبي شظية من آخر حرب النكسة
حتى غزو الكويت."

أضف إلى ما يعلن التزام الفليّح بإيديولوجيات جيله، أن قصيدته لا تخلو من جنوح أفلاطوني بائس، يستدل بيسر على بؤسه ضمنيًا رغم نهجها في قليل

المرات تشعبات وعرة. وفي المقطع الأخير من قصيدته "كرنفال" يرتكب الشاعر حلمًا جميلًا:

"تضحك الشمس حتى تتمزق أشلاء أشلاء

تتساقط أنواراً ذهباً ورداً حلوى

الأنوار للسجناء

الذهب للفقراء

الحلوى للأطفال

الورد: للشعراء."

ولعل أحلامًا جميلة جمة وقع في شراكها شعراء آخرون، إنما استطاعوا ممارستها بأوفر حميمية شاعرية وبغير استفزاز أسئلة مرتبطة بالمفهوم ونقيضه، كــ: لماذا لا يســقط من الشــمس شــيء للأغنياء، طالما تســاقط الذهب للفقراء؟ هل كان يسقط لهم "الكرم" أو "الرحمة الربانية"؟!

استدراك!!

لكن، وحيث إن القصيدة تعبر حتمًا عن منطق معين لجي شاعرها، تصعب أو ربما تستحيل مناقشتها في ظل الإتيان بمنطق آخر أو أكثر ارتكازًا إلى معطيات لا يوفرها المنطق المعين سلفًا في قصيدة ما تخضع للدراسة والنقد.

أما القصيدة إذن إلا مخلوق فكري ومادي حي.. أما فكري فلأنها بنت فكر واحد هو فكر الشاعر، أو هكذا يفترض.. وأما مادي فلأنها مؤطرة بحدود شكلية ومظهرية محسومة لا تفلت من حدود النظر أو السمع.وليمة الكارثة:

"مهموم تركض في صدرى
النيران لتحرق أزهار ربيع الحلم
كقطيع ذئاب تجري تحت البرق
تلوذ بسدر الوديان
(حالم بانتهاء الكوارث
فوق هذا الكوكب الحزين)"

حلم ببؤس أشمل، يضطر الشاعر إلى الإفصاح عن امتطاء ليلة بتقريرية بائسة هي الأخرى: (حالم بانتهاء الكوارث فوق هذا الكوكب الحزين). إن تقريرًا كهذا وسط جمل متفاوتة الشعرية، يبرر ضخامة حجم إحساس الشاعر بهذه المعاناة الإنسانية الأزلية في وعلى كوكب الأرض.

إنما يبقى لقصيدة "وليمة الكارثة" نكهة العصر وروحه، لما يكتنز الأسلوب الشعري فيها من صور تعبيرية ومفردات خرجت من بين طيات قاموس هذا العصر، ولشاعر غير منعزل عنه. وكان هناك التنين الذري يجلس فوق الجبل الإلكتروني يهلل لعذوبة خراب بدوي الرعد الفراغي وزخات بثور جذري التي تهطل فوق جلود المخلوقات.

إضاءات الفليّح:

أما الغزو العراقي على دولة الكويت، فقد شكّل خلال عدة قصائد همّ الشاعر الأعظم. يعبر بنا الفليّح هذه المرحلة/المأساة بوضوح في قصيدة "قصف على ساحل السلام" التي يهديها "مسفر الدوسري" و"فوز"، بمناسبة التشتت والمنفى، في قصيدة "الرحماني" المهدأة إلى "أبي فهد" صوت المقاومة الكويتية، وقصيدة "الدفاع عن شهيدة القلب"، وقصيدة "أغنية قصيرة لطفلة كويتية في المنفى".

وفي أحد أجواء قصيدة "الوصايا الأخيرة لصعلوك بني نفط" يبقى أمامنا ونحن نقلب الديوان أن نستشف إضاءاته، وقوفًا عند إسقاطات لغة سليمان الفليّح الشعرية.. فلنلتقط:

- الفضاء عباءة الكون وبشت الحكمة
- أنتَ لنْ تُقْنَعني بالرأي بالقوة ما لمْ
- أقاتل ليلاً بسيفٍ من الضوء

- مقطع الحلم الجميل من قصيدة "كرنفال "
- قصيدة "طائر الليل "
- هذا هو الشرق ، عجوز على ساحل البحر تقعي
- فقرة " تململ ثان " في مقطع غفوة ثانية من قصيدة "كوابيس "

التي تشكل في تمام سياقها التعبيري " قصة قصيرة"

***

نغما من اغنية الولد البدوي

بقلم:عدنان فرزات[97]

حين تعرف أن المجموعة الأولى للشاعر سليمان الفليّح عنوانها "الغناء في صحراء الألم"، والمجموعة الثانية عنوانها "أحزان البدو الرحل"، عندما تعرف ذلك ستتوقع سلفًا أن قصيدة "أغنية الولد البدوي" ستصادفك في أول صفحة من الإصدار الجديد للشاعر الفليّح، والذي اختار له عنوان "ذئاب الليالي".

الديوان صدر عن دار سعاد الصباح ويتضمن 19 قصيدة نجد فيها أن الشاعر سليمان الفليّح ما زال منذ بدء علاقته بالكلمة الشعرية يدور في فلك القبيلة، مستوطنًا المفردات التي يقتضيها مصطلح "القبيلة"، وفي أحيان قليلة يخرج فيها الشاعر من خيمته متسللًا إلى "منارة ثلجية بيضاء":

"رسمتك منارةً ثلجيةً بيضاء

أنثى من الفيروز

وبندقيةَ كرستال

- عدنان فرزات إعلامي وروائي من سوريا مقيم في الكويت. مسؤول المركز الإعلامي في مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين الثقافية ومدير قناة البابطين الثقافية التلفزيونية. سكرتير تحرير مجلة البيان الصادرة عن رابطة الأدباء الكويتيين. كاتب في صحيفة القبس الكويتية، ويكتب في صحف عديدة مثل الشرق الأوسط الدولية وسابقاً في الجزيرة السعودية و العرب اليوم الأردنية.

رسمتك باديةً كبيرة

وواحةً صغيرة"

في لهب الرمضاء (ص11)

ويؤكد سليمان الفليّح توغله في البداوة أكثر عندما يقدم "هلاءاته":

"هلا يا قاطعةً كالقصيدة

هلا بك وهلا بالقصيدة

هلا بقتلى الأهداب في مفاوز الحرار البركانية

التي تستوطنها الأيائلُ وفقراء البوادي الذين"

يصطادون الوعولَ وأفراخ البزاةِ والأرانب الهلعة (ص15)

متضادات مقصودة:

وفي هذه القصيدة يستخدم الشاعر لعبة "الغرابة" أو المفارقة من خلال ربطه لعناصر غير متوائمة مكانيًا. فحيث يخاطب امرأة ترتدي النقاب يقول لها:

"هلا بك تطلين من نقابك الشفاف على مايا كوفسكي"

وقبلها يقول :" هلا بك تأتين مع سلفادور دالي وهو يضغط على فرشاة الرسم ليستخرج منها الألوان (ص 16)

ومن إيحاء مقطع (للنيفري)، ببني الفليّح قصـــيدة عنوانها " رأي " وذلك بعد ان يضع بين قوسين "

"(كُلّمَا الجُملةُ ضَاقَتْ
صَارَتِ الرُّوية أَوْسعْ)
كلما يُطرقُ مَعْدَنْ
صَارَ أقوى ثم أَلمعْ
وَكذاكَ القمحُ يغدو
حينما يطحنُ أنصعْ
أنتَ إن شئتَ أن أسمعَ رأيكَ
فاستمعْ رأيي لأسمعْ
أنتَ لنْ تُقْنَعني بالرأي بالقوة ما لمْ
منْ صميمِ العقلِ أقنعْ (ص19)"

في هذه القصـيدة، لا يبدو أن مدخلها يؤدي إلى خاتمتها، فقد ترك الشـاعر الفليّح ثغرة رقيقة بين مقولة (النيفري) والأبيات التي تليها. إن كان هناك ربط يمتد من عبارة "كلما يطرق معدن" وحتى "عندما يطحن أنصـــع"، فإن الربط

ينفصل بين هذا المقطع والمقطع الذي يليه، ليعاود الوصل في المقطع الأخير من قوله: "أنت إن شئت" وحتى قوله "من صميم العقل أقنع".

"أنت إن شئت" وحتى قوله "من صميم العقل أقنع"، بينما نجد أن الربط يبلغ أشده في قصيدة "صديق"، التي يبدو فيها الوصل كأنه صنع بيد نسّاج أتقن فن "الزخرفة" ببراعة:

"صديقي، ولكن بيني وبينك تنأى المسافة
فما زلتُ أحيا تماماً كصعلوك
وما زلت تحيا حياة الملوك
لهذا أقول وداعاً صديقي
وإن وحدتنا الثقافة (ص21)"

أحداث درامية فعلية، فعلى الرغم من صغر حجم هذه القصيدة، إلا أن الشاعر استطاع بتكثيفه هذا أن يختزل حدثًا طويلاً تدخل "الدراما" في تركيبته. و"الدراما" عند الفليّح تنشط أحيانًا فتتحول القصيدة إلى نص ممسرح، أو نص قصصي مثل "كرنفال"، و"وليمة الكارثة"، و"كوابيس". فلو قمنا بتحليل "كوابيس" دراميًا، لما تمكنا من اعتبار قطعة "بدء ليل" هي أول الحدث أو الحكاية.ففي آخر هذا المقطع يقول الفليّح " فدعني أغفو تحت جبتك العطرة

مثل القندس كي لا تأكلني الأحزان قال الليل تفضـــل خذ غفواتك يا هذا التعس الحيران "ويبدأ الحدث جريانه في المقاطع التالية: فيقسمها الفليّح إلى أربع غفوات، في كل غفوة يعطينا مشـهدًا أو حالة وصـفية لواقع ما. ونختار "الغفوة الثانية": "أم لها ملامح أبي الهول تجهش ببكاء مثل نشـيج البطة، تحمل (خرذونا) قد مات وتصرخ وأويلاه جنيني." وبعد كل "غفوة" نجد عنوانًا صغيرًا أسماه الشاعر "تململ". فبعد "الغفوة الثانية" جاء هذا المقطع:

"صرت شاباً فاكتسيت
ثم ودعت الصحاري
غير أني ما نسيت
قول جدي حين مات
إن قسا الدهر عليك
لا تقل يقسو عليّا
قل على الدهر قسوت"

ونعود لنقول: إننا لو اعتبرنا "بدء ليل" هو بداية الحدث، والذي أشـار فيه الفليّح إلى أنه كان "يغفو"، لما تمكنا من رؤية الخاتمة الدرامية الممسرحة في نهاية الغفوة الرابعة، وتحديدًا بعد التململ "الخامس" والذي كان يفترض أن يكون

الرابع حســـــب الترتيب الذي ورد. ولكن، على ما يبدو، هناك خطأ مطبعي. المهم أننا نلمح الخاتمة الدرامية في قول الشاعر الفليّح:

"حينما استيقظت غارقاً بدمعي

كانت الشمس تطل من النافذة

وتمد لي لسانها وتضحك."

""ذئاب الليالي" عنوان مناسب للديوان، ويغنيك عن البحث في شكل المفردة. فمن خلاله تدرك أن الشاعر سليمان الفليّح لم يتخلَّ عن حدته المعهودة في كتابة القصيدة، فهو لا يلاطف الواقعة، بل يصرخ فيها. فهو لا يجيد فن الغزل في شعره بقدر ما يجيد فن الاقتحام.

فلو عدنا إلى قصـيدة "منارة ثلجية" لا لقيناه يرسـم الأنثى بندقية ولهب، بعد أن بدأ برسمها كمنارة ثلجية بيضاء (ص11).

***

سخرية وكاريكاتور اجتماعي نافذ

بقلم: نادي حافظ[98]

ما بين الضحك واللهو والسخرية والكاريكاتور الشعري اللاذع اجتماعيًا، تأتي المجموعة الشعرية الرابعة (رسوم متحركة) للشاعر سليمان الفليّح لتؤسس وتجذر علاقته بالأرض/الأرض.. الأرض/القيم.. والأرض/البشـــر والكائنات، ولتؤكد على ارتباطه وتواصـله مع واقعه، لا عن طريق تحليله ونقده وكشـف زيفه وتعرية هشاشته.

وسليمان الفليّح هو أحد الذين يمثلون حلقة الوصل الشعري الكويتي فيما بين جيل الرواد والجيل الجديد، وهو شـــاعر يمتلك من الخبرة والتجربة ما يؤكد تنوع رؤاه وتبدلها وتجددها من ديوان لآخر.

قصـيدته من المقومات والتقنيات والأدوات الحديثة – عبر دواوينه السـابقة – ما يجعلها تقف في الصفوف الأولى من الشعر الكويتي الجديد.

– نادي حافظ: شـاعر وصـحفي مصـري مقيم بالكويت. صـدر له : (منذور لرمل) عام 1999. (به فتنة وتلمع عيناه) 2004. (كرسي شاغر) 2011. أسس ملتقى الثلاثاء بالكويت عام 1996 مع كل من الشاعر دخيل الخليفة والقاص كريم الهزاع والكاتب محمد عبد الله السعيد، ليكون منبرا للإبداع خارج سطوة المؤسسة.

ويسمق في ذهن الباحث سؤال، عند مطالعته الأولى لديوان (رسوم متحركة) الذي بين أيدينا، فجواه: على أي معنى أو مفهوم من مفاهيم الفن الشعري اعتمد شاعرنا في صياغة هذا الديوان؟!

إن معاني ومفاهيم الفن ، وخصوصا الشعري، كثيرة وعديدة ، منها ما تجده في أثار المنظرين والنقاد منذ القدم ..ومنها ما تجده مبثوثا في أحاديث الشعراء أنفسهم وحواراتهم عبر المجلات والصحف السيارة.

ولعله من صواب الأمور أن نستعرض بعض هذه المفاهيم عن الفن الشعري، من أجل الوقوف على المفهوم الأقرب إلى سليمان الفليّح في صياغة ديوان (رسوم متحركة). ولعل من أشهر المفاهيم التي طرحت عن الشعر في تراثنا النقدي، ذلك الذي يذهب إلى أن الشعر هو "قول موزون ومقفى له معنى"، وهو مفهوم يقترب كثيرًا من المفهوم الذي طرحه شاعرنا عبر ديوانه.

وإذا تركنا القديم إلى الحديث ونظرنا إلى الغربة، فسيواجهنا تعريف الشاعر الفرنسي "رينيه شار" الذي يذهب فيه إلى أن الشعر هو "الكشف عن عالم يظل أبدًا في حاجة إلى الكشف"، مرورًا بتعريف "غارسيا لوركا" الذي يقول فيه: "الشعر مرارة... عسل يسيل من خلية مجهولة تصنعها الأرواح"، إلى أن نصل إلى تعريف لنزار قباني ورد في إحدى قصائده، يقول فيه:

"الشعر ليس يمامات نطيّرها

نحو السماء ولا ناياً وريح صبا
لكنه..غضب طالت أظافره
ما أجبن الشعر إن لم يركب الغضبا."

إن هذا التعريف/المفهوم الذي ورد في إحدى قصـــــائد نزار قباني هو أقرب التعريفات لماهية الشـعر في ديوان (رسـوم متحركة)، ذلك لأن سـليمان الفليّح يؤمن بالشـعر الملتزم ويسـعى إلى تحقيق الشـعر الفاعل والمغيّر، ويكره الشـعر الهادئ. إنه يؤسس لصوت الشاعر المؤثر في المجتمع العربي، على اعتبار الشاعر وزارة إعلام مضادة للكاذب والزائف والمخادع.

ومنذ عنوان الديوان – رسوم متحركة – نكشف أن السمة الأساسية للكتابة هي الرسم، ورسم كاريكاتورات شعرية لقضايا وشخوص وشرائح اجتماعية متنوعة ومختلفة، بطريقة ضاحكة ساخرة سالبة على طول الخط. الغرض الظاهر منها هو التسلية الضاحكة كما في أفلام كرتون الأطفال، أما الغرض الباطن من رسم هذه الكاريكاتورات فهو كشف الزيف وفضح المستور الخاطئ السائد.

"رجل هش القلب
ينبح كي يبدو صلب
يتقن هز الذيل

ونقل القيل

وسوء النية والكذب

والرجل الكلب

يشيله السيد كي ينبح

يخرس. إذ ينهره: (جب)"

ولأن شاعرنا اعتمد على رسم كاريكاتورات شعرية واقعية، فقد جاءت اللغة في معظم المجموعة وصفية، كحائية، إخبارية مباشرة، تستند إلى البلاغة العربية القديمة من جناس وتشبيه وكناية وطباق واستعارة، وغيرها مما تجاوزته الشعرية المعاصرة بمراحل شاسعة، حيث تعتمد المجموعة على الخيال المجازي الذي تؤسس له الشعرية الحديثة، والذي اتكأ عليه شاعرنا في مجموعاته السابقة على هذه المجموعة.

ومهما يكن من أمر، فإننا مع هذه المجموعة، تأييدًا واحتفاءً، لا من ناحية الأسلوب وتقنيات الكتابة، ولكن من ناحية المغامرة والجرأة على الطرح اليومي المعيش، والتشخيص بدقة ومهارة لمواضع الأمراض في مجتمعاتنا العربية.

ونحن، وإن اختلفنا مع أساليب الكتابة وتقنياتها المطروحة في ديوان (رسوم متحركة)، فإن ذلك لا يمنعنا من الالتفات إلى بعض الظواهر الإيجابية في المجموعة.

أولها استخدام الحيوان كقناع للإنسان المريض اجتماعيًا، بطريقة فنية حققت بعض النجاح من حيث الدمج بين المشاعر والإنسانية والحيوانية في حالة مرض المجتمع.

وثانيًا، الالتفات إلى البيئة وتوظيف مفرداتها، واستعمال بعض الألفاظ العامية في سبيل ذلك، وهو وإن لم يوفق كثيرًا في تهجين اللغة الدارجة ضمن لغة نصه الفصيحة، فإن له شرف المحاولة التي أثمرت في قصائده الأخرى السابقة واللاحقة.

وثالثًا، الجوانب الإيجابية في المجموعة هي العفوية، سواء على مستوى المضمون أو تشكيل القصيدة، فعلى مستوى المضمون حاول شاعرنا جاهدًا أن يعكس لنا حركة الحياة أو الواقع وسلوكيات مفرداته وكائناته، وإن كلفه ذلك أن ينقل إلينا نقلًا حرفيًّا وصفيًّا عفويًّا. وعلى مستوى التشكيل، اعتمد في بناء جل قصائد الديوان على المفارقة، وإن كانت شكلية أحادية لفظية في معظم القصائد، مما جعله يتساهل مع اللغة أحيانًا ومع الإيقاع أحيانًا أخرى.

***

بحر في الصحراء

بقلم: د. موفاكو / مستشرق[99]

رمضان موصليو يجمع بين الشعر والنقد، مع أن الكتابات النقدية تطغى على نشاطه الإبداعي، فهو ينشر الشعر بين حين وآخر، بينما يلتزم دائمًا بزاويته الأسبوعية في الملحق الثقافي لجريدة (ريليندديا)، التي ينشر فيها كل أسبوع كتاباته النقدية.

من بين الكتابات الطويلة التي صدرت عن الشعر الكويتي، اخترنا هنا ما نشره الناقد موصليو تحت عنوان (الشعر كسخرية من الزمن).

كتاب (بحر في الصحراء) الذي أصبح في متناول القراء حالياً، عبارة عن بانوراما للشعر المعاصر في الكويت.

وهكذا أُتيحت لنا الفرصة مرة أخرى لنتعرف على فرع آخر من شجرة الشعر العربي، هو الشعر الكويتي، الذي يفرض نفسه على القارئ بعالمه الفني وبالفعل

- الدكتور محمد موفاكو من البوسنة. – تخرج في جامعة دمشق – قسم اللغة العربية وآدابها. – حصل على الماجستير في التاريخ والدكتوراه في الأدب المقارن من جامعة كوسوفا. – عمل في فرع الاستشراق بجامعة كوسوفا. من مؤلفاته : – انتولوجيا الشعر العربي الحديث 1979. – قصص سورية، 1981. – مختارات من الشعر الألباني المعاصر، دمشق 1981. – بحر في الصحراء – دراسة ومختارات من الشعر العربي الحديث في الكويت 1982،

الشعري المستقبلي، وبمجاله الخصوصي المثير. وهذا ما يثبت أن الحواجز اللغوية لا يمكن أن تحجز انتشـــار القيم الروحية التي تتمتع بإمكانيات كثيرة، ولا تمنع بالتالي تعرف الآخرين عليها.

ماذا يقدم لنا هذا الكتاب؟

أول مـا يثـير في هـذا العـالم الشـعري الحـي والمتنـوع، الـذي يطـرح وجـوده عـبر أشـكال مختلفـة، وللـدخول في مغـزى هـذا الشـعر، لا بـد لنـا أولاً مـن التوقـف والكشـف عـن عنـوان هـذا الكتـاب، وهـو "بحـر في الصـحراء"، الــذي يبــدو بوضــوح أنــه يتــألف مــن صــورتين أساسـيتين تصــوران، أو بالأحـرى تكنيـان، عـن المكـان. لـدينا إذن البحـر والصـحراء كمفهـومين يشـيران إلى المجـال، وحـتى سـيرورة إنجـاز الاسـتعارة تـبرز إلى السـطح البـائن الذي يبدو كمفهوم مميز لهذا الشعر.

"بحـر في الصــحراء" عبـارة عـن اسـتعارة ترمـز إلى الحيـاة والمـوت، إلى الوجـود والعـدم، والمغـزى الآخـر والأعمـق لهـذه الصـورة ينـتج مـن تصـوير سيرورة الوجود.

وحسـب هذا المفهوم، تصبح لدينا الحياة في ظروف اغترابية؛ إذ تعابير الخيبة، والشـك، والغربة، والسـأم، والتمرد، والسـخرية، والقلق، والخشـية، وغيرها ترتبط بوضع الذات، أي الشاعر في محيطه الإيكولوجي والاجتماعي.

ولهذا فإن الاســـتعارة التي تبدو في العنوان تبرز بعض الغموض، لأن المفهوم الأول يشـــير إلى غربة الوجود في الظروف الإيكولوجية للصـــحراء، بينما يرتبط المفهوم الثاني بالتحديد الاجتماعي والتاريخي.

وبالتعمق في الفعل الشعري، يبدو لنا أن شعر هؤلاء الشعراء العشرة الموجودين في هذه الأنثولوجيا هو، في الدرجة الأولى، احتجاج، أو إذا اســـتخدمنا تعبيرًا أفضل، فهو سخرية من نفي الحق الطبيعي في الوجود.

وفي هذا الإطار، يبدو تأكيد الشـاعر العدواني في قصـيدته "ابتسـمي" حين يقول: (نحن في عصـر السـخرية)، أن السـخرية التي يعبر عنها هذا الشـعر هي ردة فعل إزاء الموقف الحياتي للإنســان في ذلك المكان، إن الكشــف عن الحالة الحياتية للإنسان.

وفيما لو نظرنا إلى قصائد هؤلاء الشعراء من خلال المشاكل أو الموضوعات التي يطرحونها، ســيبدو لنا أن قصــائدهم تتبع الدافع الاجتماعي الذي يظهر كدافع مركزي في تركيب الشعر.

ومن المهم أن يُلاحظ هنا أن وعي الشـــاعر الكويتي يســـيطر عليه شـــعور بالتهديد الاجتماعي، هذا التهديد الذي نشـــأ أولاً عن الفقر، لكنه تطور فيما بعد ليأخذ أشـكالًا أخرى. إن الشـاعر الكويتي في وضـع يثير فيه، سـواء عبر

بلاغته أو حتى عبر وصفه المباشر، مأساة الإنسان وأزمته الوجودية، وكفاحه في سبيل الوجود.

كما لدى الشاعر علي السبتي، فإن أبيات قصيدة "زمننا" للشاعر السبتي، رغم أنها تنطق بصورة افتضاحية واقعية، تعبر عن الكيان الإنساني الذي يواجه علامة استفهام حياتية تفرضها ظروف وعلاقات معينة.

تطور:

الميزة الأخرى التي تبدو في هذه المختارات هي التطور في موضوعات الشعر، وذلك حسب الظروف الاجتماعية. ففي هذه المختارات لدينا شعراء أكثر حداثة مقارنة بالجيل القديم، ولذلك يسيطر هنا موضوع البؤس الاجتماعي، وخاصة موضوع الحياة في فقر الصحراء والخطر في البحر، حيث كان البحارة يقضون معظم أوقاتهم في البحر للبحث عن المحار لتوفير لقمة العيش.

ولكن لدى بعض الشعراء من الجيل الأحدث يظهر هذا التطور في موضوعات الشعر الذي أشرنا إليه، حيث تكيف هؤلاء الشعراء مع الظروف الاجتماعية الجديدة.

في الوقت الذي أصبحت فيه الكويت من أغنى البلدان في العالم، نرى أن قضية الإنسان تُطرح في مجال آخر. ففي شعراء أحدث مثل "يعقوب السبيعي" و"سليمان الفليح" يظهر القلق والغربة والخشية من الظروف الجديدة التي أرادت

أن تغيّر تجربة إنسـانية كاملة خلال وقت قصـير. فالشـاعر خليفة الوقيان مثلاً يثيره تحول البدوي التقليدي إلى مخر عصري، وهذا ما يثير السؤال حول ما طرأ على الإنسـان البسـيط في الكويت بعد التحولات الضـخمة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية.

ففي خضم هذه التحولات، حيث تقوم الحاجة الحياتية والوجودية بدورها في تغيير عقلية البدوي الذي كان لقرون عديدة خاضعًا للتقاليد، تحول الآن إلى ما يتطلبه العصر. ولهذا لم يعد بدويًا كما في السابق، بل بدويًا في إطار جديد: لا يعرف عما نتحدث، ولا يدري هل هو في عرس أم في مأتم.

جذورة الامل:

ان ما ذكرنه سـابقاً يتيح لنا ان نستخلص عدة امور تبرز قيمة هؤلاء الشعراء الذين يقدمهم لنا كتاب " بحر في الصـحراء" ان هذا الشـعر يقوم على ارضـية الحياة الراهنة التي يرتبط بها ويندفع منها ان عالم الشعر ، ذاتية ، تتراسل الى حد واسع مع عالم الجماهير وهو في نفس الوقت صوتها الداخلي.

ان هذا الشعر يحاول دائماً ان يتحرر من إثارة الحزن والشفقة ومن البلاغة ، من أن لدينا بقايا من هذه في بعض القصائد ، قبل كل شيء هذا الشعر عبارة عن تمرد ضد الافقار المادي والروحي للإنسان ، الذي ينحصر بين حاجزين الصحراء ككناية عن جدب الحيوية الانسانية والبحر الذي يرمز الى تلاشي القوة

الإنسانية بعد اندفاعها وراء المحار واللؤلؤ ، وبعد القلق الوجودي والخشية والخوف.

إن هذا الشعر لا يخلو أبداً من الأمل، أمل المستقبل. فالشاعر الكويتي لا يمكن أن يستسلم، رغم أن مصيره، وحتى مصير أبناء جيله أو الجيل الأقدم منه، يتشابه إلى حد كبير مع الحياة المأساوية للشاعر فهد العسكر. ومع ذلك، فإن الشاعر الكويتي يحافظ على جذوة الأمل، كما يعبر عن ذلك الشاعر أحمد العداوني في قوله: "دائماً نبقى في انتظار الأمل". ومع أن الش

الشاعر الكويتي مثقل بمعايشة حياته اليومية في محيطه الإيكولوجي، إلا أنه ليس لا مباليًا حتى إزاء ما يحدث خارج بلده. ففي قصائد بعض الشعراء يبدو التزام هؤلاء بالكفاح ضد الشر الذي يهدد الوجود الإنساني، ولدينا من هذا النموذج في قصيدة للشاعر سليمان الفليّح:

"بهذا الزمان المخاتل
حراباً تصير السنابل
رماحاً تصير الغصون الانيقة
تروساً تصير الوجوه الحليقة
تغدو الورود قنابل !!"

وخلاصة القول، يمكن أن نقول إن شعر هؤلاء الشعراء الكويتيين في كتاب (بحر في الصحراء) يتمتع بهامّ سليم، وهو فعل السخرية والتمرد، كما كان الشعر الحقيقي دائماً. إن هذا الكتاب يتيح للقارئ فرصة التعرف بشكل جيد على الإبداع الشعري في بلد بعيد جغرافياً، إلا أن القيم الفنية لهذا الإبداع قد تجاوزت الحواجز اللغوية والجغرافية.

***

إن ما كتبه الناقد موصليو يعبر طبعاً عن رؤيته الخاصة للشعر الكويتي كما جاء في المختارات الشعرية، أي أن هذا لا ينطبق بطبيعة الحال على كل الشعر في الكويت. وربما يتفق المرء أو يختلف مع ما كتبه، إلا أن له في كل الأحوال قيمة مؤكدة، إذ إنه نتاج لتواصل هذا الناقد بشكل مباشر مع القصائد المترجمة، بعيداً عن أي تأثير من الخارج.

ويظهر ذلك بوضوح في توقفه بشكل خاص عند عنوان المختارات الشعرية، مع أن المقدمة توحي بأن العنوان يقصد التعبير عن لحظتين تاريخيتين متباينتين كان لهما الأثر الحاسم في حياة الكويتيين وثقافتهم: لحظة الانحصار الحياتي بين الصحراء والبحر والاندفاع صوب البحر لتأمين لقمة العيش التي أبدع فيها

الشعراء تميزاً، ولحظة الكشف عن بحر الصحراء "النفط" الذي أدى إلى تشكل مجتمع جديد وشعر جديد.

***

سليمان الفليح يفرد مداد ريشته السحرية على البشر والحيوان والطير والحشرات في "رسوم متحركة "

الطلعة – الكويت – العدد 1249

سـليمان الفليّح شـاعر مطبوع ومعروف على السـاحات المحلية والإقليمية والعربية. صدر له عدد من الدواوين منها:

- الغناء في صحراء الألم (1979)
- أحزان البدو الرحل (1981)
- الرعاة على مشـارف الفجر (1979)، الذي تعيد دار قرطاس للنشـر نشره قريبًا.

وقد صـدر له هذا الأسـبوع عن دار النشـر ذاتها ديوان جديد بعنوان "رسـوم متحركة"، يقع في 60 صفحة من القطع المتوسط، ويضم 51 مقطوعة شعرية، بدأها بمقطوعة "مخيول" وأنهى الديوان بمقطوعة "سهرة الجمل".

لمقطوعات الشـعرية هي: مخيول، وكالة، هراوة، حالة، عبد المعتال، شـجيرة، البطريق، مسيلمة، الأسـود العنسـي، الورل، القنفذ، السـلوقي، هر، السـحلية، همبكـة، قوقعـة، زائر، أرزقي، الخنـاءة، منـادمـة، أبو جعـل، خروف، حشـرة، سـخلة، واحد قبلي، أم كويد، سـيف، هبل، معاكسـة، وشـاية صـغيرة، الدور،

ذكاء، ميكي ماوس، السوسة، الضيع، الوبش، الخرتيت، عضاءة القط، الهيس، كلب، الخثاق، الرعاش، الشريب، الفريالة، اللخمة، سهرة الجمل.

هكذا نرى أن الشاعر سليمان الفليّح الصادق الصحراوي قد مر بريشته السحرية ذات المداد الكاريكاتيري الساخر على كثير من فئات البشر والطير والحيوان البري والبحري والحشرات، منتقدًا ومتهكمًا على صفات ذميمة فيها، فأبدع رسوماً كاريكاتيرية مست شغاف النفس البشرية وقضاياها وخفاياها وأدق حناياها.

وليس بالضرورة أن يصف الشاعر في إحدى مقطوعاته مثلًا "القنفذ" أو "السلوقي" أو "الخروف" صفات تنطبق على الموصوف الحيواني أو الحشري فقط، وإنما قد تقع إسقاطًا، وأحيانًا صراحة، على ما يماثلها من بشر يتصفون بتلك الصفات.يقول الشاعر في مقطوعة "القط":

"يسير باتجاه الفظيع
يراقب الجهات
وقلما يشط
لكنه وعند أي فرصة
بسرعة ينط
يحتل أي موقع

لأنه ينتهز الظروف.

عند انحناء الخط."

فهنا ليس بالضرورة أن يكون "القط" قطًا فعليًا، وإنما في الغالب إنسانًا انتهازيًا. يتميز الشاعر سليمان الفليّح بأسلوب شعري متفرد، وقاموسه مليء بالألفاظ الشعبية التي يرتقي بها بأسلوبه ليصبح نصه مقطوعات شعرية موسيقية من طراز السهل الممتنع، والسهل الممتع أيضًا، مع انتقاء قفلات وقواف ذات روي قليل التداول في القصائد، وأعني بها تلك الحروف مثل (طاء، حاء، ظاء) وغيرها من الحروف التي قلّ دورها في روي القصائد العربية.

يقول الفليّح في مقطوعة "أرزقي"، وقد فوجئنا في قفلتها بأن مكافأة الشاعر الأرزقي كانت من نوع "جزاء سنمار"، ليس لأن الشاعر كسب وحسب، ولكن لأن الممدوح ذو أفق ضيق وتسلط يصل حد السخف، ولأن الشاعر لم يجد شيئًا لا يغيب نهائيًا حتى يشبه الممدوح به:

"الشاعر الكسيب

امتدح الخليفة

وأكثر الجناس

والحماس

والنسيب

وصفه بقمر الزمان، وزاد في التشبيب

وحينما من مدحه انتهى

قرر قطع عنقه

فالقمر الذي يشبهه يغيب!!"

وعلى الأغلب، تكون نهاية المقطوعات على شـــكل مفاجأة غير منتظَرة. وفي "زائر"، ينظر الفليّح إلى ظاهرة النفاق المستشرية في المجتمع، فيقول:

"مجموعة كنّا من همنا نعاقر الزرنيخ

وحينما قد حلق الجميع للمريخ

(تلخبطت) جلستنا بزائر مهيب

ظننته أحد رجال السيخ

نافقه الجميع باستذلال

وحينما سألت من في جانبي"

أجابني:

"هذا أخو ابن عم صديق ابن الشيخ.

ختام الديوان كان " سهرة الجمل " يقول الشاعر:

جمل يدخل إلى الشيراتون

يرتدي خرجه الذهبي

يشد السنام بربطة عنق توشحها الزخرفات

ضجيج المغني في (البست) لا يستثير لديه الرغاء

ينيخ على أول الطاولات

ويجترّ حزمة شوكٍ رعاها بذاك الخريف

يعد النقود التي اختزنت في السنام.

تماماً كما هو يليق بأي بعير أليف.

تحرر من مهنة الشيل والحطّ و(الزرفلات)

تباغته بحة (الساكسفون)

ويصغي إلى الجاز منذهلاً

بالغناء العنيف

جاءه رجلان من (السيكيورتي)

أخذاه إلى القبو

دققا في ملامحه جيداً

أودعاه إلى آخر الليل

في غرفة الانتظار

بعد يومين

أصيب بما يشبه الانهيار!

يصفق بخفّيه

يخجل أن الحداة القديمين قالوا به:

(أكواعهن باثفانها تقل شيال

بخفوفهن تسمع صريخ الجلاميد)

يتلكأ مضطرباً ثم يهدأ

يطلب كأساً من (الجعدة) الباردةْ

يصيخ لطاولة يتفاقم فيها الحوار:

لليمين المسار، لليسار المسار

ارتخت شفتاه، ويميناً إلى الخلف دار

فمد السنام المبجل

كان الضياء يطفأ شيئاً فشيئاً

وشيئاً فشيئاً ينار

تعاظم في كبده القيظ والغيظ والكدح عبر القفار

تناول باقة ورد ودلواً من الماء

راح (يمزمز) فيها مع (الكافيار)

تهلل بالبشر وجه البعير

أيقن أن النساء يقدّرن فيه الفحولةْ

إذ كُنَّ يهمسن شوقاً إليه. استدار

فأرغى وأزبد

حطّم كأسين. ثار"

ويبقى ديوان الفليّح "رسوم محترقة" ديوانًا يستحق قراءة متمعنة، شأنه في ذلك شأن باقي إبداعاته السابقة.

***

شعراء الخليج.. أشعار وآثار

بقلم: محمد الجوهري [100]

وُلِد سليمان الفليح في بيئة بدوية، فقد نشأ في منطقة الحماد في المملكة العربية السعودية، وكان أبوه فليح بن لافي العنزي شاعرًا معروفًا، غير أن والده رحل وهو في الرابعة من عمره، مما ترك أثرًا عميقًا في نفسه. وجد نفسه أمام قطعان الصور الشعرية الهائلة التي كانت ترتسم في مخيلته، وتحتاج إلى التقاطها وكتابتها في قصيدة تشبهه. وقد أوتي بالكثير من العوامل التي ساعدته على ارتياد بحور الشعر، من حيث قوة الموهبة والثقافة الواسعة التي اكتسبها فيما بعد أثناء تعليمه، ثم علاقاته بالأدباء والمبدعين، وتعلقه الكبير بسير الكُتّاب والشعراء، وتعمقه في قراءة إبداعاتهم، والبحث الدؤوب في الإنتاج الشعري العربي.

ويمكن أن نتعرف على روحه الشعرية من خلال هذه الأبيات من قصيدته (أغنية الولد البدوي):

"الليل يرخي حجابه
ونحن سنسهر حتى الصباح،
نعيد حديث الصعاليك، نأرق
أن نام كل خلي وأوصد بابه

مدونة محمد الجوهري 27 ديسمبر، 2016

ونقاسم تمرتنا

ونقاسم كل شقي بهذا الزمان عذابه

ونختط ما أختط بالسيف أسلافنا بالكتابة

غن لي أيها الولد البدوي

فثلج تراكم في الروح منذ سنين يريد الإذابة

فاشعل روحي لهيباً فحادي القوافي تغرب عني

طويلاً إلى أن خمدت فطال اغترابه".

***

وكتب عن نشأته يقول: «عشت طفولة بائسة بين رعي صغار الغنم، ورعي الضأن، ورعي عدة نوق عجفاء، وهي آخر ما تبقى للأهل بعد سنوات متوالية من الجدب والقحط والجوع، مات أبي خلال تلك الظروف، وتعهد بتربيتي خالي العظيم سكران بن لافي، أحد رجالات عنزة المرموقين، وكان – رحمه الله – من أكرم الرجال، وأطيبهم معشرًا، وأكثرهم خدمة لقبيلته».

***

عاد الشاعر إلى قبيلته التي طوت خيام الترحال، وتوزعت بين المملكة والكويت، والتحق بالعمل في الجيش الكويتي منذ عام 1970م إلى أن تقاعد في أوائل عام 1997م. وتدرّب خلال تلك المدة على العمل الصحفي في جريدة السياسة الكويتية، وكتب فيها أولى مقالاته، كما عمل صحفياً ومراسلاً

حربياً لفترات وجيزة على الجبهتين المصـرية والسـورية خلال حرب الاسـتنزاف (1971–1973)، وشارك في العديد من المؤتمرات.

"والمهرجانات والندوات الأدبية في بلدان عديدة، وهذه أبيات من قصيدته «الصهيل في الزوبعة»: "

" صهيل مع الريح يأتي وكانت خيول القبيلة
نيامًا على بعض أمجادِها والكلاب
سعارى تهرُّ على ظلها والذئاب
تلوبُ البيوتَ الحزينة
وتفتض أنيابُها كلَّ باب
ولما تجيء (المغازي) وتصحو القبيلة
على حلمِها في صراع الذئاب
تفر الكلابُ اللعينة
تخبئُ أنيابَهَا في لحوم الخيول
لتبقى كسالى هجينةْ
تفرغ منها الصهيلْ
وأبقى أنا تائهاً في البراري
على ضوءِ نجم يُسَمَّى سهيل"

قال عنه النقاد إن الفليّح أضــاف نكهة الصــحراء إلى القصــيدة الحديثة، ما شكّل ملمحاً من ملامح خصوصيتها. ورأوا أن نشأته الأولى جعلته يفتح عينيه على الصـــحراء كجمالية أولى في حياته، فأحب البادية طوال عمره بقيمها النبيلة، واستحضر فرسانها وانتصاراتهم في الحرب وهزائمهم في الحب، حتى تكاد تسمع صهيل خيلها وصيحات فرسانها.

كما ظل صديقاً لقيم الفرسان الذين قرأ سيرتهم وأشعارهم، ومديناً لهم بالحب والإعجاب، لأنه يحمل داخله فارســـاً نبيلاً. وحين ترك الكويت ليســـتقر في الرياض، ظل يحمل الكويت حباً جارفاً وذكرى خالدة، مؤكداً لكل من يسـأله: أنا كويتي وسـعودي وقبل ذلك عربي. كما جاء في آخر تغريداته على «تويتر». ومن قصيدته «الغزو إلى زرقاء يمامة هذا الزمان» نقرأ هذه الأبيات:

" على كثبانك الصفراء كان الحنظل البري بين السدر والحلفا
يواصل زحفه الأبدي فوق الأرض ملتفًّا
وكانت من لهيب الشمس تأتيني رياح تنفض الأغصان والسعفا
لتذرو الرمل في وجهي ويشويني شواظ يسبق العصفا
ليلغي وجهيَ المكدود من ترحاله البدوي عبر الليل
من منفى إلى منفى
وحين العصف داهمني يدوّي مثل قنبلة
تنامى الخوف في قلبي
ونزّ القلب وارتجفا

وفي إغفاءتي للموت بين الصحو والهذيان
حيث الفكر في رأسي يعاني النضب والنزفا
رأيت نضارة الأشجار رغم الجدب يانعة على سيقانها تلتف
ثعابين كأعمدة تنث السم عبر الريح إذ تعصف
ولما صوتها يرتد في الأنحاء يأتيني
فحيح ذاهل يرجف
وخيل من ثعابين
تهز الرمل في الصحراء إذ تزحف
إلى قومي وقد كانوا سكارى في مضاربهم وفارسهم أمام (النزل) مصلوبا
على بيدائهم ينزف
فهبت طفلة تبكي وتخبرهم بأن (الغزو) قد جاؤوا على خيل ...
ولا تعرف
سوى خيالة يمشون فوق الأرض قائدهم بهم يهتف"

يُعدّ الفليّح أحد روّاد الحداثة الشعرية في الخليج العربي عامة، حيث كان صاحب رؤية شعرية خاصة. وعند وفاته في عام 2013م، قال عنه النقاد: إن غياب الشاعر سليمان الفليّح (1950–2013) يشكّل خسارة كبيرة، ليس للشعر المعاصر في بلديه: السعودية والكويت فحسب، بل وللمشهد الشعري العربي بشكل عام، حيث قدّم للمكتبة الإبداعية مجموعة من الدواوين الشعرية، منها: ديوان الغناء

في صـــحراء الألم (1979)، أحـــزان البـــدو الرحـــل (1980)، ذئاب الليـــالي (1993)، الرعـــاة علـــى مشـــارف الفجـــر، رســـوم متحركـــة (1996)، البرق فوق البردويل (2009) وهو آخر دواوينه.

جـاءت أعمالـه الشـعرية الـتي كتبهـا في إطـار قصـيدة التفعيلـة، كمـا تـرك مجموعـة مـن المخطوطـات الشـعرية والنقديـة، إضـافة إلى الكثـير مـن كتاباتـه في عالم السرد.

جاءت أعماله الشـعرية التي كتبها في إطار قصـيدة التفعيلة، كما ترك مجموعة من المخطوطات الشعرية والنقدية، إضافة إلى الكثير من كتاباته في عالم السرد. وقد تُرجمت أعماله إلى عدد من لغات العالم: الإنجليزية، الفرنســية، الروســية، الصربية. وترك وراءه أيضًا كتبًا مهمة، مثل: دراسة عن حياة الصعاليك العرب، الســيرة الذاتية لطائر الشــمال، دراســات وترجمات. كما كتب عدد من النقاد والدارســين حول تجربته الإبداعية. ومن قصــيدته التي تحمل عنوان «عن موت المغنّي»...

"كان يقضي الليل مهموماً يغني في لياليه الطويله
من أغانيه الجميله
للقبيله .. في القبيله .. بالقبيله
لجديله
داعبتها الريح في رفق وأنّت
كأنين القوس في جيد الربابه

يالذاك الشاعر المجنون كم يسهر ليله
كي يغني للقبيله
لعيون تقتل الأقمار في أسفار ليله
حينها ماكان يدري أن هذه الأرض ملآى بالذئاب
حينها ظل يغني ، بين هاتيك المضارب
لم يكن يدري بأن (الغزو) جاؤوا ....
بلحى صفراء من غير شوارب
ينبشون (النزل) عن رأس المغني
بعيون عشعشت فيها العناكب
حينها أنّت ربابه
حينها (رذّت) سحابه
حينها ماهر كلب في القبيله
حينها خر شهاب مثل ومض السيف في كف المحارب
حينها رقّت جديله"

***

الفليّح خازن الصحراء الذي جسَّد أحزانها لفّته أمه بطرف عباءتها وسارت تغني في ركب القبيلة الظاعنة

بقلم: محمد هليل الرويلي(101)

صعاليك الصحراء يعرفون سحنته التي أرهقها الدهر المدقع والفقر الموجع، كما أن ندماء الملوك والأمراء يعرفون هيئته النصعانية المترفة الموشّاة بالثراء والغنى. قاد الصعاليك والندماء مكتحلاً بالسهاد، مستوطناً الوهاد، وانتصر بهم في كل معاركه "الهذرولوجية". تعرفه العاصمة الكويت كما تعرفه الرياض، وتعرفه عواصم البياض. إنّه ابن الصحراء، خازن الرياح ومستودع الرمال، سليمان الفليح، وعلى قبره ألف ألف حديقة من النور، وعلى روحه ملايين الرحمات.

الفليح هذا المأهولة حروفه المستشيطة المتلظية بجمر لظى تلاصقت على أكعاب المشائين بالمفاسد وحولتهم لأسمال ممسودة. طالما هدم مشاريع المقاولين الوهميين وأوهن طرق الشبكات الإسفلتية المنسوجة من خيط العنكبوت الأسود، حروفه للصحة دواء وللتعليم بناء، وله في كل ما من شأنه حب الوطن وتقدمه اشتهاء، ياكم نادت وتنادت زاويته في صحيفة الجزيرة «هذرلوجيا» يا

- صحيفة الجزيرة 17 فبراير 2018 / محمد هليل الرويلي كاتب وناقد من المملكة العربية السعودية .

أخاير الذخاير وبشائر العشائر أنعموا صباحاً وانظروا لذلك القابع الذي أوقعته ظروف المرض على شرشف أبيض، يمغر وجهه المتعب في الدقعاء على أطراف الشمال حتى يشغر السرير العاصمي، ونادت وتنادت حروفه لقرية جنوبية تنتظر كراسي وسبورة لطلابها، وتنادت قصائده سلوة للمعدمين والمعطوبين، شمر للانثناء وهو يلف قصائده وسيرته العاطرة بعد توفيه الثناء واتكأ على مرقده الأخير تاركاً وراءه مجداً لا يفنى.

سليمان بن فليّح السبيعي العنزي. ولد حسبما يقول رواة القبيلة بين العام 1951 - 1952 م في الحدود الشمالية للمملكة العربية السعودية، وتحديداً في صحراء الحماد وهي المدار الإقليمي لنجعات قبيلته وارتحالاتها. يقول الفليّح عن نفسه : وضعتني أمي تحت شجيرة في الصحراء، ولفّتني بطرف عباءتها. ثم سارت تغني في ركب القبيلة الظاعنة نحو حدود الغيم بحثاً عن الكلأ والماء. عشت طفولة بائسة بين رعي صغار الغنم، ورعي الضأن، ورعي عدة نوق عجفاء، وهي آخر ما تبقى للأهل بعد سنوات متوالية من الجدب والقحط والجوع. مات أبي خلال تلك الظروف بسبب فقر الدم وداء السل الرهيب.

ثم تزوجت أمي من رجل آخر، وتعهد بتربيتي خالي العظيم ثم وفي ميعة الصبا والشباب عدت إلى قبيلتي التي طوت خيام الترحال، وتوزعت بين المملكة والكويت لتستقر نهائياً في هذين البلدين العزيزين. أما أنا، فقد التحقت بالجيش

الكويتي منذ عام 1970 م إلى أن تقاعدت في أوائل 1997م، وقد تدربت خلال تلك المدة على العمل الصحفي في جريدة السياسة الكويتية، وكتبت أولى مقالاتي (هذرولوجيا) فيها، حتى انتقلت لصحيفة الجزيرة السعودية في العام 2004م. وكتبت بنفس المسمى زاويتي بشكل شبه يومي.

الجوال الذي نبش الصحراء وأخيلتها:

الكاتب والإعلامي ســـــامي الفليّح أحد أبنائه الذي ورث عن الراحل أثمن المقدرات والكنوز ركاز المداد الســحري وطروس الغيمات المدارية. إضــافة لبقية أشقائه الكاتب الصحفي والمعد بقناة الثقافية بسام, والباحث والشاعر أسامة, والشعراء مساعد وسعود وسعد. جميعهم من المهتمين بالكتابة الإبداعية الواعية ومن المعنيين والراصــــدين للحراك الثقافي في البلاد, وهذه من أندر التركات التي يزجيها الراحلون للأبناء. يقول ســامي عن والده : أبي عاش حياته بدويا جوالا يرتاد الآفاق ويخترق سكون الصحراء الأبدي في كل توغل من توغلاته العميقة, أبي أشغلته الصحراء وشغلها بالأخيلة الهائلة فكشف أسرارها العصية ونبشها حجراً حجراً, شجراً شجراً , مخيماً فوق غيماتها, متخللاً إياها كعاصفة مدارية أو سيل عرم, فاستحال عناوين وأبيات وقصائد, تورد وتشجر وتندى وتفجر ما هو بين أيديكم الآن أعمالا شــعرية ونثرية كاملة تترجم ســيرته ومســيرته في ظعون الكلمات وقوافل الخيال ومجرات الشــعر القصــية , أبي خازن الصــحراء

الهائل وسيد تفاصيلها ومنجم أسرارها الكبير, أظنته بقسوتها وصرامتها وجوعها الدهري وفتنته ببهائها ومخاتلتها وغموضها السكوني .

وأضـــاف بحرقة الفقد متأملاً وجه أبيه من ذاكرة الوفاء : ماذا أقول عن ذلك المحب الكوني والعاشـق المراهقي الذي يقفز مع أول قطرة مطر حتى آخر عشـبة برية تقاوم التصـــحر والجدب, الهائم الشـــريد وحيدا كاســـرا كذئب في ملكوت الليل, أبي الذي أحب, أبي الذي فخرت به طفلا وولداً ومراهقاً وشاباً وصحفياً يلتمس خطواته ويشـــكل إدراكاته مدفوعاً بتحدي الذات, وكاتباً يحاول انتزاع إعجاب أبيه الحاني ومفاجئته برأي أو جملة أو كتابة مختلفة, أبي صـديقي الكبير ومثالي الدائم وجداري الصـلب الذي ملت إليه فزرع النصـائح وشـحنني بالأمل والأمنيات والتجلد وودعني بالدعوات الطيبة.

منزله منصة للكويتيين خلال أزمة الكويت:

وعن المرحلة المزامنة للغزو العراقي للكويت وكيف كانت تحركات الفليح حينها يقول سـامي: مع دخول القوات العراقية غازية للكويت انتقلت عائلتنا للسـكن في مدينة الرياض حيث الأقارب والأهل وأبناء العمومة, كان وقع الغزو العراقي قاتلا وصـادما حد الفجيعة على أبي. لكنه بدأ بعد أسـبوعين من الغزو الغاشـم في إطلاق قذائفه الكتابية اليومية الملتهبة بمؤسسة اليمامة مع الحق مفندا وكاشفا

ورادا وصـادحا بما يمليه عليه الظرف وتسـتوجبه القيم والأخلاق, كان أبي جبهة حقيقة ضد الظلم مع الحق, الأمر الذي وصفه جاسم الشمري الكاتب الكويتي وهو يؤرخ لمرحلة الغزو العراقي «بأن قلم سـليمان الفليّح كان عاصـفة الصـحراء الكتابية « في إشـارة لعملية تحرير الكويت العسـكرية التي حملت اسـم «عاصـفة الصــحراء» تلخيصــا لما كان يســطره أبي بحروفه, كان منزلنا خلال فترة الغزو مقصــدا لأغلب المثقفين كويتيين وسـعوديين, نقاشــا وســجالا وكذلك الناس الذين فقدوا أحبة آملين أن تصلهم حروفه بمن فقدوا أو شردوا.

وأضـاف: تحول أبي إلى صـلة وصـل بين الكويتيين ووطنهم السـليب من زاويته كانوا يطلون عليه ويتصـلون به, تحول أبي لرمز شـعبي كويتي خالص وسـلسـلة كتابية إبداعية تبرد ما في قلوبهم من حرقة, كما واصـل نضـاله الكتابي والشعري عبر زاويته «هذرلوجيا» متصــــديا لكل الأطروحات التي كانت تقف بصـــف المعتدي والتي كانت حينها تجد صـــدى عربيا ومع تشـــكيل «المركز الإعلامي الكويتي» الذي أنشـأته الحكومة الكويتية في الرياض لمواجهة ورصـد والرد على مايكتب وينشـــر تبريرا للظلم وتعضـــيدا له, فتطوع للعمل إذ رأى أن الظرف يسـتلزم التضـحية وان التوصـيفات والمناصـب لا تهم مقابل الهدف الأسمى وهو تحرير دولة الكويت.

عاد بعد ثلاثة أيام من دخول قوات التحرير:

ومع تحرير الكويت كان أبي على أول طائرة تحمل الإعلاميين للأرض المحررة, فكان من أوائل من دخل أرض الكويت الحرة بعد ثلاثة أيام من دخول قوات التحرير, ومع بدء عودة الشعب الكويتي لأرضه المحررة قرر عدم العودة والاستقرار في الرياض حيث وجد الحب الهائل من المسؤولين والناس, لقد شعر حينها انه أنجز مهمته وان معاركه الكبيرة في الحياة تقلصت, لكننا أقنعناه بأن سنوات قليلة تفصله عن حصوله على التقاعد الوظيفي وانه يمكنه العودة بعد ذلك العودة للاستقرار من جديد في الرياض التي أحبها حبا هائلا بكافة مستوياتها الشعبية والرسمية، لكنه ومداراة لخواطرنا عاد للكويت بعد تحريرها وعاد لعمله في الجيش الكويتي بانتظار انقضاء المدة الباقية على تقاعده فيما بقيت روحه في المملكة العربية السعودية التي وجد بها ما ظل يبحث عنه عمرا بمواقف قادتها, وشعبها ومثقفيها, ومع بدء عودة الصحافة الكويتية للعمل بعد تحرير الكويت عاد للكتابة اليومية من خلال صحيفة «الوطن» الكويتية المعروفة ومن خلال زاويته «هذرلوجيا» 1992م.

واستمر الأمر هكذا مع حفاظه التام على علاقته بمجلة «المختلف» التي اعتبرها ابنته فكتب بها ونشر قصائده وظل بمثابة مستشار لكادرها التحريري طوال التسعينيات الميلادية, ثم تلقى أبي دعوة للانتقال للكتابة في صحيفة

«الرأي» بعد انتقال ملكيتها على الصـــفحة الأخيرة العام 1996 م. وهكذا انتقـل أبي للكتـابـة ناقلا معـه رفيقـة عمره الكتـابي «هـذرلوجيـا» حتى أكمـل السـنوات المسـتحقة للتقاعد الوظيفي في العام 1998 م. بعدها ودع الوظيفة الرسمية وتفرغ للكتابة الإبداعية, ثم عـاد أبي حرا دون قيد وبلا شــرط مقررا الانتقال والاستقرار في المدينة التي أحبها وأحبته الرياض .

***

وتابع : في 23 يوليو 1999م حمل أبي رحله وعائلته حاطا ركائبه في كنف أمير الرياض الكبير - حينها - صـاحب السـمو الملكي الأمير سـلمان بن عبد العزيز آل ســعود الذي أكرم أبي كما هي عادته وحل كل إشــكالاته الحياتية والإجرائية كما يفعل سموه الكريم دوما مع كل من يصــله من الشـعراء والمثقفين والإعلاميين العرب فأحبه أبي عميقا, ورآه وهو كذلك مثالا لكل القيم النبيلة التي بحث عنها طويلا, فاستقر بعد أن أضـناه الارتحال واسـتمر في الكتابة شبه اليومية المنتظمة, لقد عاد من جديد للالتحام مع من يحب حكاما وشعبا, قراءً ومسؤولين مستمرا في تبني صوت الناس ومشاكلهم وحضوره المميز وسط تفاعل كبير فأحاطه الناس بالمحبة والتقدير من مختلف الشــرائح والمســتويات. عاد أبي إلى صــحرائه الهائلة وأناســها الجميلين, الذي كانوا يســتقبلونه في كل قرية أو هجرة أو مدينة يحل بها مهللين مرحبين داعين كنجم شعبي حقيقي, ووسط هذا

اســتمر في كتاباته التي تجلت وتألقت فكانت (الهذرلوجيا) عنوانه الدائم وفي العام 2004 انتقل للكتابة في «جريدة الجزيرة « بشــكل شـبه يومي مع ذات التناولات والوهج الذي ملأ حياته بالجمال والبهجة, كانت الســنوات الأخيرة لحياته منذ انتقاله للاستقرار في مدينة الرياض 1999م وحتى وفاته رحمه الله في 21 أغســطس 2013 م رحلة من المتعة والبهجة والهدوء الرائع محاطا بكل ما يحب وسعة من العيش عوضته عن كل سنوات الحرمان الطويلة. كان الفضل لخادم الحرمين الشـريفين الملك سـلمان بن عبد العزيز آل سـعود الذي أحاطه بالرعاية، فحاول أبي رد معروفه الهائل بقصـائد نشـرها خلال حياته لهذا الملك المثقف الذي أولى رعاية خاصة لكل الأدباء والمثقفين والشعراء والكتاب .

الغناء في صحراء الألم:

ترك الفليح وراءه ســبعة دواوين زخرت بها المكتبة الخليجية والعربية اســتهلها ببواكير أعماله «ديوان الغناء في صحراء الألم في عام 1979» و« أحزان البدو الرحل 1980» و« ذئاب الليالي 1993» و« الرعاة على مشــارف الفجر 1996» و« رســوم متحركة 1996» و« البرق فوق البردويل 2009» و« الأعمال الشعرية الكاملة من 1951 - 2013م».

خيمته تهتف حين ترضع الغيمة الشخانيب والسهوب:

من جانبه كشف «للثقافية» ابنه الباحث والشاعر أسامه الفليّح أن هناك أيضاً عدة إصدارات سترى النور قريباً بينها دراسات نقدية والانتربولجيا, ودراسة العرف لدي البادية, ودراسة عن حياة الصعاليك العرب, ودراسة ومحاضرات عن (حنشل البدو، والهمباته في السودان), والسيرة الذاتية لطائر الشمال (مذكرات), ومقالات هذرلوجيا من 1973 - 2013م, ومجموعة قصائد (نبطية), ومحاضرة الحدا نشيد الموت, وحلقات من برنامج حيهلا في قناة الواحة 2002م, وشهادات حول التجربة, ودراسات عن شعر الفليّح, ولقاءات صحفية – تلفزيونية – إذاعية.

مسلطاً الضوء على الدراسات والبحوث والمقالات النقدية المنشورة التي كتبت حول تجربة والده الشعرية والتي بلغت أكثر من اثنتي عشرة دراسة نقدية لأدباء ونقاد وكتاب وشعراء، كما شملت الدراسات على رسائل مقدمة للجامعات من الباحثين للحصول على رسالة الماجستير وشهادة الدكتوراه. سُلط فيها الضوء بالبحث والتحقيق على تجربته الحداثية الرائدة ومفرداته ومدلولاتها النفسية وتأثيراتها الإبداعية, وإسهامه في خلق فضاء ثقافي مغاير يوحي للقارئ وكأنه على جال ضوء نار بدوي في خيمته وسط الصحراء يقلب حطب الأرطى وجمر الغضى لا يفكر سوى كيف يمضي على أعقاب سحابة نفضت صدرها

وغنت لها شـــناخيب الجبال والســـهوب المعشـــوشـــبة فرحاً لطلع الروثة والربلة والرمث والشيح والقيصوم.

أذهل موفآكو لأن بيده الوار ورامبو وبوشكينه:

وأبان الفليّح : أن أعمال والده الراحل ترجمت لعدد من اللغات منها الإنجليزية والروسية والفرنسية والصربواكيـة. كما تناول عدد من الأدباء والكتاب المشرقيين تجربته ومنهم المســـتشـــرق الألباني (موفآكو) الذي أذهله انفراجه على قراءة حضارات الغرب وانفتاح روحه الإبداعية وهي تستشف وتتلقف الشعر بتجاربه العالمي، فكتب عنه «ياالذيك البدوي الذي يجول شوارع الكويت حاملاً دواوينه الصغيرة ودواوين الوار ورامبو وبوشـكينه إنني لم أكن أتخيل وجود مثله في خليج النفط». ولشـده ما قرأ عنه وشـده به المسـتشـرق الروسـي (شـاغآل) وصـفه بالكنز ولام المســتكشــفين والمنقبين الروس الذي لم يعثروا على كنوزه المرصــودة والمخبوءة في جوانحـه فقـال: «لمـاذا لم يقـل لي المنقبون عن الكنوز من جوف الأرض إن في بلادكم من بين هـذه الكنوز هـذا الشـــاعر الرهيب الـذي يحيا فوقها"

وتحدث عن أصالته وحداثته المتمازجة والمتلاقحة الأديب والمؤرخ الكويتي خالد سعود الزيد الذي قال فيه «تلتقي البداوة بفطرتها والمدنّية بخبرتها في شخص».

وها هو الكاتب ماضـــي الخميس يؤكد ما ذهب إليه الزيد من تمازج الحالتين داخله وينصبه سفيراً للبادية والمدينة «إنه سفير البادية في المدينة وسفير المدينة في البادية"

أخلص للفقر والشظف ورقة الحال وخشونة العيش:

الناقدة والباحثة الكويتية الدكتورة نجمة عبد الله إدريس تناولت أشـــعار الفليّح في دراسة بعنوان «أسفار الترحال والهجرة» أشارت فيها إلى أن الفليّح اتخذ من (الصعلكة) أسلوباً للتعبير عن المعاناة والرفض.

إذ وجد في الصـــعلكة بما فيها من إيحاءات تراثية غنية الوعاء الأمثل لتجربته الشـــعرية المنطوية على الإحســـاس الفادح بالظلم ورقة الحال والانكســـار أمام مظاهر التسيّد والقسوة، ومشاهد التلوث الاجتماعي وحصار الثقافة المادية، ناهيك عن اغتيال قيم البراءة متمثلة بانســـحاق الصـــحراء والبداوة أمام زحف مدينة جائرة تقزّم الإنسان وتهضمه وتنتهكه بلا هوادة.

لذلك تبدو الصـعلكة طريقاً لا مفرّ منه لشـاعر مثل سـليمان الفليّح يعيش تجربته الشـعرية بمسـتوييها الفني والواقعي. إذ تغدو الصـعلكة قدراً وواقعاً يتلبس الشـاعر فيتخذها مطيته وأداته الوحيدة لبث معاناته ورفضـه واسـتهجانه لواقع يعاديه أو ينبذه أو يهشمه.

ولعل في ارتداء ثوب الصعلكة وإعلانها صهوة انطلاقة ما أعانه على التهامي بشخصيات الصعاليك واكتساب جرأتهم في المشاكسة والمناوشة والسخرية والتهكم، وزهوهم بشجاعة المواجهة والصلف والتحدي، وإخلاصهم للفقر والشظف ورقة الحال وخشونة العيش.

الأربعة التي تلت تعني أن استخدامها وتمثلها غدا موقفاً شعرياً يسم الشاعر بهذا الملمح المميز.وتنوه «إدريس» ان أول استخدام للمصطلح نجده في نص (من مفكرة صعلوك) ديوان الغناء في صحراء الألم:

"توضأت بالرمل عند ارتحالي

تزودت بالتمر والنفط، كانت طيور الجزيرة

رفوفاً مع الغيم والشمس تأتي

رفوفاً...

رفوفاً...

إلى واحة السدر عند الظهيرة

وكانت غيوم من القطن تندس فيها الطيور

مبللة تنحني فوق رأسي

تمارس هجراتها المستديرة

توقفت. قلت: ارتحالي طويل،

تفيأت ظلي ونمت

وعقلي تفيأ ظل الشجيرة

أفقت من النوم، نظفت عقلي

وصارعت طعم النعاس، انتفضت

تذكرت زحف الأفاعي الخطيرة

وأيضاً تذكرت أني نسيت اصطحاب تعاويذ أمي

وحرزي، ووسم العشيرة"

***

جسد أحزان البدو بجر الربابة وأغاني الصعاليك:

تقول «إدريس» : الصعلكة في هذا النص تأتي موازية للارتحال الكسير المرتجف الذي يبدو فيه المرتحل متوجساً من (زحف الأفاعي، والطيور التي تحدّ مناقيرها) وحادثا بالاصطدام (بالأسيجة والتخوم) التي تثقب براءته وعنفوانه وتملؤه حزناً ودمعاً ولكن الاصطدام بتخوم المدن الجائرة يحدث لا محالة.. وتنتهي الرحلة بالانكسار .. ولا يبقى من فيء غير (ظل الجناح المرفرف).

ثم جاء الاستخدام الثاني لمصطلح الصعلكة مرتين من ديوان (أحزان البدو الرحل) مرة في نص (جرة على الربابة) الذي أهداه إلى (شليويح العطاوي) الذي عرفه بقوله (إنه من أشهر فرسان الجزيرة العربية الصعاليك في القرن التاسع عشر، بل ومن أنبلهم وأشجعهم), ومرة ثانية في نص (أغاني الصعاليك) الذي اشتمل على ست مقطوعات: «أهزوجة» ويعلق فيها الشاعر رفض العبودية والدونية الانسحاق، وكذلك يأتي على ذكر التعرض للخلع والتشرد والضعة والضياع. و»تأبط شراً» وتمتلئ المقطوعة بالإحساس بالحصار الذي يدفع إلى الترحل المنطوي على الحزن والحاجة والمرتعش بلا أمن أو ظل والتوحد بذاته المنكسرة. و«السليك بن السلكة»، و«أبو الطحمان» وفيهما إصرار على التمسك بالصعلكة منهج حياة رغم الخيانات والهزائم. و»الشنفرى» والتي فيها يؤنب القبيلة التي نبذت أبناءها واعتقدت أنها مكتفية بذاتها, وبأنها سوف تكتشف حاجتها إلى من نبذتهم. و«عروة بن الورد» مقطوعته الأخيرة التي يرى فيها بأن الحصول على الحقوق يحتاج أحياناً إلى العنف والإغارة محاطين بالرضى والزهو. وكل تلك الإشارات والمعاني الواردة في المقطوعات الست هي جماع قيم الصعاليك وقانون حياتهم القائم على التشرد والارتحال والإحساس الفادح بالظلم، ومناجزة مجتمع الصلف والقسوة.

وتضيف: أما في ديوان (ذئاب الليالي) فهناك نص (الوصايا الأخيرة لصعلوك بني نفط) وكذلك جاءت لفظة (الصعاليك) وأسماء (عروة والشنفرى والسليك

وابن الغرابة) في نص أغنية الولد البدوي الذي جاء مشحوناً بالحنين إلى البراءة والبداوة والنقاء المفقود، حنين يتغلب به على الهمود والبلادة وكآبة المكان. وهنا تغدو الصعلكة أيضاً ارتحالاً عن الثبات والتكرار وتخثر الزمن وانطفاء الإنسان.

أما في ديوان (الرعاة على مشارف الفجر) فهناك نص مجرد صعاليك الذي يعبر عن الفجوة بين مظاهر الغنى والمدينة والترف الذي أقصى عنها، بين عالمه المنطوي على توحشه ورفضه وتحديه وانطلاقه – ربما نتيجة الإحساس بقلة الحيلة ورثاء الذات – نحو العنفوان والنبل بحثا عن ملاذ. إنه – دائماً – الرحيل والانبتات عن أولئك الغارقين في صلفهم وترفهم الفاحش ولا مبالاتهم، حين لا عزاء إلا بهذا الرحيل.

إن الصعاليك والتماهي بشخوصهم ومسلكهم يبدو ملمحاً مميزاً من ملامح شعر سليمان الفليّح. فهناك ذلك التوجه المستسلم للفقر ورقة الحال والشظف:

"نعاني التشرد والفقر لا بأس
فالدهر إن كان صلباً
فليس علاجُ الصلابة إلا الصلابة"

وتتابع: وهناك ذلك العزوف القسري أو الإقصاء الذي يشبه الحرمان عن الترف والغنى ومشاهد الرفاهية التي يضج بها المترفون ومدنهم الفارهة، في حين ليس للصعلوك غير أن يعيش على هامش هذا البذخ منطوياً على الشدة:

"ليس للصعاليك

الاحتفالات

والكرنفالات

طقوس الدِّنانِ الثمينة

والبزز الباذخة

ليس للصعاليك

دعوات السفارات

أو واجهات المطارات

أو بهرج المرأة (الكاشخة)

ليس للصعاليك

غير ملح البحار

ورمل الصحار"

***

أما في ديوان (رسـوم متحركة) على وجه الخصـوص فتتضـح نزعة السـخرية من (أصـحاب الدينار) واحتقار غناهم في أشـد صـورها إثارة. وذلك يكون الغنى مدعاة لإذلال الفقير وسحقه:

"أذل من دجاجة

أقذر من صرصار

أحقر من بعوضة

أضخم من حمار

لكنه : سبحان معطي الرزق

لكي نقول الحق

جنوده نقوده

وسيفه الدينار

وفيه ما يكفيه من طيّب الأذكار

لكنه خادمه في الليل

ويركب العباد في النهار"

إن (ندرة الدينار) لا تذل الفقير فقط، بل تقصـــيه أيضـــاً عن مراتب المجد، وتطفئ شمسه، وتعيده صاغراً إلى حياة الظل:

"في الزمن السخيف

هناك ألف سيف

بيني وبين الشمس

لا تقطع الأعناق

بل تقطع الرغيف"

وبذلك يتحول غنى الآخرين ورفاههم وما يستوجبه من نفوذ وتسيّد إلى سيف معاناة آخر يقهر الشاعر ويشعره بالصنعة إزاء التبجّح، وبالتقهقر والقماءة إزاء حواجز الاستعلاء:

"لي رجاء لا تصر

سيدي غضّ البصر

لست أصلح

من نداماك لأني:

بالمفيد المختصر

كلما عمرك طالا

سيدي عمري قصر"

وتشـــير «إدريـــس»: إن نزعـــة (الســـخرية المتهكمـــة) الـــتي خصـــص لهـــا الشـاعر إصـداراً منفـرداً وهـو ديـوان (رسـوم متحركـة) لا شـك أنها تنطـوي علـى وجـه آخـر مـن وجـوه المعـاناة. وهـذه المعـاناة تتضـح في عـدم القـدرة علـى التـأقلم مـع واقـع شـعر بالغـبن والاسـتلاب، ويزيـد مـن الشـعور بالانسـحاق والضـعة، فتتضـخم حينـذاك الرغبـة في رفـض الواقـع والنيـل مـن رمـوزه، وإيلامهـم بتلـك السـخرية للاذعـة. وكثـيراً مـا تأخـذ هـذه السـخرية أبعـاداً غـير مـبرّرة وتتحـول إلى لـون قـاتم مـن السـادية الشـعورية والتلـذذ بالانتقاص.

في كـل الأحـوال السـخرية والـتهكم الـتي يتنكهـا الفلـيّح لا يشـعرك مـن خـلال سـخريته وامتعاضـه بأنـه الأفضـل أو الأنقـى، بـل يتمثـل فجيعتـه الشخصية من خلال هذا الواقع الشائع ..

فهـو كمـا في نـص (حالـة) يشـارك أولئـك الخـور مـنهم تلـوثهم وغثيـانهم ويغـرق معهـم في جـو مـن الجهامـة والـبلادة والخـور والفـراغ مـن الطمـوح وبهجـة الحيـاة. ومـن خـلال غرفـة بأوحـالهم يحلـم بشـكل ضـمني بإمكانيـة النجـاة مـن خـلال الاعـتراف والتطهـر. وكمـا ينـتقم الصـعلوك الجـاهلي بالغـارة والسـلب والنهـب وإلحـاق الأضـرار الماديـة بمـن سـلبوه حـق الحيـاة الكريمـة ودفعـوه للتشـرد وشـظف العـيش، يتخـذ صـعلوك العصـر مـا يشـبه

هـذا المسـك، إن لم يكـن بالغـارة الفعليـة الـتي تتطلـب الخيـل وهـدأة الليـل وسـرعة العـدو، فبالـذكاء والمسـايرة والمداهنـة الـتي تحقـق الغايـة. والشـاعر إذ يعترف بقذارة الفعلة فإنه يراها أهون شراً من التباكي والشكوى:

"دع البكاء

يا أيها الحكاء والشكاء

واغنم زمان النصب

ثم السلب

ثم النهب

فأقذر الأشياء في زماننا

صارت هي الذكاء"

***

سُليمان الفلّيح: شاعرُ الصَّحراء والأقاصي

بقلم: رشيد الخديري(102)

يُعَدّ الشاعر سليمان الفلّيح (1951-2013) أحد أهمّ الأصوات الشعريّة في الكويت، فقد أثرى بشعره الغزير خزانةَ الشعر الكويتيّ، وجدّد في أدوات اشتغاله وتصوّراته حول مفهومات الكتابة الشعريّة، باعتبارها كتابةً نازفة، حاملةً بذورها وسيروراتها في نسغ تكوُّنها وتشكيلها.

فالكتابة، بهذا المعنى، تصير نوعاً من التوحُّد مع الذات، وبحثاً "عن الأنفاس المنطوية في ثنايا هذه التجارب، أو لفضح ما ظلّ يكتمه الشاعر، ويتستّر عليه ربما" [1].

من هذا المنظور الفجائعيّ، الممهور بعنف اللغة، وهي تحفر تورياتها واستعاراتها في أخاديد القصيدة، ينحو سليمان الفلّيح في بناء عوالمه ومعالمه الشعرية، وهي بالتأكيد عوالم إبداعية مفتوحة على قيم الشِّعر الأثيرة: الأم- الوطن- الحب- الطفولة- الكتابة، وغيرها، و"من هنا، فالكتابة حين تكون إبداعًا، تنسج علاقة مع الوجود في وضعياته المختلفة لكي تقبض عليه. فينسجم هذا المنحى مع كل صنوف الإبداع، وفي مقدمتها الشعر، أقدم هذه الأصناف" [2]

فقد سعى في جلِّ مجاميعه الشعرية أن يجعل الإنسان في صلب انشغالاته واهتماماته.

---

(102) شاعر وناقد مغربي – مجلة الفلق 20-9-2020

يصغي لهسيسه مُحاولاً ملء هذه الفجوات بجوانب إبداعية خلاَّقةٍ وثريّة، في تجربة حياتية ووجودية راهنت على الانكتاب بحبر الألم والوجدان والورش المفتوح على الحبِّ والشعر، ولعلَّ مُنجزه الشعريّ الآسر الموسوم بـ"الغناء في صحراء الألم[3] "، يتَحدَّدُ بوصفه تجربةً مع الألم الممتد والمتراحب في فضاء الصحراء، ثمة غناء إذن، لكنّه غناء ممهور بالألم واللحن الشّجنيّ، لتصير الكتابة الشعريّة لديه بوحاً شفيفاً، واللافت للانتباه في هذه التّجربة ككل، هو انغمارها بين المحكي الشعريّ، ونتقصَّدُ به ها هنا، تلك الشعريات التي تهجس بالسير ذاتي، خصوصاً فيما يتعلَّق بحالات الافتتان بالصحراء برمالها وتضاريسها وسمادرها وحكاياتها الليليّة المنقَّعة بكؤوس الصداقات المنشية خلف الظلال البعيدة، ثم، جنوحها نحو شعرية الرؤيا والحلم، كتأكيد على أن الشعر هو في حدِّ ذاته سفر نحو الحلم والحلم الرؤيويّ، فجماليات الكتابة وسحرها يكمن في "قدرتها على تشريح الحياة، وخلخلة السدود الحاجبة لتدفقات الجمال فيها" [4]، وإذا كانت هناك من دلالة نستقيها من هذه الإشارات، فهي التّوغل العميق في أقاصي الصحراء، بحثا عن لغةٍ شفيفةٍ لا تشوبها شائبة، وقادرة على ترجمة كل هذه الانفعالات الشعرية، وما تنطوي عليه من منظورات للكتابة وبناء مُتَخيّلاتها وعوالمها، وسُنحاول رصد معالم هذه التّجربة من خلال التّوقف بالقراءة والتّحليل عند قصيدة:"توجُّسات في الزّمن الفاسد"، وهي قصيدة تُحاول ملامسة فعل الرؤيا/ الحلم، ومدى قدرة الشاعر على رؤية الأشياء الصغيرة وتقديم العالم بوصفها مأدبةً لمسارب الكلام، وسنتناول هذه القصيدة من خلال التّركيز على نقطتين أساسيتين، وهما: شعرية الرؤيا والحلم، ثم المحكي

الشعريّ، وهما خطَّان مهمّان في مسار الشعريات الحديثة والمعاصرة، ويُعبِّران عن توجّهٍ جمالي ووجداني وكتابيّ، لا غنى للشاعر على الانكتاب بواسطتهما.

.. وحلمتُ الليّلة يا أمي برياحٍ تجتاح المرعى
تقمع خيلي
تطردُ إبلي
تجلدني علناً بالأفعى
تربطني خلف مضارب قومي
تسقيني إذا أعطش دمي
توسعني يا أمي قمعاً
ورأيت الليلة يا أمي خيلاً برؤوس مقطوعة
تغزو قومي
ورأيت امرأة فوق البيرق مرفوعة
تهتف باسمي
عارية يغسلها الدم[5]

بهذا الحلم/ الرؤيا يفتتح الشاعر سليمان الفلّيح مُنجزه الشعريّ، ثمة حنين جارف للبيت، كمكان للسكينة والألفة، واللافت أن الشاعر استعان بلفظة (الأم) للدلالة على أنّها الجديرة بكل هذا الحب وهذا الحلم، لأن هناك دائماً ارتباطا عضوياً بين الأم ووليدها، كما أن الأم تبرز دائماً رمزاً للبذل والخصب والعطاء والحب، وواضح أن هناك (قتل رمزي) للأب، وهو قتل ليس بالمفهوم النيتشوي، وإنّما، أملته شروط وظروف كتابة هذه القصيدة، خصوصاً أن عنوانها

يُحيل على التّشظي والانشطارية والتّوجس. توجُّس مما هو قادم، جعل الشاعر يرتكز في تقديمه لهذه القصيدة على فعل الرؤيا/ الحلم/: (رأيتُ، حلمتُ، الليلة..)، وهي كلُّها إشارات تتجه إلى استبطان الأشياء واستجلاء غيومٍ قد تظهر في الأفق القريب أو البعيد بحسب رؤيا الشاعر، وهو بذلك يبحث في الكلمات عن لباس له، إنه تمرين اللغة على خوض مستحيلها، وتفجير ذلك الماء الذي يتبدى صفاؤه، لا يمكن إلا حين تكون الذات، ذات سيادة وحضور، وليست ظلا نائما في آخر الكلام، لِنَقُلْ، إنه ''شاعر الصحراء والأقاصيّ''، بدليل تواتر معجم صحراويّ، ليس في هذا المقطع فقط، وإنّما في كل المقاطع الشعرية، غير أنّ ما يُرَتِّقُ هذه التّوجسات هو الانهمام بهذه الثنائية: الرؤيا/ والحلم، وتجذُّرها في هذا البوح الشعريّ، مستعيناً ببناء شعريّ لا يني عن الاغتراف من معين الصحراء مُتَخَيَلاً وكتابةً، مآلاً ومرجآت، مبنى ومعنى، في أفق الكتابة بحجم الصحراء، بعيدًا عن يتم الرمال، قريباً من حضن الأم، الحضن الدافئ المرجو عند حدوث انتكاسةٍ أو توجُّسٍ مما يأتي، وفي هذا السياق، يمكننا القول، إن ''هذا النمط من الكتابة الشعرية يبدو نسقاً جديداً يعبر عن انثيالات واعية لا تمس الواقع بقدر ما تحفر في شعرية النص ذاته، [6] '' وهذا واضح من خلال تمثل هذه الشعرية التي تتشكَّل وتتطور داخل فضاءٍ الصحراء، معلناً عن تفرُّد في التَّجربة وبحثها الدافق والذائب عن تحققات نصيّة ترتكز على شعرية الفجيعة والتَّوجس والدم. يقول الشاعر:

"ورأيتك يا أمي مفجوعةً

تذرين الرملا

بين القتلى

وتلمين فتاة اللحم

ورأيت غرابا كبر الليل

ينعق حولي

ويدور كثيرا حول الخيمة، يتغافلني

ينهب طفلي

... (القصيدة/ص:34)"

إن هذه القصيدة تخضع لثلاث بنيات أساسية: بنية حكائية/ بنية انفعالية/ بنية أسلوبية، وكل هذه البُنى تتقاطع وتتداخل وتتماهى فيما بينها مشكِّلةَ عالماً شعرياً غارقاً في السوداوية (الدم، الليل، الرمل الأسود، الغراب، النمل الأسود، القتل...)، كما أن التنويع في استعمال الضمائر (ضمير المتكلم/ ضمير المخاطب..)، جعل هذه القصيدة مثل سوناتة خريفية حزينة غنَّاها ذات ليلٍ شاعر مفتون بالنظر إلى النُجوم وحركة الكواكب، وهذا هو "النص الأدبي، ليس شيئا عائما في الفراغ. ليس حجرا، أو هباءة، أو وهما. بل هو نتاج ذات إنسانية تاريخية في لحظة توترها وشرودها العارم، [7] " ومن زاوية أخرى، إن المحكيّ الشعري يُشكِّلُ إلى جانب ثنائية الرؤيا والحلم، أحد أهم المرتكزات الكتابة الشعرية عند الشاعر سليمان الفلّيح، والمحكي الشعريّ هو مدخل أساسي في الشعريات المعاصرة، بحيث إنه يجعلُ من "سردية الشعر/ القصيدة"، ولعلَّ هذا ميسم بارز في هذ التَّجربة، لا سيما أن تجربة في الحياة والوجود، قبل أن تكون تجربةً في الشعر. إن المحكي الشعري في هذه القصيدة، يُحيلنا في الكثير

من انعطافاته وإبدالاته إلى جنوحٍ نحو الاشتغال على الذات ومساءلتها ونسج حواريات شفافة وشفيفة معها في أفق كتابة شعرية تستدعي الحد الأقصى من التوتر الشـــعري أثناء الالتحام بالحلم والرؤيا وتجلية قلق الذات وغربلتها، مما هو قمين ببناء خطاب شعري ضاج بالأسئلة "ولعل بنية الخطاب الشعري تستمد معالمها من تشظي الذات، وبين اللغة كوسيط ينقل الشحنة الشعرية من مادتها الأولى إلى التعبير عن اختراق المحو والبياض والعزلة"، [8] من ها هنا، نبدو هذه العزلة عزلةً مبدعةً منتجةً، والأكيد أنها تجربة تمتلك كل إمكانات التحقق النصـــي وارتياد الآفاق الشـــعرية في إطار من المغايرة والاختلاف في التصـــور والانتماء والتشـــييد، لا شـــك أن ســـليمان الفليح، شـــاعر ملهم، لأنه خبر الصحراء والأقاصي، وعرض تجربته الإنسانية على مرأى من الحلم والرؤيا، واتخاذ المحكي الشـعري وسـيلة لفتح أفق واسـع ومغاير في أكوان التجربة الشـعرية في الكويت، وما حققه من (هبة الامتلاء) والخوض في ممكنات القول الشـــعري، بذاك الحس الجمالي وجعل التجربة الذاتية منبعا للجمال، وهو ذات المعنى الذي يصبو إليه كل شعراء العالم.

هوامش الدراسة:

1. **صلاح بوسريف:**
الشعر وأفق الكتابة، منشورات ضفاف – منشورات الاختلاف – دار الأمان، الطبعة الأولى، 2014، ص. 78.
2. **تقاطعات الحكمة في التصوف في شعر الطبال والرباوي،**
أعمال ندوة شعرية، تيفلت، 21 مارس 2015، دار الوطن للنشر والتوزيع، الرباط، الطبعة الأولى، ص. 5.

3. **سليمان الفليّح:**

الغناء في صحراء الألم، الأعمال الشعرية الكاملة، جمع وتقديم: سامي سليمان الفليح، دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع.

4. **إدريس الزمراني:**

عكاكيز *وقامات*، أنوال الثقافي، عدد 383، 20 فبراير 1988.

5. **سليمان قاصد:**

قصيدة النثر، فضاءات للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، 2011، ص. 11.

6. **علي جعفر العلاق:**

من نص الأسطورة إلى أسطورة النص، فضاءات للنشر والتوزيع، الأردن، ص. 26.

7. **رشيد الخديري:**

المعنى الشعري، الأفق الجمالي وشعريات الرؤى، منشورات مجلة الرافد الإماراتية، العدد 126، شتنبر 2016، ص. 33.

***

شعراء وكتاب يستعيدون ملامحه في الذكرى التاسعة لرحيله سليمان الفليّح أبو قصيدة التفعيلة السعودية!

عكاظ/ عبدالله عبيد / شتيوي الغيثي /طارق الصميلي(103)

حلَّ اليوم، 21 أغسطس، الذكرى التاسعة لرحيل الشاعر سليمان الفليّح، المولود — كما قال بحسب رواة القبيلة — بين عامي 1951م و1952م، في الحدود الشمالية للمملكة العربية السعودية، وتحديدًا في صحراء الحماد التي تتقاسمها جغرافيًّا عدة دول عربية: المملكة، والعراق، والأردن، وسورية. وضعته أمّه تحت شجيرة في الصحراء، ولفّته بطرف عباءتها، ثم سارت تغنّي في ركب القبيلة الضاعنة نحو حدود الغيم، بحثًا عن الكلأ والماء.

عاش الفليّح – بحسب ويكيبيديا – طفولة بائسة بين رعي صغار الغنم، ورعي الضأن، ورعي عدة نوقٍ عجفاء، وهي آخر ما تبقّى لأهله –كما قال – بعد سنواتٍ متوالية من الجدب والقحط والجوع. يستعيده نقاد وشعراء سعوديون شباب اليوم بوصفه الشاعر السعودي الأحقَّ بأن نباهي به دولَ المركز سابقًا وباقي المحيط العربي، لأنه –كما يعتقد هؤلاء الشباب – أبو قصيدة التفعيلة السعودية التي تحمل هويةً لا تشبه هويةً أخرى.

---

(103) صحيفة عكاظ 21 أغسطس 2022

في طفولة الفلَيِّح، الذي مات أبوه بسـبب الظروف وفقر الدم وداء السـلّ، تزوجت أمه من رجل آخر، وتعهد خاله سكران بن لافي بتربيته، فكان –كما قال الفلَيِّح – أكرم الرجال، وأطيبهم معشراً.

في مَعِيَّةِ الصِّبا والشباب عاد سليمان الفليّح إلى قبيلته التي طَوَت خيام الترحال، وتوزعت بين المملكة والكويت لتسـتقر نهائيًّا في هذين البلدين، أما هو فقد التحق بالجيش الكويتي منذ عام 1970م إلى أن تقاعد في أوائل 1997م، وتدرّب خلال تلك المدة على العمل الصحفي في جريدة السياسة الكويتية، وكتب أولى مقالاته (هذرولوجيا) فيها.

كما عمل صحفياً ومراسلاً حربياً لفترات وجيزة على الجبهتين المصرية والسورية خلال حرب الاستنزاف (1971 – 1973م)، إضافة إلى كتابته للعديد من الصحف والمجلات السعودية والكويتية. صدرت لسليمان الفليّح العديد من الدواوين الشعرية، وكتبت عنه دراسـات أدبية وأكاديمية عديدة، كما تُرجمت أعماله إلى العديد من اللغات كالإنجليزية والفرنسية.

الغياب القاسي لقصيدة الفليّح:

بقلم: عبدالله عبيد

يمكنُ للحياة أن تتفادى الموت إن أرادتْ، أو أنْ تقارعهُ، وربما تحرمه من مهنته الأبدية، إلا أنها لا تستطيع تفادي شاعر يصرخُ في برية الله. أقول هذا وأنا أتعجبُ من تفادي المشهد الشعري، والثقافي السعودي للشاعر الراحل سليمان الفليح بطريقة تدعوني للرثاء البارد لهذا المشهد الذي يتنكر لفكرة الأصالة الشعرية.

فحيث تزدحم المدونة النقدية بقصص أبطال الحداثة، وتجترها بطريقة سينمائية مملّة تتجاهل تجربة الفليح الكبيرة، هذه التجربة التي قدمت النص الجديد، باعتبارها جزءًا لا يستطيع الفكاك عن محيطه العربي، غير متناسية رائحة الخيمة، أو صوت الربابة، بل حاملة الشخصية البدوية بكل تعلاتها، وحسناتها إلى أفق آخر، عبّرتْ عنهُ التجربة بكل عُزْيٍ، وحريةٍ، وصدق. لقد حمل الفليح المكان، والزمان في شعره، حمل كل الموجودات التي تفاعل معها لتكون تجربته الشعرية تعبيرًا عن هذا التفاعل الخاص، والمميز بينه وبينها. وظل يراوح في تعبيره هذا بين الكتابة المقالية والشعرية، فصيحةً كانت أم نبطية.

إنه من نافلة القول أن نذكر بأن المزاج النقدي في الأساس، يظل محكوما بالذائقة، وهذا ما لا يمكن إنكارهُ. ولكن المزاج النقدي، قد يتعمد أن يتجاهل تجربة مميزة لأسباب لا علاقة لها بالفعل النقدي، لكنه لا يستطيع أن يتفادى تجربة كبيرة ومؤثرة كتجربة الفليّح، إلا عن جهل وعدم مواكبة لما يُنشر، أو أن المزاج النقدي العام يخضع لما هو خارج النص بالدرجة الأساس ولا يُعنى بقراءة

التجارب الإبداعية لذاتها؟ هناك اتهام كلاسيكي يوجهه عدد لا بأس به من الشعراء دائما، للفاعلين في الحركة الشعرية والثقافية، يتلخص في فكرة «الشللية» التي أتحفظ تجاهها شخصيا، فكل من لم ينل حظه من الحضور الشعري، عزا السبب إلى كل شيء عدا نصه، وهذا لا يعني وجود بعض الحالات التي حصلت على الضوء بعد وقت طويل من الإهمال، والتجاهل.

لكنني بدوري أود في هذه المساحة مساءلة جدوى التكريس في النقد الأدبي الذي يعنى بالشعر السعودي المعاصر.

أعني ذلك الذي يتحدث عن جماليات القصيدة السعودية الحديثة، ويبحث في سماتها. دون أن يضع الأسئلة الأهم في نظري على الشعر والشاعر السعودي. عن ماذا يكتب الشاعر السعودي؟ ما الذي يمنح القصيدة السعودية ثوبها؟ هل أبدو مغاليا عندما أطرح أسئلة كهذه على التجربة الأدبية السعودية وأحاول قياس مخرجاتها وفقا لمدى إجابتها على هذين السؤالين؟ ثم هل انفتاح الشاعر على الكتابة في ألوانٍ أخرى يحد من أهمية المنجز الشعري، أم يضيف للتجربة ثراءً، وتنوعاً؟ إن تجربة الفليح امتدّتْ لتصل الشعر النبطي، والكتابة السياسية، وحتى اليومية. ولعلي أسأل هنا هل أكلتْ المساحات الأخرى التي حاول الفليح طرقها حصته من حضوره الشعري؟ لماذا لم تلمع قصيدته كما لمعت قصائد مجايليه؟ إنني في ذكرى رحيله هذه لا أود أن أكون عاطفيًا بقدر ما أود أن أكون منحازًا، لعمق تجربته التي أدهشتني شخصيًا، والتي أستغل هذه

المساحة إلى الدعوة إلى إعادة قراءتها وفق سياقها التاريخي، وتقييمها إلى جانب تجربة القصيدة الحديثة، وتطورها في المملكة العربية السعودية.

هناك زعم يشاركني فيه الكثير من زملائي الشعراء المجايلين لي يتلخص في أنّ الشاعر السعودي بعد أن انتهى من التعبير المحافظ، اتجه للتعبير الرومانسي، وعندما تلقف حركة قصيدة التفعيلة، حاولتْ بعض الأسماء فيه كتابة القصيدة الرمزية كما في بعض أعمال «سعد الحميدين» و«محمد العلي» ثم ظل يراوح ضمن مستويات مختلفة في التعبير عن قلقه وهواجسه، بطريقة جعلت الكثير من الشعراء متطابقين، سواءً في استخدام المفردات، أو في الاستفادة من دلالاتها كال«مرآة، والطين، والناي، وغيرها».

وضمن هذا المستوى ظهرتْ تجارب حاولت منح القصيدة السعودية ثوبا يميزها، مستثمرة عناصر المكان، مستخدمة الصحراء، والنخل، والشيح، والخيمة وكل العناصر التي تشير إلى سمة البداوة في الشعر، ولسان حالها كما قال الشاعر القديم: «وفي البداوة حسن غير مجلوبِ» حاملةً في نصها ذات القلق الوجودي المشترك، دون أن تظهر سمات جادة تميز التجارب الشعرية عن بعضها، هذا مع الإشارة إلى بعض الأصوات التي حاولت التغريد بعيدًا عن أسلافها، وقامت بمراكمة رصيد يستحق الاحترام، وسنتعرض لها في وقت آخر.

إن المفارقة المثيرة للسـخرية تكمن في أن الشـعراء في المحيط العربي كانوا يمرون بتقلبات سياسـية، واجتماعية، وتراجيدية جعلتْ الكثير منهم ينشـد الاسـتقرار ليتفرغ لمشروعه الشعري، باعتبار الاستقرار، والأمن سيدفع تجربته الإبداعية إلى مناطق لن يصلها وهو يعيش الاضطراب.

بينما الشاعر الذي ظل ينعم بوضع سياسي واقتصادي واجتماعي مستقر ودافعٍ للنظر في التجربة الإبداعية بهدوء، ودون منغصـات، ظل يبحث عن موضـوع لتجربته الشعرية، وهذا الأمر ليس انتقاصًا للعملية الإبداعية لكثيرٍ من الشعراء الرائعين لدينا، ولكنه سؤال للنقد الأدبي السعودي، لماذا غفل عن دراسة جوهر مشـكلة التعبير الشعري في السعودية؟ والتي نجا منها الشـاعر سـليمان الفليح، الذي أزعم بمقالي هذا أنه استطاع الإجابة عن سؤال مضمون التجربة الشعرية كشـاعر سـعودي في المقام الأول، وشـاعر عربي يعرف متى يتفاعل مع الهم المشـترك، ويعرف متى يعبر عن الجواني. فإننا نجد في تجربة الفليح، والتي أدعو فيها إلى الالتفات إلى طرائق تعامله مع الرموز التراثية التي تنتمي للجزيرة العربية، واسـتنطاقه للمظاهر التي شـكّلتْ وعيه، وثقافته، التعبير الأصـيل، والبعيد عن التكلف، والافتعال لدى الفليح جليا في نصـوصـه عبر اتكائه على عناصـر المكان الصـحراوي التي تحدثنا عنها لكن مع منحها دلالات مختلفة، وإيحاءاتٍ جديدة. وبالعودة للسـياق الزمني الذي أرّختْ فيه نصـوصـه، فإنني أراه سـابقا للعديد من الأسماء التي تم تكريسـها لنا كآباء للقصـيدة الحديثة في السـعودية.

وأعود لأســأل في خاتمة هذا المقال: كيف غفل النقد الســعودي عن شــاعر ســعودي بقيمة ســليمان الفليح؟ داعيًا وزارة الثقافة ممثلة بهيئة الأدب والنشــر والترجمة لإعادة طباعة أعماله الكاملة تكريمًا لهذا الشــاعر العظيم الذي رحل في الــ21 من أغسطس من عام 2013 تاركًا خلفه صوت ربابته الشعرية شاهدا على غياب قصيدته القاسي. نقرأ من ديوانه «أحزان البدو الرحل»:

«يعـذبني أن غيمـا كثيفـا إذا اعتم القلـب و(اغتم) يأتي بـذهني كثيفـا كثيفًـا بطيءْ.. ويحزنني أن رعـدا يهز جبـال العـذاب بقلبي..عنيفًـا.. عنيفـا يجيءْ.. ويقتلني أن برقا يشع بصحراء روحي.. ولكنه لا يضيءْ"

***

بداوة الفليّح والوعي الشعري الحداثي

بقلم: شتيوي الغيثي

لا أعرف شــاعراً ســعودياً يكتب القصــيدة الحداثية الفصــيحة أكثر بداوة من ســليمان الفليح (رحمه الله) وكل الشــعراء الذين اســتهدفوا هذه الثيمة الشــعرية

جاؤوا متأخرين عنه، فهو الذي فتح باب الوعي الشعري الحداثي على الاشتغالات البدوية بوصفها اشتغالات رمزية وشعرية يمكن الوقوف عليها، ليس بوصفها موضوعاً شعرياً فحسب وإنما وعي بأهمية الانطلاق من الذات الشعرية رغم الإمكانات التي تتيحها الحداثة الشعرية في وقته إلى آفاق أوسع، لكنه فضّل أن تبقى القصيدة لديه قصيدة بدوية مع كل تلك الحداثة التي انطلق منها في صياغة تراكيبه الشعرية؛ خصوصا إذا ما عرفنا أن هذا الوعي كان مبكراً جداً منذ منتصف السبعينات التي بالكاد خطت الحداثة السعودية الشعرية خطواتها نحو التجديد الشعري، إلا أن الفليح كان أكثر وعياً بهذه الحداثة في وقت أبكر دون التخلي عن المضامين البدوية رغم محاولات التجديد على مستوى الصورة والتراكيب والشكل الشعري.

وأظنّ أن هذا الوعي المبكر لسؤال الحداثة الشعرية في وقته في محاولاته الانطلاق من الذات الشعرية البدوية -التي جاءت لاحقاً كواحدة من أهم الهويات التي يتكئ عليها شعراء الحداثة السعودية في الثمانينات- كانت نتيجة اتصاله الواعي بمراكز الشعرية العربية الحضرية في العراق ولبنان ومصر وغيرها كونه عاش في الكويت فترة من الزمن، مما جعله يعيد التفكير في الحداثة نفسها وفي البداوة كذلك، لتخرج لنا تركيبة شعرية عجيبة في وقته سميتها: «حداثة البدوي» في دراسة سابقة عنه، على اعتبار أن ما جاء به الفليح يصب عميقاً في مفهوم الشعرية الحداثية رغم اتكائه على البداوة، وهذا الاتكاء نراه واحداً من أهم

الأســاســات الحداثية التي ركز عليها الشـعراء السـعوديون من بعده بسـنوات. وبرغم عدم الالتفات النقدي السـعودي لتجربة الفليّح لأسـباب لا أدري عنها صراحة، ولا أدري عن دوافعها أو مشكلاتها، إلا أنه قدّم رؤية شعرية مختلفة ربما لم يسـبقه عليها أحد من قبل، ولا أريد أن أجزم في ذلك لعدم توفّر الشـواهد والأدلة، ولكن أظن أن عدداً من الشـعراء السـعوديين فترة الحداثة لابد وأن اطلعوا على تجربته لمدى تقارب الرؤية أحياناً، وفي تصوري أن ما قدمه من تجربة تكاد تكون فريدة؛ لا على مسـتوى الفترة الزمنية التي كتب بها، ولا حتى على مستوى الرؤية الشعرية نفسـها التي كانت شـديدة الخصـوصـية بالاعتماد على المعطيات التي يمتلكها تجعله مختلفاً عن غيره في عموم الشـعر السـعودي أو الخليجي بشـكل عام.. أقول ذلك وعيني على مجمل تجربة الشـعراء السـعوديين في فترة السـبعينات، فعلى رغم حضـور الشـعرية الحداثية في تلك الفترة إلا أنها كانت تجربة حضرية أو لم تتكئ إلا على هويات لم تكن البداوة من ضمنها رغم تجاور البداوة والتحضـر في الجزيرة العربية؛ وحده الفليّح كان متفرداً في هويته البدوية التي لم يُلتفت إليها نقدياً رغم كل ما تمتلكه التجربة من عمق الرؤية وطرافة التناول، وحينما قدّمت الثمانينات رؤية حداثية أخرى، ودمجت معها البداوة أو الصحراء بوصفهما هوية شعرية تاريخية وجغرافية كُتب عنها الكثير أو قُدّمت بوصـفها رؤى حداثية بعيدة الغور، لكن بقيت تجربته تقبع وحيدة هناك

في الظل أمام أسماء أخرى برز حضورها رغم أسبقية التجربة التي قدمها سليمان الفليح (رحمه الله).

لم يكن الوعي الشعري لدى تجربته وعياً عادياً حتى يتم تجاهلها نقدياً؛ بل كانت تجربة شديدة العمق في مدى النظر إلى الذات الشعرية وما يمكن أن تمتلكه من هوية شعرية خاصة، والتي رآها الفليّح في الحالة الشعرية الأقرب إلى وجدانه وفكره وأرضه وتاريخه وحياته، وكأن قراءة تجربته هي قراءة لتجربة التاريخ الثقافي في الجزيرة العربية التي امتزجت فيها الحداثة بالبداوة وهذا ما يجعل لتجربة الرجل فرادة ربما لم تتحقق لغيره، على الأقل في تلك الفترة المبكرة من الوعي الشعري السعودي، ولنقرأ هنا نموذجاً شعرياً من تلك النماذج التي قدمها، يقول:

أيها الولد البدوي

إيتنا بالربابهْ

وغنّ لنا ــ يا طويل البقا ــ ما ينحي الكآبهْ

و تأنّ قليلاً بلحنك

إنّ السماء ملبدةٌ بالعقارب

والليل يرخي حجابهْ

ونحن سنسهرُ حتى الصباح نعيد حديث الصعاليك

نأرقُ

إن نام كلّ خليّ وأوصد بابهْ
نحتسي (تمرتنا)
ونقاسم كل خليّ بهذا الزمان عذابهْ.

وأعتقد أن أول من استدعى صورة الربابة في الحداثة الشعرية السعودية هو الفليّح، ولعل هذا يذكرنا جميعاً ببعض تلك الصور التي قدمها الشعراء السعوديون من بعده، لكن هذا الاستدعاء لم يكن استدعاءً بشكل مباشر حتى يكون الوعي الشعري به وعياً مباشراً وغير جدير بالالتفات؛ بل يذهب أعمق إلى تلك الرؤية التي تحاول التواصل مع التاريخ الشعري العربي بأكمله فيقول في نفس القصيدة:

غنّ لي ــ أيها الولد البدويّ ــ
فثلجٌ تراكم في الروح منذ سنين
يريد الإذابهْ
وحادي القوافي تغرّبَ عنّي طويلاً
إلى أن مللتُ فطال اغترابهْ
أضئني فإني لمحتُ بنارِكَ
عروة، والشنفرى، والسليكْ
وابن الغرابهْ
تبارك شجوك

إني ثملتُ بهذا الأنين الأليفِ

رحلتُ لكل العصورِ

انتبهتُ لضوءِ الصباح الجديد

فتحت ذراعيّ للفجر

قلت هلا بهْ

وأظن أن فكرة حادي القوافي وفكرة الصعاليك واحدة من تلك الاشتغالات الشعرية التي ارتكز عليها شعراء الحداثة السعوديون فيما بعد، في حين أن الفليّح كان يتعاطى مع هذه الشعرية برؤية مبكرة تجعل منه شاعراً حداثياً بامتياز رغم بداوته الأصيلة شعرياً، حتى أن حضور الصحراء كان حضوراً مختلفاً لديه يشي بوعي شعري خاص، ويطول الحديث حول هذه الموضوع لعمق الرؤية تجاه الصحراء التي قدمها سواء على المستوى الجغرافي أو حتى على مستوى الرمزية التي تحضر لديه؛ فضلاً عن الحديث عن الصعاليك الذين كثيراً ما استدعاهم في شعره بوصفهم شخصيات شديدة التأثير في الشعرية العربية القديمة، وهذا الاستدعاء لهم تحديداً يفضي إلى وعي شعري سابق لدى الفليّح.

في الأخير.. لا أعتقد أن تجربة الفليّح كانت تستحق ذلك الإهمال النقدي لما فيها من رؤى كان يجب –في تصوري– الوقوف عندها طويلاً وتجليتها وإبرازها

للأجيال التي ربما لم تعرفه إلا كاتباً شعبياً، رغم كل ما يمتلكه من حداثة لا تقل عن الحداثات الشعرية التي كُتب عنها الكثير وما زال يُكتب.

سادن الصحراء «إلى البدويِّ الأخير سليمان الفليح»

بقلم : طارق الصميلي

علِقتْ بهِ الصحراء عند ذهابِهِ
لن تفهمي يا بيدُ كُنْهَ غيابِهِ
ماضٍ وعرس الرمل يطفئُ بعده أفراحه
ويضيءُ ناي عذابِهِ
لم تعرف الصحراء بعد رحيله
حزنا سوى جعلته من أسبابهِ
أجرى عذوبته لها نَهَرا
ولم يبخل على أحلامها بسحابِهِ
فكأنها المرآةُ
تعكس جنَّةً في الغيبِ
لم تعبر سوى من بابِهِ

وأباح للتاريخ سر خلودِهِ وخلودِها

ليكون من كُتّابِهِ

في صدره «أحزان بدوٍ رحّلٍ»

والحزن مجبولٌ على أصحابِهِ

لم يُغْرِهِ لحن المدينة

إنّما أشجى ربابته وهيّج مابهِ

فَرَثَى صعاليك الجزيرة كلّهم

هم وحدهم سَيَعُونَ حجم مُصابِهِ

ومضى لخيمته يشد حبالها

ويقيم دلّته على مشهابِهِ

والعابرون تبخَّروا من طيبه

وتقاسموا ما فاض من أنخابِهِ

وأنا أتيتُ إليه تجمع بيننا نَسَبا

ملامح حزننا المتشابِهِ.

مراجعة كتاب (أحزان البدو الرحل)

بقلم : زين العابدين المرشدي (104)

(يُسابق كالسهم أيامه المسرعة) -لو قدر للبوادي أن تُباع في الأسواق في عُلَب؛ لكان كتاب (أحزان البدو الرحل) للشاعر السعودي سليمان الفليح (1951 - 2013م) هو ذلك الكتالوج الذي يوضع لك في العلبة، لكي تعرف السلعة حق معرفة وتستخدمها بالطريقة الأمثل.

لا شك، أنَّ القريب من الشيء كالبعيد عنه؛ كلاهما لا يراه جيدًا، فالرؤية الجيدة هي أن تكون من منتصف المسافة؛ ولذا، فقد أتاح لي هذا الديوان الشعري رؤية الحياة في بادية الجزيرة العربية، لا قريبا منها ولا بعيدًا عنها، بل من المنتصف. يحزنني القول: إنّي تعرفت على شعر الفليح مؤخرًا، بعد رحيله بسبع سنين، كان الأمر يشبه أن تعثر على لؤلؤة ابتلعتها سمكة، فهو غير معروف لدينا في أوساطنا الشعرية في العراق فقد عرفني بشعره صديق سعودي شاعر، كنا نتحدث معًا، وقال: اقرأ شعر الفليح، أراهن أنه سيذهلك، وبالفعل هذا ما حدث.

- الورقة النقدية التي قدمها الشاعر العراقي زين العابدين المرشدي لمسابقة إثراء-مركز الملك عبد العزيز للقراءة والتي تضمنت قراءة نقدية لديوان "أحزان البدو الرحل، وفاز المرشدي بهذه المسابقة عام 2023م

في ديوانه أحزان البدو الرحل، الواقع بثمانين صـــفحة من القطع المتوســـط، والصـــادر في عام 1981م، يســـرد الفليح ســـيرة البوادي الحزينة حيث تختلط الأزمنة والأمكنة معًا، كما يتداخل الحي من الكائنات مع جماداتها، فرأس مال القصـــيدة هي البوادي، وهي تغذي الشـــاعر، وتبث في عروق خياله الدم من جديد.

مما أعجبني في الكتاب الديوان هو كســـر أفق التوقع، فغالبًا ما رسمت لدينا صـــورة نمطية عن شـــعر التفعيلة الحديث بأنه مرتبط بحداثة العيش ومتلازمة العولمة؛ فقد اعتدنا أن تكون المدينة هي البيئة الحاضنة لأجواء القصيدة الحديثة، ومحورها التي تدور فيها الأحداث، حتى أن بعض الشـــعراء العرب، لم يكتفوا بمدنهم، بل صـاروا يكتبون عن مدن الضـوء الكبرى، كباريس، ولندن ونيويورك، وغيرهن من أخواتهن المدن.

لكن الفليح قرّر في ديوانه هذا يأخذنا إلى البادية، موطئ الروح الأول، حيث القصـائد تشبه الغضـا، تُضـيء في الروح، ولا تنطفئ بسرعة، ولفرط أنسـك في جمرها المضـــيء تود أن تلمســـه، أن تداعب ذلك المجمر! كما يبرهن الفليح أنَّ الإنسـان في البادية يكون على مقربة من الطبيعة وفيها يخرج الإنسـان من بيضته ناعم الجلد، نظيف السريرة، بسيطا،

حافي الرجل والقلب، لا بريد للبدوي إلا الريح، تنقل ما يود العشاق قوله ولا لحاف إلا السماء، ولا منبه في الصباح إلا الشمس التي بحرارتها توقظه، عوضا عن منبه الجوال الذي نستخدمه اليوم، نحن أبناء الميديا.

إن أهم ما يميز كتاب (أحزان البدو الرحل أن الفليح يكتب قصائده مستعينا بذاكرتين، الأولى ذاكرة الآباء، حيث يحدثنا عن شخصيات من الموروث العربي كالشعراء الصعاليك، وغيرهم ممن يلفت نظره من الآباء، فهو يريد أن يبث من خلال هذه الشخصيات ما يحس به، ويعتمل فيه من حزن، فيقول في إحدى قصائد الكتاب واصفا تأبط شرا:

" تأبط شراً تطارده الزوبعة

يُسابق رف القطا للغدير الذي سوف تجتاحه الزوبعة تأبط شراً يجيء ولم يتأبط شيئاً، يُسابق كالسهم أيامه المسرعة"

والثانية هي ذاكرة الفليح نفسه، حيث يحدثنا عن عوالم البدوي، الذي هو ابنها البار بها، الذي ما انفطم عن ضرع الغيمة، فيشرح لنا ما يشاهده هو، ففي قصيدته (عُمّال) يصف العمال المساكين، الذين نزحوا إلى المملكة فيخبرنا:

"يجيئون مع مطلع الشمس مستبشرين

ترف على شرفة الفجر (وزراتهم) كالبيارق

نحيلون مثل الجريد

ولكنهم عندما يبدأون العمل

يصيرون مثل الحديد

وتغدو سواعدهم كالمطارق "

ومما يلفت النظر في هذا الكتاب الفخم أيضًا هو تدوين أحزان العربي حيث مآسي الإنسان الكادح، الذي تداهمه الخيبة، ويأسف الفليح على حال الأمة آنذاك، حاملا همومها مشعلا يضيء به القادمين إلى هذا الزمن فيقول في قصيدة الزمن الرديء:

" في الزمان الرديء؛

يُطأطئ للريح أغصانه الشجر العربي

ويمتد حتى السماء النبات الوصولي واللولبي "

وكما اهتم الفليح في تدوين البدوي المعاصر في قصائد الكتاب، لم ينس خوض غمار الفلكلور الشعبي، ففي قصيدته (جرة على الربابة يعرض لنا سيرة شليويح العطاوي، وهو واحد من أشهر فرسان الجزيرة العربية في القرن التاسع عشر، بل من أنبلهم، وأشجعهم، وقد عرف بغزواته الشهيرة وبشجاعته الفائقة، وما هذه الموازنة التي يحدثها الفليح بين الموروث والمعاش بمهمة يسيرة.

ولا ينسى أيضا حصة الوطن من كتابه هذا؛ فإن كان بدر شاكر السياب قد تمنى قديمًا أن يكون له قبر يؤويه في بلده، فإن الفليح يزيد على تلك الأمنية، فهو، حتى لو أريقت دماؤه، لن يحزن راضـــيا بذلك ما دامت دماؤه في تناثرها ستشكل – ولو لحظيا – منظرًا يشبه تناثر الزهر على صحاري بلده، إذ يقول في قصيدته (موت) التي هي بمثابة رثاء الفليح لنفسه:

" تخيرت موتك فذاً فريداً لأنك آمنت أن الحياة قصيرة وأنك تلقى المصير الذي قد تخيرت

حيث الجميع سيلقى مصيرة

بين رمال الصحاري تصير إذا أينع العشب لذلك أنت نثرت الدماء التي تتسرب

زهرا يوشي صحاري الجزيرة "

وإن كان البدو رحالة، فأحزانهم بالنقيض تمامًا، فهي ثابتة، أو تترحل معهم بمعنى أدق، متجذرة فيهم، ومن أجل هذا يكتب الفليح أحزانه وجنونه، ويسأل سـؤالا يريد منا أن نتأمله، وأن يختار المرء منا ما يناسـبه، لا ما يناسـب غيره، فيقول في قصيدة (جنون):

"إلام سنبقى نمارس هذا الجنون؟! "

ونبقى نحاول يا صاحبي أن نكون

كما نبتغي نحن، لا مثلما يبتغي الآخرون "

شـخصـيا أعد هذا الديوان الشـعري سـيرة جمالية مهمة، أجادها سـليمان الفليح، وبوصفي قارنا شـابا تعلمت من الفليح الشـيء الكثير ثقافة، وإنسـانية؛ حيث كان الفليح يوزّع مياه أشـعاره بالتسـاوي؛ كالنهر العادل، ففي الوقت الذي كان يعبّر فيه عن أحزان أممية كبرى تشـغل العالم، لا ينسـى أن يعبر عن أحزان بسـطاء البادية ومسـاكينها في الجزيرة الذين لا تتجاوز أحزانهم عتبات خيامهم لولاه، لكن الفليح أوصلها إلينا، فلا فرق بين حزن وحزن عنده، ما دام هناك إنسان يحزن.

***

قراءة في (قصيدة "مسرى الرعاة لسليمان الفليّح)

بقلم /فيحاء المرزوقي [105]

أين يذهبُ رعاةُ الإبلِ في هذا الليلِ؟

مرّوا بي متّجهينَ ملثّمينَ يحثّون المطايا إلى جهةٍ غامضةٍ في البراري

تُطاردهم ناقلاتُ الجنودِ

علّقوا أحواضَ الماءِ فوق دفوفِ النوقِ

علّقوا ربابهم المصنوعِ من جلدِ الذئبِ

علّقوا أرانبَ مسلوخةٍ، وقنافذَ بائدةٍ

علّقوا بنادقهم في السماءِ

علّقوا أمشاطَهم ، ومكاحِلهم،وحلي النساءِ

علّقوا سفائفَ مزركشة بالودعِ

علّقوا بسطاً ملونةً،ومرايا زرقا

علّقوا جراءَ،وطليان صغيرةً في الخروجِ

---

(105) – صَوت العُروبة 6 سبتمبر، 2016 فيحاء المرزوقي كاتبة سعودية صدر لها : جماليات التشكيل في شعر سليمان الفليح 2017

علّقوا اطفالهم في الفضاءِ

علّقوا نسوانهم في الهوادجِ

علّقوا صقورهم المدربةِ ،وكلابهم فوقَ سياراتِ الجيب الحمراء

علّقوا أعينهم في الغيومِ

***

أين يذهبُ رعاةُ الإبلِ في هذا الليلِ؟

هل يقتحمونَ المدينةً؟

هل يرعونَ الحدائقِ؟

هل يدخلونَ القصورَ لترعى جمالُهم الأزهار من على الشرفاتِ؟

هل يجتاحونَ الإستاد الدولي المزدانِ بالعشبِ؟

هل يرعونَ حقولَ النفطِ ؟

هل يرعونَ حقول الألغام ؟

هل يغرقونها بالبحرِ؟

هل يعبرونَ الحدودَ؟

هل يطلقونَ عليها الرصاصَ ؟

هل يطلقونَ عليها الذئابَ؟

هل يطلقونَ عليها الجربَ؟

هل يطلقونَ عليها سني الخرابَ؟

هل يعيدون إليها حروب العربْ؟

يتخذ الشاعر

أينَ يذهبُ رعاةُ الإبلِ في هذا الليلِ؟

مرّوا بي متّجهينَ ملثّمينَ يحثّون المطايا إلى جهةٍ غامضةٍ في البراري

تُطاردهم ناقلاتُ الجنودِ

علّقوا أحواضَ الماءِ فوق دفوفِ النوقِ

علّقوا ربابهم المصنوعِ من جلدِ الذئبِ

علّقوا أرانبَ مسلوخةٍ،وقنافذَ بائدةٍ

علّقوا بنادقهم في السماءِ

علّقوا أمشاطَهم،ومكاحِلهم،وحلي النساءِ

علّقوا سفائفَ مزركشة بالودعِ

علّقوا بسطاً ملونةً،ومرايا زرقا

علّقوا جراءَ،وطليان صغيرةً في الخروجِ

علّقوا اطفالهم في الفضاءِ

علّقوا نسوانهم في الهوادجِ

علّقوا صقورهم المدربةِ ،وكلابهم فوقَ سياراتِ الجيب الحمراء

علّقوا أعينهم في الغيومِ

***

أين يذهبُ رعاةُ الإبلِ في هذا الليلِ؟

هل يقتحمونَ المدينةً؟

هل يرعونَ الحدائقِ؟

هل يدخلونَ القصورَ لترعى جمالُهم الأزهار من على الشرفاتِ؟

هل يجتاحونَ الإستاد الدولي المزدانِ بالعشبِ؟

هل يرعونَ حقولَ النفطِ ؟

هل يرعونَ حقول الألغام ؟

هل يغرقونها بالبحرِ؟

هل يعبرونَ الحدودَ؟

هل يطلقونَ عليها الرصاصَ ؟

هل يطلقونَ عليها الذئابَ؟

هل يطلقونَ عليها الجربَ؟

هل يطلقونَ عليها سني الخرابَ؟

هل يعيدون إليها حروب العربْ؟

يتخذ الشـــاعر نهجاً جديداً في المعالجة، وشـــكلاً متميزاً في البناء ، فلم يتبع الطريقة التقليدية من حيث التزام القافية ،والوزن الخليلي ،بل اتبع نظام التفعيلة في الوزن مما يدل على أنه شاعر حداثي، مجدد يبدأ الشاعر قصيدته باستفهام على أمل وجود جواب حيث يرتبط بهذا السؤال رموز محيّرة، وتفصيلات عميقة في تعقّب وجهتهم الغامضة حيث يقول:(أين يذهب رعاة الإبل في هذا الليل؟

مرّوا بي متّجهين ملثّمين يحثون المطايا إلى جهة غامضة في البراري.

تطاردهم ناقلات الجنود علّقوا أحواض الماء فوق دفوف النوق، علّقوا ربابهم المصنوع من جلد الذئب، علّقوا أرانب مسلوخة، وقنافذ بائدة، علّقوا بنادقهم في السماء، علّقوا أمشاطهم ،مكاحلهم ،وحلي النساء...) فهذه المسافة الطويلة تحتاج إلى زاد كافٍ ،وهو ما تعّمد الشاعر ذكره من خلال استحضار المؤونة التي يحتاجها المسافر ولاسيما البدوي عندما يهمُّ بالرحيل إلى وجهةٍ بعيدة،

في حين يتهيأ الشاعر لوضع مقارنة الشيء وضده حيث قارن بين نقاوة عالم البادية بكل تفاصيلها ،و ماتتمتع به من بساطة ،وأمن ،واستقرار، وراحة ،وجمال وبين عالم المدينة وضجرها ،وصخبها ،وارتباط المدينة بكل ألوان التعقيد، والاضطراب ،والخوف وهو دلالة واضحة على أن الفليّح من أنصار عالم الصحراء النقي، على عالم المدينة المضّطرب المليء بالكوارث، والشاعر ربما

أراد أن يصب لجام غضبه على المدينة من خلال قوله:(هل يطلقون عليها الرصاص؟ هل يطلقون عليها الذئاب ؟هل يطلقون عليها الجرب؟

هل يطلقون عليها سني الخراب؟ هل يعيدون إليها حروب العرب؟) وعلى الرغم من هذا التعصب لعالم الصحراء النقي الفطري، إلا أنه استطاع أن يصوّر بعين الناقد مدى تأثير التلوث الصناعي، وخطورته على الحياة الطبيعية (هل يرعون حقول النفط؟

هل يرعون حقول الألغام؟)

الإيقاع والموسيقى الداخلية-:

اعتمدت القصيدة على الإيقاع الداخلي الذي يقوم على التكرار حيث ابتدأ الفليّح بجميع مستويات التكرار مبتدأ بالحرف ،ومنتهياً بتكرار الجملة هذه التكرارات أحدثت دلالات إيقاعية كثيرة منها تكرار صوت النون الجهوري (٢٨)مرة وأيضاً تكرر صوت الباء الذي يتميز بالشدة، والجهورية حيث تكرر في القصيدة (٢٣)مرة ليؤكد لى انفعاله، وتوتره مما أعطى النص بنية متناسقة ، وبملاحظة التكرار اللفظي فإن الشاعر يكرر اسمي الاستفهام (أين) مرتين و(هل)في ثلاثة عشر مرة وهذا الكم من الاستفهامات هو المحور الذي نسج منه الشاعر تجربته الشعريه وهو مايدل على صوت الأنا المتمسكة بموقفها، والرافضة التخلي عنه ،ومما يمكن لهذا التكرار أن يولد ايقاعاً داخلياً في القصيدة

من خلال إســـهامه في تقوية المعاني الصــوتية ،أما بملاحظة الفعل ،وســيره في سياق النص ،فإن الفليّح يكرّر الفعل ''علّقوا ''في اثني عشر موضعاً حتى يسير في نسق تكراري منظّم يعبر فيه الشاعر عن مدى تمسّكه وتعلقه بتفاصيل الحياة الصحراوية ،وأنسه بقربها,وأيضا كرّر الشاعر الفعل''يطلقون'' أربع مرات،ليدل على الانطلاق والتمرد،في وجهه المدينة لأنها سبب في الاضطراب ،والكوارث، والحروب ويجب التمرد باطلاق الرصاص، والذئاب في وجهها ،أما تكرار الجملة فإنه يعد المرتكز الذي يقوم عليه البناء الدلالي للنص بالإضـــافة إلى المهمة النغمية التي يؤديها التكرار في سياق القصيدة حيث يقول:

هل يطلقون عليها الرصاص؟

هل يطلقون عليه الذئاب؟

هل يطلقون عليها الحرب؟

هل يطلقون عليها ...؟

فتكرار الجمل الأربع تتابعاً ربما زاد من فاعلية، التناغم بين عبارات القصـــيدة بشكل منظم، متناسق، وقد راعى الشاعر الإيحاء التعبيري، والإيقاعي للصوائت الطويلة من خلال منحها ظهوراً بفضل التكرار إذ نجد ''قيماً موسيقيةً ''لحروف المد ووجود علاقة بين هذه القيم يُـــحدث تأثيراً ،نفسياً ،شبيهاً بالتأثير الذي

يُحدثه لحن الموسيقى وهذا واضح من ورودها بشكل بارز في ‘‘رعاة، غامضة، البراري ،تطاردهم، أحواض، امشـــاطهم ،النســـاء، الغيوم، حقول ،الحمراء، الليل،السماء ’’فتفرض إيقاعها على إحساس السامع وهو إيقاع بطيء يلائم نبرة الخوف والاضطراب التي يعيشها الشاعر ،كما كانت إيقاعاته المتسلسلة التي يوظّفها تهدف في النهاية إلى خدمة البناء الشـــعري ،وربط المتلقي بالنص ارتباطاً وثيقاً.

جماليات التّناص عند سليمان الفليّح

بقلم /فيحاء المرزوقي [106]

تعد تقنية التناص من التقنيات التي يســـتعين بها المبدع ليظهر مدى اتســـاع مخزونه الثقافي والمعرفي ،وقدرته الفريدة في توظيف هذا النص الجديد، واندماجه مع نصوص آخري منصهرة في النص لتفتح آفاقاً ،واسعة ومتعددة أمام المتذوق ليخرج طاقته الذهنية في الكشـــف عن الدلالات المختلفة والمتحدة في النص الجديد، الذي يقوم على أنقاض النص الغائب فالأديب عندما يلجأ إلى الحوار مع النصـوص الأخرى، ليس فقط ليعيد كتابتها بل يسـتعرض النصـوص ليلقي عليها مزيداً من الحس الوجداني الفريد الذي يجعل النص منفتحاً لاســـتقبال إيحاءات جديدة تعيد للنص حيويته من جديد، وبالتالي تتضـــح دلالة متولدة للنص الحاضر.

وقد وظّف الشـاعر سـليمان الفليّح تقنية التناص في خدمة المعنى الشـعري من خلال إحياء تراثه الحضـاري من جديد، وإثراء نصــه الأدبي بشـتى ألوان المعرفة والتي تحدث في نفس المتذوق، وبالتالي فإن روعة الكتابة التي يســتدعيها الفليّح في تناصّــه الشــعري حيث تتيح انبثاق المعاني وانفتاحها إلى آفاق واســعة تخدم

---

(106) – صَوت العُروبة 20 أكتوبر، 2016 فيحاء المرزوقي كاتبة سعودية صدر لها : جماليات التشكيل في شعر سليمان الفليح 2017

دلالات نصه الجديد وسنحاول الكشف عن مدى إسهام تقنية التّناص وتأثيرها في البناء الفني لقصائد سليمان الفليّح، يقول:

سلاماً إليك

سلاماً عليك

سلاماً إلى عتمة القبر إذ يحتويك

سلاماً على أحرفك الجافلة.

تناصّت أبيات الفليّح مع سورة مريم آيه (١٥) على لسان عيسى بن مريم يقول تعال:(والسـلام عليّ يوم ولدتُ ويوم أموت ويوم أُبعث حيا)حيث إن السـلام موجهُ لهذه الروح وهي رحمة من الله تعالى وأمانه الذي يتغشـى عباده الصـالحين وهذه الرحمة وهذا الأمان يطلبه جميع من في الكون من الأحياء فما بالك بالأموات وهم أشد حاجة لها وقد نقطعت عنهم السُبل إلاّ سبيل الدعاء.

ويقول:

"سنلحقك الآن

أو هو غداً

أو ربما بعده..

إننا غافلون

بهذي الحياة

بل هي أيا أجمل الراحلين

بنا غافلون"

تناصّت هذه المقطوعة مع سورة الروم آيه (٧)في قوله تعالى(يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة عم غافلون)حيث يوضـح الشـاعر حقيقة الغفلة التي تحيط بنا وتمنعنامن تدبر الآخرة والاستعداد بالزاد ليوم الرحيل.

ويقول:

"فيارب هذه الخليقة،

أيُّ هذا العليّ المتعالي الصمد

أنقذ الأمة من هذا (الكمْد)

فليس سواك أحدْ

وليس سواك أحدْ

أحد، أحد، أحدْ"

وقد تناصّت هذه المقطوعة الشعرية مع مقولة الصحابي الجليل بلال بن رباح مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما أعلن إسلامه فوقع عليه التعذيب من سيده وقال قولته المشهورة :(أحد ،أحدْ)في تصوير من الشاعر على مدى وقع هذا الكمد وهذا الظلم الذي تعانيه الأُمة من الأعداء ، ف الجّوء إلى الدعاء هو الطريق الصحيح للتّخلص من هذا التسلط الظالم ،والتناص في المقطوعات السابقة أعطى نصوص الفليّح نكهةً، وجمالية عند المتذوق حيث يربطها بجذور راسخة وثابته. ويقول الفليّح أيضاً:

"(أُقسّمُ جسمي ، وأحسو القراح
وأطوي الحوايا على الخمص)
وأنثر خبزي للجوعى بأقسى السنين المريرة

وقد تناصت هذه المقطوعة مع بيت لعروة بن الورد الذي يقول فيه:

"أُقسّمُ جسمي في جسومٍ كثيرةٍ
وأحسو قراح الماء والماءُ باردُ"

فهذا التّناص أعطى البيت قوة وثباتاً لدلالته على رمز جميل يحمل قيمة الإيثار، والبذل، والعطاء وخير من يمثّل هذه القيم هو عروة بن الورد. ويقول في موضع آخر:

"أبكي إذا سقط الغبار عليها
أبكي إذا سقط الغبار على حمص
عطر الخليفة
وأنفاس الجبال
ومأوى الأشجار"

وقد تناصّت هذه المقطوعة مع بيت لديك الجن حيث يقول:

"وماكان قتليها لأني لم أكن
أبكي إذا سقط الغبار عليها"

ونجد الفليّح قد أجاد في توظيف التناص من خلال توضيح مدى إيمانه بروح القومية العربية، وانتمائه للدم العربي الواحد.ويقول أيضا:

"حصاني القمر المضيء
ونجومه المتلألئات قوافلي
تمشي كما تمشي النياق البُزّلِ
أحدو على إيقاعها
(يأيها الليل الطويل ألا نجلي

حيث تناصّت هذه المقطوعة مع بيت امرؤ القيس الذي يقول:

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي

بصبحٍ وما الإصباح منك بأمثلِ"

ربما أراد الشاعر (بالليل) هنا ليل الانتظار والذل والخوف فكان لابد أن يقابله شروق فجر القوة والانتصار، ونلاحظ أن التناص الذي وظّفه الفليّح زاد النص قوة إلى قوته وجمالاً على جماله ،حيث يحكي فجراً مشـــرقاً طال انتظاره ،وقد برزت قدرة الفليّح الإبداعية من خلال توظيفه الصـــحيح لتقنية التّناص توظيفاً ينم عن اطلاع الشـاعر وثقافته بموروثه الشـعري القديم مما يجعل المتذوق يبحث عن مصدر لذلك الصدى في موروثنا أو مخزوننا المعرفي ،والأدبي القديم.

قصيدة تسير حافية:
أثر الفليح في خرائط الثبيتي الشعرية

بقلم / عبدالله عبيد (107)

في الجغرافيا الشــعرية للجزيرة العربية، تتقاطع الظلال وتتبادل الرمال أنفاســها، ولكن قليلًا من يتوقف ليقرأ الأثر في الرمل. في هذا المقال، نقف أمام فرضــية جديدة ترى : أن الشاعر السعودي الكبير محمد الثبيتي، صاحب «التضاريس» و«بوابة الريح»، قد بنى جزءًا معتبرًا من مشــروعه الشــعري متقاطعا مع تجربة سابقة له، أكثر بدائية وجذرية، هي تجربة الشاعر الراحل سليمان الفليح

ولد ســليمان الفليح في شمال المملكة العربية الســعودية عام 1951، وقضــى جزءًا كبيرًا من حياته في الكويت التي احتضــنته كصــحفي وكاتب، ثم عادت المملكة العربية السعودية ومنحته جنسيتها لاحقًا تقديرًا لإسهامه الثقافي. ومع ذلك، ظل هذا الشاعر يتقاسم النسيان بين وطنين، دون أن ينال ما يستحقه من تقدير نقدي وشعري. وبينما خُلد اسم الثبيتي في خرائط الحداثة الشعرية، ظل الفليح يُقرأ بصمت، كجمرٍ تحت الرمل.

---

(107) – منصة كتابة : ١٢ سبتمبر ٢٠٢٥

أولًا: الفليح والثبيتي... بداوة الوجود لا زخرفة الصورة

يكتب سليمان الفليح في قصيدته" إلى زرقاء يمامة هذا الزمان ""

على كثبانك الصفراء
كان الحنظل البري بين السدر والحلفا،
يواصل زحفه الأبدي فوق الأرض ملتفّا
وكانت من لهيب الشمس تأتيني رياح تنفض الأغصان
والسعفا
لتذرو الرمل في وجهي،
ويشويني شواظ يسبق العصفا
ليلغي وجهيَ المكدود من ترحاله البدوي عبر الليل
من منفى إلى منفى "

إنها ليست بداوة مشهدية، بل بداوة وجودية غاضبة، تكتب من الرمل لا عن الرمل. ونلاحظ أن هذا المقطع يتشكل من وحدات تصويرية كثيفة تنحت من الرمل والريح والشمس والشوك كائنًا حيًا يتحرك على سطح الأرض، لا بوصفها خلفية، بل كطرف في الصراع: "كان الحنظل البري بين السدر والحلفا يواصل زحفه الأبدي فوق الأرض ملتفّا"

يبدأ الفليح بنبتة الحنظل البري، وهي صـــورة شـــديدة المحلية، لكنها محمّلة بالإيحاءات: الألم، المرارة، والمثابرة. الحنظل لا يموت، بل "يواصل زحفه الأبدي"، وهذا الزحف هو استعارة لحالة الوجود البدوي نفسه، حيث لا قرار، بل حركة أبدية في مواجهة الطبيعة.ثم:"وكانت من لهيب الشـــمس تأتيني رياح تنفض الأغصان والسعفا"

إنها حركة مزدوجة: لهيبٌ ورياحٌ، لا تأتي لتبريد بل لتزيد الوخز. حتى الريح، هذه التي ارتبطت دائمًا في الشـــعر العربي بالحرية، تصـــبح هنا أداة خلع لا احتضان.

وفي أوج التوتر التصويري، نصل إلى: "لتذرو الرمل في وجهي، ويشويني شواظ يسبق العصفا"

الرمل لم يعد تربةً، بل أصبح خصمًا حسيًا، يهاجم الوجه، والوجه عند الفليح ليس مجرد تفصـيل جســدي، بل هو تمثيل للذات المتعبة، للهوية التي تُلغى. ثم تأتي الذروة الكاشــفة: "ليلغي وجهيَ المكدود من ترحاله البدوي عبر الليل من منفى إلى منفى"

إنه ليس مجرد وصف لحالة، بل بيان وجودي. الترحال هنا ليس طقسًا شعبيًا، بل عذاب لا ينتهي. البداوة عند الفليح ليســت فخرًا شــعريًا كما تظهر عند آخرين، بل هي قدر قاسٍ، ينتج «وجها مكدوداً» يتنقل من« منفى إلى منفى»

هنا، البداوة ليســـت اختيارًا بل لعنة. وهي ليســـت رمزية ميتافيزيقية كما عند محمد الثبيتي (الذي يجعلها مصدراً للنبوة والنور) في المقابل يقول محمد الثبيتي في قصيدته "ترتيلة البدء":

"جئتُ عرافاً لهذا الرملِ
استقصي احتمالات السوادْ
جئت ابتاع أساطيرَ
ووقتاً ورمادْ
بين عينيَّ وبين السبت طقسٌ ومدينهْ..
خدر ينساب من ثدي السفينهْ
هذه أولى القراءاتِ
وهذا ورق التين يبوحْ
قل: هو الرعد يعرِّي جسد الموتِ
ويستثني تضاريس الخصوبهْ
قل: هي النار العجيبهْ
تستوي خلف المدار الحرِّ تِنيناً جميلاً..
وبكارهْ
نخلة حبلى،
مخاضا للحجارة"

نجد الثبيتي هنا ينسج البداوة بأساليب الاستعارة الكبرى، فيجعلها فضاءً للنبوة، والخصوبة، وشفرة كونية للحياة والموت. إنها بداوة مُصفّاة، مجازية، تتخذ من الرمل رمزًا للتحوّل لا للتآكل، ومن الصحراء موئلًا للرؤيا لا للخذلان. ومع أن الثبيتي يطوّع اللغة بجمالٍ أخّاذ، إلا أن حرارة الألم في شعر الفليح، وقسوته المادية، تجعلنا ندرك أن الأخير لا يكتب عن الصحراء بل منها، لا يستدعيها كرمز بل يعانيها كجلدٍ ثانٍ. ومن هنا، فإن أصالة الفليح في تشكيل البداوة كجحيم أرضي تُعدّ حجر الأساس الذي مهّد لرفعة القصيدة الصحراوية الحديثة التي يحتفي بثيماتها الثبيتي كرمز شعري، بينما يسكبها الفليح كدم غائرْ.

ثانيًا: اللغة والتعالق الإيقاعي

يبدو واضحًا أن شعر سليمان الفليح لم يكن مجرد صرخة بدوي في فضاء معتم، بل كان أيضًا نداءً إيقاعيًا متزنًا، يتكئ على جذور التفعيلة دون أن يتخلى عن نبرة الغناء الشعبي، ويقارب في بعض مشاهده الطقوسية أسلوب الترتيل، مستدعيًا أدوات ومفردات ذات حمولة فولكلورية كثيفة. هذا ما نلمحه في قصيدته ‘‘أغنية الولد البدوي والتي تنتمي لمجموعته (ذئاب الليالي) الصادرة في عام1993 والتي كُتبتْ قصائدها قبل هذا التاريخ حيث نشرت القصيدة عام 1986 في مجلة اليمامة في العدد 916 ومنها نقرأ:

أيها الولد البدوي"

إئتنا بالربابة

وغنّ لنا يا طويل البقا ما ينحّي الكآبةْ

(راكبٍ فوق حرٍّ يذعره ظله

مثل طيرٍ كفخ من كفّ قضّابه)

***

غنّ لي أيها الولد البدوي"

فثلجٌ تراكم في الروح منذ سنين

يريد الإذابةْ

أضئني فإني لمحت بنارك

عروة والشنفرى والسليك

وابن الغرابة"

هذا المقطع لا يقدّم فقط انسيابًا إيقاعيًا محكمًا على تفعيلة المتدارك (فاعلن)، بل يبني صوتًا غنائيًا متكلمًا يضبط النغمة والنداء والمخاطب بشكل صريح. وهو ما يجعل المقطع يتقاطع بوضوح مع مطلع قصيدة محمد الثبيتي تغريبة القوافل والمطر"، والذي ينتمي لديوانه (التضاريس) الصادرة في عام 1986 يبدأ بنبرة طقسية مشابهة:

"أدِر مهجة الصبحِ

صُبّ لنا وطنًا في الكؤوس

يدير الرؤوس

وزدنا من الشاذلية حتى تفيءَ السحابة

***

ثم هاتِ الربابة

هاتِ الربابة"

رغم اختلاف البحر العروضي بين المتدارك عند الفليح والمتقارب عند الثبيتي (فعولن)، إلا أن التناوب الإيقاعي في كلا النصين يكشف عن قرابة صوتية عميقة، خصوصًا حين ندرك أن "فاعلن" إذا تجردت من حركتيها المتحركة والساكنة في بداية المقطع الشعري (كما في الأداء الغنائي الشفوي) تُقارب في وزنها "فعولن"، مما يزيد من التماهي السماعي بين النصين.

لكن الأهم من هذه الملاحظة العروضية هو أن عناصر البناء النصي الأساسية ـ كاستدعاء الربابة، توجيه النداء، المزاوجة بين الغناء والألم، والانغماس في الإرث الصعلوكي ـــ كلها حاضرة بوضوح في نصيّ الفليح و الثبيتي. وإن كانت عند الأخير، أكثر ضبطًا وتوهجًا على المستوى البلاغي.

إن هذا التأثر الإيقاعي لا يتوقف عند حدود المفردة أو الجرس الموسيقي، بل يمتد إلى هندسة الصورة الشعرية. ففي مقطعٍ آخر من قصيدة الفليح، يخاطب الصعلوك الشهير "تأبط شرًا" في مقطعٍ ينتمي لمجموعته (أحزان البدو الرحل) الصادرة في عام 1981 فيقول:

تأبط شراً تطارده الزوبعة
يسابق رف القطا للغدير
الذي سوف تجتاحه الزوبعة
تأبط شرًا يجيء ولم يتأبّط شيئًا
سوى سيف آلامه الموجعة.

وهذا التصعيد الصوري الذي يجعل "الزوبعة" بؤرة متكررة وساطعة، نجده يتكرر بصيغة أكثر تجريدًا عند الثبيتي في مطلع قصيدة "القرين" والذي ينتمي لمجموعته المهمة (التضاريس) الصادرة في عام 1986

"مقيمٌ على شغف الزوبعة
له جانحان، ولي أربعة
يخامرني وجهه كلّ يومٍ
فألغي مكاني وأمضي معه""

كلا النصين يستخدم الزوبعة لا بوصفها عنصرًا طبيعيًا بل كقوة هلامية داخلية، تنطوي على معاني الانجراف، والتيه، والتصادم مع المصير. والتماثل هنا لا يمكن رده إلى المصادفة، بل يُحتمل أن يكون الثبيتي ـــ في لا وعيه الشعري ـــ قد تأثر بهذه اللغة الصراعية التي بثّها الفليح في قصائده، لكنه ألبسها أقنعة أسطورية وأدخلها إلى عالم أكثر صفاءً وإشراقًا

قد لا يكون التأثر بالضرورة دليلًا على استلهام مباشر، لكنه بلا شك يكشف أن صوت الفليح سبق في طرق بعض الأبواب التي دخل منها الثبيتي لاحقًا. كما أن هناك أبوابا طرقها الثبيتي فُتحتْ أبوابها للفليح فيما بعد فالربابة التي ينادي بها الولد البدوي عند الفليح، هي ذاتها التي تصدح في يد الثبيتي، وإن اختلفت النغمة فإن الوتر واحد."

ثالثًا: القاموس الشعري – توظيف الرموز والأساطير

في هذه النقطة تتبدّى المسافة الأكثر تمايزًا بين الشاعرين، حيث تبدو علاقة كل منهما بالرمز والأسطورة مختلفة من حيث المصدر والغاية. سليمان الفليح يشتغل على القاموس الشعبي، مستخرجًا رموزه من اليومي المعيش، من المفارقة الصاخبة بين البداوة والنفط، من إرث الصعاليك وحياة المهمشين. أما محمد الثبيتي، فينزع إلى تهذيب الصورة واستجلاب الأسطورة من أعالي اللغة والتاريخ،

فيُلبســـها لبوس الرؤيا والشـــفرة الكونية.فيجعل "مالك بن الريب يتســـكع بين الحفر والكويت "

هنا تتجلى المفارقة القاســـية: الفارس الأســـطوري المعارض، الذي كان يرتحل بخيله في فضـاءات الصـحراء، يتسـكع اليوم بين مدينة حفر الباطن والكويت . إنها أسـطرة عكسـية؛ حيث تُنتزع البطولة من رمزها وتُلقى في واقع هزيل. وهذا ما يميز الفليح: تحويل الرمز إلى مخلوق مأزوم، كاشفا لانكسارات العصر.

أما الثبيتي، فنراه يستدعي الأسطورة ليضخّ بها معنى أزليًّا على تجربة الذات، كما في قوله في قصيدة "سيد البيد":" سَتَمُوتُ النُّسُورُ التي وَشَمَتْ دَمَكَ الطفلَ يوماً وأنتَ الذي في عروقِ الثرى نخلةٌ لا تَمُوتْ"

إن الثبيتي لا يُســقط الرمز على المشــهد، بل يرفع المشــهد العادي إلى مصــاف الرمز.إن الفارق هنا جوهري: الفليح يكتب من داخل الأسطورة التي تصدعت، بينما الثبيتي يستدعيها كمحاولة للتماسك الشعري والميتافيزيقي. وهذا ما يجعل قاموس الفليح مشــتبكًا بالســياســي والاجتماعي، بينما قاموس الثبيتي محمول على رؤيا فلسفية تُجمل العالم أكثر مما تجرّحه.

واللافت أن كلا الشـــاعرين يوظف أسماءً من عمق الصـــعلكة والتراث، لكن الفليح يستحضرها لتقويضها، في حين يستعيدها الثبيتي لتجذيرها. بهذا تتجلى ثنائية التوظيف: الأول يعيد الأسـطورة إلى واقعها ليحاكمها، والثاني يســحب الواقع نحو الأسـطورة ليطهّره.الثبيتي يكتب بلسـان الأسـطورة، أما الفليح فيعيد الشعر إلى الشارع والبئر والرفيق الهارب.

رابعا: ما الذي حدث؟

لقد ظُلم سـليمان الفليح حين اختُصـر خارج سـياق الحداثة، رغم أنه كان من أوائل من بشّروا بها على مستوى الصوت والمعجم والرؤية. أما الثبيتي، فقد ورث هذا المشــهد ونقّاه وقدمّه بلغة أكثر موســيقية، لكنه لم يبدأ من العدم. إن أية قراءة منصـفة اليوم يجب أن تعيد الاعتبار لهذا الصـوت المتشـظي، الذي كتب من موقع الانكسـار لا من برج الميتافيزيقا. لقد سـار الثبيتي في أثر الفليح، لكن الغبار الذي تركه هذا الأخير ما زال أصدق من الضباب.

الاستشراف في الشعر

بقلم : هيفاء حمد البصراوي[108]

يعد استشراف المستقبل ظاهرة من الظواهر التي ظهرت في الأدب، وبشكل خاص في الشعر، ويقصد بالاستشراف مخالفة الشاعر سير الزمن؛ لتوقع أحداثًا مستقبلية قبل وقوعها؛ فمن القصائد التي استشرفت المستقبل في شعرنا العربي الحديث، قصيدة (إرادة الحياة) لأبي القاسم الشابي التي استشرفت ثورة الشعب التونسي ضد الاستعمار الفرنسي، وقصيدة (لا تصالح) لأمل دنقل التي استشرف فيها معاهدة كامب ديفيد قبل وقوعها.

وعلى صعيد الشعر في المملكة العربية السعودية؛ فإننا نجد الشاعر سليمان الفليّح يستشرف ثورات الربيع العربي في قصيدة (الأزمنة) التي كتبها سنة 1981م، أي قبل وقوع موجة الثورات العربية بثلاثين سنة، حيثُ يقول عن المدن العربية:

"هذي المدن اللائي فيها اللقمة

تختنق في أفواه بنيها الكلمة...

(108) – جريدة الجزيرة 19 ديسمبر 2015 هيفاء حمد البصراوي كاتبة سعودية صدر لها : الاستشراف الشعري في المملكة العربية السعودية 1380- 1432

لا شيء تبدل

في هذي المدن اللائي فيها يتعلّم منذ الصغر بنوها

مفهوم الثورة والثورات

كي تحصدهم حين بلوغ الواحد منهم سن الرشد الثورة

بالرشاشات..."

ونجد عبد الرحمن العشماوي يستشرف الثورات العربية - أيضاً- في قصيدة (خلا لك الجو) التي كتبها سنة 1991م، حيثُ يقول:

"سمعت بين الناس قائلاً يقول:

الجدب سوف يأكل الحقول

والوهم سوف يأكل العقول

وسوف تأتي سنة

ليس لها فصول

خريفُها ربيعُ...

وسوف يعقد الذبابُ جلسة انتخاب

وسوف يحدث انقلاب

وعندها سيكثر الضباب..."

لقد استشرف الشاعر سنةً يتحول فيها فصل الخريف إلى ربيع، وهذا ما حدث سنة 2010م، حيثُ اندلعت موجة الثورات العربية من أرض تونس الخضراء في فصل الخريف، بعد انقلاب الشعب الذي رمز له في القصيدة بـ(الذباب) على الحاكم المتغطرس؛ ليكثر الضباب المتمثّل في الثورات القادمة. أما على الصعيد الذاتي؛ فنجد الشاعر غازي القصيبي يستشرف موته في قصيدة (حديقة الغروب) التي كتبها سنة 2005م، عندما وظَّف عنصر الغروب بطريقة فلسفية يستشرف من خلاله انتهاء سنوات العمر، وذلك بعد هجر الأصحاب إما بالموت وإما بالسفر، حيثُ يقول:

"هذي حديقة عمري في الغروب.. كما

رأيتِ... مرعى خريفٍ جائعٍ ضارِ

الطيرُ هَاجَرَ.. والأغصانُ شاحبةٌ

والوردُ أطرقَ يبكي عهد آذارِ..."

ومثله الشاعر سليمان الفليّح في قصيدة (عواء الذئب الضّجر)، عندما وظَّف دلالة (العواء)، بطريقة إيحائية توحي بالنواح على الميت، ويســـتشـــرف موته في العاصمة الأردنية عمّان، حيثُ يقول مخاطبًا صديقه:

"ونفترق

لنتفق على اللقاء

لربما لو مرة أخيرة في العمر

على سواحل الدمام

أو ربما نموت

في الشام أو بيروت أو عمّان..."

وللاستشراف الشعري عدة أنواع منه: استشراف ذاتي وغيري، واستشراف سياسي، واستشراف أدبي، وهذا ما سندرسه في بحثنا للماجستير إن شاء الله، وهي دراســـة تقوم على المنهج التأويلي، الذي يهتم بتأويل النص وتفســـيره، مستعينة في ذلك بدراسات سابقة مثل: (الاستشراف الروائي) للباحث: عبدالله صفية، وكتاب الدكتور صبري حافظ (استشراف الشعر دراسات أولى في نقد الشـــعر العربي الحديث)، و(اســـتشـــراف النص) للدكتور عبدالرحمن العكيمي وغيرها.

شهادات حول التجربة

تلتقي البداوة بفطرتها والمدينة بخبرتها

بقلم: خالد سعود الزيد [(109)]

كلما جفّ الغدير في المدينة ونضب ماؤها، تحدّر الماء من الصحراء رافدًا، وكلما تعقدت الحياة في الحاضرة، تدفقت فطرة من البداوة تحكي جبين الشمس في نقائها وصفاء نورها، فالصحراء تظل أمومة ورحمة.

يطل علينا الآن رسولها حاملًا لكم شيئًا من عرارها، فتمتعوا أيها الإخوة من عرارها، فما بعد العشية من عرار. أيها الإخوة، تلتقي البداوة بفطرتها والمدينة بخبرتها في شخص سليمان الفليح.

---

(109) - **خالد سعود الزيد** (1937 - 2001 م).ولد في مدينة الكويت، وفيها عاش عمره العامر بالمؤلفات، وفي ثراها كانت رقدته الأخيرة، أما تطوافه الشعري فقد أحاط بالأقطار العربية تقريبًا. التحق بالمدرسة القبلية (1943) فحصل على الشهادة الابتدائية (1952)، ثم انتقل إلى المدرسة المباركية فدرس فيها بنجاح عامًا واحدًا، انتقل بعده إلى ثانوية الشويخ (1953) وظل فيها حتى العام 1957 دون أن يتجاوز الصف الثاني الثانوي، لانكفائه على القراءة وانشغاله بنظم الشعر. لإنتاج الشعري:- له من الدواوين المنشورة:« صلوات في معبد مهجور»: دار الأمل - الكويت 1970، و«كلمات من الألواح»: شركة الربيعان للنشر والتوزيع - الكويت 1985، و«بين واديك والقرى»: شركة الربيعان للنشر والتوزيع - الكويت 1992، و«صلوات من كاظمة»: دار سعاد الصباح - الكويت 1993، وله ديوان «وَجَل»، مخطوط. حصل على جائزة الكويت التقديرية في الآداب والفنون (1983) من مؤسسة الكويت للتقدم العلمي. فاز كتاباه: «أدباء الكويت في قرنين» و«شيخ القصاصين الكويتيين» بجائزة معرض الكتاب، عامي 1982 و1984.حصل على وسام المؤرخين العرب في العام 1990 - وجائزة الدولة التقديرية في الثقافة للعام 2001.

لم أكن أتخيل وجود مثله في خليج النفط

بقلم: المستشرق الألباني (موفاكو)[110]

يا لذلك البدوي الذي يجول شوارع الكويت، حاملاً دواوينه الصغيرة ودواوين الوار [111] ورامبو[112] وبوشكينه[113] إني لم أكن أتخيل وجود مثله في خليج النفط.

(110) – الدكتور موفاكو ، ولد في دمشق في عائلة مهاجرة من البوسنة ، تخرج في جامعة دمشق – قسم اللغة العربية وآدابها ،حصل على الماجستير في التاريخ والدكتوراه في الأدب المقارن من جامعة كوسوفا ، مل في فرع الاستشراق بجامعة كوسوفا. من مؤلفاته : انتولوجيا الشعر العربي الحديث 1979. ، قصص سورية، 1981.. مختارات من الشعر الألباني المعاصر، دمشق 1981. . بحر في الصحراء – دراسة ومختارات من الشعر العربي الحديث في الكويت 1982،الدورة الثانية عشرة لمؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري بعنوان: «الشعر العربي المعاصر في الكويت» ترجمه إلى العربية بالاشتراك مع د. أسعد دوراكوفيتش، وللمناسبة السابقة نفسها وضع مقدمة كتاب «الجوهر الأسنى في تراجم علماء البوسنة» لمحمد الخانجي.. الشعر العربي المعاصر في سورية، 1983. دراسات عن الإسلام في البلقان، بيروت 1983له ترجمات نثرية وشعرية من اللغة العربية إلى اللغة الألبانية لحوالي مائة شاعر وكاتب عربي وترجمات عدة إلى اللغة الصربو – كراوتية.

(111) – بول إيلوار هو الاسم الأدبي لـ يوجين إميل بول جريندل، (14 ديسمبر 1895—18 نوفمبر 1952)، شاعر فرنسي كان واحدا من مؤسسي الحركة السريالية

(112) – آرثر رامبو (20 أكتوبر 1854 - 10 نوفمبر 1891) شاعر فرنسي. ولد في شارلفيل، الأردين، وكتب أشهر أعماله وهو لا يزال في أواخر مراهقته، وأثنى عليه فيكتور هوجو وقتها وقال أنه "طفل شكسبير

(113) – لكسندر بوشكين أمير شعراء روسيا وكاتب روائي ومسرحي، ولد في موسكو في 6 يونيو عام 1799م. نشأ في أسرة من النبلاء كانت تعيش حياة الترف. كان والده شاعرًا بارزًا فساهم ذلك على إنماء موهبته الشعرية.

هذا الشاعر الرهيب

بقلم: المستشرق شاغآل [114]

لمــاذا لم يقــل لي المنقبــون عــن الكنــوز جــوف الأرض في بلادكــم عــن هذه الكنوز التي تحيا فوقها، مثل هذا الشاعر الرهيب!!!

[114] – البروفيســور المســتعرب فلاديمير شــاغال ، من مواليد 22 نوفمبر 1925 شــارك شــاغال في مطلع الأربعينيات في معارك الحرب العالمية الثانية ، ونال وسام النجمة الحمراء ،يعتبر شاغال جسرا ثقافيا بين العرب والروس. نقل إلى اللغة الروسية روائع القصص والروايات والأشعار العربية, وبحوثا كثيرة حول اللغة العربية والصرف والنحو على الخصوص, كما ربّى نخبا جديدة من المســتعربين الروس. ومع أنه تجاوز الســبعين من عمره الآن فإنه مازال يلقي المحاضــرات في الجامعات الروســية, وفي مراكز الاستعراب خصوصا, حول حاضر العالم العربي ومجتمعه وثقافته وتراثه. ومع أنه بدأ حياته مهندسا, فإنه سرعان ما اندمج في عالم

هذا الرجل

بقلم: محمود السعدني [115]

هذا الشاعر جديد، ولكنك تشعر حين تقرؤه أنه شاعر قديم، لأن شعره، رغم الشكل الحديث، تشم فيه رائحة الزمن منذ عمر بن أبي ربيعة وجرير والمتنبي. شاعر قديم وجديد أيضًا، وصلاح عبد الصبور شاعر جديد وقديم أيضًا، بينما شاعر مثل محمد التهامي مثلاً، لا هو شاعر، ولا هم يحزنون.

"توضأت بالرمل عند ارتحالي
تزودت بالتمر والنفط ، كانت طيور الجزيرة
رفوفاً مع الغيم والشمس تأتي
رفوفاً

---

(115) – لم اجد لها تاريخ وهي عبارة عن قصاصة من مجلة ، ربما كتبها السعدني بعد صدور الديوان الأول (الغناء **في صحراء الألم 1979**) .

محمود السعدني (1928 – 2010) صحفي وكاتب مصري ساخر يعد من رواد الكتابة الساخرة في الصحافة العربية، شارك في تحرير وتأسيس عدد كبير من الصحف والمجلات العربية في مصر وخارجها، ترأس تحرير مجلة صباح الخير المصرية في الستينات كما شارك في الحياة السياسية في عهد الرئيس جمال عبد الناصر وسجن في عهد أنور السادات بعد إدانته بتهمة الاشتراك في محاولة انقلابية .أصدر وترأس تحرير مجلة 23 يوليو في منفاه في لندن، عاد إلى مصر من منفاه الاختياري سنة 1982 بعد اغتيال السادات وأستقبله الرئيس مبارك، كانت له علاقات بعدد من الحكام العرب مثل معمر القذافي، وصدام حسين، اعتزل العمل الصحفي والحياة العامة سنة 2006 بسبب المرض.

رفوفاً

إلى واحة السدر عند الظهيرة

وكانت غيوم من القطن تندس فيها الطيور

مبللة تنحني فوق رأسي

تمارس هجراتها المستديرة".

ان شـاعرنا الجديد يرتدي ثياب أبي تمام. وهو رغم ملامحه العصـرية يقطع فيافي الأدب قاصدًا واحة الشعر الأبدية، يهز سيفه أحيانًا، يمسح بيده على رأس ناقتـه دائمًـا، يكـاد يبكي على الأطلال وهو جـالس، على عكس أجداده الذين بكوا وقوفًا، ربما لعدم وجود أرائك في تلك الأيام!!

وأمثال هذا الوجه الغارق في الوحشـة، هذا الوجه الموغل في الدهشـة، هذا الوجه المختلّ القسمات، أهيب أن أسأل غيري، عفوًا تخذلني الكلمات: هل هو وجه الزمن الآتي أم وجهي أم صـورة ذاتي أم ماضٍ في زمن أسـود؟ لا.. هذا وجه الزمن الآتي في ليل المدن المنفية، يخرج من عصر الأسمال، يصرخ في جوف البرية، يحمل دم الفجر الأسود، لون القمر المجهد.

في زخم السـحب الصـيفية، ومن المتنبي إلى نزار قباني، هذا إطار شـاعرنا الجديد، من المتنبي أخذ الحبر.. ومن نزار قباني الجلباب، ولكن لأن شـاعرنا صـغير السـن، وما زال في بداية الطريق، فأنا واثق أنه سـيخلع جلباب نزار

يومًا ما ليختار جلبابه، ولو فعل شاعرنا يومًا ما، فستكسب الكويت شاعرًا جديدًا مجيدًا، يهتز شعره بالرؤيا الصادقة والموهبة الحقة.

وكلمة في أذن شاعرنا الكويتي الشاب، حتى لا يضل طريقه على الدرب الطويل، أن يعود إلى بحر أجداده العظام، شعراء صدر الإسلام والعصر الأموي والعصر العباسي، ليغترف من هذا الكنز العميق المترامي الأطراف، خصوصًا وأنه بنشأته البدوية ومزاجه الصحراوي يعتبر ابنًا شرعيًا لهؤلاء الأجداد. مرحبًا بالشاعر الكويتي سليمان الفليّح، لقد عرفته من خلال شعره، عرفته.. وتشرفت.

ليس إلا

بقلم : محمود السعدني [116]

ميزة البدوي المتجول سليمان الفليّح أنه لا يزال ينطق شعراً في عصر غاب فيه الشعراء وانشغلوا بالأنفع والأوقع! فصلاح عبد الصبور تحول إلى وكيل وزارة، وأحمد عبد المعطي حجازي تقوقع داخل شرنقة باريس، وعبد الوهاب البياتي مشغول بالفرجة على آثار العرب الأقدمين في الأندلس وطليطلة ومجريط (مدريد) بلغة العصر الحديث.

وخلا الميدان تقريبًا إلا من نزار قباني وشاعر البدو الرحل سليمان الفليّح. غير أن البدوي المتجول ينفرد بصفة تجعله فريدًا بين كل الشعراء.. فهو يبكي عالمًا مفقودًا ويمشي على الدروب باحثًا عن واحة مر بها خياله يومًا ولم تمر

---

(116) – كما أشرنا سابقاً : محمود السعدني (1928 – 2010) صحفي وكاتب مصري ساخر يعد من رواد الكتابة الساخرة في الصحافة العربية، شارك في تحرير وتأسيس عدد كبير من الصحف والمجلات العربية في مصر وخارجها، ترأس تحرير مجلة صباح الخير المصرية في الستينات كما شارك في الحياة السياسية في عهد الرئيس جمال عبد الناصر وسجن في عهد أنور السادات بعد إدانته بتهمة الاشتراك في محاولة انقلابية .أصدر وترأس تحرير مجلة 23 يوليو في منفاه في لندن، عاد إلى مصر من منفاه الاختياري سنة 1982 بعد اغتيال السادات وأستقبله الرئيس مبارك، كانت له علاقات بعدد من الحكام العرب مثل معمر القذافي، وصدام حسين، اعتزل العمل الصحفي والحياة العامة سنة 2006 بسبب المرض.

بها أقدامه، وينقب عن أقوام عاشوا في قصائد الشعراء ولم يكن لهم وجود قط في الحقيقة.

إنه شاعر خرافي وخيالي ورومانسي حتى النخاع، وهو يخرج إلى الصحراء كل صباح حاملاً مصباحه في يده بحثًا عن أشياء موجودة في داخله ولا أثر لها خارج ردائه. وتلك هي مأساة الشاعر سليمان الفليّح، ولهذا السبب فهو شاعر جاهلي وإن كان يمشي معنا في أسواق الكويت الجديدة، لأنه دائم البكاء على الأطلال، واقفًا يبكي بمنعطف (الشويخ)، ليس من ذكرى حبيب ومنزل، ولكن من ذكرى مثل اخترعها خياله، وقيم وضعها ضميره، وخطى مستقيمًا سار عليه وحده، بينما كل الخطوط تؤدي إلى روما وإن تعرّجت وتلوّلت وتشعّبت في كل أنحاء! وآه من الشاعر الطفل سليمان الفليّح حينما يبكي في حضن "أحلامه":

"إلا ما سنبقى نمارس هذا الجنون؟!
ونبقى نحاول يا صاحبي أن نكون
كما نبتغي نحن
لا مثلما يبتغي الآخرون!!."

إنه يريد العودة إلى صـــحراء فجر الزمان، حيث كان الشــاعر رفيق حصانه وسلاحه. إنه صعلوك جديد من صعاليك العرب، يزمع الخروج إلى البادية هاربًا بجلده وقصيدته من مضارب القبيلة. هناك في الفيافي الواسعة، حيث لا إشارات مرور، ولا إقرارات جمركية، ولا جوازات سفر، ولا تعليمات ولا تنبيهات ولا تحذيرات، ولا شـــيء على الإطلاق إلا الفلاة والوحش السارح فيها. هناك حياة الشاعر البدوي وهناك أحلامه. وسيظل الفليّح ينطق شــعراً طالما هو ســارح في بيدائه، باحثًا عن واحته، منقبًا عن مثل اخترعها وصدقها، هام بها حبًا وزاده الحرمان اشتعالًا!

وأنا أرجو أن يحل به ما حل باليهود من قبل فيضــرب في التيه أربعين عاما ولا يستقر، ويسرح في الفيافي ولا يتوقف، شرط أن ينجب لنا في كل عام ديوانا جديدا في مســتوى (أحزان البدو الرحل)، فهو آخر صــرخة يطلقها البدو في وجه الخطر الزاحف، ويوشك أن يحول صحراواتهم الفسيحة إلى شوار مثل (الجهراء) .. والشانزليزيه!

سليمان الفليح حاصل على هموم الانسانية

بقلم : نجم عبدالكريم [117]

إنه يحمل أحزاناً ورثها منذ أول قتيل في الإنســـانية قابيل وحتى آخر طفل دهمته عربة مســرعة في قرية الجهراء، هذا هو ســليمان الفليّح، حاصــل على هموم الإنســانية، ففي راحله تجتاح كل تشــاؤمه المعري و(شـــوبنهور)، وفي مظهره الخارجي يرتدي قناعاً باسماً يغطي حزنه الكبير.

---

[117] – جريدة السياسة . نجم عبدالكريم إعلامي وكاتب كويتي ، ولد في نوفمبر1937، بدأ في ستينيات القرن الماضي بالوقوف وراء الميكروفون معدا ومقدما ومخرجا ومحاورا وكاتبا للبرامج. وكان من مؤسسي فرقة المسرح العربي بقيادة زكي طليمات اذ شارك في تمثيل مسرحية "صقر قريش"عمل في المسرح وأخرجت بني صامت عام 1975 وعمل في التليفزيون والصحف وكان مسؤولاً في التليفزيون وعمل في الصحافة ،التمثيل والإخراج والإذاعة فأعتبر من الرواد.، قدم شخصية الدكتور "عرفان" في الفيلم الكارتوني الرجل الحديدي" الذي بقيّ عالقاً في ذهن الاطفال إلى اليوم.

سليمان الفليّح.. الساكن المهاجر

بقلم: سليمان الفهد [118]

حملتني الخيول السريعة بلا ارتباك، بلا وجل نحو أبعاد فسيحة،

ومن رآني عرفني، سماني: السيد بلا موطن،

فكن جريئًا، وكن قدامي، ولا تخذلني أيها النجم البراق:

يا حظي! فلا يتجرأ أحد بعد هذا فيسألني: أين يوجد موطني؟

أبدًا ما كنت مرتبطًا بالأمكنة، أو الساعات الهاربة،

مثلما النسر، حرٌ أنا،

فكن جريئًا، وكن قدامي، ولا تخذلني يا شهر "أيار" الأنيق،

يا حظي! أيكون الفناء على حق؟

أعلى أن أقبل الموت العنيف؟

ذاك ما بالكاد أقبله.

أعلى أن أدخل اللحد، والكف عن الشراب إطلاقًا؟

فكن جريئًا، وكن قدامي، ولا تخذلني يا حلمًا تعددت ألوانه:

يا حظي!

- قصيدة "بلا موطن" للشاعر فردريش نيتشه -

---

(118) - جريدة الطليعة . سليمان صالح الفهد (2013/1938) يعد رمزا من الرموز اللامعة في صحافتها المحلية

***

يحدث - دومًا - أن تفكر في صـــديق عزيز حميم، وتفصـــل بينكما صــحارى وبحار، ومحيطات، تجده هو الآخر يفكر فيك، يرن التلفون القادم من أقاصي الدنيا، فتفاجأ بصوت الصديق يتدفق إلى مسامعك. إنها حالة "التخاطر" التي تحدث بين اثنين (على قلب واحد).

كيف؟ أقول لك ما حدث لي من تخاطر مع صـــديق حميم غادرنا منذ سنوات على حين غرة، وفاجأنا - محشر مريديه - بسفره المفاجئ وهجرته المحيرة. في الرياض شـرع الكاتب الصــحافي الشــاعر الصــحراوي المدهش "سليمان الفليح" في تدبيج مقالة ود، ورسالة تواصل مكدسة لذكر مناقب "العبد لله" ومحاســنه التي عادة لا نأتي على ذكرها إلا حين يغادر المرء الحياة الدنيا.

وفي اللحظة ذاتها التي كان فيها الكاتب الصــحافي الشــاعر الصــديق "ســليمان الفليّح" عند "العبد لله"، كنت آتي على ســيرته، وأتحدث عن ذكرياتي معه إلى صـديق مشـترك سـألني ليلتها: أين هاجر واختفى صـاحبنا كل مدة الخمس عشــرة ســنة؟ كان يتذكرني تحديدًا ويتداعى إلى ذاكرتي

شـــفهيًا، وكلنا مرّ بحالة التخاطر هذه بشـــكل أو بآخر، ومن هنا وجدتني أنكب على الورق وأدبج إليه هذه الكلمات.

وهنا قامت معركة حامية الوطيس بين بنات أفكاري، كل بنت ترغب في أن تتحدث عن "بوســـامي" قبل غيرها بدعوى أنها تخبره عن كثب أكثر من أخواتها.

لحق أني وقعت في حالة "حيص بيص"، وشـــعرت بورطة مع "البنات" المتدافعات بالمناكب على إحداهن تشـــكل الجملة الأولى في أول ســـطر من ذكرياتي مع الإنســـان الجميل، والشـــاعر البدوي النقي المترع بقيم الصـــحراء وتقاليد البادية التي نخبرها عنه منذ أن تزاملنا في حضن "دار السياسة" مطلع السبعينات.

ولحظة أن شـــرعت في الكتابة، وجدت حلاً "حضـــارياً" لمعركة "بنات أفكاري" ســـالفة الذكر. ولأني أعرف – من ســـوابق الحالات – أن الكتابة ليســـت ســـهلة وهينة، مثل تدبيج رســـالة أو مكتوب مفتوح يســـطرها "العرضـحالي" الذي نراه يقبع أمام قصـر العدل والوزارات التي لا يمكن تمرير معاملة دون هذه الرسالة إياها.

ولأني والد ديمقراطي عريق، وجدتني أقول لبنات أفكاري: سوف أسمح لكل واحدة منكن "باللعلعة" بحرية تامة عن صـديقنا الغائب الحاضـر إياه، ولكني

– تأسياً بحكام دول العالم الثالث عشر – سأكتب بنفسي ما أريده وأبغيه. هو أن لكنّ حقوق الهذرة، ولكاتب حق اختيار الكلام المناسب اللائق بأخ حبيب، غادرنا دون وداع، وغاب عن ناظرينا خمس عشرة سنة ونيف.

وما إن سمحت "لبنات أفكاري" بحرية التعبير في القضية التي أنا بصدد الكتابة عنها، حتى وجدت أن كل أصدقائي الذين لم يحصلوا على الجنسية الكويتية يهبطون على خاطري، ويأتون على بالي، ويحتلون ذاكرتي ووجداني، وكان في مقدمتهم الصديق العزيز الشاعر والكاتب الصحافي "سليمان فليح" المدجج بروح الصعلكة وقيم الفروسية الصحراوية البدوية التي لم تلوثها قيم وتقاليد قبيلة "بني نفط"! ومن هنا انضمت إلى بنات أفكاري بناتهن وأحفادهن و"مربياتهن" لكي يسهمن في تسطير شهادتي بشأن قضية ذلك النفر من "البدون" الذين أثبتوا بالقول والفعل إبان الاحتلال بخاصة أنهم كويتيون خلقة، وهوى وموقفًا وممارسة.

وسأختار في سياق هذه الشهادة الحديث عن واحد من الأصدقاء الحميمين الذين عرفتهم عن قرب، وعاشرتهم عن كثب، عن واحد هو سليمان الفليّح. في السبعينيات عرفت "بو سامي" سليمان فليّح إبان استضافة صحيفة "السياسة" لقلم "العبد لله"، وكانت الصحيفة تحتضن الكثير من الأقلام الكويتية والعربية الممثلة لجل ألوان الطيف السياسي السائد آنذاك، وفيها وُلد كاتبٌ صحافي تتسم مقالته "هذرلوجيا" بشموخ الصقر

الحر، وصبر الجمل وغضبه إذا تحرش به حضري "خبل" يجهل حمية البعير وجنونه إذا عنّ له أن يتجاوز آداب السجال والحوار معه.

بداية احتضنه ابن العم الصديق "بو مشعل أحمد الجار الله"، ومن ثم اكتشف عمنا الزميل الصحافي العجوز محمود السعدني شاعريته المواربة خلف حياء المبدع المتواضع، فكتب عنه السعدني -شفاه الله- مقالة مدبجة بمداد الحماس والانحياز للشاعر البدوي الجميل، الأمر الذي حرض "بو سامي" على فعل "الهذرلوجيا"، وإبداع الشعر الصحراوي المدجج بقيم الصحراء وفضائها الوحشي الجديد على "ديوان الشعر" السائد في صحافتنا آنذاك.

ولا أنسى ذلك اليوم الذي كنا فيه "بو سامي والعبد لله" نتحلق حول طاولة الرسم لفنان الكاريكاتير العظيم "ناجي العلي"، الذي كان ينظر إليه مليّاً يسبر أعماق وجدانه، ومن ثم قال: أرى في عينيك شجناً طافحاً بالمرارة، "شو قصتك يا زلمة؟" ولاذ صاحبنا بالصمت ولم يعقب، ووجدتني أتخذ هيئة المحلل النفسي "الفرويدي" بجرأة لا أغبط عليها وأقول: يبدو أنك يا أبا خالد "ناجي العلي ما غيره" تحاول إسقاط شجنك الفلسطيني العميق على صاحبنا الذي أظنه لا يعاني مكابدة البتة، واستمع "الربع" إلى مقولتي "الفلسفية الفلفسية" بآذان صاغية حرضتني على استمرار ارتداء مسوح المحلل قائلاً للغائب الحاضر الشهيد "ناجي العلي": لقد اعتاد قراء "السياسة" على

معرفة نبض الشعب الفلسطيني بخاصة، وقراءة نشرة أخبار الهم العربي بعامة، من خلال رسومك، وقد اخترت "بو سامي" ليتماهى مع "حنظلة" كحيلة نفسية لا شعورية لتسقط عليه همّ اليوم الذي تنزفه لعدد الغد من "السياسة". ولا حاجة بي إلى القول بأن تحليلي سالف الذكر كلام "خرطي" من الذي يلوكه بعض "المتفيقهين" الذين يهرفون بما لا يعرفون، ويلوكون مقولات ويصدرون فتاوى وأحكاماً ما أنزل الله بها من سلطان، وقد حسم "بو سامي" مسألة الشجن مخاطباً "ناجي العلي" قائلاً: صح لسانك فقد صدق حدسك، ولا غرو في ذلك، فحدس الفنان الحق، ورؤيته للناس والأحداث، أبلغ إنباءً من الكتب، وتسبق حدس العلماء والمفكرين.

سبي تدليلاً على ما ذهبت إليه في هذا السياق، الإشارة إلى أن رسماً كاريكاتيرياً "لناجي العلي" قد يختصر عشرات المقالات، ويغني عن قراءة ركام التحليلات التي تزدحم بها الصحف اليومية، واكتشفنا يومها أن هذا الشاب "الجهراوي" الكويتي "العنزي" العامل في السلك العسكري "بدون" جنسية كويتية، حين عرف "ناجي" هذه الحقيقة المرّة زأر بصوت مشحون بالقهر: "يا زلمة كيف بتكون عسكري وأنت غير كويتي؟" ولم نجد مخرجاً من الموقف المفاجئ سوى أن ننشد معاً: (هذي الكويت صل على النبي!) فكل شيء فيها جائز وممكن، تحدث بها أمور لها العجب، وبهذا المعنى قال فيها

الشاعران المخضرمان فهد العسكر وفهد بورسلي ما يؤكد مزاعمي السابقة ويدلّل عليها، والمؤسف أن ذاكرتي لا تسعفني على استحضارها.

والشاهد أننا – أيامها – على قناعة تامة أن "بو سامي" وأمثاله من المقيمين الذين وُلدوا في الكويت، وترعرعوا فيها، ورضعوا حبها والولاء لها مع الحليب الذي رضعوه من أثداء أمهاتهم سوف ينالون الجنسية في يوم، في شهر، في سنة، لا شك في ذلك، ودارت الأيام وصاحبنا على "حطة إيدك" ولم يتغير وضعه، لكن ذلك لم يغير – البتة – من غرامه المشبوب بالديرة بعامة، والجهراء بخاصة، فقد كان "أبو سامي" هو الكويتي "بالاختيار"، وذلك – كما ترى – أعمق مواطنة من الكويتي الذي صار كذلك، إما بالتجنيس أو بالتدليس.

لطالما ذكرت وكررت قائلاً: إن محنة الاحتلال هي التي امتحنت معدن الفئة الكويتية بالاختيار من جماعة "البدون" كما ينعتونهم، و"سليمان فليح" واحد من هؤلاء. لا أقول ذلك جواباً على العواطف الجياشة بالود والتقدير لشخص "العبد لله"، فضلاً عن ديرة الكويت، والتي نشرها بتاريخ 5-10-2005 في صحيفة الجزيرة السعودية الغراء، ولا مقالته الثانية التي لعلع بها وغرّد عبر الهاتف المحمول وسينشرها لاحقاً، بل لأن الرجل يستحق كلمة حق طيبة تُقال فيه كإنسان وشاعر. ففي أيام محنة الاحتلال تحول "بو سامي" في الرياض إلى مؤسسة إعلامية كويتية ترفض الاحتلال، وتفضح

ممارســاته الإجرامية، وتدافع عن حق البلاد في الوجود، وتتماهى مع قرارات المؤتمر الوطني الشعبي المنعقد في جدة عام 1990، وتستجيب لها باستجابة عامة المواطنين وخاصتهم.

باختصــار أقول "كانت اســتجابته لتحدي الاحتلال الغاشــم تماثل فعل وممارسـة أي مواطن كابد مأسـاة التيه والعيش بلا وطن وبيت وحارة وكل ما يمثل الوطن من رموز وقيم، وعلاقات متجذرة، وذكريات، وتاريخ، وماض، وجغرافيا بما فيها من رطوبة و"طوز" وسموم وروائح يعبق بها ســيف البحر وفضاء البر.

وأحسبني واحداً من الذين فجعوا بهجرة "بوسامي" ومغادرته بلده بالاختيار نهائياً، لكن الذي عزانا – نحن معشــر مريديه – أنه اختار الســعودية مقراً ومن ثم موطناً. ولعلي لا أغالي إذا ذكرت بأن فجيعة مغادرته لم تقل عن فجيعتي في أسـر ولدي البكر "نواف" الذي نحتسـبه شـهيداً عند المولى جل شأنه.

ولسـت هنا في مجال استعراض مشـاعري تجاهه، لأنه يخبرها جيداً، فضـلاً عن أنها ليست بحاجة إلى إعلان وإشـهار. إن بلادنا – للأسف الشـديد – فرطت بمئات الأخيار الذين ولدوا وتعلموا فيها حتى تخرجوا من الجامعة، فغادرونا إلى الأقطار العربية الشــقيقة: المملكة العربية الســعودية، دولة

الإمارات، دولة قطر (يعني صبّه حقته لبن)، أو كما يقول المثل الشعبي المصري: "زيتنا في دقيقنا". وكان بودي الاستطراد وإيراد مثل بالغ الدلالة، لكن الحشمة والحياء واحترام الذوق العام يكبحان القلم عن البوح بقوله إن الاثنين مثل (... في سروال)!

والحديث عن "سليمان فليّح" ينسحب - بالضرورة - على كل من يماثلونه حباً وارتباطاً وعلاقةً متجذرةً، وولاءً عميقاً لدولة الكويت وضواحيها. وقبل أن ننتمي إلى قبيلة "بني نقط"، كان الإنسان العربي البدوي يمتطي بعيره وفرسه وناقته، ومن ثم يعبر الحدود ويتجاوز السدود بحرية تامة، من دون أن تثلم عروبته "بركات" النفط والمدنية، وحمى البورصة، وبشاعة ناطحة السحاب الحداثية، وما إلى ذلك من "بلاوي" شرّذت المجتمع العربي الكبير الواحد بأطيافه العرقية والقبلية الكثيرة المتعايشة في أمان الله.

وختاماً، أقول بملء فمي: "ملعون أبوك يا نفط!!" ولن أعتذر، بل أضيف جملة أخيرة: ماذا فعلنا بك يا حضرة قصير العمر "البترول" ما غيره؟ وماذا فعل حضرته - طال أمده - فينا؟! هل ننتظر عمارة "مدن الملح" في يوم، في شهر، في سنة؟ وبالاعتذار من عبدالحليم، تسألني: أي عبدالحليم؟ سبحان الله في طبعك النفطي الغشيم أو اللئيم إن شئت، أعني بالطبع "عبدالحليم حافظ" لا "عبدالحليم خدام"!! مع الاحترام الشديد لعبدالحليم حافظ بكل احتشام.

سيرة بن فليح الكويتية!

بقلم: سليمان الفهد [119]

إذا كان «بو سامي» اختار أن يسير على جادة آمنة تدرأ عنه عصيّ وقمع «المطاوعة» ومن لف لفيفهم، فلا ألومه، فالحياة حلوة ولا يجوز هدرها بجرّة عبارة تستوجبها الشفافية والصدق مع الذات! والحق أن كتابة السيرة الذاتية ورطة، والكلمة مثل الطلقة إذا خرجت لا تعود أبداً.

لعل السيرة الذاتية من أقل المصنفات الأدبية حضوراً في حياتنا الثقافية، وإذا صدرت سيرة ذاتية لأحد أعلام السياسة والأدب وغيرهما، غالباً ما تصاغ بمداد البراءة ويراعى «العصمة» التي لا تكون إلا لنبي! من هنا حين فاتحني أخونا في الله... ثم في «المطازيز» وكل لذائذ الحياة الدنيا، في شأن عزمه على نشر سيرته في «الجريدة»، طار في الهواء عقالي وعقلي، وطرب وجداني جذلاً و«زفن» على إيقاع الحنين المموسق لذكريات الأيام الخوالي خلال عقدي الستينيات وخليفته. لكن الذي أثار ضحكي وقهقهتي حتى بانت نواجذي «التي لا أعرف أين موقعها في جغرافية فمي!» ما علينا، فالشاهد أن «بو سامي» نسي وتناسى أن ذاكرة العبد لله منقرضة ولا يعول

---

(119) - جريدة الجريدة –الكويت 2008/1/27 .

عليها البتة، فكيف، والأمر كذلك، تزويده ببعض الوقائع والأسماء والتواريخ وكل ما من شأنه أن «يثري» سيرته ويردفها بمخزون حافظتي الخاوية!

ولا تدبّ الروح في ذاكرتي المحتضرة إلا حين أكون في ساعة امتحان بشتى المراحل الدراسية! لكن المهم أن ذاكرة صاحبنا هو الآخر باتت عجوزاً دردبيسا... مثل الذي يكتب سطراً وينأى عن الآخر، بل أزعم أن ذاكرته كما منخل الشعير، فحين عرض لقصيدة «جيفارا مات» للشاعر «أحمد فؤاد نجم» خيل إليّ أنها «شيخ فارا» كما لو أنها تنتمي إلى الشعر النبطي، فقد وجد «بو سامي» أن من الأسهل له تعبئة ما نسيه من القصيدة بإيقاعات بدوية نبطية... ولذا يكون حق الأداء العلني لهذه القصيدة «سداح مداح» وضاع على أخينا «أبو النجوم» ما غيره.

لقد اختار «سليمان فليّح» تدبيج سيرته الكويتية بمداد الصراحة المهضومة والمبلوعة، فتراه يلمّح ولا يصرّح خشية غضب وعتاب الآخرين الذين يجسدون شخوص السيرة وأبطالها.

يقول العم «مكسيم غوركي»: «لكل إنسان حماقاته، وهي في الغالب، أهم ما في حياته» وهي مقولة أحسبنا هو وأنا نعترف بها ولا ننكرها أبداً، لسبب بسيط جداً هو أننا أحفاد آدم جدنا العاصي! وإذا كان «بو سامي» اختار أن يسير على جادة آمنة تدرأ عنه عصيّ وقمع «المطاوعة» ومن لف لفيفهم،

فلا ألومه، فالحياة حلوة ولا يجوز هدرها بجرّة عبارة تستوجبها الشفافية والصدق مع الذات! والحق أن كتابة السيرة الذاتية ورطة، والكلمة مثل الطلقة إذا خرجت لا تعود أبداً.

إن الصعاليك أطفال لا يشيخون أبداً، أو بمعنى أدق: «من يبلغ الشباب متأخراً، يحتفظ بشبابه أمداً طويلاً»، بحسب قولة الحكيم «زرادشت». ولحسن حظنا أننا لم نبلغ سن الرشد بعد... وثمة أمد طويل لبلوغ الشباب «الزرادشتي» المتأخر! وأحلى شتيمة يمكن أن نفرح بها لحد «الانشكاح» هي: «عساك ما تكبر»، أو: «ربنا يوقف نموك» بلسان أهل مصر المحروسة.

الحق أن السيرة أثارت الشجون ومشاعر شتّى تتلون بألوان قوس قزح... الذكريات وما انطوت عليه من نجاحات وإخفاقات وأخطاء وخطايا... وما خفي أنكى وأسوأ! لقد سبق لي مرة الكتابة عن السيرة، ولا يحتاج أحد إلى تكرار ما قلته آنذاك. أمر واحد تهمني الإشارة إليه وهو أن «بن فليّح» قد نعتني بالمعلم والأستاذ بإلحاح وإسراف ذوي عيار ثقيل! ومن دون تواضع أجوف، لست معلماً لأحد! لأن «سليمان فليّح» اقتحم «جوسق العبادلة» في الجابرية شاعراً حادياً لم يكن بحاجة إلى معلم ودروس خصوصية وما إلى ذلك. كل ما كان يحتاجه هو فضاء يمارس فيه إبداعه الشعري والنثري، أما العبد لله فحسبه أن يقول لأخينا مقولة «جون أيدرن هالييه»: «عندي

الأخطاء كلها، تلك هي ميزتي الأساسية»، وهي سبب عزوفي عن نشر سيرتي الذاتية!

عاشق قديم

بقلم : عبدالله الشيتي ([120])

سـليمان الفليّح – الشـاعر الزميل، أقول فيه لمناسـبة صـدور ديوانه الجديد (الغناء في صـحراء الألم): هذا البدوي الفذ، الذي جعل (دشـداشـة) بيئته، راية حضارة ونصاعة، ترفرف فوق مشارف الكلمات، وأثبت أن (الهذرلوجيا) الشـعرية في تجربته مغناة بين شـفتي عاشـق قديم...اما الديوان بجمله فهو في جملة واحدة مفيدة: واحة في صحراء

(120) – عبدالله الشـيتي ، أديب و صـحفي فلسـطيني ولد عام 1934 (حيفا)، ويعتبر من اشـهر الأدباء والصـحفيين العرب بالقرن العشـرين .عضـو اتحاد الكتاب العرب. جمع بين العمل الصـحفي والأدب ،عرف بكتاباته التي تجذب القرّاء اليها ، فأعتمد النقد البناء احيانا، والنقد السـاخر دون التجريح، يكتب القصـة القصـيرة والدراسـات الأدبية ،والأدب السـياسـي ، والخواطر الوجدانية ، عرف عن عبدالله الشـيتي انه كان يرتبط بعلاقات قوية مع كثير من الحكام والقادة العرب وبكبار المسؤولين والمشـاهير والأدباء والفنانين والاعلاميين في الوطن العربي. ،و من اشـهر أعماله "معجزة العراق "–أدب سـياسـي– 1958، و"القديسـة العارية"– قصـص – 1959 ،و"جدار العار" – قصـص –1961 ، و"أوراق الغربة" – وجدانيات –1971 ، و "الابتسـامة مهنتي "– أدب ساخر– 1976 ، وأحمد الصافي النجفي –دراسة– 1978. توفى في عام – 1999

يتجاوز نفسه وجغرافيته

بقلم : محمد حسن الحربي [(121)]

إن الفليّح يتجاوز نفسه وجغرافيته ليكون دائمًا في المعركة بسيفه المصقول وسهامه القاتلة. ليس مهمًا أين تكون هذه المعركة، المهم أنها في أية بقعة من الوطن العربي، والمهم أنه يساند كل من يريد فجره ويتبين مصيره.

(121) – جريدة الاتحاد الصبيانية – محمد حسن الحربي: إعلامي وكاتب صحافي، عمل في مواقع صحفية واقتصادية عدة في الإمارات ودول الخليج،

النحيف المطلي بالصفرة

بقلم : عبدالله المحيلان[122]

الفليّح، هذا البدوي النحيف المطلي بالصفرة، يشد وجدي لجنونه الشعري حين يعاشر إحدى الجنيات فتحمل نطفة أفكاره إلى خارج الجاذبية، إلى خارج الملموس، إنه غير كل الأماكن وأبعد من كل المسافات.

---

[122] - عبدالله صالح المحيلان، عمل كمذيع في إذاعة الكويت في برنامج استراحة الخميس، في فترة الثمانينات لمدة أربعة أعوام والذي كان له صدى واسع إلى جانب عملة بالإخراج السينمائي للأفلام الوثائقية من أهمها فيلمه الشهير «أرتيريا وطني» الذي قام بتصويره واخراجه عام 1979 وتم عرضه في، أمريكا

أحزان البدو الرحل

بقلم: محمد الأسعد[123]

عرفنا الشاعر سليمان الفليّح في ديوانه الأول "الغناء في صحراء الألم" شاعراً يتخذ من الصحراء موضوعاً، ومن ذكرياته ومشاهداته أسلوبه في تركيب القصيدة.

وعرفناه أيضاً شاعراً يرتبط بكل ما توحيه الصحراء برابط عميق من المودة والتعاطف، بحيث أصبحت أشياء الصحراء وأناسها وحيواناتها مرتكزاً لبلورة وعيه الشعري. واليوم، وبين أيدينا ديوانه الشعري الثاني "أحزان البدو الرحل"، يبدو لنا الشاعر مخلصاً لهذا النبع الأول الذي يستقي منه الموضوع والمشهد، كأنه وجد لمرة واحدة مرتكز تجربته الشعورية واحتفى به، ولم يعد بحاجة للبحث عن مرتكز آخر.

---

(123) – محمد الأسعد ولد عام 1948م في قرية أم الزينات (فلسطين) نزحت عائلته عام 1948 لتستقر في مدينة البصرة في العراق حيث تلقى الشاعر تعليمه المبكر ،استطاع الأسعد إكمال تعليمه وسافر إلى الكويت حيث عمل في الصحافة هناك , وقد عاش مدة في قبرص بعد حرب الخليج ثم في بلغاريا ثم عاد إلى الكويت حيث يعيش الآن ، صدر له : (مقالة في اللغة الشعرية) (1980) و (الفن التشكيلي الفلسطيني) (1985) و (بحثا عن الحداثة) (1986) أصدر الأسعد عددا من المجموعات الشعرية (الغناء في أقبية عميقة) (1974) , و(حاولت رسمك في جسد البحر) (1976) , و (لساحلك الآن تأتي الطيور) (1980) . أصدر الشاعر أيضا سيرته الذاتية في كتاب بعنوان (أطفال الندى) (لندن 1991 م) .

إلا أن هذا الإخلاص والارتكاز لم يعد كما كان في ديوانه الأول، سواء في مضمون القصيدة أو في أساليب صياغتها الفنية.

ولعل مقارنة أولية بين قصائد ديواني الشاعر تفيدنا في تبين ذلك. فهو في قصائده الأولى يعبر من الحاضر إلى الماضي، إلى ذكرياته عن الصحراء، ويهتم بالدرجة الأولى بأن يستغرق في تفاصيل الذكريات، موحياً بذلك إلى القارئ بأن الهدف هو تثبيت صورة عالم افتقده الشاعر بكل ما يحمله من قيم وموضوعات.

والصحراء من هذا المنطلق كانت لدى الشاعر صورةً لمشهد طبيعي يقوم فيه الصراع والتناقض بين الإنسان والطبيعة، وبين الإنسان وأحلامه التي لا تتحقق، وإن كان هذا الصراع أحياناً يتلون ببعض التناقضات الإنسانية بين الناس.

ونظراً لهذا التمركز حول المشهد، تطول القصيدة لدى الشاعر أحياناً، ولا تقصر إلا نادراً، وتتحول إلى قصة تروي أو مجموعة قصص دون اهتمام بالمبنى العام، أو بما تستدعيه التداعيات أحياناً من صور وألفاظ فائضة عن حاجة القصيدة أو جوها الشعوري. أما في ديوانه الثاني...

فقد حدث تغيير مهم، وإن ظل الإطار العام واحداً. ومثل هذا التغير انتقال مركز التجربة من الذكريات الماضية إلى الأحداث الحاضرة، فالشاعر

يلتفت إلى المكان الذي يعيش فيه، إلى أصدقائه من حوله، إلى القضايا العامة التي تشغله وتشغل الناس من حوله، وتتحول الصحراء بأحداثها وأناسها إلى رموز تمد الشاعر بقدرته على تعميق الرؤية والشعور.

ومن هنا بدأ نمط القصيدة القصيرة يجتذبه، فهو بحاجة إلى تركيز الفكرة أو الخاطرة وليس بحاجة إلى التفاصيل العديدة.

إن اللمحة التي بدأت تستولي على اهتمام الشاعر هي لمحة الفكر والشعور وتركيزهما في أقل عدد من الصور، ولكن مع أكبر تكثيف ممكن. سنرى في بعض قصائد هذا الديوان الثاني متغيرات أخرى، فقد تطور لديه الاهتمام بالشخصيات الإنسانية، والاهتمام بالمعاني الخاصة التي تحملها كل شخصية من هذه الشخصيات، إما نزوعاً من الشاعر للحديث عبر أقنعة تاريخية، أو أقنعة معاصرة، وهو نزوع يحمل رغبة في تعميم مدى تجربته الخاصة، لتصبح وكأنها انعكاس لتجارب البشر الآخرين.

ولدينا أن هذا التطور تطور متماسك ترتبط فيه المقدمات بالنتائج، فقد كان مزج الشاعر لحالته الخاصة بالحالات العامة للأشياء والناس منطلق تجربته، ويظهر هذا المزج في تحويل الشاعر لمشاعره إلى كيانات موضوعية متشخصة، وفي حكايات عن الصعاليك العرب المشهورين، وفي مواقف سياسية أو اجتماعية، ودلالات هذه الموضوعية تتضح في قوة الشعور،

وحدته وواقعيته، وذلك على النقيض من الشعور المألوف في الأشعار الرومانسية الطابع.

ولهذا يشيع في الديوان الثاني للشاعر الحس بالوجود الموضوعي، بالعالم من حوله، بالناس، بالأحداث، دون أن يجعله هذا الحس يستغرق في وصفية عقيمة.

لشاعر هنا لا يصف بقدر ما يحاول إعطاء مشاعره وعواطفه مبنى موضوعياً خارجياً، حدثاً أو سلسلة أحداث أو شخصيات تستطيع أن تؤثر في المتلقي خلال بنية القصيدة، وليس خلال ارتباطاتها بالحدث الخارجي أو الظرف الاجتماعي الذي قيلت فيه.

ونستطيع أن نقول إن هذا النوع من "الغيرية" الذي يمنح التجربة كياناً متماسكا قد أعطى الفليّح الأخير نكهة خاصة اقتربت بها من الحداثة الشعرية ونتج عنها عن البدايات الأولى.

ونضيف أيضاً أن هذه "الغيرية" ربما كانت سبب عزوف الشاعر عن تطويل قصيدته وإيجازها، وتحويلها إلى لمحة خاطفة تثير الفكر والخيال، بدل أن تنومه أو تخدره في شروحات وتفسيرات تتطفل على القصيدة فتضعفها أو تربكها على الأقل.

إن الفليّح في هذا الديوان الثاني يثبت قدرة على التطور والعطاء، نتمنى لها أن تتواصل، ولا شك أنها ستظل متواصلة ما دامت تنبع من واقعية التجربة وأصالة المعاناة.

أورق كفيه الشعر

بقلم: صالح الشايجي[124]

يزرع في الشــمس ضــوء كلمة ولا يســتظل بظلها، فقامته – ربما – أكثر امتداداً من جبل الكلمات. كلما حاد حادي الجمال جماله، عاندته، واتجهت صــوب تلك الربابة الصــحراوية المزروعة في المدينة التي تيبس قلبها. ربابته ليســت من وبر الجمال أو ذيل الحصــان، بل وعي من حبال صــوتية ومن نســيج شــعري قافيته غافية في قافلة الأيام التي تعبها ليال أقمارها من شعر.

سليمان فليّح بدوي نقل المدينة إلى الصحراء، وجعلها من فطرياتها التي لا تنتظر الرعود ولا البروق ولا الأمطار، ونقل إلى المدينة غيهب الصحراء، فك طلاسمه، وأشعل حوله سراجات كانت مطفأة في عيون الحضر!

ضــع إبهام الشــعر فلم تفطمه أم الشــعر، ولم يزجره أبوه، فجعل (الحداثة الشــعرية) حاضــرة الصــحراء وناراً يتحلق حولها البدو الرحل ويســتوطنون تخوّمها.

---

(124) – صالح الشايجي كاتب وإعلامي كويتي يكتب منذ السبعينات

لم يكن شعر سليمان فليّح سيفاً قبلياً يشهره في وجه أعداء القبيلة، بل كان حاضنته تتربى فيها قبائل البشر وطوائفهم كلها، فصار يرسل شعره بلا أجنحة ويحط حيث يحط دون إذن بالإقلاع أو الهبوط، ودون أن يتخيّر مطاراته ومهابطه، بل إن المطارات هي التي تستدعيه للهبوط متى ما هيأت له مدارجها الخضراء.

نادته الشمس فلبّى نداءها، لأن الشمس تحب من يزرع في ضوئها كلمة لا يستظل بظلالها أو لا ينتظر قطافها!

رسالة محبة إلى سليمان الفليّح

بقلم : <u>كامل يوسف حسين</u>[(125)]

لعزيز أبا داود، لعلك لا تجهل كم هو شـــاق في زمن الربع الخالي هذا الذي نعيش فيه أيام الأفكار والمشـاعر المغلوطة التي لا ندري أن نسـير نحن فيها أم تمضـي هي عبرنا أن يكتب المرء مسـتقطرًا مداد قلمه من قلبه، ولأن الكثير مما أود الكتابة من هنا قد تحول من اهتمامات إلى هموم، فإني أرجو أن تغتفر لي ما قد يشوب كلمات المحبة التي أسطرها لك أخيرًا من مرارة قد تمتد لتشكل نسيج الحروف.

مشترك نحب فيه شبابه الواعد بقدر ما نخشى عليه التكلس، فكما تعلم – أبا داود – ليس التكلس صلابة، وإنما هو تشيؤ، ولست الأحادية وضوحًا في الرؤية، وإنما هي استكانة للتفسـير السـطحي والهش للقضـايا. وإذا كان "نوخذا" دأب على أن يعلن المياه والقدر قد ظفر ذات يوم سـعيد المطالع "بدانة" العمر، فقد كنت أنا ذلك "النوخذا" في تلك الليلة إذ أصـغيت إلى إشـعارك وحين توهجت تفعيلاتك النارية في قلبي حاملة رؤى الحزن – الغضـب – والتمرد – التجاوز أيقنت أن هذا الركام الهائل من النثر الرديء

(125) – مجلة الأزمنة العربية ، كامل يوسف حسين أديب ومترجم مصري ، سبق حصل على جائزة العويس للإبداع

الذي أرغم على ابتلاعه لم يشـفني من عشـقي القديم، وعلمت – إن كنت بحاجة إلى دليل جديد – أن تكرار القهر اليومي لم يقتل بداخلي المتمرد القديم الذي كنته.

على أني أود من منطلق المحبة أن أتأمل تلك الليلة عنها، ألم تلاحظ مرة أخرى هذه الظاهرة التي رصدناها طويلاً، وتحدثنا عنها فأكثرنا، ولكننا لم نستطع أن نجد علاجًا لها: فكلما التقى عدد من أبناء هذه الأمة العربية الذين تعنيهم قضايا الفكر والثقافة كانعكاس مباشر لاهتمام بالتطور الاجتماعي والسياسي في أرض الهموم العربية وفي مدن النحاس المثقلة برنين المعادن وتراب لأرواح خلق من جديد سوق عكاظ حيًّا يتجدد؟

ألم تلاحظ – أبا داود – من خلال حوارنا أننا لا نتحدث لغة واحدة، حتى وإن كانت الفصحى واسطة حوارنا، أن كلًّا من الجالسين كان يشطح في واديه الخاص وهمومه الخاصة، ولم يكن اللقاء بالآخرين إلا صدامًا عابرًا يشحذ قلبه أسلحة براعته ويلعق جراحه بعد انقضائه؟ ألم يرعك – أخي – أننا لا نملك أبجديات الحوار تلك التي ينبغي أن نتعلمها في مطالع العمر؟ ألم يثر انزعاجك أننا لم نصل حتى إلى تلك الجدارة الأولية التي حققها أجدادنا من خلال "الفنقلة"، أي عبر الطرح والرد، بينما نظل نحن (نتناجز) بالألفاظ كصبية على الشاطئ يتقاذفون بكتل الرمال الممزوجة بالماء؟

فتهبط ثقيلة فاجعة كانسداد الليل؟ أما أنا فقد نقشت – حزينًا ومبتئسًا – على صفحة ذاكرتي أنني فهمت تمييز "أرنستو كاردينال" شاعر نيكاراغوا الخارج من تحت عباءة جبهة الساندينستا بين الدين كظاهرة أنثروبولوجية وبينه كمعطيات ثيولوجية، ورفضه – وهو الكاهن – للفصل بين القاعدة الدينية وضرورة التعبير بأكثر مما فهمت به حديثك عن الفصل بين الانتماء والالتزام، وتأكيدك على خروج الشاعر ليحلق – دائمًا – إلى آفاق "الحرية" الرحبة أيا كانت ضروب الخلط بصدد هذه الحرية. ولم أستطع أن ألمح – في حديثك، عكس ما نرى في شعرك – تمييزًا قاطعًا بين الحرية من جهة والضياع من جهة أخرى، في ضوء مقولة الالتزام، وهي في اعتقادي قضايا كان يجب أن تعالج منذ زمن بعيد، لكنها تركت لتتمدد بوضعيتها الفجة تلك بضعة من رمل وحجار وسط زهور لقائنا الليلي ذاك.

" يا صديق الروح، عفوًا" فأنا لم أرد تقليب المواجع وإثارة الأشجان، لكني أجد حزن عمري منعكسًا في أشعارك – وتلك سمة الشعر – الأصيل – تنبض أشعارك بوهج الحياة: القبيلة، المضارب، الإبل، صهيل الخيل، الكلاب المسعورة، دلال القهوة، الريح العاصفة. ولكم وددت لو أنك تساميت بجزئيات عالمك تلك إلى قبيلتنا العربية الكبيرة. أتعلم – أخي – لم صمدت القبيلة طويلًا كمؤسسة وكطريقة حياة؟ الإجابات عديدة لكنها تلتقي في القول بأن تلك كانت الدرقة الصلبة التي تواجه تحديات الإبادة.

وكما تعلم فإن قبيلتنا العربية تعيش اليوم الزمن الذي تفرغ فيه الكلاب الصهيل من الخيول، الزمن الذي تنتف فيه اللحى وتأتي الغربان عدد الرمال من الأجواز جائعة، لكي تخطف صغار النوق، والموتى وقتلى الحرب والضعف.

في زمن الانكفاء هذا، مطالب أنت وكتيبة الشعراء وحملة الأقلام العربية الطالعة من تحت الرماد والحزين بوضوء الدم لا الرمل، والتزود بالكلمة – السلاح – لا بالكلمة – المبضع. فأني أخشى أن رفوف الطير التي توشك أن تأتي مع الغيم تحمل الموت والسلب لكل ما هو عربي، ولا نجاة إلا في القبيلة الكبرى الممتدة المضارب من أقصى المغرب حتى ظفار.

العزيز أبا داود: هذه الصدفة – القدر – التي جمعت غريبين فوق أرض غربية، وسط شعب مغترب، وعي ابنة قدر عبقري ومجنون قد يلقيك يومًا في مدينة النحاس أو يطيح بك فوق جبل المغناطيس فيتحطم شراعك، وقد يلملم ذراعيك فوق جيد المدينة التي تعشق.

حن هنا اليوم وقد لا نكون غدًا، فذلك قدر (النوخذا) الذي يجعل الكلمة شـراعَه. ومع ذلك، قل لي بالله عليك: أي قوة تلك التي يمكن أن تمحو من صـفحة الزمن نقوش المحبة؟ وأي محبة تلك التي يمكن أن تفوق عشـق وطن تتعاروه الأسـنة، وتلوب الذئاب بيوت دوره فتوشـك أنيابها أن تقتض كل باب؟ ختامًا يا صـديق الروح، آمل ألا يموت التمرد القديم في قلبي وقلبك قبل أن يهيج رعد "الأدلة" برقها في سماء مدينة النحاس التي نموت بها ولها، ولعلنا – أبا داود – ننقش حروف محبتنا يومًا فوق سماء المدينة العربية، بعد أن تتحول، عقب سـقوط الملامح الحجرية إثر احتراق أقنعة الخشـب. فإلى اللقاء في "العهد الآتي".

مات ورد الحروف، ولكن
(ستعيش طويلًا) لتتعذّب كثيرًا.

بقلم : منيرة مصباح [(126)]

ماذا يريد الشعر من ذلك المتمرد على قانون القبيلة؟ عندما تنتشر المأساة وتنثال مع كثبان الرمال المتحركة، هل يصبح الشعر – مع الفليّح – ذراتٍ من الغبار يلتقطها ليعيد صياغتها بعد أن تصبح إحساسًا تاريخيًا عميقًا وحادًا؟ ترى، أيُّ إجاباتٍ شافية سنقع عليها ونحن نقرأ قصائده؟ وأيُّ آثار ستتركها تلك الموسيقى النابعة من عمق بداوته في الروح والفكر معًا؟ في عصر غدت فيه أشدُّ التغيرات سرعةً من سرعة التغير نفسه.

كيف يُوائم ذلك الصعلوك المتمرّد بين وجدانه وبين واقعٍ يستمر في السقوط؟ هكذا نراه يقف بشعره بمحاذاة الآخر دون أن ينتظر، يقول حقيقةً تدخل في صميم إدراكه لواقعٍ إنسانيٍّ هو قضيته الفكرية.وبهذه الغنائية المأساوية التي وصلت مع ديوانه مؤخرا عبر قصيدة مهداة يعبر الفليح (الأنا) وبهذه الغنائية المأساوية التي وصلت مع ديوانه مؤخرًا، عبر قصيدة مهداة،

(126) – منيرة مصباح شاعرة فلسطينية ولدت في لبنان تنقلت بين العديد من العواصم العربية إلا ان استقرت مؤخرا في الولايات المتحدة الامريكية ، وتعمل حالياً أستاذة للغة العربية في جامعة شيكاغو

يعبر الفليّح من (الأنا) الفردية الخاصـــة ليدخل (أنا) الجماعة، عبر التاريخ الطويل إلى اللحظة المعاشة، فيقول:

ماذا لي..

ماذا لي..

(...)غير القليل القليل..

من الشعر،

والصدق، والأنقياء،

والمحيا النبيل..

ماذا لي..

غير هذا الفؤاد العليل في صدري النحيل؟

أشد عليه إذا مات طفلٌ بأعلى الخليل،

وأصرخ: متُّ، ارفعوني،

لأني أحس أني القتيل..

(...)اعذريني بهذا الزمان البخيل،

مات ورد الحروف،

وانحنى للضفاف النخيل،

فليس الفرات الفرات،

ولا بردى بردى،

ولا النيل نيل..

هكذا ينتقل الصعلوك المتمرد من الغناء في صحراء الألم إلى الفرات وبردى والنيل والخليل، ليعبر المسـار الجدلي بتموج منتظم نحو المدى البعيد لصـراع الإنسـان، حيث يتحدر معه إلى كافة انسـياقاته التعبيرية، من القبيلة إلى الغراب إلى الصهيل إلى الهديل، ثم ضفاف النخيل وورد الحروف، والصدق، والأنقياء، والمحيا النبيل. بين هاتين النزعتين.. التمرد على قانون البداوة.

سليمان الفليح – الذابح والمذبوح!

بقلم : صلاح الساير [127]

عندما طوى جدي لأمي بيتَ الشعر – في أواخر القرن التاسع عشر – وتأهّبَ جمله للرحيل إلى المدينة، كان متأكدًا –كما يقول – أنه لم يترك هناك شيئًا غير رسومه وأطلاله. وقبل أن يتوفّ بأيام، سألته: ألَم تترك يا جدي شيئًا هناك، في صحراء سعادتك، يمكن أن يكبر يومًا ما ليصير صوتًا يتغنّى بصحراء الألم؟

أجابني وأثّار الأيام تكلّله: «نحن لا نترك إلا الأطلال يا بني، نترك الأشياء التي تصغر مع الأيام وليس التي تكبر معها».

قلت له بإصرار: «ألم تنس هناك بصحرائك الماضية وبين رسومك شيئًا (معوقًا) قد يأتي – بعد قرن من الزمان – خنجرًا يندس بين الضلوع؟»

ال بملل: «إن كنت تعني الخناجر فنحن لسنا مثلكم، نحن لا نترك سلاحنا حتى الموت، فكيف أنسى خنجري؟»

[127] – جريدة الطليعة الكويتية 1982/2/24 . صلاح الساير كاتب و إعلامي كويتي يكتب منذ الثمانينات في الصحف الكويتية، ومازال إلا اليوم يكتب في صحيفة الانباء الكويتية .

سألته بسرعة بعدما رأيت الملل من أسئلتي قد بان على محيّاه: «يا جدي العزيز، ألم يسقط منك حرف (بالجليب) وأنت لا تدري، ليخرج...»

بعد سنوات شاعراً يكتب عن أحزانكم عندما كنتم بدواً رحلًا.. ليكتب عن أحزاننا؟ قال جدي بلهجة حادة وصوت متهدج: «نحن لا ننسى الحروف يا بني، وإن نسينا الأرقام، صب لجدك القهوة واصمت». فصمت، ومن يومها وأنا أفكر بمصدر هذه الحروف التي تأتي إعصارًا يرتطم فينا، ومن أي قمم تأتي. خرج هذا البدوي (المعقوف) ليحيل كهربائنا المعتمة إلى سراج هادئ، هذا المتسربل في كل حروف العربية على شكل خناجر وسكاكين وسيوف ليذبحنا. فما زال سليمان الفليح يقرع طبول الحرب في أذني.. دائمًا أشعر بأنه يعنيني أنا وحدي.. يتابع خطواتي.. يتربص بي.. يواجهني، أين أدرت وجهي عنه.. يمسك في تلابيبي أينما هربت منه.

مرات عديدة غصت في رمال حروفه المتحركة.. ومرات عديدة كتبت لي الحياة. عندما أراه يحمل الحرف (شلفه).. يقاتل.. أدرك تمامًا كم هذا العالم ذئب، وكم الناس خرافًا!

أسئلة وملاحظات حول

غياب الشاعر سليمان الفليّح

بقلم : صلاح الساير [128]

(أين سليمان الفليّح)؟ كان هذا لونًا وطعمًا وشكلًا للسؤال الذي يتردد في الآونة الأخيرة على كل الألسنة، فالجميع يتساءل ويفتش عن هذا المخلوق الشاعر (المطلي بالصفرة)، والذي (حين يعاشر إحدى الجنيات تحمل نطفة أفكاره إلى خارج الجاذبية).

ولا يزال صعاليك (الديرة) وعاشقوها حتى العذاب، ومحبو هذا الصعلوك الشاعر يبحثون عنه في كل الأزقة والحواري، دونما جدوى، ولسان حالهم يردد ما قالته مجلة الديار ذات يوم عن هذا الشاعر بأنه (تكوين أولى لانطلاق شعرية سرعان ما سيتعرف عليها العرب)!

سليمان الفليح شاعر مبرز وله إضاءة جميلة في الشعر العربي. حمل هذا الشاعر فوق كتفيه النحيلين هموم وطنه وهموم الإنسان على هذه الأرض،

---

(128) – جريدة القبس الكويتية 1984/10/17، كتب صلاح الساير هذه المقالة دفاعاً عن أبي حيث تم ايقافه عن الكتابة لمدة 10 أعوام دون أي سبب مقنع 1980 /1990.

وانسكبت أحزانه في صورة قصائد رائعة. صدر للفليح عام 1979م ديوانه الأول "الغناء في صحراء الألم"، ثم صدر له ديوانه الثاني "أحزان البدو الرحل" عام 1981م، ومضى بعدها يكمل مشوار كتاباته الصحفية، ويزرع النوير في عيون الأطفال كل صـــباح. هذا ما يعرفه الناس، أما عن اختفائه، وعن السؤال الحائر "أين سليمان الفليّح؟"، فهذا السؤال ما زال يدوي في صحن دار الأدب بالكويت.

يمكننا الآن أن نضمّ هذه الحروف التي تعانق سطور الصحيفة إلى مجموعة تلك الأسئلة الباحثة عن هذا الشاعر الصعلوك، الذي طالما غنى وتغنّى بالصعاليك العرب عبر كل العصور، والذي طالما أضاء ظلام سماء الشعر في الكويت، تلك السماء التي تكاد تخلو إلا من بعض النجوم المتناثرة في هذا الليل البهيم.

مجلة البيان، وكأنها تقرأ في الغيب، المجهول، كتبت ذات يوم تصف سليمان الفليّح بأنه (بدوي جابه بعناد، وبلا لثام، قساوة المدينة ولوافح مادياتها بقلم بقطر الماء، صارخاً فيها لعلها تستيقظ، هكذا ظل إلى أن كاد أن يغفو، وهي لم تستيقظ بعد)! هل ما كتبته البيان في أواخر السبعينات جاء ليتحقق في منتصف الثمانينات؟ وهل كاد يغفو هذا المخلوق الشاعر؟، نقول هذا لأننا نعلم جيدًا أن المدينة لم تستيقظ بعد، ومشوارنا معها طويل، طويل، بل ويكاد أن يشبه رحلة الألف ميل، تلك الرحلة التي تبدأ بخطوة واحدة!! تختفي

الكلمات، وتولد كلمات أخرى، وهكذا دواليك، لكنه يبقى السؤال الحائر قائمًا لا يترجل، والسؤال: أين سليمان الفليّح؟ وأين رماح أشعاره؟ هل يشحذها من جديد، ويؤكد مقولة الفارس شليويح العطاوي:

"أكمن اليا صكّت علي النوابيح

والصبح أصالي كل قباء قحومي"

السؤال عن سليمان الفليّح سؤال مشروع، لا شك في هذا، ولا ريب، لكن المشروع أكثر وأكثر هو السؤال عن موقف رابطة الأدباء، وهل غياب الفليّح يكشف لنا بعض جوانب الصورة المظلمة في حياتنا الأدبية التي يُفترض أن تمثلها رابطة الأدباء؟!

غنيّ عن التأكيد أو استسقاء الأدلة والشواهد عندما نقول إن الشعر ليس فنًا غريبًا، وليس نباتًا شيطانيًا فوق ساحة الكويت، فالشعر من أوائل الفنون التي اجتاحت مضارب هذه الأرض، لتأتي من بعده القصة والمسرح، وهكذا.

إن ماضي الشعر وتاريخه الماجد في هذه الأرض يدفعنا إلى أن نتجاسر بالسؤال عن حاضر الشعر: هل هناك شعر باقٍ فوق الأرض؟ إن الرياح – رياح السموم – قد عصفت بكل شيء.

وللحق نقول: إن الشعر في الكويت ما زال قويًا ومشرقًا، وما زال يؤدي دوره المجيد في حياة الناس، إذ على الرغم من اختفاء بعض الأسماء المشرقة – سليمان الفليّح مثلًا – فهذا لا يعني غياب إشراقة إبداعاتهم التي طُبعت ونُشرت واحتضنها الناس، ويتوسدونها في المراقد.

إن الشعر في الكويت مشرق، فأين تكمن بعض جوانب الصورة المظلمة، أو الجوانب المظلمة من الصورة؟! وللإجابة عن هذا السؤال لا بد من تشخيص حالة رابطة الأدباء، التي تحتل الصورة بكافة أبعادها.

إننا لا نلقي بالاتهامات هكذا على عواهنها، بل ننظر حولنا إلى واقع رابطة الأدباء، لنرى أن العديد من (أبطالها) صاروا يتربعون اليوم فوق الكراسي الوثيرة للمناصب الحكومية.

ألا ترى أن العلاقة الوثيقة، إلى درجة (التناسخ)، بين رابطة الأدباء وبين المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب هي أحد أسباب ابتعاد رابطة الأدباء عن واقع الناس، وأحد أسباب تخبط هذا المجلس؟!

النقد ضرورة قصوى للإنسان، مثل الماء والهواء، بل أكثر؛ فلولا النقد لبقي الإنسان إنسانًا بدائيًا يمتطي الحمير، ويمتطيه الخوف والرعب من البرق والنار وبقية الظواهر الطبيعية! ولهذا كان يجب أن تبقى رابطة الأدباء في موقعها، في خانة الناقد المعارض الذي يشترط الأفضل.

والنقد ضرورة انسانية، لا تقارن ببغيرها،وهذا – بتقديري – هو الثقب الذي يمكن ان نرى من خلاله – كل الاشياء –بوضوح – ولهذا السبب تقوقعت هذه الرابطة، التي لم يبق منها سوى اسمها وهو جملة غير مفيدة!!النقد ضرورة إنسانية لا تُقارن بغيرها، وهذا – بتقديري – هو الثقب الذي يمكن أن نرى من خلاله كل الأشياء بوضوح، ولهذا السبب تقوقعت هذه الرابطة التي لم يبق منها سوى اسمها، وهو جملة غير مفيدة!

رابطة الأدباء تضم – بالتأكيد – بعض الأسماء المشرقة الرائعة، لكنها – الصورة العامة للرابطة – صارت تهتز أكثر وأكثر في عيون الناس المؤمنين بأن الرابطة اليوم أشبه بمقاطعة هندية يحكمها (مهراجا)! ومن حوله حاشية وأزلام.

من قرأ المجموعة القصصية للشاب وليد الرجيب، والتي طُبعت تحت عنوان (تعلق نقطة.. تسقط طق)، وأقول من قرأ هذه المجموعة وتابع عن كثب بعض الأسماء المتناثرة هنا وهناك، والتي ما عادت تأكل من خبز رابطة الأدباء، ليؤمن – كل الإيمان – بأن ثمة بركانًا مهولًا في نيته الانفجار، هناك في العديلية، حيث يقبع مبنى رابطة الأدباء!

لنسأل مرة أخرى: هل غياب الشاعر الصعلوك سليمان الفليّح يكشف لنا بعض جوانب الصورة المظلمة في حياتنا الأدبية؟ لن ننشغل بالإجابة، ولنردد مع هذا المخلوق الشاعر قصيدة قصيرة، يقول فيها:

أنا طائر أعزل في حقول البكاء

شاجرتني صباحًا بلادي

لأني أغني لها في المساء

فهل أيها العارفون بكل الأمور

رأيتم بلادًا تشاجر أطيارها

!في سبيل الغناء؟

السبب ضد مجهول

بقلم: إياد السبتي [(129)]

يقول زميلنا الشاعر سليمان الفليح:

سأبقى أعاني الخيانة وحدي
وسأفضح كل الذي صار ضدي
وأصدر أمرًا باسم الجماهير
كي يصبح (الحب) من ضمن
جندي!!

هذه المقطوعة الرائعة تعني الكثير؛ تعني أننا خُلقنا للحب، حياتنا حب، آمالنا حب، موتنا حب، كلنا حب في حب، لكن من يعي هذا يا قوم؟! لم ولن يعرف الحب.

الفليح شاعر حساس، ذو شفافية خاصة لا يمتلكها الكثيرون، ولم يعرفها الكثيرون، ولو عرف أغلب (مستشعرينا) شفافية وإرهاف الفليح لصاروا فعلًا شعراء كما يطلقون على أنفسهم.

---

(129) - إياد السبتي كاتب وإعلامي كويتي

ميزة هذا الفنان الصـامد أنه متمرد على واقعه، متحضـر لحد القمة، بدوي حتى النخاع، حياته رسـوم متحركة، صـعلكته فنون، أصـوله منبثقة من اتفاق عالمي لتعميم الجنون، و بأصالة.

لو عدنا إلى تاريخ هذا الشـاعر الكاتب المثقف حقًا، لحاسـبنا الزمان على ما فعله؛ فعندما يجور الزمان على شـاعر قوي الإرادة ضـعيف (الأطر) يكون حينها زمانًا ظالمًا، وهذا ما فعله الزمان بالضبط مع الفليح!!!

قال: سيدي، كلما عمرك طال، عمري قصر!

قال: لا تكفهر بوجهي مثل الهر، قال، قال، قال...

كن أين هو الفليح الآن؟! إن غياب الفليح عن الساحة الأدبية ليس غيابًا كليًا، ولكنه جزئي، وكنت أرجو أن تزول هذه الجزئية ليظهر علينا بوجهه الشارد كل يوم، كلما كان يهذر بتكنولوجيا من خلال (هذرلوجياته) الرائعة.

وكم فليح فقدنا ونفقد، والسبب لا زال مجهولًا، أو قيد ضد مجهول!!

أين هو سليمان؟!

بقلم : اياد السبتي[130]

يقول الشاعر سليمان الفليّح في قصيدته توجسات في الزمن الفاسد:

"ورأيتُ المدنَ الكبرى

تركضُ عبر سرابِ البَرِّ،

يتعقّبُها الخوفُ المتعب،

ويطاردُها المرضُ المرعب،

ويفتتها حجرًا حجرًا،

شيطانُ الوحشةِ والشرّ."

***

ورأيتُ صقورًا وحداءاتٍ وبطاريقَ في أعاليها،

ورأيتُ دماءَ أهاليها

تقطرُ من مخلابِ النسر،

ورأيتُ عُقابًا يخطفُ قصرًا،

ورأيتُ غرابًا يأكلُ نمرًا،

ورأيتُ أفاعي في الآفاق.

---

(130) - إياد السبتي كاتب وإعلامي كويتي

ترسمُ أقواسًا قزحيةً،

ورأيتُ وجوهًا في الشرفات

تلبسُ أقنعةً شبحية،

ورأيتُ عقولًا في الطرقات

تشربُ أنخابًا ملحية!!

***

يا أمي، كابوسٌ هذا أم وهم؟!

أم شيءٌ آخر يأتيني أم

هذا الأرقُ الموحشُ حلمٌ؟!

***

ويقول:

وحلمتُ الليلة يا أمي أن عيوني معصوبة،

ومضاربُ قومي مسلوبة،

ورؤوسُ رجالي ملصقةٌ بالحائط،

ورأيتك يا أمي لا تبكين...

لأن الأدمع مصلوبة!!!

***

هذا نموذج من الصور الجمالية الرائعة التي يصف بها الفليح (حال حاله) وذات ذاته وأحاسيس إحساسه!! أين هو الآن سليمان الفليح، أين هو هذا الشاعر من الحركة الشعرية والأدبية والصحفية أيضًا؟! سؤال لا أعرف لمن أوجهه، أين سليمان الفليح؟؟!

دحة قبائل الرولة

بقلم : فهد عافت [131]

نمنحك يا سليمان الفليح عقوقنا ببجاحة كاملة، بلا حتى مراوغة خجل. دع عنك الحياء، فنحن نرميك – نحن تلامذتك وطلاب علمك – بأماكنك الجديدة المقترحة. بصفاقة نعرض المساومة، كصدقة نمدها. نحن الذين جئناك – قبل سنوات – بقراءات شائِهَة، ومواهب بالكاد ليست مزوّرة. سألناك خبرًا وأهِلّة، فأعطيت، وأسمعتنا الشعر، وأشعرتنا السمع. قلت: «اكتبوا»، وباركت الطيش! نحن الذين جئناك – أتذكر؟!

نحن الذين جئناك – أتذكر؟! الغاوون... أتذكر؟! قلت لنا: عندي أشجار وفضاءات، لكن ليس لكم عندي ريش... أو مناقير. ثم حدثتنا عن (جان جينيه)، و(دالي)، و(الحطيئة)، و(تأبط شرًّا)، و(الشنفرى). قرأتَ لنا أشعار (الصمّة بن عبد الله القشيري)، وأشعلتَ الماء: بكت عيني اليسرى، فلما

---

[131] – فهد عافت شاعر وإعلامي سعودي ولد عام 1966 ، في منطقة الجهراء (الكويت). ، يقول أبي : فهد عافت صوت شعري يحتل مساحته المتألقة في ذبذبات الأثير وذلك للاندفاعات الشعرية الصارخة.

يعتبر فهد عافت أحد أهم الاصوات الشعرية في الخليج العربي وكهذه التجربة لا تموت بل تنمو ين حين وآخر عكس تجارب الشعراء الاخرين. حيث يعتبر مؤسساً لعديد من المجلات الشعبية المتميزة ومنها المختلف وفواصل و قطوف.

زجرتها عن الجهل بعد العلم، أسبلتا معًا! وفيروز، وحجاب بن نحيت، ومشعان بن مجول، وبيتهوفن، و"دحّة قبائل الرولة"...؟!!

آه يا ســـليمان الفليح، "دحّة قبائل الرولة"، كنتَ تكوكب الوبر، ومِنّا من يقود تعصّــبه، ورداءته، والعماء... واليوم ليقتصّ؟! حزين أنت يا ســليمان الفليح، وليس عندي اعتذار، فقط طلب... مثل كل المرات الســـابقة. يا سليمان الفليح، طلبٌ وأنت تعطي.

...إن ســـألك (ســـامي) عنّا: هؤلاء المدجّجون بالجحود والنكران، والناثرون حولك شوكًا وقصديرًا... أليسوا هم من كانوا يجيئون قبل سنوات إلى بيتنا، لتسمعهم الشعر، وتهذّب قصائدهم، ولا ينادونك إلا بـ"الأستاذ"؟ قل: لا. قل: لا يا سليمان الفليح. أرجوك... لا تقل له: هم، يا (سامي). فالذي كان أيامها لا يعرف سببًا لتحذيرك إيّاه – وهو يصبّ القهوة – بألّا يمسك الدلّة باليد اليمنى، سيطلب من الدنيا أن تفسّر له – دون جدوى – كيف يمكن للذين كان يعلّمهم سليمان الفليح القراءة أن يجيئوا اليوم ليعلّموه الكتابة؟!

كم أحبك

بقلم: فهد عافت [132]

أخي الكبير، ووالدي الصغير، وأستاذي العظيم...

ليتك تعرف كم أحبك، وكم أنا ممتن للأيام التي رمتني في دربك صغيرًا؛ فلم تنهرني سائلًا، ولم تقهرني يتيمًا.

علمتني، وربيتني، وأدبتني، ووجهتني إلى كل خير.

كم ساعدتني وأسعدتني، على المستويين الإنساني والأدبي.

أهديتني كتبًا وحياةً حافلة بالفن والإنسانية العذبة.

وحين شعرت بحاجتي وخلو جيبي، لم تبخل، ولم تنتظر أن أطلب منك شيئًا؛ بل جئت إليّ في مكاني، ومددت لي يدك بكل ما كان معك من مال.

وأنا لا أنسى هذا، ولا أخجل منه، وأريد من الناس أن يعرفوه، لأنك – ويعلم الله – أحد أكرم خلق الله على هذه الأرض... لولا أنك بخيل في نشر مخطوطاتك الكثيرة والهامة، التي قمت بتأليفها ثم أغلقتها في الأدراج.

(132) – منتدى شظايا

سيدي... أخي... صديقي... والدي... أستاذي...

متى ترى هذه الكتب النور؟

دمت غاليًا... عاليًا، يا سليمان الفليح.

المُعلم .. سليمان الفليّح

بقلم : دخيل الخليفة [133]

يرتبك القلم، وتقع الأعين على الأوراق الخجل، فأيُّ المفردات يســـتطيع المرء اقتناصها ليكتب عن سليمان الفليّح، الشاعر المتفرد، الإنسان التاريخ، البداوة، إنها حكاية أخرى من حكايات الضياع بين مفردات العربية.

سليمان الفليّح.. بدأ خطواته الأولى عندما اغترف إبداعه من أحزان البدو الرحّل.. جاء مغايرًا للكل حينما نقل الصحراء إلى مدينة الشعر، فألبسها ثوبًا جديدًا، وكان الاحتفاء كبيرًا بهذا القادم بفروته إلى الشانزليزيه، فثمّة نغم مغاير، وفكر خلّاق، وكلمات وصـــور أخرى لم يألفها شـــارع الفصـــحى، خرجت من فروة الفليّح..

(وحلمت الليلة يا امي
بذئاب تجتاح المرعى)

.. هكذا كان ابوسامي يستشرف المجهول –حينما توزعت خطواته بين معســـكر الحدود الذي نقله يافعاً الى جبهات الدم حينما اســـتدعته نخوته لتلبية نداء الواجب العربي وبين شـــارع الصـــحافة الذي مارس فيه صـعلكته

---

(133) – دخيل محسن الخليفة شاعر وإعلاني كويتي ،ولد عام 1964 (الكويت) ومن اصداراته الشعرية : عيون على بوابة المنفى 1993 – بحر يجلس القرفصاء 1999 ، صحراء تخرج من فضاء القميص ، يد مقطوعة تطرق الباب ، صاعداً إلى أسفل البئر ، أعيدوا النظر في تلك المقبرة.

المعتادة كشاعر فصحى وكاتب من خلال كلماته تضميد ما خلفه الدهر من جروح في الذاكرة العربية.

المعتادة كشاعر فصحى وكاتب من خلال كلماته تضميد ما خلفه الدهر من جروح في الذاكرة العربية. انتبه الفليح مبكرًا إلى دوره كشاعر مغاير استفاد من تجارب إقرانه ورفاقه العرب سواء في الكويت أو خارجها حيث تشعبت علاقاته ليطور تجربته بشكل أعمق، ومن ثم أخذ على عاتقه ضرورة اجتذاب الشعراء الشباب الموهوبين في كتابة الفصحى والعامية، لينمي تفكيرهم ويطور أساليبهم بملاحظاته الثاقبة، فكانت ديوانيته الصغيرة بمساحتها والكبيرة بضيافتها منتدى ثقافيًا يجمع فهد عافت وفهد دوحان ومسفر الدوسري وناصر السبيعي وسليمان المانع وآخرين أصبحوا اليوم أعمدة الساحة الشعبية بفضل توجيهات هذا الرجل ونباهتهم معًا.

فكان أن انطلقت صفحة (نفحات شعبية) التي يعدها الشاعر الرائع ناصر السبيعي، الذي وجد نفسه محاطًا بالموهوبين والمثقفين الذين يلتقيهم أسبوعيًا لدى الفليّح، فجاءت صفحة نفحات شعبية مختلفة بطرحها وأسلوبها، وابتكر أفراد المجموعة أشياء ما زالت راسخة حتى يومنا هذا كأسايات للشعر الشعبي، بل وطوروا حتى قصيدتهم العمودية وتخلّوا عن ميراث (السبعينيين)، وفجاءت قصيدة منتصف الثمانينيات لتشكل مرحلة أخرى، انطلقت من ديوانية سليمان الفليّح.

أستاذنا أبو سامي مازال فارسًا يكتب الفصحى والعامية، ويمارس نشاطه في توجيه الموهوبين، ومثلما ترك هنا آثاره الواضحة، مغلّفة بالمحبة والإخلاص،

فإنه ذهب ليزرع أشـــجار الإبداع في مملكة الخير أيضًـــا... وهذا هو قدر الأساتذة دائمًا.

الفليح كان هناك ..عاصفة لوحده

بقلم: جاسم محمد الشمري [134]

بالأمس القريب كنت هناك في (رياض) الحب بين الأهل والأحبة والأصحاب، كنت بين "الأنصار" وسألوني عن جميع المهاجرين. بالأمس كنت في جريدة الرياض ورئيسها السديري أخذ يسأل وبلهفة عن كل صحفي كان يكتب في الجريدة، عن ليلى، والخالدي، والفضلي، وسليمان الفليّح، وعند الأخير لم أجد الإجابة!!

خرجت لا ألوي على شيء، مررت بشارع الستين، رأيت وهج الحضارة الذي اختلط بالأصالة في أجمل صورة. كان الشارع يصرخ بأعلى صوته: أين ذلك البدوي الذي جاءني يحمل ربابته على كتفه ويغني للكويت...

صوت داخلي يهاجمني كذئب جائع في ليلة باردة: إذا شاء الله أن تعيش أمة في حالة من الذهول، وصل السطحيون إلى القمة بكتاباتهم التي تقزز النظر، وظل أمثال (الفليح) حبيس ذاكرة النسيان. هربت من ذلك الصوت

---

(134) – جريدة الوطن 1992/9/9. جاسم محمد الشمري كاتب و إعلامي كويتي

واتجهت غربًا لشقق (المعذر)، حيث كان الفليح، وجدت كل شيء مهجورًا، مظلمًا، منسيًا، كأنه يشاركنا فرحة نسياننا "لسليمان".

الفليح الذي كان يقصف بغداد لمدة سبعة أشهر بصواريخ "أرض جو أرض" بلا رقيب، بلا حسيب، بلا رئيس تحرير، بلا أوراق أو أقلام، كان صعلوكًا في جريدة تعرف كيف تتعامل مع عبقرية الصعاليك، وكان مجنونًا يتعامل مع شعب يعرف استغلال عظمة الجنون، وكان فوضويًا حتى النخاع، وتركوه على سجيته يحضر في يوم واحد ثلاث مقالات ويغيب أسبوعًا، ويظل أسبوعًا آخر، يطل في كل مكتب من جريدة الرياض ويبتسم، وما إن يراني حتى يصرخ: أين أنت!؟ ولا أجيب لأنني قبل ساعة واحدة كنت معه، ولكن وحده سليمان الذي تظل كل أسئلته بلا جواب، وأجوبته بلا سؤال، وعتبه بلا غضب، بلا حقد.

كان بمثابة وزير للإعلام الكويتي في جريدة الرياض، يسأل عن جميع الصحفيين الكويتيين، يحث ويشجع، ينصح بأسلوب التلميذ، لم يلعب دور الأستاذ يومًا لأنه خلق أستاذًا.

لم يعرف الحقد حتى على الذين حاربوه في جريدة الرياض من أبناء جلدته. سليمان الفليح، ذلك البدوي الذي يحمل نقاوة الصحراء وطيبة الماضي وحب الكويت في قلبه أينما ذهب، لقد كان وزيرًا للإعلام وسفيرًا للكويت

وبوقًا للحق الكويتي وجنديًا يضغط زر صواريخه تضرب عمق بغداد قبل عاصفة الصحراء، فقد كان عاصفة لوحده، وأصبح الآن صحراء قاحلة بعد أن عاد لبلاده.

فهل هي استراحة المحارب أم هناك أمور أخرى يجب أن تبحث؟ نحن شعب صغير وليس بالمقدور أن تنجب هذه الأرض عباقرة كل يوم، وسليمان حرفٌ ورأيٌ لابد من الوقوف أمامه بعض الوقت، فقد كان أول حرف كويتي في الجرائد السعودية والعربية وآخر صوت حتى يوم النصر العظيم.

لقد كان "صوتًا" لوحده، وسياسيًا بطبعه، "وقبسًا" من نور لدرجة أن إذاعة بغداد قالت عنه يومًا: العميل الأمريكي سليمان الفليّح، وظل الإعلام العراقي ينعته بين الفنية والأخرى، فقد كان قلمًا أقلق نومهم وقلبًا نابضًا بحب الكويت.

قال أحد المسؤولين في جريدة الرياض: "سليمان الفليح عبقري لم تقدروا على التعامل معه، ونجحنا نحن حين فشلتم. إنه يحمل حكمة الجنون، وأمارة الصعلكة، ورقة الطفولة، وحرفًا مقاتلًا يريد من يستنزفه. كثيرون أمثال الفليح قصفوا بغداد عندما لاذ الكثيرون بالصمت، وصمت عندما تكلم الآخرُس".

الفليح يتحسس وجوده في صحراء الألم

فرحان الفرحان [135]

لا دري لماذا يصر نقاد سليمان الفليح على الصاق سمة البداوة بشعره كلما تطرقوا لإنتاجه، حتى أني من كثرة ترداد هذا الوصف على ألسنة قرائه جعلتني لا أذكر سليمان إلا وتخيلته ممسكاً بعصايه. إن سليمان الفليح بدوي الأصل والولادة والنشـأة أيضـاً، ولكنه أيضـاً وقبل كل شـيء إنسـان يعيش عصـر الانحطاط كما نعيشه نحن، يزاملنا رداءة الزمن ويرافقنا دربه الطويل.

ومن خلال معاناته من بلوى الزمن هذه، راح يغني، بل يصرخ كأي إنسان آخر ابتُلي بزمنه، وفي هذا الخضـــم من تظاهرة الاحتجاج، لا يهم أن نفرق بين المتمردين استنادًا لهوياتهم الشكلية، بدو، هنود أو غربيون، فالإنسان هو الهم والعذر الوحيد الأقرب إلى الحقيقة، هو الذي يقوم على الإدراك والوعي والقدرة على طرح وإفراغ أزمة الإنسان في شكل مقنع ومقبول.

ومن هنا فإن الاهتمام بهوية سـليمان الفليح البدوية قد بُلغ فيها، وربما كان مرد ذلك لشـــدة الاندهاش الذي فجّره الفليح في نفوس الآخرين، فظهرت

(135) - ومؤرخ وباحث كويتي

معالمه وسماته واضحة على وجوههم فراحوا يصيحون: "أنظر للبدوي كيف يتكلم!" وما لبث هذا الاندهاش أن تحول إلى إعجاب، عندما بدأ المثقفون يتساءلون كيف تسنى لهذا البدوي أن يعبر عن أمراض عصره بهذه القوة، وبكل هذا الدفق من الأحاسيس.

صحيح أن الفليح أصر دائمًا على أن تكون أدواته في شعره مختلفة عن باقي معاصريه الشباب، فالرمال والبنادق وبيوت الشعر ليست غريبة عنه، وهي عناصر لازمته كما قلنا من الولادة وخلال النشأة، إلا أن شعر سليمان يبقى الأكثر صدقًا وأمانة في التعبير، وهذه صفة يمكن لنا أن نصنفه بموجبها.

لقد استطاع سليمان بإمكاناته القليلة من الأدوات التي يمتلكها أن يحل مكانًا لشعره في كل زاوية من زوايا هيكلنا الشعري المعاصر، كما أنه استطاع أن يضيء كثيرًا من الخبايا المظلمة في نفوس البشر.

إن سليمان الفليح إنسان ينزف ألمًا، ويعايش الموت في كل دقيقة، لذلك هو يحس نزف الآخرين وموت الآخرين، ومن معاناته هذه يأبى إلا أن يتقدم الصفوف رافعًا قلمه، وليست عصاه، في وجه الظلم والعبث والاستهتار.

يحاول جهده كشف رعونة الآخرين، إن مقدرة سليمان على الرؤيا لا محدودة وقد ثبت لنا ذلك من خلال شعره. إن سليمان الفليح من خلال

ديوانه الأول اســـتطاع أن يخط اسمه بمداد لا يمحى على صـــفحات تاريخ الفكر الإنساني وهو مازال فتيًا.

والذين يعرفونه يؤكدون أنه ليس واحدًا من أدعياء الشعر ممن يتمرغون فوق أنفســهم كما يقولون (أي كلام)، أولئك الذين اســتهواهم شــارع الشــعر فدخلوه تملقًا، ولما لم يجدوا مكانًا لهم، راحوا يتلقحون على أرصـفة الشــارع، يدخلون بهســتيرية محمومة (أي كلام). مثل هؤلاء لا تربطهم بســليمان أية صـلة، إنهم لا يسـتطيعون رؤية سـليمان إلا إذا رفعوا نظراتهم ورؤوسـهم إلى فوق.

لقد أشـفق على أحدهم عندما كان يردد أن سـليمان ينتمي إلى جيله، بل إلى صــفه، بينما ســليمان مشــغول في الحقيقة بإيجاد طريقة للخلاص من الأمة، من السخافة بين رص طواحين الحضارة. إن سليمان في الواقع يعيش صـحراء داخلية مسـاحتها الضـياع وقوامها الألم، وهكذا الفليح يتمزق، يئن، بينما العالم مصــاب بالصـــمم، إنه يصـــرخ في بئر لا قاع لها. يا للتعاســة الإنسان! آه ما أشقاه، أن سليمان يستغيث وأكثر الكل أصمّ لا يصغي إليه إلا لنباح كلاب الصيد... يا للفاجعة!!

ياسليمان الفليّح، ماذا يريدون منك؟

بقلم : فهد دوحان [(136)]

يا سليمان الفليح، ماذا يريدون منك؟ ما الذي خبأته السماء، ثم استدارت وبللت نفسـها بكل هذه الخطايا؟ ماذا يريدون منك؟ لا تنصـب خيامك على البحر.. لتشـترك النوارس والذئاب في حفل تعارف بهيج.. لا تشـارك السـليك عدوه.. وعروة في نبله.. والشـنفرى في صـخبه. ماذا يريدون إذن؟ ماذا يريدون إذن يا سـليمان؟ ما الذي خدر الحلم في صـحو عينيك؟ إن وجعًا بحجم خيامك ينتصـب، ليس على البحر، ولكن في صـحارينا التي حاولت أنت عبثًا جميلًا وآملًا أن تنقلها على ذلك السـاحل الهش.. يا سليمان.. لم تكن قسًا يحلم باليوتوبيا...

كي يمارس عزلته بهدوء مزعج.. إنما هو شاعر يركل الصمت بقدم من غناء شجي وعنيف.. يشاغبه ثم يعود الله يركله مرة أخرى بأغنية أكثر براعة. أيها البدوي وحيدًا يفتش بالرمل عما تبقى من الظل.. يرمي عليه الكتابة.. ويركض للشمس مستسلمًا للحروف التي يشتهي أن تكون كقربان يدنو.. لنهد السحابة.

---

(136) – مجلة حياتنا عدد 330 /عام 1992. فهد دوحان الشمري شاعر وإعلامي كويتي ، أشتهر في الثمانينات الميلادية ويعتبر من أهم شعراء الحداثة والتجديد.

المانفستو

بقلم: فهد دوحان [137]

منذ أن كان الغراب سيدًا في الجريمة الأولى للتاريخ الإنساني، والسواد يمرر نفسه بمرونة ماكرة بين القلوب البيضاء ليوزع النصائح المجانية للأبيض الناصع بانتشار مؤلم وفظيع.

لازلت أتذكر – بشدة – "نفحات شعبية" التي كان يحررها زميلنا رئيس التحرير "ناصر السبيعي"، والتي كان يعرف كيف يظهرها بثوبها المعطر.. ولكن الذي أذكره حتى هذه اللحظة تلك الكتابة العظيمة لشاعرنا القدير "سليمان الفليح"، أتذكر كل التفاصيل الصغيرة والكبيرة في كتابته تلك "مانيفستو المحبة" والمحملة بأطفال الصدق وعصافير القلوب الطاهرة حتى من الشجر والندى، لأنها كانت سحابة عذراء لم يمسها أي غيم ليعلن المطر، بل مطرًا أخذ شكل سحابة ليستريح قبل أن يتوزع في الصدور والأفئدة.

---

[137] – المختلف 28 نوفمبر 1993م . فهد دوحان الشمري شاعر وإعلامي كويتي ، أشتهر في الثمانينات الميلادية ويعتبر من أهم شعراء الحداثة والتجديد

كنت تدعو الأحبة يا ســـليمان وها أنت الآن تودعهم ، عني أقول تودع بعضهم فما زال العشب في صدور بعضهم يقتات من تلك السحابة.

هل تدري أن ديوانك الأخير "ذئاب الليالي" لم تصـلني منه ســوى روائحه مع الأصـدقاء رغم قربك، ورغم معرفتي بأن ليس لديك سوى نسخ معدودة ذهب أكثرها مجاملة!!

كانت مكتبتي التي تشـبه فم عجوز جاوز التسـعين، تنتظر ذلك الإصـدار منذ أن كان مخطوطة قرأتها عندك حتى أصبح فارسًا، وما زالت مكتبتي تلعب بأعواد الأســـنان عبثًا.. أيها الصـــديق: أحاول الركض بقدمين عاريتين من الاتجاهات المقفلة إلا من الذين أحببتهم رغم أنف الغراب والتراب الذي يريد أن يكون تلالًا وحجابًا يصد الأجساد.. فمتى كنا اعترفنا بالجسد أيها الروح النبيلة.. ذئاب الليالي يا سـليمان قرأته.. أقصـد بأنني أعدت قراءته مطبوعًا رغم تحفظي على التصميم الذي جاء كأرنبة تحاول تقديم الذئاب لضيوفها!!

أيها الشاعر قلت لك قبل زمن مهيّل:

"وحيداً يفتش بالرمل عما تبقى ..
من الظل يرمي عليه الكتابة ..
ويركض مستسلماً للحروق التي ..
يشتهى أن تكون

كقربان شعر ..

لتلك السحابة.

إن كنت لا تذكر ذلك.. فهذا لا يعني إلا أن صديقك يتذكر المانفستو...

***

أنا أحبه بلا تحفظ!!

بقلم: ليلى أحمد [(138)]

هذا المرتحل، ومنذ أن عرفته، أي منذ عشـــرين عامًا، لم يكن إلا ســـحابة تعوم في الفضـــاء، وحينما تكاد أن تلامس الأرض تلامس وجه من يحب.. رجالًا ونســـاءً، وكتبًا وأطفالًا، بل وحتى بعارين. إنه نقاء روحي لهم، تهزمه عاديات الزمن (على قولة الشعراء)، وفيه صدق وحميمية، لكن هذا الصدق لا يمس بالطبع مواعيده (الملخبطة) معنا دائمًا.

فهل نعتب على الســـحاب إذا ارتحل؟ منذ أول يوم عرفته وأنا في بداياتي البكر في الصـحافة، وحتى اليوم، أصـبح سـليمان الفليح مرتبطًا بوجداني، وبكل ما هو بكر في الحياة.. في الحياة. أشـعر بارتعاشـه روحيًا كلما قرأت كلماته، وأشـعر بالضـبط أن هذا الكائن الصـحراوي يعشـقها، بل في الماء أيضًا.

يعجبني عندما يحاول أن يكون ماكرًا، ويخفي عني أمرًا ما بغموض. وعندما ألاحقه بسؤال، أركز في خضـار عينيه، فتفرّان مني كغزلان شـاردة، ويُحرّكهما

---

(138) – مجلة أصداف، العدد 22 /مايو 1999 . ليلى أحمد كاتبة وإعلامية كويتية

بـ(يبربش) طفولي، ثم تذهبان بعيدًا. ومثل بدوي حذِق، يريد معرفة رد فعلي نحوه، فأكتشف ارتباكه. إنه الغموض الذي مارسه بطفولية صارخة.

سـليمان ليس قريبًا جدًا مني، وليس بعيدًا كثيرًا عني، ولا أخجل أن أقول إنني كثيرًا ما أشتاق إليه حينما أكون مهمومة جدًا.

وهو الذي لم يعتد على جنون وجرأة فتيات المدينة. وذات مساء، زارني في مكتبي في جريدة الوطن، ولاحظ أنني لست مركّزة معه، فـ"شخط" فيني فاعتذرت فعليًا دون كلام ── فهدأ، وشعرت أني أستمد منه نقاءً لا حدود له.

إنه رجل لا يتكرر كثيرًا، وإن وجدته، فليس هو السحابة التي تلامس جميع الوجوه النقية التي يحبها... وأنا شخصيًا أحبه بلا تحفظ.

بكاء النوارس

بقلم: ناصر كرماني [139]

الشاعر سليمان الفليّح فنان من نوع خاص، إذا جاز لنا أن ننعت شاعراً بفنان. سليمان الفليّح يلوّن الكلمات بألوان المشاعر والأحاسيس، ويوقظ الحروف بفطنة الأديب، فتندفع الصورة الكلامية لتعانق وجدان المتلقي وتولد لديه عاصفة من العواطف.

في فيلم بكاء النوارس من تأليف صلاح الساير وإخراج الفنان عبد العزيز المنصور، يتغنى صاحب الصوت الجريح الفنان عبد الكريم عبد القادر، ومن ألحان الموسيقار يوسف المهنا، بأغنية تمتزج فيها عدسة الفنان رمضان علي، مدير التصوير، بعيون كلمات الشاعر الفليّح لتقول:

" "أرفع في آذان المدن الصماء الصوت

أصرخ في أسماع العالم عبر ضجيج مصانعه

ومزارعه

وشوارعه

ومدارسه

---

(139) – القبس 12 /1/ 1996 . ناصر كرماني ممثل كويتي. دخل المجال الفني في عام 1987 ومازال مستمر فيه.

ومعابده

وجوامعه

أطرق أبواب العالم بيتاً بيتاً

كي أوقظ كل الملكوت

كي أخبر إنسان العصر كيف يموت

كيف يُدق هذا الكائن بالريموت

كيف يكون هذا العالم

كالتابوت."

بكاء النوارس عمل درامي يمزج فيه مجموعة من الفنانين أحاسيسهم وعواطفهم ورؤاهم على لوحة البيئة الطبيعية بعدة وسائل فنية.

الصادق الصحراوي يخلع عباءة الصمت

بقلم : منى الشمري[140]

سليمان الفليّح.. شاعر كويتي، بدوي حتى النخاع، امتطى جواد الشعر الحديث وتجول في صحراء الجزيرة، وحمل في قلبه الكبير هموم قومه ومتاعب البدو الرحّل، فعانى لأجلهم وكتب أجمل أشعاره.

عندما تلتقي به، تثير فيك نحافته الزائدة وشحوب وجهه وحيويته الدائمة وقلقه المستمر أكثر من علامة تعجب!!

بل حديثه الرقيق الهادي من الجميع يثير في نفسك أكثر من علامة استفهام حول أعماق هذا الشاعر النحيف ، وتبحث في شخصيته عن شخص الرموز التي تقرّبك من هذا الإنسان المتواضع جداً باعتزازه الشامخ.

(140) – مقدمة حوار –اليمامة 1406 ، منى الشمري كاتبة وروائية كويتية

وترسم الفطنة

بقلم: خلف الأسلمي [141]

"هذا هو الشرق

عجوز على ساحل البحر تقعي

وتمرق من فوقها الطائرات

تراقب خلف عباءتها ناقلات الزيوت

ولغط قراصنة البحر

وعربدة "القاصرات"

***

هذا هو "سليمان الفليّح" الشاعر البدوي الصاخب.. نمسك بهويته ونلقيها في الهواء، ثم نلتقطها، نقرأ: "ملك"! ثم نلقيها مرة أخرى، نقرأ: "صعلوك" منظم وفوضوي. هو كبيرنا الذي لم "يعلّمنا" ولكننا "تعلّمنا" منه السحر والشعر، وكيف نوقّع اللغة الفاتنة! وتعلّمنا كيف نفتح شبابيك الذاكرة على "مصراعيها" ونستند كأطفال مجبولين بالدهشة على أيدينا، ننظر لطفولتنا/

[141] - وطن الكلمات 1992/7/28م . خلف الأسلمي شاعر وإعلامي كويتي

بداوتنا، وإلى تلك الصحراء الشاسعة التي تعبرها الجمال بوجوم حزين، يصاحبها عزف لـ"سموم" القيظ الحارقة. هو يكتب فتقرأ، فيقتل تلك الغربة التي تتعملق بداخلنا يوماً بعد يوم:

***

صديقي، ولكن بيني وبينك تنأى المسافة،
فما زلتُ أحيا تماماً كصعلوك،
وما زلتَ تحيا حياة الملوك،
لهذا أقول: وداعاً صديقي،
وإن وحدتنا الثقافة.

سليمان.. دخل المدينة محصناً ضد أمراضها.

سليمان يمتلك "هدهداً" يعرف أماكن الربيع، ومواقع المياه في اللغة.

لولا أن قلمي يصرخ فيَّ: صغير أنت، ومن "التسلق" أن تتحدث عن هذا الكبير، لقلت:

هو يكتب القصيدة بصورة أكثر من خرافية، وعلامة التعجب التي ترسم في عقولنا بعد كل قراءة له، هي: كيف يستطيع هذا الشاعر أن يمسك بكل تلك الخيوط الجمالية ولا يفلت واحداً منها؟

أشعل سيجارة السؤال، وأنفث الدخان،

فترتسم أمامي: "الموهبة."

أنفضها بيدي!

أنفث مرة أخرى، فترتسم "الفطنة" كأنها الهلال.. أتركها عالقة، وأطوي الورق، وأمضي.

ذات دخان أزرق

بقلم: خلف الأسلمي[142]

وأنت أيضاً كنت أحد هذه الذئاب في "أسرك" الفظيع،

تلوب طوال النهار بـ "مترين"،

صارا إليك جميع القفار،

وصار الفضاء

إليك أيها الذئب البدوي الأنيق، الذي يمارس أقسى العواء في أفق قصي،

ويفزع مهاءات الشعر نحو الأعالي.. إلى الأسلمي، خلف رائعاً وصديقاً..

مع كل الود.

– سليمان الفليّح –

***

هذا ما كتبه شاعرنا وكبيرنا وذئبنا، الذي كلما أشرق قمر الحزن، تشظّى شعراً "بدوياً" متحضّراً، سليمان الفليّح. كتب ذلك الإهداء حين أهداني كتابه

(142) – وطن الكلمات 1993/11/13م . خلف الأسلمي شاعر وإعلامي كويتي

الجديد "ذئاب الليالي". أجل، ها أنا أفتخر بما كتبه لي، وها أنا أنشر ما كتبه لي وأفتخر علانية.

هذا ما كتبه شـاعرنا وكبيرنا وذئبنا، الذي كلما أشـرق قمر الحزن، تشـظّى شـعراً "بدوياً" متحضّـراً، سـليمان الفليّح. كتب ذلك الإهداء حين أهداني كتابه الجديد "ذئاب الليالي".

أجل، ها أنا أفتخر بما كتبه لي، وها أنا أنشـــر ما كتبه لي وأفتخر علانية. ولكي أقول بلغة متلعثمة بالشكر: يا سليمان، كنتُ ذات أعوام سابقة أقرأك كلما كتبتَ في الجرائد، في المجلات، وقرأتك في "أحزان البدو الرحل".

ويا سـليمان، حلمٌ أن يتشـرف المرء بمصـافحتك، وأتذكر أنني التقيتك في أمسية شعرية ــــ كنتَ الأكثر حضوراً من الشعر في تلك الأمسية العابقة بالأصـــدقاء. وها أنت تكتب لي ذلك الإهداءَ المتعفر بالنقاء، وتكتب لأحبتك هنا، وللمصابين بصداع الصعلكة هناك. يا سليمان، ها أنا أفتخر بمعرفتك ومعرفتك. شكراً غير ناقصة.

عزف على شريان

بقلم :د/فضل الفضلي[143]

يهتف الرائع سليمان الفليّح، وبفطرته المعهودة:

"زمانك صعب

فكن مثله

وإياك أن تلتوي أو تساوم أو تنحني

فخلفك قوم يطلون لك

من شقوق العباءات

أو من شقوق البراري

يشدّون صبراً

أعنة خيلهم المطهمة".

***

يكتب صاحب القلم الجزل، كاتبنا القدير مشعل السديري:

لن نسمح بعد اليوم لمن يجرّ ثوبه أو سيارته أو نقوده مختالاً في دهاليز المدن

(143) - د/فضل صباح الفضلي كاتب وإعلامي كويتي

العربية والعالمية، عاكساً صورة قبيحة بائسة مزرية لشكل الإنسان الخليجي السفيه، الذي لا يدري كيف جاءته النقود، ولا يدري كيف وبمَن يصرفها أو يبعثرها أو يحرقها!!

ويقول مشعل: إن لم تكن مصيبتنا في الكويت كافية لقلب موازين السلوك والرؤية والعمل، فلنقل على مستقبلنا السلام.

***

ويهتف مرة أخرى في أسماعنا صعلوك التحدي.. علّ صدى الكلمة يساهم في تحديد طريق الخروج من دهاليز الزمن الصعب.. يهتف عاشق السليك بن سلكة:

"زمانك صعب

وأصعب منه التحدي

فليس هنالك أصعب من زمن الارتداد الرجولي..

غير التردي"

***

ومن وسـط ثنايا صـرخة مشـعل وهتاف سـليمان تنمو حروف السـؤال.. سـؤال الخروج من الدهليز.. سـؤال تحدي الزمن والتعامل معه على مسـتوى صعوبته، ويبقى سؤال مرتبط بالسؤال: هل من سميع مجيب؟!!

هذرلوجيا

بقلم: د .فضل الفضلي [144]

ما أكثر الأيادي التي تستعمر القلم،

ما أكثر الأيادي التي تستثمر القلم،

ما أكثر الأيادي التي تجثم على صدر القلم،

ما أكثر الأسماء التي تخطّ ما قيمته أرخص بكثير من قيمة الورق،

ما أكثر المتخبطين في بيداء الكلم،

ما أكثر المتكلّفين،

ما أندر غير المتشدقين،

ما أكثر كتاب كل ساعة وكل حين،

ما أكثر كتاب الدف والمزمار،

ما أكثر الحكام،

ما أكثر الهشيم،

الهشيم يزداد ويرتفع الدخان،

---

(144) – د/فضل صباح الفضلي كاتب وإعلامي كويتي

يرتفع، يرتفع الدخان ليخفي شعلة اللهب،

يرتفع الدخان ليحجب الرؤية عن المشاعل.

رغم اختلافي معه بالرأي،

رغم عدم تأييدي لكل أطروحاته،

إلا أني أرفعه ولا أزكي على الله أحداً عن مستوى الدخان،

أرفعه ولا أزكي على الله أحداً عن مستوى الهشيم،

أرفعه ولا أزكي على الله أحداً لصدقه مع نفسه،

لا خلاص له بني جلدته،

لعدم تستره وراء أي قناع من أقنعة عصر النسيان، عصر فقدان الذاكرة.

قد لا تعرف يا صاح عمن أتحدث،

إني أقصد ذاك الساخر من حضارة قرنه،

إني أحدثك عن من شوق الكلمة يحرقه،

وعمن من الحروف العطشى تئز داخل قفص صدره،

وعمن من حنين العودة للقلم يعزف لحن الحزن على أوتار قلبه،

إني أعني (متيم العرفج، وجدان الجزيرة، سحبان بن وائل، الصادق الصحراوي).

يا صاح، لولا عليك إن كنت تجهله،

فهو لا يعزف على أورغ أو بيانو،

هو لا يلعب كرة أو يهز وسطاً،

إنه بقايا إنسان،

إنه هيكل عظمي،

إنه هيكل فقد اللحم والدم لأنهما كانا مداداً لكلماته،

أي سحبان بن وائل،

أيها ابن الفليح، ماذا أقول؟

لن أقول سوى:

(سلم ذاك الهيكل السابح في لجج الظلام

سلم من سعير المتقدة في حنايا العظام)

صعلوك في حقول البكاء!!

بقلم : د/فاضل الفضلي [145]

عادة أراجع النفس أكثر من مرة، وأستشف أكثر من رأي، وأتردد كثيراً عندما يكون أحدهم موضوعاً لمقالتي، لا من باب الحذر الزائد، أو التهرب من قول كلمة حق، إنما من باب ألا تُحسب الكلمة التي نخطها حسبة تزلف أو تقرب، أو تودد، أو حصول على مصلحة ما من أحدهم... لذلك من النادر أن نتعرض لذكر الأسماء، وبالذات المسؤولة. أما هو فالأمر مختلف معه.. هو صعلوك!! صعلوك جسديًّا ينتمي إلى عالمنا، صحيح، لكنه نسيج روحي من كل أولئك الصعاليك الذين أعتبرهم شخصيًّا أرقى، إنسانيًّا وحضاريًّا، وأصدق وأدق تعبيرًا عن المبدأ من خمسة أسداس عرب ومسلمي اليوم، إن لم يكن أكثر!!.

هو من رحم قبائلنا العربية التي استهوتها الصندقة الإسمنتية، ودجّنتها المدينة، لكنه ظل كما كحيلان إلا بل.. كما حصان السحاب، فشلت شتى طقوس وضوابط وإغراءات القبيلة في وضع الرسن في رقبته، أو طرح السرج

(145) – زاوية باتجاه الشرق

على ظهره.. كما فشلت بعد ذلك أضواء وبهرجة المدينة وقشرتها في ترويضه أو تهجين خطواته.

أجد فيه شخصيًّا تمرّد (تأبط شرًّا) وجموح (ابن السليكة) وضجيج (أبو الطمحان) و(الشنفرى) معًا، ومروءة (عروة بن الورد) خاصة، وهو يتجوّل مع صعاليك حاضرنا الذين، رغم ضيق ذات اليد، وستر الحال، ومعاكسة الظروف، ما زالوا يغازلون الشمس ويعشقون القمر، ويزدرون الوضاعة والبخل، ويحتقرون الاستجداء وسكب ماء الوجه والقلم والحياة.

لذلك كله أجد نفسي مغرمًا، لا مُرغمًا، بين حين وآخر، بمداعبة صعلوكنا الذي أسميته في الرياض (ديفيد كوستار) من وحي تعلّقه بالذئاب، وتكرار زياراته لحديقة الحيوان، خصيصًا للسلام على صديقه الذئب الذي شنقه في أغسطس الغزاة، بعد أن رفض تعليق صورة زعيمهم على قضبان قفصه!!

أجد نفسي تفور احترامًا لصعلوكنا الطائر الأعزل في حقول البكاء.. صعلوكنا الذي نتشاجر معه كل صباح، فقط لأنه غنّى لنا ذات مساء.. وها نحن نتذكره في يوم عزَّ فيه الغناء، وندرت فيه مشاغبة الرجال!! وصعلوك مدينتي، أين أنت؟ سليمان الفليّح، ألا تعلم أن صحف بلدك قد بلغت من التعداد سبعًا؟!!

الفليّح أصيل لا يتغير

بقلم : فوزية شويش السالم [146]

الشعر بوابة المعرفة بيني وبين الصديق العزيز سليمان الفليّح، وزمن البراءة الجميل بيننا عمر.

كانت معرفته وصداقته قد نمت بين ضفّتَي الشعر والفن بشكل حميم وصادق. شدّني إلى (سليمان) صدق بداوته وأصالة إحساسه بهذه البداوة

كنت عن الترحال وغربة الروح داخل المدن الإسمنتية التي تعمرها الوحشة والقطيعة بين الناس، وتتركهم في سباق محموم للعمل وجمع المال، فبعد تلك المضارب التي تنعش فوق كثبان الرمال وصدر الصحراء، تأتي المدينة بمعاولها لتدك وتنتزع الخيام وأروقتها الجميلة وذكريات حياة كانت فيها.. نسيها الزمن ولم ينسها قلب شاعر، وبقيت تنبش فيه وتكتب تاريخها.. شدني هذا الإحساس الهائل بالحنين إلى الماضي وتراث البداوة.. هذا البدوي الذي احتج على طوفان حضارة سرقت أصالته وتراثه منه، ولم تترك له إلا الوحشة والغربة.

(146) – مجلة أصداف / العدد – 22 / مايو 1999. فوزية شويش السالم قاصة وشاعرة – من الكويت

"حيث يصبح القلب صحاري
تصرخ من وحشتها الروح
هذا الشاعر
كان يبكي كل ما جفت لعقم الغيم في الأفق سحابة
ويرش الأرض دمعاً من شآبيب الكآبة
ويغنّي كل ليلة "

ليكتب تاريخ الصحراء لنا، حين لن يبقى من آثارها ما يدلّ عليها، ستبقى صحراء سليمان دائمًا في الذاكرة، وسيكون سليمان الفليّح شرف هذا الغناء ورنين الأصداء الشاسع، وستغنّي له الربابة، ويبقى سليمان الفليّح كما عهدته، وكما عرفته، أصيلًا لا يتغيّر؛ تتغيّر حوله العادات، وتتلون الوجوه، وتنسى البداوة أصلها، إلا هو. هذا هو سليمان الذي عرفته، الصديق الذي يواصل هجراته للشواطئ البعيدة، لأنه "طير شريد يتعتعه شوق الهجرة"، ويبقى صديقي العزيز "النجري"، وأبقى "عنيدة"، والشاهدة على الدواوين والتحوّلات. لسليمان كل المحبة والذكرى الطيبة، واستمرار النجاح، وشكرًا كبيرًا لمن التفتوا إليه بالتكريم.

الشاعر

بقلم: عبدالرحمن النجار[147]

إلى الذي افتقدناه على الورق، وما افتقدناه بين أطناب خيام المضـــارب الصـحراوية، إليك يا من عشـقت حتى عشـقك العشـق، فتضـوع "نويرًا" و"ربلة" وأصـــناف "الحمبزان" ترعى حول وريقاتها أســـراب "الدحاريج"، ويهدل في مسامعها "القمري"، إلى الشاعر سليمان الفليّح:

إيه يا اللي واجفٍ بين الخيام

في ذرا طعسٍ ..شماليه اثمام

هيضّك زرف الحمام

مع طلوع الشمس ..

مروك الحمام

ودّهنّ لو يسمعنً

هرج الغرام :

يا سلام

(147) – عبد الرحمن النجار شاعر وإعلامي ومذيع وصحفي قدير

***

في سهول البر

في الشعبان

حول جال العرفجيّه

أمطرت

زخات حبات نديّه

تضرب عروق الغضا..

والحمظ

ورذراذ المطر ..حولك

حروف ابجدية.

***

وين ذيك النوق

في وسط العشيب

وين راحت

يوم حاصرها المغيب

ماتت بوسط الشعيب ..!

والا طاحت بالجليب ..!

والا في ليل الظلايم ..

عضها بالورج ..ذيب!

وانقطع حس الغناوي

والقوافل

وانقطع حس النجر

وغناية الفنجال

تزهم بالقبايل :

" لعنبوكم ماراداكم

لعنبوكم ماراداكم "

لعنبوكم من قبائل

لعنبوكم من فصايل

ماحدٍ عنه ابسايل

عن حروفه

عن زلوفه

عن سيوفه

عن جروح .. في كفوفه

من تباريح الهوايل

والظما والقيظ

في دنيا القوايل

***

آه يا سليمان

يا ملفا القوافي

يا اللي اسطورك

ظواهرها ..خوافي

لو جفاك الوقت

يامشكاي

تكفى لا تجافي

ومن تجافي..

ولو تجافي

ماتجافيك القضية

لا ولا يخفاك

مضمون القضية

والقضية

تختلط فيها ..

تفاصيل القضية

حول جال العرفجيه

أمطرت

زخات حباتٍ نديّه

تضرب عروق الغضا والحمض

ورذاراذ المطر حولك

حروف ابجدية.

حب الوطن في شعر شاعر "المتشرد والصعلكة"

بقلم: حمد جاسم السعيد[148]

صـديقنا الشـاعر الصـحراوي أو "الصـعلوك المتشـرد" الذي يختفي تلذذًا وسعادةً بالألقاب المشـردة: عندما يتكلم لا يتحدث كالبشـر، بل إنه يسـل سـيفه ويطلق له العنان، وكأنه يزاول من خلال قلمه قتل أعدائه بكلمات تحيل الليل إلى نهار، ويحوّل الهدوء إلى عاصفة هوجاء تحطم في طريقها كل ما يقف أمامها.

كلماته رصـاص ينطلق من رشـاش أوتوماتيكي سـريع الطلقات، تصـيب الهدف برصـاصـة واحدة ألف مرة.. أداخل كلمات هذا الشـاعر المتشـرد في صحاري البدو الرحل، وأعشق كلماته حرفًا حرفًا، عشق متيم يحنّ لهمسات حبيبته، ولكن بعشـق الرجولة والمحبة وعصـارة الإخلاص، المتجردة من كل هدف إلا حب هذه الأرض.

(148) - كاتب وإعلامي كويتي

"أنتَ إن شئتَ أن أسمعَ رأيكَ

فاستمعْ رأيي لأسمعْ

أنتَ لنْ تُقْنَعني بالرأي بالقوة ما لمْ

منْ صميمِ العقلِ أقنعْ."

قالها هذا الشاعر بقوة القلم الذي يحارب به دون خوف، مؤكّدًا أن أسلوب العنف الذي يتعاطاه "خفافيش الليل" أصبح سلاحًا بائدًا وصدئًا لا يخيف الأقوياء، بل إنه يتحول مع الأيام إلى قوة رادعة لأساليبهم، وأن الحكمة والقوة معًا تشكلان ثِقَلًا وتمهّدان طريقًا آمنًا تسير به المسيرة بثقة وتطلع إلى مستقبل أفضل.

ولأن هذا الشاعر "الصعلوك" يؤمن بأن الحوار الهادئ المقنع الذي يقود إلى الهدف خير من الرصاصة التي قد تقتل وقد "تدوش" دون أن تُصيب، فإنه يعلن بأسلوبه "البدوي" الصارم الذي لا يهاب تهديد أحد، حيث يصرّ على أنه إذا أراد "هؤلاء" أن يسمعوا رأيهم ويقنعوه، فعليهم أن يسمعوا رأيه أولًا. وهو يستمد رأيه "العنيد" من مواقف الرجال الأقوياء الذين لم تؤثر فيهم "التهويشات" ولا "النباح" الذي يلعلع صباحًا ومساءً، محاولًا النيل من هذه المواقف الصامدة.

فما دام المبدأ ثابتًا والهدف وطنيًا مخلصًا، فإن شاعرنا المتشرد المؤمن بحب الوطن، وإن حاول البعض كسر قلمه، إلا أن هذا لم يؤثر في عطائه ولا في حبه لوطنه، فالتشرد من طباعه والصعلكة هوايته المفضلة، والمهم أن كل نهاية لتشرده وتصعلكه تكون في حب هذا الوطن.

وقد أكد لنا شاعرنا حقيقة كانت غائبة عن أذهاننا في حب الوطن؛ وهي أن التغني بحب الوطن ليس كل شيء، بل العمل من أجله والارتباط به هما خير حافظ له، كما يشكلان الحزام الذي لا يمكن لخفافيش الليل أن تجد لها مكانًا في أرضه أو سمائه .

درسًا في الفن الصحفي من خلال مطبوعته

بقلم: مبارك الشعلان[149]

درسًا في الفن الصحفي من خلال مطبوعته "الحدث"، ولو اكتفى بالأعداد التي أصدرها حتى الآن لكفته. سليمان الفليّح.. هو أكثر الأشخاص إحراقًا للســـجائر والهموم، وأتســـاءل دائمًا: ألا توجد إطفائية في هذا الوطن قادرة على إخماد حرائقه؟! من لا يعرفه يعتقد أنه صـــعب ولا يمكن فهمه، وهو أشبه ما يكون بـــ "قضية المديونيات"؛ فكثير من الناس يسألونني عنها وكأنها مسألة معقدة، وهي في الواقع أسهل بكثير مما يتصوره الكثيرون.

هي عبارة عن أشخاص مَدينون بملايين الدنانير، كانت لديهم القدرة على الحصول عليها بسهولة، ولكن ليس لديهم القدرة على إعادتها إلا بصعوبة، فأصــبحت صــعبة الرد وإن كانت ســهلة في الأخذ. وجه الشــبه بينهم وبين ســليمان هو أنهم جميعًا مَدينون، وهذه نعمة لســليمان وتهمة لهم، ولكنهم في دينهم أغنياء، وســليمان مَدين في غناه، ليس أمامه ســوى التمســك بمقولة: "الغني غني النفس كوديعة طويلة الأجل ".

(149) – مجلة الحدث. صحفي وكاتب كويتي

جِد: الإهداء إلى سليمان الفليّح

بقلم: عبدالرضا الكمال [150]

آه كم أشقى أنا..

آه كم تغرق بالأحلام أنت إذا جاءتك آخر الليل قصيدة

عندما الموتى يجيئون بأكفانهم..

عندما تمسح دمعة حجرية من على أجفانهم...

آه كم أشقى أنا..

كلما رحت في الصمت عميقًا لتفكر..

كلما أرسلت عينيك للمجهول والكون المدمر

كلما فكرت بالدنيا العجوز التي كلما ازددت كآبةً فيك تكبر

آه كم أشقى أنا

وأنا الحظ يصب في عينيك بعضًا من قصيدة

رحت فيها لبراريك البعيدة

وتركت الناس ذوي الأفكار والرؤى البليدة

آه كم أشقى أنا يا سليمان وكم تشقى القصيدة..

---

(150) – عبد الرضا الكمال – رسام كاريكاتير – الكويت.

عرّاب الساحة

بقلم : عبد الله الفلاح [151]

أبو سـامي، أسـتاذ بقامة الجبال وامتداد الحبر، خرج من نوافذ السـماء "طائرًا حرًّا" يحلّق في المدى، وبين جناحيه وعي الشـمس، يجمع ريح الشـعر ليزرعها في كل قلب عابد، لينحني فكره نحو التفرد، وتتفجر الأنهار شـعرًا لا يقبل الانهيار.

سـليمان الفليح أسـتاذ الجميع وعرّابهم الذي علّمهم من أين يُؤكل الشـعر، اقتسـم مع الجميع آلامهم وآمالهم حتى أصبح رمزاً للبسـطاء في هذا الوقت، إنسـان غير قابل للتصـنّع في ظلّ الإنس، يأتي بكل تلقائيته حاملاً أحزان البدو الرحّل على جناحيه، مرفرفاً نحو جهات أخرى – ودوماً جديدة – يشير بأصبع روحه إلى الأفق، لتكسر القيد في قلب كل شاعر.

هو أحد عباقرة "البدو" ذو عقل متحضّـر ومتخضّـر بالوعي في أبسـط حالاته، كما هو "عرّاب الساحة"، وفي ارتحالاته كان جزءاً من وجه التاريخ.

---

(151) - واحة الأنباء – الانباء- عبدالله الفلاح 27 نوفمبر 2003 . عبدالله فلاح شاعر وإعلامي كويتي .

أسّس أهم امتداد للشعر العامي في الخليج: الساحة الشعبية، وتبعته الجهات نحو وجهات متجددة نابعة من قلبه وعقله، وكلما مرّ بمكان وضـع بقعة من زمن الوعي. لن أكمـل، لأن موجـة من هـذا البحر ممتـدة أكثر من امتـداد جميع الأقلام بالساحة.

سـليمان الفليح، شـكراً عليك أيها الوفي "المنسـي" في هذه السـاحة التي لا تذكر سوى الفراغ، فقط اعلم: بنك ذاكرة الأوفياء وكفى!

سليمان الإشراق والقلق

بقلم : مسفر الدوسري [152]

سـليمان الفليح، الشـاعر والأب والصـديق الممتلئ بالشـفافية والصـدق، المحمَّل بكل طيب الخزامى والنفل.. سـليمان الفليح، المعلّم والمرشـد والموجّه الأمين. كنا نلتف حوله صغارًا بتجاربنا، يحدونا الحماس لأن نكون شيئًا في عالم الشعر، وكان هو المختزن تجارب عظماء الأدب والفلسفة والفن والنضال في العالم، من إليوت إلى مشـــعان بن مجول، فهد بن صـــليبيخ، بندر بن سرور.. إلخ.

كنا نلتف حول هذا المعشـــب بكل هؤلاء، مزهوّين بشـــقينا الطفولي و(شـخابيطنا)، وكان يحتضـن شـطحاتنا ونزفنا بكل حنو، ويتفاعل بصـدق مع ما كنا نعتقد أنه شعر عظيم وجميل.

قد يقسو علينا أحيانًا، ولكنها قسوة المحب، وكنا بكل ما أوتينا من جهل نغضب أحيانًا، ولم نكتشف ما صنعه بتلك القسوة من جمال إلا بعد سنين متأخرة جدًا، حين طرحت تلك القسوة ثمارها في بصيرتنا قبل أبصارنا.

---

[152] – مجلة أصداف – العدد 22/مايو 1999م . مسفر الدوسري : شاعر وإعلامي سعودي ، اشتهر بعذوبة قصائد وإبداعاته ، ويعد من أهم الاسماء الشعرية في الخليج العربي

سليمان الفليح حالة نادرة من الإشراق الإنساني المبهج، ونهر نهل من مائه في الأمس كثيرٌ من شعراء الساحة البارزين اليوم وأعلامها: فهد عافت، ناصر السبيعي، نايف الحربي، حمود البغيلي، سليمان المانع، فهد دوحان، محمد عواد، وأسماء أخرى كثيرة.

هذا الصعلوك القلق قادر دائماً على إبقاء جذوة الشعر فيمن حوله متأججة، وقادر على إشعال الحرائق الفنية كيفما ووقتما يشاء، يصعب عليّ وأنا أستعرض شريطاً مليئاً بالذكريات مع سليمان الفليح، يصعب عليّ أن أجد لحظة خيالية من الفن.

إحساساً أو ممارسة. يصعب عليّ أن أجد لحظة غير مشيعة بالندى والعبير، حتى شجاراتنا الصغيرة التي كنا نفتعلها أحياناً حين يسبقها وقت لزج يدعو للتثاؤب والملل، كانت مخضبة بحالات التألق العاطفي. الفليح في لحظة تكريمه التي يستحقها بكل اقتدار، أقول: يا لك من شاعر وأب وصديق رائع وجميل، علمتنا الكثير الكثير، ولم نجد منا سوى النزر اليسير الذي نكافئك به، بل إن بعضنا كافأك بالجحود أحياناً، وبقيت أنت كما أنت دائماً، ذلك المتسامح المحب العظيم. وأخيراً: شكراً لمجلة "أصداف" التي قامت نيابة عن كل أبنائك، الصالحين منهم والعافين، بهذه اللفتة الراقية.

لما صار الحب!!

بقلم : مسفر الدوسري[153]

الى الشاعر سليمان الفليح:

لما صار الحب

في قلوب الناس

والعالم ..جريح ..صرت المسيح

لما صار الورد

في عطره ..شحيح.. ولما صار الخوف

للكلمة ضريح..

صرت المسيح

وصارت كلاب القبيلة

تنبح بدربك ..تصيح

أنت المسيح

وانت اقوى

من مساميرك وصلبك

(153) – مسفر الدوسري : شاعر وإعلامي سعودي

انت اقوى

من عواصف وسط دربك

انت اقوى

انت اروع

بالمحبة وسط قلبك

انت المسيح ..

امسح على عيون القدر

يرد يشوف

خل الضمير ..

يردّ يعيش

لوحتي في صورة حروف عّلمنا يا انت المسيح

شلون تبقى الريح .. ريح

وشلون اشجار الغضب

توقف بوجه العواصف

ما تطيح

انت المسيح

انت المسيح

تكريمه تكريم للصحراء والأزهار

بقلم : إبراهيم حامد الخالدي [154]

لأبي سامي دين في أعناقنا، وجميل يجعلنا أجمل وأبهى. منذ الحروف الأولى، وهذا الشاعر الباسق يعلّمنا الأدب، بفرعيه الإبداعي والسلوكي: هكذا تُكتب القصيدة، وهكذا تتعاملون مع بعضكم البعض.

الأفضل من أن تكتبوا شعراً جميلاً، أن تتصرفوا بنبل. منذ الحروف الأولى، وسليمان الفليح يضحّي بحاضره ومستقبل أطفاله، ليترك لنا أدباً حقيقياً وفكراً صادقاً.

منذ الحروف الأولى وسليمان الفليّح يحتمل سخافات بعضنا وعقوق بعضنا وبذاءات بعضنا. منذ الحروف الأولى وسليمان الفليّح باب المحبة الذي لا يُؤصَد ودفء الشيمة الذي لا ينقطع. وعندما طلع لحان (ولحية سامي بعدنا) لم يتقاعد الفليّح، بل ظل الأب والشاعر الأصدق موهبة، والصديق الكبير الذي يحرصنا على المواجيب ويفهمنا العالم.

---

(154) – إبراهيم حامد الخالدي شاعر وباحث كويتي ، له الكثير من الأبحاث والمؤلفات التراثية والتاريخية وترجمت بعض أعماله الشعرية إلى الإنكليزية والفرنسية.

وإذا كانت (أصـــداف) مشـــكورة تكرم هذا العلم اليوم.. فإنه تكريم لجميع الشـــعراء البســـطاء، أصـــحاب النوايا البيضـــاء والكلمة المبدعة، وهو تكريم للصـحراء وذئابها وأزهارها البرية، وهو تكريم للصعاليك.. منذ عروة بن الورد إلى سليمان الفليّح.

ما تبقى من الصحراء

بقلم :ناصر السبيعي [155]

سليمان الفليح، هذا الفارس الذي رفض أن يترجل عن حصانه مدافعاً عن خيمته في مواجهة قبائل الإسمنت، حمل أحزان قبائله وراح يغني في صحراء الألم، وظل حداءه صوتنا الذي لا ينطفئ. كان يوزع القلق طوال العام، ويركض كطفل باسق مع أول قطرة مطر حتى آخر نبتة عشب، لكي يستريح مرة أخرى بين قبائل الفوضى استعداداً لغزوة خاطفة، يحمل في "خرجه" المنسوج من وبر الإبل كما هائلاً من الشتائم وحقولاً من الورد.

وحينما يغضب، لا يحتاج إلى أكثر من ابتسامة صادقة، تعرفه منذ الوهلة الأولى، وتظل ملامحه كذلك، أفقاً ممتداً يرسم هذه المساحة المتبقية من الصحراء الشامخة في مواجهة قبائل الإسمنت.

[155] – ناصر السبيعي شاعر وإعلامي كويتي ويعدّ من مؤسسي مجلة المختلف

تجربة كبيرة وصديق شامخ

بقلم : ناصر السبيعي[156]

حينما دخلنا عالم الشـــعر والصـــحافة، كنا أشـــبه بالتائهين في أرض قفر مكشوفة، لم يكن هناك من يؤمن بقناعاتنا، ولم يكن هناك من يدرك الطموح الذي يسـكننا. لقد كانت مرحلة صعبة، في خضـم وسـط صـحفي لا يرحم وشرس جداً.

في تلك الفترة، كنا بحاجة إلى معلم يدلنا على المســـالك، ويقوم بتوجيه النصائح، ويدافع عنا، ويعزز من ثباتنا وسط هذا الجو المرعب. كان سليمان الفليّح كذلك، يشـير علينا بالصـحيح والخطأ، يرسـخ قناعاتنا، كان مثل من يؤسـس الركائز، هكذا في الريح، ويضـع الأسـاسـات في فراغ مهول في ذلك الوقت

كان سـليمان الفليّح الأسـتاذ يصـدرنا للآخرين، خصـوصـاً في ظل تأثيره الواســع النطاق على المثقفين، المســؤولين، والكتّاب المحترمين. أقنع الأغلبية بنا، وبطرحنا، وبقصائدنا المرتبكة، وزرع فينا الثقة والطموح.

(156) - مجلة أصداف / العدد - 22 - مايو 1999

شخصياً، كنت أحسب كل خطوة أقدم عليها خوفاً من ألا أخدش احترام الأخ الأكبر (سليمان).

تجربة كبيرة وصديق كبير شامخ أهدى لنا إحساسه وصراحته وصداقته الرائعة. لم أحاول أن أجمل الكلام أو أزيّفه، بل حاولت أن أجعل الأحاسيس الحقيقية تنطلق من ينابيعها البعيدة، حتى أحاول أن أصل إلى صدقي الأكمل وأنا أتحدث عن هذه القامة. وأنا شخصياً أشكر مجلة أصداف على تكريمها لهذا الرمز الذي ساهم في إقناع الناس بنا عبر طرح مستمر وتوجيهات أبي سامي. ورغم ذلك، ها أنا أقول إن حقك أكبر علينا. نحن تلامذتك، ولكن أرجو أن نساهم بشكل أو بآخر في تكريم هذا الرمز.

إحدى التجارب الشعرية المتميزة

في خليجنا العربي

بقلم : هاني الشحيتان [157]

سليمان الفليّح .. إحدى التجارب الشعرية المتميزة في خليجنا العربي من الماء إلى المساء..

عاش في بلد صغير، وفي صحراء منه عرف كيف يأخذ حقه كاملاً من التنفس. عاش في الكويت، أحد بلدان العالم التي تجيد "فن الجوار" مع البحر. عندما تقرأ له، تشب الصحراء في ذاكرتك بخيولها ورجالها وتضاريسها المترعة برائحة الهيل والتقاليد!! حمل كل هموم البدو الرحّل على كتفيه.. وضعهم على الطاولة..

أحضر لهم "الشمس" كسرة خبز تقاسمها معهم في زمن الجوع!! حاول جاهداً أن يجد لهم مكاناً يذبحون فيه آخر "خطاهم" ويستريحون..!! ولكن لا فائدة.. فلا زالت الرياح تجري عكس ما تشتهي السفن!!

---

(157) – من مقدمة حوار: اليمامة – العدد 1162– الأربعاء ذو الحجة 1411هـ. هاني الشحيتان العنزي شاعر وإعلامي سعودي

يرى أن قصيدة النثر خرساء

وتشبه لغة الصم والبكم...

بقلم : ناصر البراق [158]

على رغم أن المتناقضات تهمة شنيعة، سرعان ما يتقاذفها الخصوم في ما بينهم عندما تدور رحى معركتهم، إلا أن تناقضات سليمان الفليح هي الصفة الجميلة التي تميّزه بين أقرانه من المثقفين.

فهو الشاعر الشعبي، ولكنه شاعر الفصيح المجيد لكتابته، البدوي المتشبث بأصالته، والعارف بأنواع الإبل والخيل، والمتحضر الفاهم بعمق لدلالات النجوم ومواسم الزراعة والحصاد، المتحدث بمعظم لهجات الجزيرة العربية الشعبية الدارجة، حتى ليخيل لك أنه الشمالي إذا ما تحدث بلسان الشمال، والجنوبي إذا ما تحدث بلسان الجنوب، وذو اللسان العربي المبين عندما يبدأ حواره في الشأن الثقافي، ويستدعي الموقف حضور الفصحى ونبذ العامية. الفليح، الذي ملأ المشهد الثقافي الخليجي ضجيجاً أدبياً نخبوياً، لم يخف عتبه على بعض الأصدقاء في السعودية والكويت، أولئك الذين حاولوا أن يحجموا تجربته حتى التجاهل أو النسيان المتعمد أو العفوي — وأعني بذلك جامعي الموسوعات الشعرية ومعاجم الشعراء والأنطولوجيات، الذين دأبوا

---

[158] – من مقدمة حوار : جريدة الحياة 2009/2/10. ناصر نافع البراق إعلامي سعودي

على محاولة تأريخ الحركة الشـــعرية في المنطقة. كما أنه يرفض وبشـــدة "الأستذة" التي يمارسها المثقفون العرب على المثقف الخليجي.

تنساب الكلمات على شفتيه

بقلم : مناحي العنزي [159]

سليمان الفليّح، هذا الذي تنساب الكلمات على شفتيه كانسياب الهم في قلبه، هذا الذي يحمل صـــحراء في نفســـه تتمرغ فيها الكلمات من دنس العصر وتخلع جميع أرديتها المزيفة، لتنهض بعد ذلك باسقة ككل الأشـجار الأصـيلة، لتبهر الناس بسـياطها الجارح – في أغلب الأحيان – لأنها معبأة بالصدق الذي غادر المدينة، وشدّ أحزمته – هرباً من سياط النفاق – منذ زمن.

لهذا كله ســأترك هذا البدوي يغني في صـــحراء ألمه، ولن أعترض عفويته الصادقة.

---

(159) – من مقدمة حوار مجلة آفاق –جامعة الكويت – 9 مايو 1982م

دوللي

بقلم : سعدية مفرح [160]

بمناسبة رواية (الإنسان المتعدد) وعلاقتها (الأدبية) بدوللي.. أتذكر شيئاً غير مشابه وإن كان له علاقة ما بما يحدث، أتذكر أن الشاعر سليمان الفليّح ربما يكون أول شاعر عربي يحتفي بميلاد الطفلة لوزير براون – أول طفلة أنبوب في العالم – عندما كتب قصيدته (الطفلة الزجاجية) سنة 1978 تقريباً.

يقول الفليح في قصيدته تلك:

وما ان تطل " لويز " الجميلة من ظلمة الرحم مسرورة
سيجهش من أجلها الكون , من ثم يهتز , ومن ثم يمنح للزمن القادم ميلاده
ليمنح دكتور " ستبتو " الشهادة
لويز تحول عصر انفصال التمخض عن عصر ميلادها حاجزا
يفصل الآن بين " الزمان الفضائي "
بين زمان ارتياد الفضاء
وبين زمان ارتياد الإرادة

(160) – مجلة الحدث –العدد 9. ابريل 1997م. سعدية مفرح، شاعرة وصحفية كويتية

والآن..

***

توقع أن يقوم الفليح بكتابة أول قصـــيدة شـــعر تحتفي بالنعجة دوللي، وخاصــة أنه خبير بهذا النوع من الشـعر الذي يتخذ من الحيوانات وصـورها مادة له كما في ديوانه الأخير (صور متحركة).

دوللي.. كليب!، الذي يتابع أصـــوات وأشـــكال مطربي الفيديو كليب المتشـــابهة هذه الأيام لا يصـــدق أن النعجة دوللي هي أول نتاج لعمليات الاستنساخ في العالم.

الفليح يجمع (رسومه المتحركة)

بقلم : سعدية مفرح [161]

صدر قبل أيام الطبعة الأولى لكتاب "رسوم متحركة" لسليمان الفليح عن دار قرطاس للنشر والتوزيع. وقد احتوى الكتاب على واحد وخمسين رسماً متحركاً من رسومات الفليح التي نشرها على مدى سنوات عديدة في أكثر من مطبوعة. تنوعت مقطوعات الفليح الساخرة رغم أنه ظل يدور في معظمها حول الحشرات والزواحف والأسماك وبقية الحيوانات، فكانت عناوينها: السلوقي، القنفذ، الورل، السحلية، أبو جعل، حشرة، سخلة، عضاءة الخرتيت، الرعاش، اللخمة، وغيرها.

ومن الكتاب مقطوعة بعنوان "عضاءة" نموذجاً لبقية مقطوعات الكتاب، حيث يقول الفليح في وصفه للعضاءة:

تقعي على مكتبها

كأنها الحداءةْ

تلتف في حجابها

---

(161) - جريدة القبس –الكويت 1996/10/17.

وترتدي العباءةْ

تمثل التشويه والتمويه

والمسخ والرداءة

سبحان من صورها

بهذه القماءة

كوّنها امرأة

ثم غدت سحلية

لكنها تخلّقت

فأصبحت عضاءةْ

يذكر أنه سبق وأن أصدر أكثر من ديوان شعري منها: الغناء في صحراء الألم سنة 1979 أحزان البدو الرحل سنة 1981 ذئاب الليالي سنة 1993 والكتاب الجديد صدر بستين صفحة من القطع المربع الصغير، وقد صمم غلافه ليلى سيد موسى بلوحة كولاجية. ومن أجواء الديوان قصيدة:

شاعر النحرير والفلتة

أجمل ما فعلته

بيت يتيم واحد

للان ما أكملته

لان ما قلته

اهانة للشعر بل بهذلته

سليمان الفليّح

قامة من قامات الشعر

بقلم : نايف بندر [162]

سليمان الفليّح قامة من قامات الشعر وأشجاره الوارفة الإبداع، ومساحة من الفكر النقي كنقاء إنسانيته وصفاء بدواته. كتب منذ بداية السبعينات القصيدة الفصيحة الحديثة (قصيدة التفعيلة)، وبرز كأحد شعرائها المتفردين حتى أصبح علماً من أعلام قصيدة التفعيلة على مستوى الوطن العربي وليس الخليج فحسب. ويعد من القلائل المتميزين في هذا الحقل الإبداعي، وواحداً من المحاربين القدامى لظهور القصيدة الفصيحة الحديثة في المنطقة.

خلال ما يربو على العشرين عاماً مع الشعر الفصيح صدر له خمسة دواوين شعرية هي: الغناء في صحراء الألم الصادر عام 1979م في عام 1981 صدر له ديوان أحزان البدو الرحل ثم ذئاب الليالي عام 1992 ثم الرعاة على مشارف الفجر ورسوم متحركة عام 1996

---

(162) – من مقدمة حوار لقاء الواحة الأنباء 29 ابريل 1999م. نايف بندر العتيبي شاعر وإعلامي كويتي

هو أحد أكثر الكتاب والصحافيين شهرة في المنطقة، وله مع الصحافة مشوار طويل بدءًا من كاتب زاوية في مختلف الصحف المحلية، إلى أن استقر به المطاف حالياً في صحيفة (الرياض) السعودية. علاوة على ذلك، قدم الكثير من الدراسات في البداوة والشعر الشعبي، وله أيضاً العديد من الدراسات النقدية في بعض الدوريات الثقافية.

شارك ولا يزال في العديد من المهرجانات والندوات والمحاضرات. وللفليح مع الشعر الشعبي مواقف ستظل تذكرها الصحافة الشعبية بكل حب وعرفان، حين ساهم من خلال آرائه وأفكاره النيرة بنقل الشعر الشعبي إلى حيز الوجود الإعلامي، وأوقفه على العتبات الأولى حتى أصبح فيما بعد عالماً مستقلاً يحظى بالكثير من الأضواء والاهتمام.

ساعد بتشجيعه ومساندته في ظهور جيل من الشعراء الشباب المتفردين ليصبحوا فيما بعد نجوم الساحة، وليكسب الرهان على ما يتمتعون به من مواهب فذة لم تخذل توقعاته. كما وقف خلف ظهور المجلات الشعبية الأولى بآرائه ورؤاه، وبقي قريباً من الشعر الشعبي يدعم نجاحاته ويباركها.

ولم يكتب سوى محاولات بسيطة – كما يقول – من الشعر العامي، ولكنه كتب بتقديمه وتحفيزه للأجمل نجاحاته، وحقق بمعية أصدقاء له من الشعراء الشعبيين القائمين على الصفحات الشعبية آنذاك، الزميلين نايف الحربي

وناصر السبيعي، أروع انتصارات الشعر الشعبي في الخليج حين عبروا به إلى الضفة الأخرى.

فاقسموا همه وطموحاته الانتقالية أواسط الثمانينات ليبدأ طرحاً جديداً للصفحة الشعبية، هيأت الأجواء لحضوره المترامي الأطراف فيما بعد، وبقي الأستاذ قريباً من تلامذته الكثر، راصداً تحركاتهم وفرحاً بنجاحاتهم.

الأب الروحي للشباب

بقلم : خلف الحربي[163]

هو أستاذنا جميعاً، أحد مؤسسي الوعي في الساحة الشعبية، من المثقفين القلة الذين لم يكونوا على مسافة بعيدة عن تراثهم، وتاريخهم، وإرثهم الثقافي، والإنساني. كان منسجماً مع ذاته، وأناسِه، ومجتمعه، خدم التراث الشعبي من حصيلته الثقافية، ووظف هذا التراث في نتاجه الإبداعي.

ظل شاعراً يتفيأ الورقة، يرافق القلم، في ظل موهبة بارزة. لسنا من يتحدث عن هذا الرجل وتجربته، ولسنا نحن من يقيمها.

الأب الروحي للشباب جميعاً، كافح كثيراً من أجلهم، ودافع عنهم بشراسة.

وحينما نسترجع التاريخ، حينما كان العطاء الإبداعي، والتحصيل الثقافي المعرفي، بمثابة الترف، والوجاهة الاجتماعية، في مجتمعات المنطقة، كان سليمان الفليّح مثقفاً حقيقياً، ومبدعاً حقيقياً. كافح في سبيل موهبته، وتراكمه المعرفي، وتكوين اسم محترم يعبر عن تطلعات، وهموم أبناء البادية. كان من الحريصين على نشر الوعي في الصحافة الشعبية، عبر تناولاته الموضوعية.

(163) – خلف الحربي شاعراً وكاتبًا سعودياً ومن اصداراته: المجموعة القصصية" الضّال" وكذلك حب الرمان وللذكرى.

حمس للصحافة الشعبية كثيراً، ومارس الكتابة، والتأسيس، بروح شابة متحمسة، وطاقات مندفعة.

هو أول من وظف الموروث البدوي في الشعر العربي الحديث، واستخدم الصحراء، ومفرداتها، وأجواءها. ولكن للأسف، حين الحديث عن شرف الريادة في ذلك، لا يتحدثون بالحقيقة.

ابتكر كثيراً، واتكأ على موروثه، وتاريخ الصحراء، وأجوائها. وحين النظر إلى الجيل الذي يمثله، كانت مواهبهم تبدأ عادة بشكل تقليدي، إلا هو، فقد كان منذ بدايته شاعراً متجاوزاً، مجرباً. وأنا أشكر حقيقة مجلة أصداف على هذه الخطوة الرائعة، فما يستحقه أبو سامي كثير، كثير.

سليمان الفليّح، أحد
الأصوات الشعرية المميزة والحادة

بقلم : فارس السلمان [164]

سليمان الفليّح، أحد الأصوات الشعرية المميزة والحادة على خريطة الشعر العربي المعاصر، وخصوصاً في منطقة الخليج والجزيرة العربية. أصدر ديوانين من الشعر هما: "الغناء في صحراء الألم" (1979م)، و"البدو الرحل" (1981م) ، ويستعد الآن لطبع ديوانه "مضارب الرخام والقلق ورسوم متحركة".

ترجمت له العديد من القصائد إلى لغات عالمية، كما كتب مئات المقالات والقصائد. وأثناء أزمة الاحتلال، كان يحمل قضيته ويتجول بقامته الشامخة، محاطاً بمجموعة من المثقفين والكتاب والصعاليك، يحاورهم ويشاجرهم، وكان يرفض أي حديث لا يتطرق إلى قضية احتلال الكويت.

وقد تصدى أثناء الأزمة، وواصل حمل قضية تحرير بلاده بلا كلل أو ملل. كُتب عنه الكثير أثناء الأزمة، وكُتب ضده الكثير، لكنه واجه بصلابته

---

[164] – من مقدمة حوار في عام 1991. فارس السلمان صحفي وإعلامي كويتي

المعهودة وصـــلافته البدوية كل ما كان يعرقل مســـيرته البيضـــاء نحو العدالة والحق.

كتب في صـحيفة "الرياض" بشـكل يومي طوال الأزمة، وكتب في العديد من الصحف العربية، وساهم في العديد من الندوات والمهرجانات، وعمل في المركز الإعلامي الكويتي في الرياض، وتطوع للعمل في عدة مجالات ثقافية من أجل قضية الوطن.

هكذا هو سليمان الفليّح؛ يأتينا كحصـان عربي أصـيل، تتراءى من خلاله الصحراء بكل شموخها وعزتها. يكتب شعراً فيأتي شاعراً بدوياً ناصحاً ونقياً، أجهدته الصـحراء برمالها وهمومها، فتارة يأتينا صـاخباً يرش ملح كلماته على جروحنا، وتارة يأتينا عذباً كنسمة ربيعية حانية، كغدير عذب ننهل منه شعراً حراً لا ينضب.

وحينما يجئ كاتباً، نجده يلملم شـتات شـظايا أحلامنا، وينمّي في أرواحنا كل أشـــيائنا الجميلة. وعندما يثبت كحصــــان صــــاهل، وحين يرى الوطن يُسلب ويُنتهك، يمارس صهيله القوي، ويمضي في الدفاع عن الوطن.

حفيف شجيرات الرمث والطلح

بقلم: محمد المنيع[165]

سليمان الفليّح لا يُقال عنه شاعر، ولا يحمل صفة الكاتب، فهو يشعر بالكتابة ويكتب بالشعر. ينيرك ببدويته وتلقائيته العربية القحّة، ولو صادفته وأنت لا تعرفه لقلت: من هذا الأعرابي؟ وماذا يريد؟ ولو عرفته بعد مصادفته لقلت: ما أجمل العربي المثقف، الذي تنحبس ألوان الثقافة في مخيلته بلا ترتيب، أو تزييف، أو تلميع.

يتكلم بما يريد، متى أراد، وبدون مجاملة أو تحفظ. قلمه حفيف شجيرات الرمث والطلح، وعندما تلمحه لأول وهلة، ترى فيه شموخ الجمل العربي، واهتزاز سيره.

---

(165) – من مقدمة حوار في صحيفة المسائية . محمد المنيع صحفي سعودي

أبو باسل

بقلم : حمد السعيدان[166]

يا ابن الديمقراطية والصقور،

أين طائرُنا المغرِّد،

ذاك العصفور البدوي،

حمّال الهمّ، همّ الرمال؟

كم داعب الربابة بين الموتى،

وكم غنّى للحياة،

يحكي حداء البيد، ويتعقّب الأضعان،

يترجم بالناي الرغاء،

وينقل الصدى عبر البحور،

وعلى الأشلاء ينثر وروداً،

ومن "الهرم" يعصر عطراً،

لم يحرق البخور،

فحمضه بخور.

[166] – حمد محمد السعيدان (1939 – 1991) كتب هذه المقالة مدافعًا ومطالبًا بعدم إيقاف سليمان الفليّح بعد قرار جائرًا ما بين (1983–1989)

***

أبا باسل، يا صقر الفلا،

عصافير الصحاري في أقفاصها لا تُغرد.

يا ابن الديمقراطية،

كثرت الغربان،

وفرَّخت أسراب البوم،

ويومًا عن يوم سيكثر الغثاء،

ونظل الطريق،

ونكره الدرب بلا رفيق.

أطلق العصفور،

ليُغرد للحياة.

الى سليمان الفليح

بقلم: زكريا عبد الجواد [167]

لأن العصافير الصديقة – حين تمر – تلقي للذين تحبهم رشاشات الورد، ولأن صداحها الجميل يبقى بعد أن تعبر السحابات الغائمة، فإن الكلمة الصادقة تبقى أيضًا دليلاً باهراً وهادياً للذين يعرفون قيمة الضوء والدفء البهيج.

وحينما يهبط الصمت بغلالاته الكابية، ولا يبقى من الكائن إلا خيط شحيح لزفرة حارة وآهة، وحين ينقصف وهج الكتابة فجأة، يكون الاحتضار البطيء. ويرون دبيب الأقدام التاعسة إيذانًا بنهر دموع يبدأ اللحظة في شق مجرى طويل له في قلب أتخمته الفواجع حتى فاضت.

تلك محنة العشاق يا صديق، وتلك آهتنا الباقية منذ أن تعلمنا إجادة الخروج إلى الدنيا كهولا صغارًا، ومنذ أن ابتلعنا مع أناشيد الحماسة المدرسية حبة الانكسار والصبر الجميل، ومنذ أن انقطعت من سنوات الزهو أغانٍ الحلم المنتظر، وتخلفت عن حضورها أثواب العيد وابتسامات الصبايا.

---

(167) – زكريا عبد الجواد روائي وصحفي مصري. عمل في مجلة العربي من عام 1991 حتى 2007 حيث حاز على جائزة الصحافة العربية في عام 2002[عمل مديرا لتحرير جريدة الرؤية الكويتية وجريدة الدستور التابعة لمجلس الأمة الكويتي.

هل تفهم إذن، أيها الشاعر الساخط، كرمح بري، القانط كغزال أتعبه الركض فاستراح تحت ظل سحابة، هل تفهم الآن لماذا العشاق وحدهم يدركون التعب أحيانًا، وحينًا يسقطون؟ وهل أعدت قصائدك التي كتبت، ثم شرعت في حفرها كوشم فوق زندك النحيل... النحيل كغصن لبلابة طالعة؟

أم أن صمتك الطويل... الطويل... سيبقى أغنيتك الأخيرة، شهادتك الناطقة على أن العصافير تنبع من الأرض وتبزغ من نباتات لا تهوى الظل، وتنبت من أعماق نهر جميل... قبل أن تتخلى عن الطيران وتهبط متعبة؟ وأن الطفولة، قدر الأشجار الخصيبة، أن النجوم السابحة بعيدًا تستطيع الاستقالة من مهنة الضوء.

هذه أغنيتنا الباقية على أبواب الليالي، تنتظر الصباح، وتلك دفقة الوهج في الصحاري الشاسعة، وتلك انتظاراتنا المريرة – أيها الشاعر – القابع خلف تلال الأحزان، تنتظر حين لا يكون الانتظار جديراً بالود، شبابًا يركضون خلف الحصان الشرود، ويمامًا يفرد جناحيه على آخرهما ويغرد، وأشجارًا لا تموت إلا واقفة... وينتظر عروة بن الورد، وأمل دنقل، ولوركا، وناظم حكمت، وقبيلة الشعراء الواعدين.

وحين يكون كتاب الأرض مفتوحًا، وحين يظل للعشاق موعدهم وللشعراء فاتحة العناق، يكون الشعر بسلم، ويكون دفقة الدم في شرايين الحياة. هكذا يكون الشعر وعذاباته، وهكذا لا يبقى من الشاعر إلا ما كتب، إلا ما كتب... فاكْتُب.

الى سليمان الفليح والذين معه

بقلم : عبد القادر كراجه[168]

إليك يا سليمان الفليّح...

إليك، وإن أرى في وجهك أحزان البدو الرحّل،

وفي عينيك آلام البشرية المعذّبة في جنوب إفريقيا، ونيكاراغوا، وموزمبيق، وغزة، والضفّة، وكل أماكن الاضطهاد.

***

جسم ناحل، مزّقته الغربة... غربة المثقّف عن واقعه، والإحساس عن الجسد، والعقل عن المنطق!!

***

صدى خطواتك الباهية – على طرقات – كموجة نسيم عابرة تمر في منطقة مليئة بتفاهات الآخرين، في ليلة صيفية انقطع فيها تيار الكهرباء!!

إليك أيها الشاعر، المفكر، الفيلسوف البدوي القادم من أعماق الصحراء العربية!!

---

(168) – الدكتور عبدالقادر كراجة كاتب وناقد ومؤلف فلسطيني مقيم بالأردن

إليك أقدّم أحزاني...

إليك أقول بأن الدنيا سراب... محموم، ملتهب، قاتل!!

لأنضم إلى رفاق الحزن الذين معك، والذين تحنو عليهم بحزنك الذي وسّع الكون، وتصعد إلى عنان السماء.

***

من منا لم يغرق في بحر من الدموع الساخنة، تدمي البطين الأيمن والأيسر للقلب، وهو يقرأ كتاباتك وأشعارك، وزفرات الألم من جوفك تتبخّر... هذا الصدق، والالتزام، والتميّز أوقعنا مرارًا في عمق الصدمة... وأثار في دواخل نفوسنا خيبة الأمل التي طويناها عمدًا، بحثًا عن خيط من أمل وردي سقط سهواً من أحد المحظوظين في هذه الدنيا!!

***

اكتب عنك، لأنني أرى نفسي في أحزانك.

وأكتب عنك لكونك رمزًا لكل من طحنت أحلامه وأمانيه الحياة، ليصبح ترسًا صدئًا في عجلة الزمن التي لا ترحم.

أكتب عنك، لكوني أرى في همومك همومي العربية...

ففي عينيك الذابلتين أرقب تحركات الموتى في جنوب لبنان وفلسطين وأماكن أخرى أيضًا.

ومع نظراتك الحادة أتلمس التحدي الذي لا يقهر، رغم ما يحيط بالجسد من أوحال الحضارة، وصراعات الساسة، وحروب الردة!

فلعل في كلماتي فرصة للتعبير عن ذاتي المهزومة، وآمالي التي رحلت من كثبان الصحراء الرملية لتقبل كثبان رمالك القابعة في عمق المجهول!!

قراءة سليمه لديوان الفليح

بقلم عبدالقادر كراجه[169]

أعــترف بأن شـعر هــذه الأيام لا يســتهويني، لكــوني أرى فيــه صــورة شــعرية مكــررة، وأفكــارًا ممجوجــة، وتضــمينًا لشــعارات مســتوردة وأســاليب مترجمــة، وصــنعة لفظيــة محشــورة حشــارًا. وأعـترف بأن غالــب مــا يُنشــر حاليًــا مــن شــعر مزعــوم لــيس إلا مــن ضــروب الاقتبــاس، والسرقة أحيانًا، ولا يعكس موهبة خَلْقية أدبية لدى كاتبه.

***

ولكن ديوان الزميل ســـليمان الفليّح الأخير والذي وقع بيدي عن طريق المصــادفة العفوية، قلبته، قرأت عنوانه فوجدتني برغبة شــديدة لقراءة فحواه، ولحسن حظي مع شعر الفليح فتحت الصفحة رقم أربعين، وإذ بي أقرأ الزمن الرديء مطلع قصــــيدة في الديوان، شــــعرت وانا اقرأ أبياتها بأنني افرغ ما بداخلي من هموم، واحزان، وغيظ، وربما حقد على مظاهر القهر التي تعتصر وجدان انسان هذا العصر وتوقفت اما هذه الابيات:

---

(169) – الدكتور عبدالقادر كراجة كاتب وناقد ومؤلف فلسطيني مقيم بالأردن

"بهذا الزمان الرديء

يطأطئ كل الرجال المجيدين هاماتهم

ويشمخ فوق انحناء الجميع الغبيّ!!

الغبيّ".

واقتحمت نهمي للقراءة موجة من الرغبة المحمومة لأقرأ القصيدة ثانية، وأغوص في أعماق الديوان لأكتشف أن صور الشاعر الشعرية استمدت من عمق المعاناة، جذوة الظلم، وبؤرة الغضب الذي يطحن العظيم طحناً.

وإن أسلوب هذا الرجل جاء متجدداً في إطار مميز، اقترب من إطار مظفر النواب من حيث اتخاذ الأخير الواقع العربي النفسي والاجتماعي والسياسي محوراً رئيسياً لموضوعاته، وأفكاره، ومضامينه.

لكن الفليح اختلف عن مظفر النواب في الشكل الشعري حين اعتمد على البساطة والعفوية، واختلف عنه في المضمون الفكري حين اعتمد الرمزية الموغلة في العمق، فباتت قصائده لا تُفهم إلا من قبل فئة المثقفين، وخاصة ذوي الاهتمامات الأدبية. الفليح أكثر نضجاً وإبداعاً في مجمل قصائد ديوانه الجديد عما صدر له من قصائد تضمنها ديوانه السابق، وهذا جوهر القصيد.

إليهم مع التحيّة

بقلم: الشاعرة وضوح [170]

سليمان الفليح:

آه، كبيرنا الذي علمنا الشعر...

لماذا... هل الرسالة اكتملت؟

ابدأ إذن من الاكتمال...

نحن بحاجة إليك...

هل تكفي...

هذه الدعوة لمصافحة كتاباتك، القصيدة؟

تلك هي ميزنك المبهجة في الآونة الأخيرة، ارفع يديك قليلاً...

القمر لم يعد بعيداً.

---

(170) – شاعرة من الكويت – اشتهرت في الثمانينات ونشرت بالعديد من الصحف والمجلات الشعبية.

بالأمس كانوا يشيدون بسليمان الفليح...

فأين الجميع الآن... وأين الشاعر؟

بقلم: حمود البغيلي [171]

لا أعلم ما إذا كان الإعجاب أم الوفاء هو الذي أعادني إلى قراءة ديوان هذا الشاعر... لكنني أعتقد أن كلاهما معًا جعلني أعيد شريط الذاكرة بأثر رجعي لقصائد الشاعر سليمان الفليح، البدوي المطارد في الصحراء.

بالأمس كان هذا الشاعر "الهذرلوجي" يقدم لنا مفردات وقيمًا وتعابير صحراوية نابعة من قلب الصحراء العربية الممتدة من الماء إلى الماء، وكنا نقرأ له هنا وهناك "قفشات" من موارده، تتناقلها ألسنة الصعاليك وتبثها في هواء الصحراء الطلق المعطر بالربل والشيح. وكان الرفاق يتناسخون الكوبونات البالية من كثرة النسخ ليحصلوا على نغمات كلماته المعطرة.

وكانت الصحراء، بطبيعتها الهادئة وهضابها المرتفعة وجبالها الشامخة، تغلق على شاعرها بقهقهتها المترددة عبر ذبذبات دون عقد. من كان يتابع ما يكتبه البدوي الفليح، كان أقرب الناس إليه من خلال الكلمة، ومن كان

---

(171) – شاعر وإعلامي كويتي

يعرفه صـار أبعد الناس عنه، لأنه سـوف يجد نفسًـا هادئة وحالًا بسـيطة لا توحي بأنها صاحبة كل الزوابع الرملية المحملة بعروق الخزامى.

"على كثبانك الصفراء

كان الحنظل البري

بين السدر والحلفا"

***

بالأمس كان الجميع يشيدون بهذا الشاعر، فأين الجميع الآن؟ وأين الشاعر؟

"أنا طائر أعزل في حقول البكاء

شاجرتني صباحاً بلادي

لأني أغني لها في المساء

فهل أيها العارفون بكل الأمور

رأيتم بلاداً تشاجر أطيارها

في سبيل الغناء؟!."

هكذا كان يقول الشاعر، وكأنه يتنبأ بالأمس واليوم والمستقبل، ومن يدرك معاني الكلمات وأبعادها يستوعب الحقيقة الضائعة! أيها السادة الأدعياء، تذكروا أن السحابة الممطرة تستمد تكوينها من بخار البحر الذي تشاهدونه وتسبحون على (جاله)، ومع ذلك تجحدون عمقه وامتداده وكبرياءه على زبد الموج الذي تغرفون منه!

(أنتَ إن شئتَ أن أسمعَ رأيكَ

فاستمعْ رأيي لأسمعْ).

وأنا ما زلت أكتب ما أكتب، وأستعيد شريط الذاكرة عن هذا الشاعر، ببطء ألاحظ في (الريل) بعض الهزات التي تكاد تكون معدومة الرؤية، شخصيات كانت تتلمذ على أيدي معلمها المولود من رحم الصحراء الصافية، وأحاول أن أعيد الشريط مرة أخرى، ولكني لا أجد إلا بقايا وجوه مقنَّعة هاربة من واقعيتها في الثمانينات، إلا أنها في شريط الذاكرة واضحة جداً، ولو أنها غير واضحة:

"اعمله الرماية كل يوم

فلما اشتد ساعده رماني".

(المتنبي)

ويبتسم صاحب العلاقة، أعني من عرف أنه موجود في الشريط، ويضحك بسخرية، ولكنه سرعان ما يعض النواجذ، محاولاً أن يسمح للذاكرة، لو كان الأمر بيده. وطالما أنني أسترجع الماضي القريب والحديث لهذا الشاعر، فلا بد أن أقف قليلاً وأمعن النظر جيداً في آخر ما كتبه الشاعر. لا أعود وأقرأ من بداية ما كتب الشاعر إلى آخر ما كتب، وأطالب محبي الشعر والفكر والأدب أن يهاجموا الشاعر، لأنه قال يوماً من الأيام لأحد الأرستقراطيين:

"صديقي، ولكن بيني وبينك تنأى المسافة
فما زلتُ أحيا تماماً كصعلوك
وما زلت تحيا حياة الملوك
لهذا أقول وداعاً صديقي
وإن وحدتنا الثقافة".

وبعد الهجوم يأتي الدفاع الذي يجتر بعده كل الحقائق.

سليمان الفليّح...

كم أحب هذا الشاب!

ناشي الحربي [172]

سليمان الفليح.. كم أحب هذا الشاب، والحقيقة أنني أعتز به جدًا. أحبه لأنني أعرف أخلاقه، وأحبه أيضًـــا لأنه شـــاب يتمتع بثقافة عالية لا يُمل حديثه، وأحبه لأنه لم يتخلَّ عن بداوته، فتجد في كتاباته روح الصـــحراء وسخريته اللاذعة. فهو، رغم تشبّعه بالأدب ورغم إمكانياته، لا يزال محتفظًا بذوقه الأصيل.

كذلك كم يبعث في نفسي السرور أنه أحد أبناء البادية، الذين يهتمون بما يُنشـــر عن البادية، ويتتبع كل المقالات، ســـواء في الجرائد أو المجلات، أو الإذاعة والتلفزيون، فهو دائماً يكتب عبر صـفحات السـياسـة (هذرلوجيا) بطريقة حلوة ومحببة للنفس.

فأنا أحب سليمان لأنه شاب طيب، يعترف بصحرائه الحبيبة، أحبه لأنني أجد فيه صـــوراً مما يجول بخاطري وكل خواطر أبناء البادية، مع العلم أن من

---

(172) – شاعر وإعلامي

المؤســـف أن هناك أناســـاً يحاولون الابتعاد عن البادية، على الرغم من أنهم يقدمون أشياء عن البادية!

هؤلاء الذين أقصـدهم، سـوف أنشـر غسـيلهم على الأوراق يوماً ما، لأنهم ذكروا البادية، مع العلم أن البادية أوصلتهم إلى أرفع الأماكن.

سليمان الفليّح القبيلة

في دمه، ودمه مهدور في القبيلة

بقلم: أحمد سعد النبهان[173]

كوب من الشاي، وطفاء ملأت معدتها بأعقاب السجائر، وصورة فيروز تشدو لذلك الراحل عن وطنه فيها، يطل من النافذة المهشمة الذكريات، يتذكر أن لا يتذكر. القبيلة في دمه، ودمه مهدور في القبيلة، ويكفن عبراته ويدفنها بقدح، ولكن لم يكن هذه المرة شاباً! تعوي الذئاب، يفزّ ويركض نحو النافذة، ولا يرى إلا ضحكات امرأة مع صديق لها في سيارة مجهولة الأرقام. الصحراء هي المأوى، ولكن أينها؟!

"في روحك أهرب يا وطني

من زيف المدن الموبوءة."

يدير محرك السيارة، فلا تشتغل، ويتذكر صوت الذئب. يتركها، ويبدأ يلهث في الشارع العام، فلا سيارة أجرة، ولا محسن يقف له:

(173) – أحمد سعد النبهان ، شاعر وإعلامي كويتي ، ولد عام 1969

في غمرة الحزن ذات ليلة
في العمر كان انتهائي يجيء
رأيت الحصان الذي أسرجته القبيلة
وحيداً مع الريح يأتي.

يحضـنه مثل المسـعور، وسـياط الوهم تجلده، وأبواق السـيارات تكاد تحكم أذنيه. هذا الباص مملوء لتنتظر الآخر. أحدهم يقول لصاحبه، وهو كانكسار النخيل تســقط من عينيه الثمار: هل ينتظر؟ لا، تتكاثر الأصــوات وترتفع حدة الشمس.

"كان يقضي الليل مهموماً يغني
في ليلة الطويلة".

يتذكر أطفاله وزوجته، والخلافات لم تكن تفهم ما يقول، وكان هو يفهمها، يفهمها حتى كاد أن يشل:

"وواصلت سيري
تفاءلت أني مشيت
ولطن طير المريعي عصاني

على العابرين التوقف."

يفتح محفظته ليخرج أوراقه الرسمية، ما يثبت أنه هو، وليس الذئب، الذئب، الذئب... يجن جنونه ويركض، يخرج من هذا الطابور، الوهم:

"تجاسرت ..ألغيت صمتي
صرخت لعنت الزمان المزيف."

ويعود إلى هدوئه تدريجياً، إلى كأســه الملقى على الطاولة، وينادي الفرّاش، ولا صـوت يجيب. يصـرخ، يسـعل، يخرج من مكتبه ليصـطدم بوجه الفراغ: "الليلة جاء الصقر القادم..."

"من اقليم الزهر الميت
يحمل في الظلمة اخيار
أيقظني من نومي
كي يكشف سراً مجهولاً
يفضح الاف الاسرار"

يشعر بالرتابة تجتاح مخيلته، يلملم أوراقًا لا يحتاجها، ويعيد قداح الشراب إلى ذاكرته. الساعة تدق التاسعة، يفتح التلفاز، وأطفاله حوله:

"وهنالك لفعني الفجر

حتى أثقلني أسرار

أسأل عن أخبار الغيم

لكن لن تأت الأخبار"

كيف حال العقوق!

بقلم : راشد بن جعيثن [174]

هناك شعراء تُفرد لهم الصفحات وتعتلي أسماؤهم طُرّة كل عمل أدبي، كل ذلك تم في الزمان الذي تشابه علينا، الزمان المقنّع الذي كان يمتص ـــ تحت غطاء الإبداع . منابع الثقة العمياء في سلامة التوجّه!!

الزمان الذي جعل الصحافة آلة عاملة لتأصيل النعرات الرديئة في مجتمعنا الأدبي آنذاك، مع الأسف!! الزمان الذي شهد احتفالات أحداث طيبتنا المتناهية، ها هو يدشّن الصورة بالثأر لنا من هؤلاء الذين خدعونا وانخدعنا بهم لنشهد أن مصابنا بهم!!

الزمان الذي جعلنا نتساءل أثناء محنة الخليج عن الأسماء والأقلام والورق، عن مواقفنا الطيبة وطيبتنا المتناهية! وعن السقوط في يوم السقوط!!

الزمان الذي برهن لنا أن الوطنية لا تُباع ولا تُشترى، برهن لنا أن هذا الكيان يتصدر عنفوان الإبداع في أبهى صورة ومعانيه، ولعلي أجد من المناسب أن أطرح كمثال اسم سليمان الفليّح، الذي يكتب بدم الوريد

---

[174] – مجلة اليمامة (1990 /1991) راشد بن محمد بن جعيثن ، شاعر ومؤرخ سعودي

للوطن والوطنية ملاحم الغيرة التي لم تتوقف به عند محطات قطار من اتخذوا العقوق مطيّة لجنوحهم.

سليمان الفليح... الصديق القديم الجديد الذي بحق يستحق الثناء، لأنه ابن بار تأبّط الإبداع وامتشق سيف القصيدة والحرف المنثور في زمان كنا بحاجة إلى هذا التأبّط بالعزيمة.

جدًّا أن نفيه حقه لأنه جدير بذلك، ولأنه نجح في اجتياز امتحان الزمان النهائي الأول، نجح في معترك أحداث وطننا الخليجي والعربي، لم يتوقف.

الزمان والسؤال... بعد ما أفاق الزمان العيون النائمة، طرح السؤال المشبع بالسؤال، لأنه يمثل آخر خيوط الجريمة الأدبية بأشكالها المتباينة، وفحواه: الشعراء الذين يتغنون بسليمان خاطر وسناء المحيلي تحت مظلة الوطن العربي، أينهم من محنة الكويت وحرب الخليج الدامية؟

وهل أُعجمت لغة الرموز؟ هل نضب معينهم؟ أو حُبست أقلامهم؟ سؤال مشبع بالسؤال... عنهم وعن موقفهم من القضية، وهل نفسر أيضًا أن السكوت احتجاج مؤدب!! لقد التمسنا الأعذار لهم، وصرخت فينا لنصرخ سؤالًا، لأننا ندرك أن محنة الكويت محنتنا جميعًا، أن الآباء الذين قُتلوا هم آباؤنا، وأن الأطفال الذين وفدوا هم أطفالنا، وأن النساء اللاتي امتهنت

كرامتهن هن أخواتنا وبناتنا، وأن الأموال التي سُرقت هي أموالنا، وأن الوجوه التي صُفعت هي وجوهنا.

ولذلك حرّك فينا الحدث ثورة دينية ووطنية، عربية، أدبية، وخلق منا شعراء أكثر ولاءً للتربة لأنهم شرفاء، ومصيبتنا تكمن في أن الغادر منا!!

النقد الكويتي

بقلم: راشد بن جعيثن [175]

سـليمان الفليّح، صـاحب القامة الطويلة والنظر الحاد، سـدّ فاقة الظمأ النقدي في مرحلة زمنية كنا بحاجة إليها، وليس ذلك فقط، بل في مدن الحضارة الثقافية أضاء الشموع في بهو تقليص الفارق بين ثقافتين.

كان الأسبوع الماضي هنا في الرياض، تواجد أيقظ الذاكرة بعطاءات بدوي من أجل الشعر، وطرح مشروعًا ثقافيًا جديدًا ناضل من أجله...

أقصد ليس من أجل الجاحدين الذين تعلموا منه وتناسوه!! سليمان هذه الأيام يفكّر في مشروع آخر .

(175) – راشد بن محمد بن جعيثن ، شاعر ومؤرخ سعودي

لحظة

بقلم : خالد السبيعي [176]

الشاعر والأديب سليمان الفليّح... بودنا أن نقول الكثير عنك، ولكننا لا نملك صراحة ما هو بحجم الحديث عنك سوى اعتراف بسيط للغاية، وهو أن كل الكلمات تجاهك أنت لا يمكن أن تشكل ما هو (بربع) ما نحمله لك بقلوبنا ومشاعرنا من وفاء وإجلال وإكبار.

فلعَمري، لا أشعر بالارتباك الكتابي مثلما أشعر به وأنا أمسك بقلمي لأكتب لك ولأمثالك من العظماء في عالم الكلمة والحرف... الذي يحق لنا الوقوف معه للحظة تأمل في مشواره الأدبي.

---

(176) – جريدة السياسة — الكويت . خالد السبيعي شاعر وإعلامي كويتي

بطاقة شكر

بقلم :مهنا الشيباني [177]

بطاقة شكر نحملها باسمي وآيات الحب والصدق للأديب سليمان الفليّح على ما يبذله من جهود ملموسة في دفع عجلة الساحة الشعبية إلى الأمام. فبالأمس القريب.

هو أحد القلائل الذين امتازوا في محاورة وإدارة الحوار المفتوح مع الأمير الشاعر عبدالعزيز بن سعود، وهذا ليس بكثير على أبي سامي. وعرفنا منا نرسل له هذه البطاقة المفعمة بالحب والصدق لاهتماماته الجلية بالساحة الشعبية ومحاولاته المتكررة للأخذ بها إلى مصاف الرقي، والمرجو فمنا لهذا الرائع بطاقة شكر يستحقها.

---

(177) – جريدة الأنباء. مهنا الشيباني صحفي وشاعر من الكويت.

هل تعرف معنى ان تكون سليمان الفليح

بقلم : ماضي الخميس [178]

هل تعرف معنى أن تكون سليمان الفليّح؟ إنها مشكلة كبيرة، لأن المكان والزمان لن يتسعان لك. هل تعرف مشكلة سامي الفليّح؟ مشكلته أنه ابنه، وهو يريد أن يكون هو دون هذه الإضافة.

تأكد يا سامي، لن تستطيع، وإن استطعت فسوف تضيع! ما أجمل أن تكون رئيسًا لتحرير سيدتي والجميلة.

والأجمل من ذلك أن تكون مطر الأحمدي. ماذا تفعل إذا اعتمدك محمد العمر مندوبًا عنه في جميع المكتبات؟ إذا كنت مثلي كثير الأسفار...

---

(178) – المختلف . ماضي الخميس إعلامي كويتي

ما رأيك.. يا سليمان

بقلم: عناد المطيري [179]

المقصـود هو سـليمان الفليّح، بعد تحيّة أرهقها شـدّة التحديق! والوقوف كثيرًا أمام بوابات العبور، أحدّثك ولو أني أعرف أنك لا تجيب!! ولذلك (تفاسير كثيرة سيتصوّرها البعض) ويأسى (لي) منها! ولكني أبرئك من كل تصـوّر ما عدا أنك تحت الغطاء! وأفكارك تسـافر منك إليك! ليس لأنك تريد، ولكن (هي الأيام لا تعطي قيادة!!).

ولا بدأ حديثي معك، خرجت إلى الشـمس، والطريق أمامي تتجاوزه الخطوات، وكان مشوار صفّقت لي خلاله شجيرات العوشق وذرّات الرمل، وصـوتي يمخر عباب الصـمت المتقطّع بأصـوات أخرى في عدد ليالي ثمر القبيلة، واندفعت الخطوات ركضًـا، فتراءت لي نهاية الطريق بدايات طرق أخرى أشدّ اتساعًا وأبعد مسافة. أوقفت الراحلة لأستزيد مؤونة تسهّل عليّ بعضًا من مشقّة السير على أحد هذه الطرق الشاقّة الممتعة، فتموّج في أذني صوت آتٍ من بعيد...

"خاطر بنفسك في لقا ..كل كايد

---

(179) – عناد المطري شاعر وإعلامي سعودي

تحوش الغنايم والمقادير غالبه"

فزاد الإصرار إصرارًا، وأنا في هذه الاستراحة (المرهقة) سمعت أصواتًا تتعالى، ترشقني بعبارات اللوم، وتصرخ: "ان دعك من هذا الطريق، فليس لك غير ما بدأت!" فما رأيك أنت؟

مشروع:

"عذرك (قوالب ثلج) في عمر الانسان

بإحساسك ! ارفض كل من شيدوها

فكر معي لحظة ..! اذا صرت عطشان

يرضيك تشرب (رغبة) قرروها؟!

ولو احتضن شمس الدفا ليل نسيان

وش قيمة احلام معك كفنوها؟!

جاوب سؤالي واهدني منك بركان

او كون صورة ساكنة بروزوها"

رنين

بقلم: منيف الحربي [180]

الإهداء لأبي سـامي وهو يستقر بيننا في بيت العرب وعاصمة الحب الرياض. سليمان الفليّح: رجل عقاله قمر وعمامته سحاب! بشرته ريح شمالية وخيوط مسبحته مطر! طاولته روضة معشبة، وقلمه قطعة شعاع، وأوراقه سماء! إذا كتب أخضر الفكر وأضاء الحبر، أخذ من البحر عمقه وتدفقه وعظمته، وأخذ من الصحراء شموخها وصلابتها وسحرها! فجاء ربيعًا باسماً تزخر أعماقه بالدرر، وموجاً هادرًا يطرّزه القحويان.

***

سليمان الفليّح: قامة طويلة من البياض، تنتصب أعلى من ناطحات السحاب، عروقه أقوى من حديدها، ورئتيه أنقى من مكيفاتها! قلبه طفل نابض بحب الجميع، وعيناه مرفا لنوارس البحر، هامته (ماكر الحرار)، ويداه سنابل قمح تفيض بالكرم.

---

(180) – مجلة بروز /العدد الثالث /اكتوبر 1999. منيف الحربي شاعر وإعلامي سعودي

***

كلما لســعتنا الغربة ونحن في دورنا، غنى لنا ســليمان الفليّح، فعادت لنا الجذور وغمرنا النور! وكلما ســرقنا الوقت من أحبابنا، حلمنا إلى مرابعهم بحنينه وحنانه، وكلما غامت الرؤية في عيوننا، أشرق علينا من أفقه فطاب لنا السرى!

***

إذا كانت المساحة هي الطول في العرض، فإن مساحة سليمان الفليّح هي الطول × الطول! وإن شئتم، قولوا الطول × الهطول!

***

"ولما تجيء المغازي..

وتصحو القبيلة ..

على حلمها في صراع الذئاب

تفر الكلاب اللعينه

تختبئ انيابها في لحوم الخيول ..

لتبقى كسالى هجينه ..

تفرغ منها الصهيل"

القصائد فرصة

بوح شجي عن زمن لن يعود

بقلم: حفيظ الشمري [181]

شعر سليمان الفليّح مرتحلٌ على الدوام في معانيه البعيدة، ومجسِّد لمدى اللوعة للإنسان العربي الذي بات لا يعرف أين تيمّم ركابه بعد أن شحَّ ماء اليقين، وعلا السراب الرقاب، حتى أصبح القوم يهيمون بأوهام تشبه الأمل. فها هو يستنجد بالشعر الذي يراه ذاكرة لا تهرم، ويتيقن بالمعاني فرجًا، وبالأماني مخرجًا من منغصات كثيرة عرضها بشكل شيق في ديوانه الجديد «البرق فوق البردويل».

تسير ركاب القصائد في الديوان عبر مفازته «الحمّاد»، فهو البارع دائمًا في الغناء حينما يتراسل ذلك الصوت الشجي عبر الفيافي، ليطنب في وصف محاسن زمن لن يعود.

موجع قلب الشـــاعر الفليح لأن القصـــائد في ديوان «برق البردويل» تذيع وعيه، وتكشف للقارئ الكثير من الصور الحية والمشاهد الإنسانية المدهشة، على نحو القصيدة التي تحمل اسم الديوان (ص21)، حينما سكب في أوردة

---

[181] – جريدة الجزيرة 2011/01/20 . عبدالحفيظ الشمري قاص وكاتب سعودي

الذائقة معنى «الحماد»... شسعة البيد وتمادي أفق الرمل، لتتهادى القصيدة كأنها ملحمة تسرد فضاء الحياة للعابرين، نجوع البداوة حينما يهرب أهلها عنها إلى ما هو أسوأ وأقسى على الذات.

قصائد الديوان الأخرى رحال عذب لخيال الشعر الذي يجاذبه الفليح بلون حزين، ليمتاح من جب الحكايات القديمة ذلك الألق الفاتن لرحلة (كان ما كان)، إلا أننا لا نحرك ساكناً حتى وإن جأر الشاعر وبكى حرقة المآل... فنحن في إغفاءة، بل قل عنها إغماءة عن الشعر الرامز للحياة.

يحضر سيد الشعراء «المتنبي» في الديوان مكللاً بضياء لغة السمو، في قصيدة تزاوج بين نصين للشاعر مع ما سواه من شعر عربي خالد؛ رغبةً أولى في المعارضة بوصفها فناً، وأخرى لسكب مزيد من الزيت على نار الحقيقة، حينما يشير إلى أن الشعر لا يزال قادراً على إضرام «قبسة» الوفاء لشعرٍ يعوِّل على القول ولا يسترشد بالفعل، منذ المتنبي إلى الفليح وما بينهما من شعر وشعراء؛ لأن القضية، «المعنى»، في بطن الشاعر كما تقول العرب، حتى يئسنا من خروجها من العقل الباطن، أو حتى من الرفض المبطن لواقع يريد أن يُدجّن الجميع.

يُطَوِّفُ الشاعر بنا أركان الحكاية العتيدة للقصيدة، التي يعيد نشر بيانها؛ إذ لا يكل الفليح ولا يمل من بوح الألم، حينما يقارب بين ماضٍ لا تستره سوى

القصائد والذكريات، وواقعٍ لا تعرف كنه وجوده، رغم أنه ينهب العمر منك، وهو يمنيك بأن يهبك شيئاً من الحقيقة التي تتوق إليها، على نحو قصيدة «القتلة» (الديوان، ص54).

«مات عنك الرجال العظام

ومات زمان البهاء،

الصفاء،

النقاء،

ومات بك زمن (المرجلة)»

يحتفي الشاعر الفليح بالمكان، فنراه وقد طوَّف في الكثير من الشواهد التي كان لها حضور في الذاكرة وتشبث في الوجدان، فلم يتخلَّ عن حنينه للأرض، ولم تغادر وجدانه تلك الانثيالات المعبرة عن احتفاء فائق بتضاعيف المدن التي مر بها، أو الوجوه التي قاسمته اللقمة حينما ضاقت بالشاعر السبل.

حوت قصائد الديوان جانباً مهماً من جوانب التوثيق لبعض الأماكن التي عني بها الشاعر، إلا أن هذه المقاربة مشحونة بهاجس أليم، ورؤية فاجعة، وتوقٍ شفيف إلى المعاني الجميلة رغم ندرتها، في تلك الأمكنة التي تواترت على هيئة خطاب إنساني يفصح عن قدرة مميزة للفليح حينما يؤرخ لسيرة

المكان بهذه الشعرية المتوائضة. وقد تراوحت القصائد بين التوسط والقصر، فلم يشأ أن يشق على القارئ بالإطالة، إذ يدرك بملكة الإبداع أن ما قلَّ من الشعر المفعم بالمعنى يغني عمّا استطال من بكائيات الشعر ومناحاته.

الغائب الحاضر

بقلم: عامر الفالح[182]

يستهويني قلم الأديب سليمان الفليح كثيراً، وأحرص عادةً على الاستمتاع بإبداعاته الأدبية والفكرية في الصحف والمجلات. بل ويدفعني هذا الشغف إلى البحث عبر الشبكة العنكبوتية عن جديده وقديمه، حتى يسر الله لي أن أجد موقعاً شخصياً له يجمع بين القديم والجديد، ويضم كل صغيرة وكبيرة عن سيرة هذا الرمز الثقافي.

بدأت بنهم أقلب صفحات هذا الموقع الإلكتروني وأفتح نوافذه واحدة تلو الأخرى، وأنا في قمة السعادة أن يقع بين يدي تاريخ هذا الأديب. ومن بين صفحات هذا الموقع المميز له ألبوم خاص لصور الأديب من القديم والجديد، وبدأت أستعرض هذه الصور، وهي تحلق بي في ذاكرة الزمن إلى ما قبل ثلاثين عاماً أو أكثر. ومن بين هذه الصور، التي أحزنتني بقدر ما كنت فرحاً برؤيتها، مجموعة للأديب في زي الجيش الكويتي، وأخرى وهو في جبهات القتال في حرب عام 1973، وأخرى في فترات قريبة من تلك الفترة.

(182) - جريدة الرأي - الكويت 03 ديسمبر 2007 . عامر الفالح كاتب وإعلامي كويتي

ورغم انخراطه في السلك العسكري، إلا أن الأدب كان له نصيب من حياته، فأبدع وأثرى الساحة الأدبية التي كانت تفتقر إلى الأدباء حينها بفنون الأدب من شعر ونثر وقصة ومقالة صحافية. وما زلت أتذكر، وأنا صغير، حينما كان والدي رحمه الله لا يعرف من الصحف إلا الصحيفة التي كان للأديب سليمان الفليح زاوية فيها بعنوان «هذرولوجيا»، ورغم صغر سني حينها، إلا أنني كنت مشدوداً لقراءتها من دون أن أستوعب أفكاره في ذلك الوقت.

أعود إلى ألبوم الأبيض والأسود للأديب، فيتملكني الحزن وأنا أقلب هذه الصور الوطنية له، وكيف تجاهل المسؤولون هذه الثروة الفكرية والأدبية التي أسهمت في إثراء رافد من روافد البلد الثقافية، ولا نلتفت إلى احتضانها أو تكريمها. كان الأديب أولى الناس بشرف الجنسية الكويتية، بل إن هذه الوثيقة هي التي تتشرف به، لأنه قدم النفس أولاً دفاعاً عن الأرض التي ترعرع فيها، وقدم القلم الأصيل إسهاماً في نهضتها الثقافية والأدبية. أليس من يخدم الوطن بروحه وقلمه أولى بـ«الخدمات الجليلة»؟

(1)

في الكويتِ:

غائِبٌ عنَّا ولكنْ

حاضِرُ الفِكْرِ وساكِنْ

عاشِقُ الشِّعْرِ الفَصيحِ

ومن النَّثْرِ القريحِ

وزوايا في الصحافةْ

«فيها إِبْداعُ «الفَليحِ

(2)

في الكويتِ:

عِشْتَ دهْراً في ثَراها

تَفْتَدي الرُّوحَ حِماها

كُنتَ فيها من بَنيها

وحُروبٌ خُضْتَ فيها

كنت من أَوْفَى بَنيها

(3)

:في الكويتِ

كُنْت نبعاً في القوافي

كُنْتَ كالنَّهْرِ...وماءٌ فيه صافي

ومقالاتٌ بديعةْ

هي من فِكْرٍ حُصافي

(4)

في الكويتِ:

الدَّواوينُ له كانت بديعةْ

فيها فكرٌ... فيها نظمٌ فيها أذواقٌ رفيعةْ

أثرتْ السَّاحةَ يوماً

يوم أن كانتْ وضيعةْ

بفنونٍ لـ»سليمانَ« له دوماً رَصيعةْ

(5)

في الكويتِ:

كان فيها

وَوَفِيًّا عاشَ فيها

كان فرداً من بَنيها

بعدَ هذا العُمرِ فيها

يسرقُ الخَطْوَ ويطْوي

ذكرياتٍ عاشَ فيها

وإلى الـ «الجوفِ» مَقامُهْ عاش فيها

وبعيداً هو عنَّا

حاضراً فينا وفيها

عتب الزمالة

بقلم : عامر الفالح [183]

قولون: العتب على النظر، وهو كذلك، فقد مر أكثر من عشرين يوماً، وما علمت بمقالة إحدى الزميلات التي خصتها للعم أبو سامي، الأديب الفحل سليمان الفليح. والمقال لا يبعد عن صفحة «رأي» أو عمود «الشمات» على الأخيرة كثيراً، فالعتب على النظر مرة أخرى، حتى أوقعتني الصدفة على مقالها، والذي كان بعيداً عن الروح الرياضية الأدبية. فلا العنوان كان لائقاً بأديب فحل كأبي سامي، حينما لمزته بالخرف في عنوانه «يا لحزن الأب حين يفقد الذاكرة»، فأبو سليمان لا تمنحه السنون المتقدمة في عمره إلا رسوخاً وحنكة أدبية. فهو غني عن قريضي وإطرائي له، وأحسبه علامة بارزة في تاريخ الكويت الثقافي، بل هو من مؤسسي هذا التاريخ وأحد أعمدة الأدب شئنا أم أبينا.

ولي في مقال الأستاذة الشابة الأديبة بعض الملاحظات التي لا تخلو من أغاليط، ومديحٍ لمن لا يستحق هذا المديح كله. ولا ألومها، فهي ثمرة رابطة

---

(183) – جريدة الرأي – الكويت 26 فبراير 2009. عامر الفالح كاتب وإعلامي كويتي

شبابية لا يرعاها راعٍ، ولا يحفها أديب مخضرم بعنايتها، فلقب الأديب والأديبة في هذه الرابطة يوزَّع على روادها بالمجان بلا مقابل..

بدايةً، فالأديب أبو سامي كان من رواد الثقافة في هذا البلد، يوم أن كانت الأديبة وبعض رواد تجمع المبدعين الشباب أجنة في أرحام أمهاتهم، فهم من جيل أحفاده الآن إذا لم تخنِ الذاكرة. فكان الأولى أن ننحني تقديراً لهذا الفحل الأديب أولاً، فهو حينما انتقد دور رابطة الأدباء الكويتية كان نقداً مبنياً على خبرة طويلة في هذه الرابطة، وليست خبرة الأعوام الخمسة أو العشرة للأديبة في هذه الرابطة وخبرات الشباب معها، بل أحسب أن الأديب أبو سامي من مؤسسي هذه الرابطة، وبإبداعاته دبت الحياة في عروقها يوم أن كانت قفراً لا حياة فيها.

نعم، عتب الأديب أبو سامي أن الرابطة لم تُقدِّم جيلاً منذ الثمانينيات ينهض بها، فهو –كما قال – يرى أن الرابطة تفتقر إلى الصفوف الجديدة القادرة على تحمّل مسؤوليتها والنهوض بها. فلا تغتري بأسماء ثُلّة من الشباب، فهذا يُقدِّم ديواناً، وذاك يُصدر مجموعة قصصية، وآخر يمتهن النقد الأدبي في الإذاعة والصحافة، فتظنين أن الثقافة بخير. فهذه الأسماء التي تعتقدين أنها جيل من المبدعين لا تمتلك المقومات الأساسية التي تؤهّلها لتكون في مصاف الأدباء؛ فبعضهم – وأنا أعرف من الأسماء التي ذكرتِها – لا يمتلك مبادئ الأدب من نحوٍ وبلاغةٍ وعَروض. وفاقد الشيء لا يعطيه،

وأنا مسؤول عما أقول: إن بعضهم لا يفرّق بين الجملة الفعلية والجملة الاسمية، فكيف تفتخرين بمثل هذه النماذج الشبابية؟

الأدب أصبح مهنة من لا مهنة له، فالغالبية من هذه الأسماء بعيدة عن التخصّص في الأدب واللغة؛ فهم إمّا أطباء، أو مهندسون، أو صيادلة يفتقرون إلى ألف باء الأدب. والعِبرة عند الأستاذة هي بالكمّ الذي يقدّمه هذا الجيل من الإصدارات والدواوين، لا بالكيف. وأنا على يقين أنّ هذه الإصدارات، لو قُدّمت بالمجان للقراء، لما وجدت منهم اهتمامًا أيضًا.

هل أصبحت رابطة الأدباء حكراً على الشعر والقصة وقصيدة النثر فقط؟ أليس المقال الأدبي الساخر والموجّه والمتضمن لإسقاطات سياسية واجتماعية لونًا من الأدب؟ ولِمَ لا يكون هذا الكاتب أو ذاك عضوًا من كتاب المقال الأدبي الساخر في الرابطة، فهم يقدمون إبداعًا يُعدّ من ألوان الأدب العربي، فالتاريخ العربي زاخر بأمثالهم. هل نسينا المنفلوطي ومقالاته التي أصبحت سمة الأدب العربي في مصر؟ هل نسينا مقالات الأديب طه حسين وغيره من الكتاب؟ فالأدب في نظر الأستاذة «قصة وشعر وقصيدة النثر» فقط؟ ولِمَ لا يكون المقال فنًّا من فنون الأدب، وهو كذلك في روابط الأدباء في جميع البلدان العربية؟

لا ينبغي أن يكون النقد بنكهة ساخرة وانتقاص من أبي سامي، فليس من الأدب أن تقولي له: لماذا لا نضيف المطربة إليسا للرابطة أيضاً؟ فهذا الوصف لا يليق بأديب فحل كأبي سامي.

ومما لا يليق بهذا الأديب أن تصفي مقالاته بالمرتبكة والباهتة، فالأديب مارس الكتابة في زمن لا يعرف من الكُتّاب إلا القليل، وهو الكاتب الفذ الذي أثرى رافد فن المقالة الصحافية بإبداعاته المتميزة طوال الأربعين عاماً.

وهل بالضرورة، أيتها الأديبة، أن يكون أبو سامي متواجداً في الساحة الكويتية، وهو الذي أدار له المسؤولون في البلد ظهورهم، ولم يُكافأ بمنحه الجنسية الكويتية، في وقت نالها فنانون ورياضيون؟ فمن الطبيعي أن يغيب عن الساحة الكويتية بعد أن استقر به المقام في البلد الشقيق المملكة العربية السعودية التي نال فيها ما يستحق من تكريم وتقدير.

حديث الأديب أبو سامي عن الرابطة نبش به الجروح، وسبر به أهوال هذه المغارة التي تئن تحت وطأة الرتابة والتقليدية والعطش إلى الأدب الفني والأدباء، وأصبحت أسيرة إبداع الشباب المتسلق على هامة الأدب.

سليمان الفليح.. أحزان البدو الرحل

كتب: حسين الحربي[184]

في هذه الزاوية سنطوف حول قامات سعودية ساهموا في الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية من شعر ونثر ورواية نستذكرهم هنا في كلمات بسيطة لا توفيهم حقهم، نلقي الضوء عليهم، ومن هنا نضع أسماء من تجود الذاكرة باستدعائه علّ يكون هناك من يلم شتات أعمالهم ويجمعها تثميناً لما قاموا به من جهد على امتداد عقود.

سليمان الفليح.. ما بين الكويت والسعودية والأردن عاش الراحل سليمان الفليح المولود في عام 1951م حيوات كثيرة ظل هاجس الترحال والاغتراب الموحش يسيطر على نتاجه منذ ديوانه الأول «الغناء في صحراء الألم»، حمل هموم وأحزان «البدو الرحل» وهو أولهم، لم يتخل عن إنسانيته وبساطته وعطائه ظل إنساناً أولاً، وشاعراً، ومبدعاً، جامعاً بين تراث الصحراء والحداثة. حمل معه أحلامه وأحزانه الخاصة التي جلبها مع تجربته الشخصية، ومسيرة صراعه مع الحياة والوجود، عبّر عنه بقصائد سجلها في دواوينه الشعرية التي ترجمت إلى الإنجليزية، والفرنسية، والروسية: «ذئاب الليالي»،

(184) - جريدة الرياض / 6 ديسمبر 2024م

و«الرعاة على مشارف الفجر»، و»البرق فوق البردويل»، ومقالاته الصحفية «هذرولوجيا» التي لم تخل من تأمُّل فلسفي وعميق، مثقف عميق من خلال قراءاته وتجاربه، صـــاحب وعي فارق، منفتح على تعددية الثقافة والفنون وتلاقيه في نهر الحياة.

قال الكاتب والروائي شـتيوي الغيثي في دارســة بعنوان: «حداثة البدوي: قلق الهوية في الخطاب الشعري.. سليمان الفليّح أنموذجاً» نال عليها درجة الماجستير: «لا أعرف شاعراً سعودياً يكتب القصيدة الحداثية الفصيحة أكثر بداوة من سـليمان الفليح –رحمه الله– وكل الشـعراء الذين اسـتهدفوا هذه الثيمة الشعرية جاؤوا متأخرين عنه، فهو الذي فتح باب الوعي الشعري الحداثي على الاشـتغالات البدوية بوصـفها اشـتغالات رمزية وشـعرية يمكن الوقوف عليها، ليس بوصـفها موضـوعاً شـعرياً فحسـب؛ وإنما وعي بأهمية الانطلاق من الذات الشعرية رغم الإمكانات التي تتيحها الحداثة الشعرية في وقته إلى آفاق أوسع، لكنه فضّـل أن تبقى القصـيدة لديه قصيدة بدوية مع كل تلك الحداثة التي انطلق منها في صياغة تراكيبه الشعرية؛ خصوصا إذا ما عرفنا أن هذا الوعي كان مبكراً جداً منذ منتصـــف الســبعينات التي بالكاد خطت الحداثة الســعودية الشــعرية خطواتها نحو التجديد الشــعري، إلا أن الفليح كان أكثر وعياً بهذه الحداثة في وقت أبكر دون التخلي عن المضامين

البدوية رغم محاولات التجديد على مستوى الصورة والتراكيب والشكل الشعري.

التقى الراحل بكبار الشعراء المصريين بمقهى ريش عبدالرحمن الأبنودي، فؤاد حداد، أمل دنقل، صلاح عبد الصبور وغيرهم.

عاش مع أفكارهم جميعا وانصهرت شاعريته وتعمقت تجربته الإنسانية، حط رحاله في أغسطس 2013 م بأحد مستشفيات عمان العاصمة الأردنية، وأسلم روحه لبارئها عن عمر ناهز 62 عاماً.

إذا تَرَحّلْتَ عن قَوْمٍ وَقَد قَدَرُوا

واحة الأنباء – الانباء 1999

كان لا بد من توديعه، ولكن القطار لا يفهم "سلوم البدو"، لذلك فرَّ مع أول صـــافرة له!! ولكنه لم يرحل في قطار، وفي الحقيقة ليس لدينا قطارات، والأكيد أنه ترك الطائرات والسـيارات ورحل على ظهر ناقة وفاءً للصـعلكة التي يحمل لواءها.

سـليمان الفليح الإنسـان هو من نتحدث عنه في البداية، وإن كان هذا لا يرضـي عنوان الملف، لم يكن أبو سـامي أكبرنا سـنًّا، بل كان أطولنا صـبرًا وأنصعنا بياضًـا، علَّمته السـنون كيف يصـبر على الحصـاد، بينما نحن نغرس البذرة وننتظر المحصول في الساعة ذاتها.

كما سـبقنا إلى سـرِّ الإنصـات، وغلب الدلافين في طول النفس، وكان يعطي الموجودين دفعة من المعنويات فيتسابق الجميع إلى العمل رغم انعدامه، وتمتلئ الأوراق بالحروف، ولكنها مبهمة، ذلك هو حب العمل في بداية مشواره الطويل.

سليمان الفليح لا يهتم بالمكان الذي سيوضع فيه اسمه، ولا يلتفت لجماليات الصورة، لإدراكه أن هذا قد يهم المرأة ولا يهم الصعاليك، وفي حروبه غالبًا ما تكون النهايات سعيدة، ودائمًا هو المنتصر.

الشاعر الأديب سليمان الفليح لا يحتاج إلى التعريف به، فمؤلفاته وكتاباته تغني عن تقديمه، وما يهمنا هنا هو ظهوره على الساحة الشعبية حين نقلها من الجمود إلى الحركة الدائمة، وهي الحركة التي ساهمت في ظهور أول مجلة تُعنى بالأدب الشعبي، وكان رائدًا وإن كان في الظل، والأب الحقيقي وإن لم تُنسب المولودة إليه. وإن كان في إحدى كتاباته قد تبرأ من ابنه (سامي)، فهذا لا يعدو كونه تبرؤًا أدبيًا ليس إلا، في محاولة لدرء الابن عن هذا الطريق الشائك الذي أدمى أقدام الأدب.

سامي استنسخ من والده، وفي هذا ما يشير إلى أن سليمان الفليح كان يجري تجاربه العلمية في منزله، لكنه كان يخفي نتائجها خوفًا من الحسد. سار الابن في طريق الأب، وفي سنوات عدة صار يقارب الأب شهرةً وشبهًا.

في هذه الصورة التي التُقطت له أثناء لقاء الواحة به، يشير أبو سامي مهددًا ومتوعدًا، وقد تكون هذه الإشارة ذات صلة باللقاء، وقد لا تكون كذلك، لكنها لا توحي سوى بما يسبق العاصفة، ولسان حال الصورة ينطق

بأبيــات أبي الطيــب المتنبي، وهو من فتح أبواب الترحــال وأغلق أبواب الاستقرار النفسي والجسدي والفكري. فألف سلام ترافقك يا زميلنا الكبير في حلك وترحالك:

يَا مَنْ يَعِزّ عَلَيْنَا أنْ نُفَارِقَهُمْ ... وِجدانُنا كُلَّ شيءٍ بَعدَكمْ عَدَمُ
مَـا كـانَ أخلَقَنَـا مِنكُمْ بتَكرِمَـةٍ ... لَـوْ أنّ أمْـرَكُـمُ مِـن أمـرِنَا أمَـمُ
إنْ كانَ سَـرَّكُمُ ما قالَ حاسِـدُنَا ... فَمَـا لجُرْحٍ إذا أرْضَـــاكُمُ ألَمُ
وَبَيْنَنَـا لَوْ رَعَيْتُمْ ذاكَ مَعرِفَـةٌ ... إنّ المَعارِفَ في أهْلِ النُّهَى ذِمَمُ
كم تَطْلُبُونَ لَنَـا عَيْبـاً فيُعجِزُكمْ ... وَيَـكْـرَهُ اللهُ مــا تَأتُـونَ وَالـكَـرَمُ
أرَى النّوَى يقتَضِـيني كلَّ مَرْحَلَةٍ ... لا تَسْـتَقِلّ بها الوَخّادَةُ الرُّسُـمُ
لَئِنْ تَرَكْنَ ضُـمَيراً عَنْ مَيامِننا ... لَيَحْـدُثَنّ لمَنْ وَدّعْتُهُمْ نَـدَمُ
إذا تَرَحّلْتَ عن قَوْمٍ وَقَد قَدَرُوا ... أنْ لا تُفـارِقَهُمْ فـالرّاحِلونَ هُمُ

الكتابة الكاريكاتورية

ليست شعرًا خالصًا!!

تغطية: ملتقى الثلاثاء 1996/10/26

كان العرب القدماء يشعلون نارًا فوق قمة عالية حين ينبغ فيهم شاعر، وكذلك فعل ملتقى الثلاثاء الذي يقيمه مسرح الخليج حين أشعل جذوة الحوار حول الديوان الشعري الجديد للشاعر سليمان الفليح، الذي صدر بعنوان "رسوم متحركة "عن دار قرطاس.

بدأ عريف الندوة، الزميل إبراهيم الخالدي، حديثه بالإشارة إلى المكانة التي يحتلها الفليح في خريطة الكويت الثقافية، باعتباره أول من أدخل البداوة والصحراء بكافة تفاصيلها ومفرداتها إلى الشعر الكويتي الفصيح.

وبعد ذلك، قدّم القاص كريم الهزاع قراءة انطباعية في الديوان، مشيرًا إلى أنه نجح في تقديم الشخوص الكاريكاتورية بلغة شعرية مميزة، ونوّه بغياب الصعاليك الذين رافقوا الشاعر في دواوينه الثلاثة السابقة، غير أنه أوضح أن صورهم خلف الإطار ما تزال تلوح بين دفتي الديوان.

ثم انبرى الشاعر صلاح دبشة ليقدّم نقدًا بنيويًا لقصائد الديوان، مستنتجًا من خلاله جماليات أسلوب الشاعر الفليح الذي وصفه بالانسجام والترابط،

كما أشار إلى الروح الاغترابية التي تشفّ عنها القصائد، إضافة إلى شعور الانتماء الصادق إلى الوطن الذي "ظفر بحبه" كما يذكر الشاعر.

وحين وصل الحوار إلى هذه النقطة، تساءل الشاعر نادي حافظ عن سبب تضحية الفليح بالقيم الفنية للشعر في هذا الديوان الذي قدّم لغة قديمة، فردّ الفليح مشيرًا إلى أنه لا يعتبر ما يضمه الديوان شعرًا خالصًا، بل هو كتابة كاريكاتورية، وأنه يضمها في كتاب اللغة الحديثة، فهي موجودة في بقية الدواوين التي أصدرها، وسيصدر آخرها بعد أيام بعنوان "الرعاة على مشارف الفجر."

وتحدث بعد ذلك الأديب إسماعيل فهد إسماعيل، موافقًا ما ذهب إليه الشاعر في خصوصية هذه التجربة التي ستُظلم كثيرًا لو قيست بمقاييس الشعر.

واستمر الحوار الذي حضره جمع من المثقفين، من بينهم الفنان منصور المنصور، والفنان عبد العزيز الحداد، والأستاذ أحمد الدين، والقاص محمد عبد الله السعيد، والقاصة فاطمة العلي، والقاص خلف الحربي، والشعراء ناصر السبيعي ودخيل الخليفة، بالإضافة إلى عدد آخر ممن ذكرناهم، في التطرق لحوار الندوة.

الحالة النفسية للقصيدة

بقلم: ن /ح ؟![185]

د عاجل: في أحد الأعداد السابقة من صفحة «الواحة» في جريدة الأنباء التي يُعدّها محمد المطيري، قرأنا مقالة باسم ناصر منصور العجمي حاول فيها الإساءة للشاعر والأديب سليمان الفليح، وذلك عند قراءته لقاءً مع الشاعرة فاتن عبدالعزيز في إحدى المجلات، حيث قالت إن وجود الشعر الشعبي مرتبط بوجود سليمان الفليح، وإنه لا يزال بخير. فقال هو: إن آخر قصيدتين لكِ أفضل بكثير من سليمان الفليح نفسه! فلماذا الإساءة لشاعر قدّم الكثير عبر سنين خبرته الطويلة، وقبل أن تتعلم أنت وأمثالك الكتابة؟

نحن هنا لسنا مدافعين عن سليمان الفليح، فهو قادر على الرد على الكتّاب والنقّاد، وأعتقد أنه لن يُعير أمثالك أي اهتمام. ولكن أكرر: لماذا الإساءة؟ هل هناك دوافع؟ وهل هناك ممرّ ضيّق؟ أعتقد ذلك.

أبيات:

حدود السلاح وكبروا للمهمة وتناهبوا حرٍ بعاد حراويه

---

[185] - نشرت بهذه الرموز (ن . ج)

ارموه في ســــهم الردى والمذمة مـادام مـانتوا طـايلين مواطيـه
لو تجمعون جموعكم مـا تهمـه مافيه يكفيكم وحاضــرة يكفيه

أبا سامي...

بقلم : سعد الجوير [186]

سلام من المنفى إليك في الوطن

(2)

المرارات هي المرارات.. والروح مترددة ربما نحو الخطوة القادمة... هكذا أنت؟ ما أجراك كما عهدتك، ما أجملك ..

(3)

قلتَ لي بأن صحاريك عامرة بنا، من تُسمّى مجازاً بأصدقاء. قلتَ لي إن الوطن أيضاً قد يكون كحبيبة، وقلتَ لي أشياء كثيرة تلك الليلة، ما عدت أذكر منها سوى وداعك الذي باغتني تماماً كما باغتني حضورك، وما زالت "عنودك" عنيدة وتخون تماماً كوطن.

(4)

---

(186) – مجلة / الكويت العدد 362

أشـــياؤك البدوية لكل لا ترحيلك، إنها تبكي. باقون هنا يتجرّعون مهاهم، ليسوا إلى قرار آمنين، وليسوا إلى مستقرّ باقين.

(5)

ما عاد ســـليمان الفليح فانياً، أيها الفرحون بقناتكم، لتغيظوا فيه ترجّله نحو حياة الروح خالداً، حيث يرمق الساهين بين آونة وأخرى، يشتهي ربما قهوة مخدَّرة بحكايتين عابرتين، يشـــتهي ربما خطوتين في صـــحراء ملوّنة بالســـدو عابقة بالبدو. لكنه الأذكى دائماً، هذا المحارب المنتصــر بقصــيدة لم يكتبها بيده بقدر ما بلغتها روحه، تاركاً أصدقاءه مذعورين مغامرين بالبقاء .

أبا سامي ...

نجوتَ، نجوتَ ...

«البدوي الأخير»..

تجرّع اليتم وعاصر الجوع وناضل بالقلم

بقلم: محمد سعود[187]

ما أصعب أن يكتب الإنسان عن نفسه، كونه لن يتطرق عادةً إلى المآسي ولحظات الحزن في حياته. إلا أن الأديب الراحل سليمان الفليح كتب عن شخصيته بصدق، ونقل تفاصيلها السعيدة والحزينة، تاركاً سيرة مليئة بالأدب والشعر والصحافة، ومزيجاً بين حياة البداوة الحقيقية ومعيشة المدينة. كما شارك في حروب عدة، ورسم صورة زاهية بروازها الثقافة والشهامة العربية.

وكتب سليمان الفليح عن حياته: «وضعتني أمي تحت شجيرة في الصحراء، ولفّتني بطرف عباءتها، ثم سارت في ركب القبيلة الظاعنة نحو حدود الغيم بحثاً عن الكلأ والماء. عشت طفولة بائسة بين رعي صغار الغنم ورعي الضأن، ورعي عدة نوق عجفاء، وهي آخر ما تبقى للأهل بعد سنوات متوالية من الجدب والقحط والجوع».

(187) - عكاظ 29 ديسمبر 2017

مات أبي خلال تلك الظروف بسـبب فقر الدم وداء السـل الرهيب، ثم تزوجت أمي من رجل آخر، فتولّى خالي رعايتي. وفي ميعة الصـبا والشـباب عدت إلى قبيلتي التي طوت خيام الترحال، وتوزعت بين المملكة والكويت.

أما أنا فالتحقت بالجيش الكويتي منذ عام 1970 إلى أن تقاعدت في أوائل 1997م، وتدربت خلال تلك المدة على العمل الصـحفي في جريدة «السـياسـة» الكويتية، وكتبت أولى مقالاتي «هذرولوجيا» فيها، وعملت صحفياً ومراسلاً حربياً لفترات وجيزة على الجبهتين المصرية والسورية خلال حرب الاستنزاف 1971 – 1973».

ويقول سامي (الابن الأكبر لسليمان الفليح): «ولد سليمان بن فليح بن لافي العميري السـبيعي العنزي عام 1951 في إقليم الحماد شمال المملكة العربية السعودية، بحسب ما ذكره أبي شخصيًا، اعتمادًا على روايات شفوية لمعمري القبيلة. عاش اليتم مبكرًا بعد أن توفي والده حين أتم الرابعة من عمره، فعرف الفقد مبكرًا مع شقيقته الوحيدة منيفة، فتولّى خاله، سكران، الضابط في الجيش الأردني حينها، رعايته واحتضانه».

ويضيف سامي أن شخصية الخال أثرت كثيرا على ابن الأخت بصفاته العطوفة الحانية المحبة للمزاح، قارضا للشعر والروايات الشعبية في مجلسه الذي كان مقصـدا لكثير من الوجهاء وشـيوخ القبائل الذين في الغالب يأتون

ضيوفا أو لحاجات حياتية تقضى، ما «فتح ذهن أبي مبكرا وحافظته على الكثير الكثير مما روي من سير ومفاخر وقصص، وكان الخال يشغل مركزا إشرافيا عسكريا مهما على الحدود الجنوبية للمملكة الأردنية لذا عرفه الناس وعرفهم واحتك بهم وساهم في حل قضاياهم ما منحه احتراما وسمعة طيبة»، لافتاً إلى أن والده دخل مدرسة داخلية لأبناء وأقارب الضباط بتوصية من خاله فمضى يجتاز بهمة سنوات الابتدائية والمتوسطة، لكن الانضباط والقوانين الصارمة والفقر أيضا لم «تكن لتلائم روح أبيه الطفولية النازعة للتمرد والغضب.

ويتابع: «لم يستمر والدي في الدراسة بعد تجاوزه المرحلة المتوسطة وفي نهاية الستينات الميلادية وفي سن المراهقة قرر شد الرحال إلى الكويت للالتحاق بصفوف الجيش الكويتي الذي كان يعتمد على تجنيد أبناء القبائل وفق نظام عرف حينها بالمساطر، حيث مجرد تزكية مختومة من ضابط من أبناء نفس القبيلة تمنح صاحبها شرف الخدمة العسكرية والوظيفة وهكذا دخل أبي للخدمة عسكريا في عام 1970، وفرز فور تجاوزه الدورة التأهيلية ولكونه يجيد القراءة والكتابة إلى شعبة التوجيه المعنوي بالجيش الكويتي المسؤولة إجمالا عن التواصل الإعلامي في المؤسسة العسكرية، وسعيا من شعبة التوجيه المعنوي لتطوير أداء منسوبيها أرسل أبي لجريدة السياسة الكويتية

صقلا لمهاراته الكتابية كمحرر صحفي، وهكذا دخل فتى الصحراء إلى عالم الصحافة.

ويستطرد سامي: «تزوج أبي بأمي (ابنة عمه) في عام 1971 كما يفعل أغلب أبناء مجتمعات الشرق ومضى يستكمل بناء حياته، لكن هذه المرة برفقة سند وهو الذي عاش وحيدا خاليا خليا، تجاوز أبي الدورة المقررة للتعلم في جريدة السياسة الكويتية مكتشفا القراءة والمعرفة متأثرا بما راقبه وشهده خلال هذا المفترق المهم والمؤثر، فبدأ بالنهل والاستزادة وتنويع مصادره بشغف هائل وكأنه تلمس ما ينقذه من كل هذا العذاب الذي طلى قلبه وروحه مشكلا نواة وعي مبشرة، وتم تكليف أبي للذهاب إلى جبهة قناة السويس على الجبهة المصرية لحرب 1973، مراسلا حربيا لشعبة التوجيه المعنوي في الجيش الكويتي ضمن القوات الكويتية التي شاركت بالحرب إلى جانب القوات العربية.

ويذكر أن أباه بدأ من جبهة القتال نقل القصص والمواضيع والكتابة حتى انتهت الحرب فعاد إلى الكويت وعاد لزيارة السياسة زميلا وصديقا للمحررين والكتّاب الكويتيين والعرب الذين كانوا يملؤون جنبات الجريدة حينها بعد تجربة الحرب الغنية إنسانيا ومعرفيا.

ويوضح أن والده أثناء عمله الأساسي عسكريا في قوة حرس الحدود اقترح تخصيص صفحتين في مجلة «حماة الوطن» الخاصة بالجيش الكويتي لنقل حكايات وقصص وشعر وأسلوب المهربين، لقيت الفكرة ترحيبا مع إلزامه بكتابتها وتحريرها، وهكذا بدأ أبي بكتابة وتحرير هذا الباب الصحفي الممتع ونشره في المجلة منذ منتصف الثمانينات الميلادية حتى الغزو العراقي لدولة الكويت 1990.

ويقول سامي: «مع دخول القوات العراقية غازية للكويت انتقلت عائلتنا للسكن في مدينة الرياض، إذ الأقارب والأهل وأبناء العمومة، وكان وقع الغزو العراقي قاتلا وصادما حد الفجيعة على أبي، لكنه حول صدمته إلى قوة هادرة بعد أن تلقى دعوة للكتابة في جريدة الرياض من قبل المرحوم فهد العريفي الكاتب والمثقف المحترم والمعروف الذي كان يشغل منصب نائب المدير العام لمؤسسة اليمامة، فبدأ بعد أسبوعين من الغزو الغاشم في إطلاق قذائفه الكتابية اليومية الملتهبة مع الحق وضد الظلم؛ مفندا وكاشفا ورادا وصادحا بما يمليه عليه الظرف وتستوجبه القيم والأخلاق، وكان أبي جبهة حقيقة ضد الظلم مع الحق»، مشيراً إلى أن منزلهم خلال فترة الغزو كان مقصدا لأغلب المثقفين الكويتيين والسعوديين نقاشا وسجالا وكذلك الناس الذين فقدوا أحبة، آملين أن تصلهم حروفه بمن فقدوا أو شردوا، وتحول

الراحل إلى صلة وصل بين الكويتيين ووطنهم السليب من زاويته كانوا يطلون عليه ويتصلون به.

ويضـيف: «مع تشـكيل المركز الإعلامي الكويتي الذي أنشـأته الحكومة الكويتية في المنفى في مدينة الرياض لمواجهة ورصـد ما يكتب والرد عليه وينشـر تبريرا للظلم وتعضـيدا له، تطوع أبي للعمل، ومع تحرير الكويت كان أبي على أول طائرة تحمل الإعلاميين للأرض المحررة، ومن أوائل من دخل لأرض الكويت الحرة بعد ثلاثة أيام من دخول قوات التحرير، ومع بدء عودة الشعب الكويتي لأرضه المحررة قرر أبي عدم العودة والاستقرار في مدينة الرياض، كونه شـعر حينها بأنه أنجز مهمته، ومعاركه الكبيرة في الحياة تقلصت، لكننا أقنعناه بأن سنوات قليلة تفصله عن حصوله على التقاعد الوظيفي ويمكنه العودة بعد ذلك للاسـتقرار في مدينة الرياض، ومداراة لخواطرنا عاد للكويت بعد تحريرها وعاد لعمله في الجيش الكويتي بانتظار انقضـاء المدة الباقية على تقاعده، لكن روحه بقيت في مدينة الرياض.«

ويؤكد أنه في السـبعينيات الميلادية حمل والده قصـائد البدايات إلى رابطة الأدباء لمحاولة إسماع ما يمور في روحه المرهقة للأسماء الكبيرة التي تحتشـد بها الرابطة حينها بحثا عن توجيه أو نصـيحة أو إشـادة تدفعه للتقدم، لكن الإجابة الصـادمة والتوجيه الجاف اللذين تلقاهما من شـاعر كان يظنه مهما دفعتا به إلى محاولة رمي ما كتب وتمزيقه، حيث سمع تقريعا، وانكفأ مشروعه

الشعري لكن إلى حين، وبعدها طلب منه الشاعر العراقي فيصل السعد الذي كان مشرفا حينها على الصفحة الثقافية بجريدة السياسة نصا مما كتب بعد أن شكا له الفليح ما حدث في رابطة الأدباء، وأعطاه نص (التوجسات في الزمن الفاسد) الذي احتفل به السعد وأبرزه نشرا.. وهكذا انطلق الفتى البدوي في سماء الشعر الفصيح، لافتاً إلى أن والده استمر في النشر والكتابة الشعرية حتى أنجز ديوانه الشعري الأول «الغناء في صحراء الألم» عام 1979 وألحقه بديوانه الشعري الثاني «أحزان البدو الرحل» 1981، لكن الكتابة الصحفية وجرأة ما يتناول حينها أضاق بعض الصدور الأمر الذي أدى إلى توقفه قسرا عن الكتابة الصحفية باسمه الصريح، لكنه تحايل على ذلك الإيقاف القسري، واستمر في الكتابة تحت اسم مستعار هو «الصادق الصحراوي» مع تغيير اسم الزاوية إلى «أصارحكم»، لكن الأمر اكتشف بعد مدة ليست بالطويلة وهكذا توقف أبي عن الكتابة الصحفية في 1982.

ويقول سامي: «أثرت الصحراء برعبها وجوعها وجدبها المهلك على أبي كثيرا، لاسيما في سنوات طفولته وأنقل عنه هنا أنه أصيب صغيرا بالعمى مرتين بسبب الجوع خلال الخمسينيات الميلادية.

انحاز للبسطاء وعشق الرياض وفارسها:

يقول ســامي الفليح: «في 23 يوليو 1999 حمل أبي رحله وعائلته حاطا ركائبه في كنف أمير منطقة الرياض في ذلك الوقت خادم الحرمين الشــريفين الملك ســـلمان بن عبدالعزيز، الذي أكرم أبي كما هي عادته وحل كل إشـــكالياته الحياتية والإجرائية فأحبه أبي عميقا، ورآه وهو كذلك مثالا لكل القيم النبيلة التي بحث عنها طويلا، واســتقر أبي بعد أن أضــناه الارتحال في مدينة الرياض وتلقائيا اســتمر في الكتابة شــبه اليومية المنتظمة في صــحيفة (الرياض)، وعاد من جديد للالتحام مع من يحب حكاما وشـــعبا وقراء ومسؤولين مستمرا في تبني صوت الناس ومشاكلهم وحضوره المميز وسط تفاعل كبير فأحاطه الناس بالمحبة والتقدير». ويضــــيف أن في عام 2004 انتقل للكتابة في صــحيفة «الجزيرة» بشــكل شــبه يومي مع ذات التناولات والوهج الذي ملأ حياة والده بالجمال والبهجة، وكانت الســـنوات الأخيرة لحياة الراحل منذ انتقاله للاســـتقرار في مدينة الرياض 1999 حتى وفاته – رحمه الله- في 21 أغســطس 2013 رحلة من المتعة والبهجة والهدوء الرائع عوضــته عن كل ســنوات الحرمان الطويلة وكان الفضــل للملك ســلمان بن عبدالعزيز، الذي أحاطه بالرعاية فحاول ســـليمان الفليح رد معروفه الهائل بقصــــائد عدة. ويذكر أن والده قدم وأعد برنامجا تلفزيونيا في تلفزيون «الواحة» عام 2003 مدة سنة تقريبا وشارك في تحكيم عدد من المسابقات

التلفزيونية الشعرية وأنجز نشرا ديوانه الشعري الأخير «البرق فوق البردويل» 2010 بدعوة من نادي الجوف الأدبي ورئيسه إبراهيم الحميد، مشيراً إلى أن والده له تجربة يتيمة في الأغنية حيث كتب كلمات أغنية «أصرخ في أبواب العالم» كمقدمة سينمائية لفيلم «بكاء النوارس» الذي أنتج في عام 1995 لحنها الملحن الكويتي الكبير يوسف المهنا وشدا بها الفنان الكويتي القدير عبدالكريم عبد القادر، وكانت القصيدة بالفصحى تنتصر للبيئة البكر في مواجهة التلوث وتذكر بالحياة في مواجهة ما يدمره الإنسان، إضافة إلى مساهمته في العديد من النشاطات ذات الطابع الوطني والحوارات الرسمية، وكان فاعلا بقوة في المجتمع وصديقا للكثير من الأمراء والمسؤولين وأعيان البلاد. ويقول عن وفاته: «في مساء 21 أغسطس 2013 أسلم الروح لبارئها في المستشفى الإسلامي بالعاصمة الأردنية عمّان إثر التهاب رئوي تطور سريعا ودفن في المقبرة الهاشمية، حيث كان أبي يقضي إجازة عادية برفقة أمي وبعض الأقارب، وصلت إلى عمّان بعد اتصال هاتفي صباحي من أمي تطلب حضوري فشهدت الساعات الأخيرة لأبي حيا، وبعد أن أخذ الله أمانته غسلته بيدي وكفنته وأنزلته لمثواه»

زاويته "هذرولوجيا" ولدت من رحم "مخاريز"

اشتهرت زاوية «هذرولوجيا» للكاتب والأديب سليمان الفليح، إلا أن الكثيرين لا يعرف قصة بدايتها، إذ يقول سامي الفليح: «في أحد الأيام

وبينما محرر الصفحة الخاصة بالمجتمع في صحيفة السياسة يستعد لتسليمها للإخراج اكتشف نقصا في أحد المواد، وبدأ بالبحث عن مادة بديلة فلم يجد، فسأل أبي هل لديك ما تود نشره في صفحة المجتمع؟ خبرا أو قصاصة أو شكوى، أجاب أبي: نعم وأخرج من جيبه مقالا قصيرا احتفظ به انتظارا لمثل تلك اللحظة، وكان المقال قصيرا يحمل نفسا نقديا خفيفا وشعبيا لملامح ومظاهر اجتماعية حينها، قرأ المحرر المسؤول المقال ووجده لطيفا يصلح للنشر، لكن المشكلة كانت في الاسم، واقترح المحرر المسؤول حينها نشرها تحت اسم مستعار فطلب من أبي اختيار اسم مستعار، فاختار الراحل بعجالة اسم (مخراز) لتوقيع المقالة، واقترح المحرر المسؤول اسم مخاريز عنوانا للزاوية وفعلا نشرت الزاوية التي كانت حينها خفيفة لطيفة ذات إيقاع بسيط وتحوي شعرا شعبيا نقديا بمزيج من عبارات تهكمية ساخرة، وهكذا بدأ أبي بالكتابة تقطعا في صفحة المجتمع وتحت اسم مستعار، لافتا الانتباه إليه عبر أسلوب ساخر لطيف خفيف أقرب إلى المزاج الشعبي مع إضاءات إبداعية وأسلوبية، إلى أن قرر رئيس التحرير أحمد الجارالله بعد فترة نقل الزاوية ونشرها على الصفحة الأخيرة وبالاسم الحقيقي لكاتبها وهكذا بدأت زاوية «هذرولوجيا» التي بقيت مرافقة له حتى آخر العمر». ويضيف أن لاسم «هذرولوجيا» قصة رسم ملامحها ناجي العلي (رسام الكاريكاتير الفلسطيني الشهير) والكاتب الكويتي سليمان الفهد (شيخ الكتاب الساخرين) واللذان

اقترحا هذا الاســـم المركب الممزج من «الهذر» و«اللوجيا» بمعنى أننا كعرب أمة من «الهذر» والكلام لا غير وهكذا في عام 1974 انطلق أبي في عالم الكتابة المذهل وبدأ يحقق حضـــورا لافتا وجمهورا، رغم زخم الأسماء العربية الكبيرة التي كانت تحتشـد بها «السـياسـة» حينها والصـحافة الكويتية كتابة وحضورا.

ويشـــير إلى أن والده تنقل بزاويته «هذرولوجيا» في الصـــحافة الكويتية من «الســـياســـة» و«الوطن» و«الرأي» وفي الصـــحف الســـعودية «الرياض» و«الجزيرة»، موضـــحاً أن والده اعتبر «المختلف» ابنته فكتب بها ونشـــر قصائده وظل بمثابة مستشـار لكادرها التحريري طوال التسعينيات الميلادية.

آراء حول تجربة سليمان الفليّح:

يقــول المستشــرق الألبــاني موفــاكو:" البـدوي الـذي يجـول شــوارع الكويـت حـاملاً دواوينـه الصـغيرة ودواويـن الـوار ورامبـو وبوشـكينه، إنـني لم أكن أتخيل وجود مثله في خليج النفط."

يقــول المستشــرق الروســي شــاغال:" لمـاذا لم يقـل لي المنقبـون عـن الكنـوز لجـوف الأرض في بلادكـم عـن هـذه الكنـوز الـتي تحيـا فوقهـا مثـل هذا الشاعر الرهيب."

يقول قاسم حداد:"يمزج جمال عذابه بأجمل عذابات اللغة. إن صعلكته تغرر بنا دوماً لكي نهيم بهذا العالم الوحش"

يقول محمود السعدني: "ميزة هذا البدوي المتجول أنه لايزال ينطق شعرا في عصر غاب فيه الشعراء."

يقول خالد سعود الزيد:"تلتقي البداوة بفطرتها والمدنية بخبرتها في شخص."

يقول عايد المنّاع:"إنه سفير البادية في المدينة وسفير المدينة في البادية."

يقول عبدالله الشيتي :"هذا البدوي الفذ جعل من «دشداشة» بيئته راية حضارة ونصاعة."

بروفايل

بقلم: ثامر سودي قمقوم [188]

رحلت.. وتركت وراءك مداد القلم يسير.

رحلت يا سليمان...

لكنك لم ترحل بعد .... فما زلت بيننا تسير.

من الحماد ... كانت، أيها البدوي الفقير، بداية عهد جديد،

وقريبًا من الحماد، أيها البدوي الفقير، كانت نهاية رحلة الحياة.

العظماء ...

يا سليمان .....

فقط من تبقى ذكراهم عاطرة،

والعظماء ...

يا سليمان ...

هم من يتركون الأثر وراءهم.

رحلت يا سليمان..

ولم ترحل بعد،

---

(188) - 16-3-1435هـ

أما السيرة الخالدة، أيها البدوي الفقير،

فلا نهاية لها.........

فما بين تأبين في الكويت

واحتفاءيات في الرياض –

وقراءة هنا وهناك،

كانت لحظات ... وفاء .. وعرفان.

كنت ترقد بسلام في عمون يا سليمان...

وحمائم السلام والنقاء .. والصفاء

ترفرف حول قبرك الخالد.....

طبت حيًا وميتًا يا ابن الحماد ..... وطاب مقامك.

ارقد بسلام .. فأنت ما زلت تعيش بيننا حمامة سلام.....

ستظل ترفرف في كل حين ... ولكل جيل،

وستبقى ترسل هديلها .. تقدمه للفقير قبل الغني.

دامت سيرتك العطرة يا سليمان ....

لنا....

لتكون هي الطريق،

وهي التاريخ.....

فمن خلالها كان سليمان الفليح ....

وسيبقى...

هو ذلك الأديب البدوي الفقير ...

الذي يسكن قلوبنا في كل حين

.... هنيئًا لك يا عمون ....

فقد احتضنتيه بين جنباتك،

فدعيه يرقد بسلام.

وداعًا يا سليمان،

ارقد بسلام،

ارقد بسلام،

ارقد بسلام.

الفكرة سليمان الفليّح
القصيدة الفصيحة كائنٌ بدويٌّ

بقلم : طارق الصميلي [189]

كان للشعر وجها واحدا،حتى قرأت سليمان الفليّح واكتشفت أن للشعر وجوها عدّة، لم يعلّمني أن كل الطرق تؤدّي إلى الشعر بل الشعر يؤدّي إلى كل الطرق.

حين تقترب من قصـــيدته تدرك أنه لا يكتب بالكلمات فقط بل بالرمل والريح وأثر الخطوة على الطريق، إن لغته امتداد للمكان الذي نشـأ فيه فهي ليست مجرد حروف بل بقايا صدى في وادٍ ما أو شجو ناي سمعه من أحد الرعاة ليلا فترك أثره في القصيدة.

إن قصيدة الفليح قصيدةٌ تشبهنا أستطيع أن أرى بها ملامحنا التي أثرت بها الشـــمس وأقدامنا التي ألفت الرمضـــاء وأرواحنا التي تتبع الندى وأعيننا التي تصطاد السراب،إنها قصيدةٌ تعرف نسبها بدون حاجةٍ لإختبار الجينات.

---

(189) – منصة كتابة ٢ سبتمبر ٢٠٢٥/ طارق محمد الصميلي شاعر سعودي ولد عام 1991م. برع نجمه في الشعر منذ المشاركة الأولى في ملتقى الشعراء الشباب الأول بجازان عام 1435 هـــ، ونال لقب الوصيف في مسابقة أمير الشعراء في العام الماضي، قبل أن يحقق لقب شاعر شباب عكاظ في العام نفسه. حصد المركز الثاني في مسابقة أمير الشعراء عام 2017م، وصيفًا للشاعر إياد حكمي.

ولعلَّ سر فرادته أنه لم يتعامل مع البداوة كموضوعٍ خارجي يصفه من بعيد، بل عاشـــها بجلده ودمه ووعيه ثم أعاد إنتاجها بلغة قادرة أن تلامس القارئ المعاصر كما تلامس القارئ القديم، فبداوته ليست قيدا بل بوابة واسعة نحو معنى إنساني أرحب.

كان الفليّح بالنسبة لي اكتشافا عظيما وفتحا شعريا،حين صافحته لأول مرة عبر ديوان "أحزان البدو الرحل" قلت لنفســـي مباشـــرة هذا امتدادٌ حقيقي وتطورٌ طبيعي للقصـــيدة العربية القديمة ،هذا شـــعرٌ خالص وكأنه يقول أن الحداثة ليست خصومة مع الماضي بل استيعاب له وصهره بشكل جديد.

إن الاصـطدام بتجربة هائلة كتجربة الفليح جعلتني أعيد حسـاباتي في كل ما عرفته عن الشعر،كان الفليّح بحدّ ذاته فكرةً شعريّةً تضيء ما حولها، وبعدما كنت أنظر للشـعر من زاوية واحدة أدخلني الفليّح إلى مركز الشـعر وجعلني أنظر للحياة عبره وكلمّا غيرت وجهة نظري داخل الشعر رأيت الحياة بشكلٍ شعريٍّ مختلف.

إنه يعلمنا أن الشعر ليس بوابة للحياة فحسب بل طريقة لرؤيتها،فحين كتب عن الصحراء لم يكن يصف جغرافيا جامدة، بل يصف الروح التي تتسع رغم الفقر وتنمو رغم الندرة والتي ترى في الســـراب وعدا لا يقل قيمة عن الماء نفسه.

سليمان الفليّح فكرة والفكرة لا تموت فها نحن نستعيده مجددا عبر أستاذنا وشاعرنا الكبير جاسم الصحيح في برنامجه وحينما يتحدث الكبار عن الكبار نتعلم منهم ونستفيد وقد جعلني الصحيح أنظر لتجربة الفليح من زوايا عدّة وأضاء لي مناطق في شعريّته تؤكد لي أكثر مما ذهبت له عند اللقاء الأول بأعمال الفليح.

ما يلفت القارئ لتجربة الفليح أنه يكتب قصيدةً فصيحة سعودية بدوية بقدر ماهي عربية عالمية وهذا المزج بين محليّته وعالميتّه لا يؤتاه إلى شاعر كبير قل ما نجد مثله اليوم، ومن هنا يمكن القول إن الفليح قدم نموذج القصيدة الجسر؛ جسر بين البادية والعالم، بين الرمل والمدينة، بين الصوت الفردي والمصير الإنساني، إن القارئ يجد نفسه في قصيدة الفليح سواء كان بدويا أو مدنيا، عربيا أو غير عربي، لأن ما يكتبه يستند لجوهرٍ إنساني مشترك.

لقد أسعدني أن يختم شاعرنا جاسم الصحيح حلقته بجزء من قصيدة أهديتها للفليح بعنوان "" وهنا أورد النص كاملا: إلى البدوي الأخير سليمان الفليح:

علِقتْ بهِ الصحراء عند ذهابِهِ

لن تفهمي يا بيدُ كُنْهَ غيابِهِ

ماضٍ وعرس الرمل يطفئُ بعده أفراحه

و يضيءُ ناي عذابِهِ
لم تعرف الصحراء بعد رحيله
حزنا سوى جعلته من أسبابهِ
أجرى عذوبته لها نَهَرا
ولم يبخل على أحلامها بسحابِهِ
فكأنها المرآةُ
تعكس جنَّةً في الغيبِ
لم تعبر سوى من بابِهِ
وأباح للتاريخ سر خلودِهِ وخلودِها
ليكون من كُتّابِهِ
في صدره أحزان بدوٍّ رحّلٍ
والحزن مجبولٌ على أصحابِهِ
لم يغره لحن المدينة
إنّما أشجى ربابته وهيّج مابهِ
فَرَثَى صعاليك الجزيرة كلّهم
هم وحدهم سَيَعُونَ حجم مُصابِهِ
ومضى لخيمته يشد حبالها
ويقيم دلّته على مشهابِهِ

والعابرون تبخرّوا من طيبه

وتقاسموا ما فاض من أنخابِهِ

وأنا أتيتُ إليه تجمع بيننا نَسَبا

ملامح حزننا المتشابِهِ

سليمان الفليح.. البدوي.. والأديب الجوهري

بقلم : عبده الأسمري [190]

ابن الصحراء.. وخبير الشعراء.. أصيل البادية.. وسليل البداوة.. ومحارب البدائية.. القادم من «أقاصي» اليتم إلى «مراسي» «الهمم»... الراحل من «ثغور» الدوافع إلى «أجور» المنافع.. المكافح في ميادين «الحروب» المنافح في «موازين» النقد.

استل «قلم» الكتابة من غمد «البيئة» وانتشل «حلم» «المهابة» من قند «اللغة».. فكان «كبيراً في» القوم.. و«عشيراً» في الجمع.. و«سفير» الصعاليك الذي عاش كوجدان ادمي يوزع بشائر «العطايا الثقافية» ببذخ مرتدياً جلباباً فضفاضاً من «اليقين» مطرز بالأثر موشح بالمآثر.

أنه الكاتب والناقد والشاعر سليمان الفليح -رحمه الله- أحد أبرز الشعراء والباحثين والكتاب والأدباء في السعودية والخليج.بوجه شمالي بدوي «الملامح» عفوي «المطامح» وتقاسيم تتوارد منها علامات «الشهامة» وتتعالى فيها معالم «الصرامة» وعينان واسعتان تمتلئان دهاء وذكاء وسحنة حنطية تتكامل على هندام يغلب عليه «التشكيل الخليجي» و«التفصيل

---

[190] - صحيفة الجزيرة: الأثنين 01 يونيو 2020

الوطني» وأناقة تعتمر الألوان على محيا «مدني» في شـــخصــية جاذبة وقوام «عســـكري» في بزة مهيبة ولهجة عميقة الارتباط بالقبيلة ولغة أنيقة الترابط بالفضـيلة ومفردات متأنقة تنطق بالشـعر وتسـتنطق بالأدب وتلوذ بالنشـأة وتتشبث بالتنشئة مع صوت جهوري خليط من الجمل «المفيدة» و«المعاني السـديدة» والتي تكاملت في بناء «الشعر» وتماثلت في تصنيف «البحوث» واكتملت في سـلطنة «الدواوين» قضـى الفليح من عمره عقوداً وهو يكتب للأجيال «هذرولوجيا» الانفراد ويورث للأماكن «جيولوجيا» الترحال ساكباً «الحبر» تأليفاً وسـابكا «العبر» توصـيفاً.. تاركاً للاهثين وراء «الإجابات» أسئلة «الطفولة» والماضين خلف «المفازات» مغانم «البطولة» واضعاً سيرته «نضالاً» للاعتبار و»مثالاً « للاقتدار التي كان فيها «قامة وقيمة» تستدعي البحث وتستوجب التحليل.

في صحراء «الحماد» شمال السعودية ولد وتجرع «اليتم» باكراً في الرابعة من عمره بعد وفاة والده متأثراً بالمرض فنشـأ وسـط «أوضـاع» إجبارية اعتمرت وجدانه وتجلت في ذاكرته «الغضـــة « مناظر «الموت» وهو يتربص بالبدو تحت هيمنة «السل « و»فقر الدم» وترك له والده «مناهج» علنية من النبل والفضل تناقلتها «المجالس» وارتكن إلى حجر أمه التي غرست فيه «وميض» الصـبر و»فيض» العبر ومضـى وحيداً ينازع «وحدة» أوضـاعه وينتزع «غل» الظروف فـاختـار» مكـاناً « قصـــيـاً معلنـا «التـآمر» على الأحزان مبـدداً

«غيوم» الفقد بالرعي مشـــتتا «غموم» الوجد بالوعي فتنقل بين «الفيافي والقفار» يلاحق قطعان الأغنام والإبل متأبطاً «زوادة» أكله وشـــربه ليكمل طفولته في «كنف» خال عظيم علمه «معالم» التوكل «ســـراً و»مكارم» التحول جهراً فغير «نمطية» الألم.. إلى «وسـطية» الأمل بين قطبي «الدافع» والواقع.

ركض الفليح بين مضـارب «العشـيرة مولياً قبلته إلى «مآرب» السـريرة التي بسطت صفاءها لتنهل من «مشارب» العمر..

وزع الفليح قلبه بين «أحباب» و«أقارب « كان يمثل لهم «الفجر الجديد» فتنقل بين بلدين كان الأول الســـعودية «حضـــن » الفرح والثاني الكويت «محضـــن» الســـرور فعمل في الكويت في الجيش في الفترة من 1970-1997م وعمل خلالها في الصـــحافة بالســـياســـة الكويتية كاتباً ومراســـلاً صـحفياً وحربياً في عدة حروب واشـتهر بزاويته الشـهيرة «هذرولوجيا « التي كتبها أيضـــاً في صـــحيفتي الجزيرة والرياض وألف عدة دواوين شـــعرية وعدة إصـدارات تمثلت في مجموعات شـعرية نبطية وفصـحى ودراسـات ومجموعة مقالات ومحاضرات وحلقات وامتهن الكتابة الصحفية وأجريت معه عشرات الحوارات والمقابلات وشارك في عدة محافل وأمسيات..

وقد تناول عدد من الأدباء والنقاد والأكاديميين والمستشرقين سيرته وإنتاجه وقدمت عن شعره رسائل في الدراسات العليا بالوطن العربي وترجمت أعماله إلى الإنجليزية والروسية والفرنسية وغيرها وتم تكريمه في عدة دول.

توفي الفليح -رحمة الله تعالى- الأربعاء 21 أغسطس 2013 في الأردن بعد أزمة صحية مفاجئة ونعته الأقلام وشيعته المنصات وبكته الأماكن ورثاه المئات من رفقاء الدرب وأصدقاء الحرف وأوفياء المشهد..

رحل الفليح.. وارتحل إلى دار «المقر» واستقر في واحة «الذكر» وبقي في مساحة «الفكر» ككوكبة «إنسان» وتشكيلة «فنان « بنى صروح«الأدب» بعبقرية «مذهلة» جعلته طائراً ماهراً قاد «أسراب» الثقافة بمهارة «منفردة» محلقاً على «ارتفاعات» ترك ملامستها «لغزاً» محيراً استأثر بتفاصيله الخاصة.

سليمان الفليح منظومة بشرية من «النضال «في شئون «الفوائد» ومعادلة إنسانية من «الجمال» في متون المقاصد

حفيد الصعاليك..

كتب: دخيل الخليفة [191]

خطوة في الصـــليبية، خطوة في الرياض.. هكذا عليك أن تتنقل بذاكرتك كعصــفور متمرد على الواقع وأنت تختصــر بدوياً مغامراً كســليمان الفليّح. في ساحة الشعر ليس سهلاً أن ترسم ملامح التمرد بفنجان قهوة، بيدَ أن شـــاعراً كالفليّح يرى أجنحة القوافي من وراء الجدران المعتمة، وهكذا كان التحوّل الخطير الذي أحدث انقلاباً في مفهوم الكتابة والتلقي حتى مع بحة الربابة.

سليمان الفليّح (1951 - 21 أغسطس 2013) الذي كانت صرخته الأولى في بادية السعودية عاش طفولة بائسة، وضعته أمه تحت شجيرة في الصحراء، ولفّته بطرف عباءتها، ثم سارت تقتفي ركب القبيلة الضاعنة نحو حدود الغيم بحثاً عن الكلأ والماء. ارتسمت قوافيه الأولى يافعاً في الصحراء، وبين ثغاء الغنم ورغاء الإبل وعواء الذئاب ونباح الكلاب أيضاً! نبتت لعينيه الملونتين ذاكرة من شيح. وحينما حالت لقمة العيش دون صعود سلالم الأبجدية ارتدى الزي العسكري، من دون أن ينسى سحر لغته الأم، فبدأ

[191] - عكاظ 05 فبراير 2021

يتنفس مهنة المتاعب منذ السبعينيات في صحيفة «السياسة» الكويتية ثم تابع في صحف أخرى.

مبكراً تحسس قلبه النابض جهة اليسار، فكان «الغناء في صحراء الألم 1979» راسماً بعده بجرحين «أحزان البدو الرُّحَّل 1981» وسط عواء «ذئاب الليالي 1993» مترصداً جروح «الرعاة على مشارف الفجر 1996» وغيرها من الجروح النازفة باغتراب البدوي الباحث عن وجهه في زحمة الصحاري.

كان المستشرق الألباني «موفاكو» يقرأ خفايا المنطقة حينما لمح هذا البدوي ذو الشوارب المبرومة باتجاه الفم، وحينما تعرّف عليه صاح: «يا لذلك البدوي الذي يجول شوارع الكويت حاملاً دواوينه الصغيرة ودواوين بول إيلوار ورامبو وبوشكين، إنني لم أكن أتخيل وجود مثله في الخليج».. ولم يكن المستشرق الروسي «شاغال» بعيداً عن صاحبه حينما تساءل: «لماذا لم يقل لي المنقبون عن الكنوز في جوف الأرض عن الكنوز التي تحيا فوقها مثل هذا الشاعر الرهيب؟»‏.

مات أبوه بسبب فقر الدم وداء السل الغادر. ثم تزوجت أمه من رجل آخر، وتعهد بتربيته خاله. وحينما كان أزيز الرصاص ودوي المدافع يجعل الأرض تقف على قدم واحدة عمل الفليّح صحفياً ومراسلاً حربياً لفترات

وجيزة على الجبهتين المصرية والسورية خلال حرب الاستنزاف العربية ضد إسرائيل 1971 - 1973.. وحينما دارت الدائرة وغدر الجار بجاره الآمن كان الفليّح ضمن القوات الكويتية التي تصدّت للغازي على الحدود مع العراق، وبعدها بأعوام قليلة ودّع جدران بيته البائس في منطقة الصليبية (ق2) بعد انتهاء خدمته العسكرية في الكويت.. كانت هناك وخزة في القلب ودمعة انجرفت وسط ضجيج ذاكرة ملأى بصياح الجنود وأزيز الرصاص.

هذا البيت اتسع لسادة القوافي من صعاليك ساحة الشعر الشعبي، سمع الجيران قهقهاتهم، تردد صدى قصائدهم، تمددت ذاكرتهم وهم يستنشقون نصائح الصعلوك البدوي الكبير، فأحدثوا تحوّلاً كبيراً نسف كل ما قبله من تجارب كانت مجرد تكرار عادة، في ديوانية صغيرة، وقلب كبير تبلورت أصوات فهد عافت، فهد دوحان، مسفر الدوسري، سليمان المانع، عارف سرور، ناصر السبيعي، ملوح العنزي، علي عبد الله وآخرين.. فحدث انقلاب في مفهوم الشعر الشعبي منتصف الثمانينيات يقوده الأب المعلم سليمان الفليّح.

هذا السبيعي العنزي ذو العقال المائل، لم يتلثم حينما سمع عن أصوات جديدة في ساحة الفصحى بدأت تتلمس خطواتها الأولى في ساحة تقليدية، كان شعر الفصحى في الكويت لم يتجاوز عقال فهد العسكر، ولا قامة

السـّيّاب، كان التسـعينيون يبحثون عن موطئ قدم، عن شـيء مختلف، فتلقف الفليح بنباهته بعضهم ومنحهم العكاز الذي يجعل الأعمى مبصراً في طريق وعر، وخلال أعوام بسيطة كانوا سادة الشعر في الكويت، ثم انتشروا خليجياً وعربياً.

في قصائد حفيد الصعاليك سليمان الفليّح كانت الصحراء بكل ما فيها قاموساً يستل منه الألم والرحابة معاً، الوطن والمنفى، الغزلان والوحوش الضارية التي تحرمك من الأمان، كان الإنسان وانفعالاته وتفاعله مع الآخر هو سيد الموقف في كل هذا.. و.. مازال صوت «بو سامي» يتردد.. يتردد.. يتردد خطوة في الصليبية.. خطوة في الرياض.. ورحيل مفاجئ في الأردن يوم 21 أغسطس 2013

ما زال يكتب الشعر بعد رحيله!

كتب:مسفر الدوسري [192]

لم يرحل الشاعر سليمان الفليح من هذه الدنيا، إلا وقد حرص على أن يعبئ ذاكرة كل أصدقائه بكل ما يجعل هذا الصعلوك عصيّاً على النسيان. عبّأ سليمان الفليح مساحات ذاكرتنا – نحن أصدقاؤه - بكل ما يجعل هذه المساحات تمتلئ فجأةً بالخزامى والنفل وأسراب القطا لمجرد تناقل الرعاة بشرى خبر بأن قطرة مطر على وشك أن تولد من رحم مزنة! ملأنا أبو سامي ليس فقط بالشعر، ولكن أيضا بالحكايات التي لا ينضب سراجها من الزيت أبداً، ومن المواقف وأفعال الصعلكة الكثير، وكلما استرجعت كل ذلك أكاد أجزم أنه فعل ذلك عن سبق إصرار وتعمّد ليقول لنا: لقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا الدرب إليّ، ولن تظمأ مطاياكم! من أكثر اللحظات خضرة في ذاكرتي مع سليمان تلك اللحظات التي شهدت ولادة بعض القصائد، ولأننا تسكعنا معاً كثيرا، وأحيانا تشاركنا أياماً بطولها معاً، فإن تلك اللحظات التي تخضبت بحناء شعره بيننا كثيرة، ويحدث أحياناً أن ينسى مسودة قصيدة ما عندي وأعثر عليها بعد مغادرته، وكثيراً ما كنت

---

(192) - جريدة الجريدة 09-01-2014

أشاغبه وأماطله في إعادة تلك المسودة، وغالباً ما يكون سقفي الأعلى في المساومة وجبة دسمة تجمع بعض الأصدقاء الآخرين، وغالباً أيضا ما ينتهي هذا الشغب بيننا بسلام وحصول كل منا على مبتغاه، باستثناء حادثتين رفضت فيهما رفضاً قاطعاً أن أعيد له مسودتين لقصيدتين بقيتا إلى أن رحل بحوزتي. وكان رحمه الله كلما ذكّرته بهما جدد محاولاته باستعادتهما بكل الوسائل التي لم تخل من الترغيب أو الترهيب، وتنتهي كل محاولاته بالفشل، وعند سؤاله لي عن سبب رفضي أقول له: أريد أن أبتزك بهما ميتاً، كما ابتززتك بالمسودات السابقة حيا!! فيرد: ولكني أعرفك نذلاً، فقد «تنفق» قبل أن أرحل أنا، فمن أين أحصل على هذه المسودات؟! «ستجدها عند الورثة» أجيبه، فيستشيط غضباً ويقول: «من شدة نذالتك، أنا على يقين أنك لن تنجب سوى أنذال على شاكلتك»، أضحك كثيراً فأقول له: «طالما الحال كذلك، اطمئن إذن لن أرحل عن هذه الدنيا قبلك، هذا وعد». وينتهي الجدل بيننا عادة عند ذلك «الاتفاق»! في اليومين الماضيين هاتفني بسام ابن سليمان الفليح وأخبرني أنهم عاكفون على جمع القصائد التي بحوزة اصدقائه ولم تنشر من قبل بنيّة إصدارها في كتاب، فأخبرته أن لدي مسودتين لنصين لم ينشرا من قبل، الأولى كتبت عام 86م والأخرى عام 89م، وزودته فعلاً بنصي المسودتين. أنشر هنا نص إحدى المسودتين

بعنوان «توهجات»، وأنقل الإهداء كما كتبه الراحل رحمة الله عليه، إلى مسك القصائد العذبة مسفر الدوسري:

" توهَّج وأضئ ومدّ حبائل نورك للعتمة الزائلة

فهذا التجافي القميء مع الفجر

إن طال فيه القنوط، يخبئ قبل التوهج صفرته الحائلة

يتهيّأ مثل انقضاض الصواعق من شرفات العصور، لثورته الهائلة

فلا تنشغل كعمود الدخان بما يدفع الريح نحو الأزيز

وبرجاً من الأبنوس الحديدي كن،

فالمسافة أطول مما تظن

وقد تتعب القافلة

فانتظر يا صديق الأزقّة والوجبة الواحدة، أن نسدّد للبؤس جملتنا القاتلة، فهوناً..

سيأتي زمان به تنهك البيد كل البغال،

وترقص تطوي القفار، مزهوّة بغرّتها الذهبية مهرتنا الصاهلة!"

طائر أعزل في حقول الغناء

بقلم: ساره الجهني [193]

في الصحراء نافذة للحياة الحقيقية، مساحة تتسع لجميع الأشياء، وبيئة جاهزة لتكوين كائن بشري يتذوق طعم النجاة فيدرك قيمة الحياة.. هناك حيث تختزل الأشياء روح المرء بطريقة طردية وسريعة، فتزده الوحدة علوقية، ويزده الارتحال تشبثا، والجوع غنى، والخوف شجاعة، والجد ظرافة، والألم بلاغة وفصاحة، والجدب عطاء وامتداد وانسيابا.. ولم تعرف الصحراء كائنا تذوقها كما فعل الشاعر سليمان الفليح، هو ابنها الذي غاص في لج أعماقها حتى عجنت ملامحه بألوانها الترابية، فامتثلت به وأصبحت مرآة لحياة المشقة التي عاشها.

"نعاني التشرد والفقر لا بأس

ف الدهر إن كان صلباً

فليس علاجُ الصلابة إلا الصلابة

وسيفٌ يطيلُ الإقامة في الغمد

---

(193) - مجلة اليمامة 2020/10/08

لا شك يؤتى الصدأ في جرابه
وموتُ الحياة حياةُ الجبان
وجبنُ الحياة ممات الشجاع
فأي ممات نشابه؟"

ولد سـليمان بن فليح بن لافي العميري السـبيعي العنزي عام 1951م، في إقليم الحماد شمال المملكة العربية السـعودية. عاش يتيما بعد أن توفي والده وهو في الرابعة من عمره، وهذا ما حتم عليه العيش دون جنسية.

قضـى طفولته بين الفقر والتنقل في عرض الصـحراء، ورعي الماشـية حتى انتقل مع شـقيقته الوحيدة "منيفة" للعيش في كنف خاله "سـكران" الذي كان يشـغل مركزا إشـرافيا عسـكريا مهما على الحدود الجنوبية للمملكة الأردنية.

صقل سليمان بالصفات التي كان يتحلى بها خاله من عطف وحنان ومحبة وقضـاء لحوائج الناس، كما كان لمجلسـه تأثيرا على ثقافته المتشـبعة بالشـعر والسـير والقصـص باعتبـاره ملتقى للوجهـاء وشـيوخ القبـائل. درس سـليمان الفليح في مدرسـة داخلية لأبناء وأقارب الضـباط بتوصـية من خاله، واجتاز الابتدائية والمتوسـطة إلا أن أجواء الانضـباط التي تتمتع بها المدارس الداخلية لم تلائم شـخصـية الطفل سـليمان، إلى جانب الفقر الذي

ساهم بشكل كبير في عدم استمراره في الدراسة؛ فقد تسبب الجوع في إصابته بالعمى مرتين خلال الخمسينيات الميلادية.

"عاد الجفاف

ويصيح صوت :

يا ويلنا جاء الخراب

يا بر يا وطن الجياع

يا ألف آه

اني أموت !!

الإبل في صحرائنا

تثوي وتجتر التراب

والسلّ يمتص النخاع

والموا يقتحم البيوت

الذئب جاع

والطير من سغب يحوم"

انتقاله إلى الكويت ودخوله لعالم الصحافة:

انتقل إلى الكويت للالتحاق بصفوف الجيش الكويتي الذي كان يعتمد على تجنيد أبناء القبائل وفق نظام عرف حينها بـ "المساطر"، وأصبح عسكريا في عام 1970م، ثم انتقل إلى شعبة التوجيه المعنوي بالجيش الكويتي المسئولة إجمالا عن التواصل الإعلامي في المؤسسة العسكرية.

دخل عالم الصحافة عندما تقدم لتطوير أداءه كمنسوب لشعبة التوجيه في جريدة السياسة الكويتية والتي أتاحت له منفذا واسعا للقراءة والمعرفة، إلى جانب المصادر المتنوعة التي شكلت له ثقافة مميزة. ترأس بعد ذلك جهاز التوجيه المعنوي كضابط، وشارك في خدمة إدارة الجنرال غلوب في الجيش الأردني، وبعد عودته إلى الكويت تم تكليفه للذهاب إلى جبهة قناة السويس على الجبهة المصرية لحرب 1973م، كمراسل حربي لشعبة التوجيه المعنوي في الجيش الكويتي ضمن القوات الكويتية التي شاركت بالحرب، فقام الفليح بالكتابة ونقل القصص حتى انتهت الحرب، وتمكن بالصدفة من نشر أول مقالا له بجريدة السياسة باسمه المستعار " مخراز" في زاوية" مخاريز".

اتسمت مقالاته بالسخرية والتهكمية وتضمنت الشعر الشعبي النقدي، وسرعان ما لاقى أسلوبه قبولا لدى المتلقي جعله يفصح عن اسمه الحقيقي من خلال زاوية " هذرلوجيا " التي بقيت مرافقة له حتى آخر عمره.

ومن أبرز مقالاته في هذه الزاوية مقال "تعالوا نهزم إسرائيل" الذي نشر في تاريخ 5-6-2008 ومنذ أن قامت إسرائيل وهي في ميزان الانتخابات الأمريكية لها (القدح المعلّى) واليد الطولى والقرار الأخير.

***

*حاولنا أن نلقيها في البحر فألقتنا إلى الصحراء.

*حاولنا أن نحتلها من النهر للبحر فاحتلتنا من النهر للبحر.

*حاولنا أن نعتبرها (كياناً) فأصبحنا – بفعلها – كيانات.

*حاولنا أن نقاسمها الأرض فقسمتنا بالطول والعرض.

*حاربناها ففشلنا

*حاورناها ففشلنا

فعجزت كل جيوشنا الباسلة ودبلوماسيتنا الفاشلة فلم نزحزحها قيد أنملة واليوم هل أدلكم أنا المواطن العربي البسيط، الصغير، الضئيل على طريقة تهزمون بها إسرائيل ومن وراء إسرائيل؟

حسناً اسمعوا وعوا: بما أننا أمة مرعوبة من السحر مرهوبة من (النضل) ويزدهر في بلادنا العربية السحرة والمشعوذون والدجالون والنضالون (لا المناضلون) والذين نصدق (قدراتهم) الخارقة وأفاعيلهم العجيبة وتأثيراتهم الغريبة فلم لا نُشكّل منهم (فيلقاً) ونصوّب كل أعينهم نحو إسرائيل ونقول

لهم هيا اسـحروا و(انضـلوا) إسـرائيل ووزيرة خارجيتها الشـقراء الجديرة (بالنضـل) واريحوا الأمة من عدوها العتيد ولكم ما تشـاؤون من المال الذي يـغـنـيـكـم عـن (خـزعـبـلاتـكـم) عـلـى الـبسـطـاء!!"

كما كتب عن موت الأحزاب العربية في مقال له نشر في تاريخ 15-12-2011:يجب أن يعترف كل مثقف بفشل جميع الأحزاب في الوطن العربي، سـواء أكانوا قوميين أو ليبراليين أو سـلفيين أو متأسـلمين ينتهزون الدين لتحقيق أغراضهم السياسية، وكذلك الأمر ينطبق على الطائفيين سواء أكانوا سنة أو شيعة أو أي تصنيف فئوي سياسي ضيق. والدليل على كل ما أسلفت هو موت الشيوعية بعد فشلها الذريع في تحقيق إنجازاتها المأمولة. وفوق ذلك هنالك من المثقفين العرب من يتشـبثون بها بأيديهم وأرجلهم وبقوا على ما هم عليه على اعتبار أن الثبات المبدئي يعني النقاء السياسي، بينما عربة العصر مرت بسرعة هائلة ولم يلتفت لهم أحد.

يبقى القول أخيراً أن هذه الأحزاب (كلها) لم تفعل شيئاً في الربيع العربي إذا ما اعتبرناه اختباراً أو محكاً للمثقف العربي من المشرق إلى المغرب، وذلك لأن الذين قاموا بثوراته هم من الشباب (اللامؤدلجين) الذين يبحثون عما يعيش فيه نظراؤهم في العالم من توفير الوظيفة والسكن المريح والكرامة التامة واحترام الإنسان كإنسان، لا كما كان يفعل بالإنسان الديكتاتوريون العرب. وجاء

(بعض) ثورات الربيع العربي أكثر عنفاً وهمجية وأبشع من وجه النظام المخلوع، كما أن هنالك -ويا للأسف الشديد- أنه حينما قام أولئك الشباب (اللامؤدلجين) بثوراتهم الربيعية فجأة (نطّت) الأحزاب المتأسلمة على كراسي البرلمان وقيادة بلدانهم. لذا فإنه لم يبق للمثقف العربي إلا أن يفكر بحرية من أجل وطنه فقط ويدفع عنه غول الخراب والدمار بمؤازرة مثقفين يشاطرونه هذه النظرة البعيدة! بعيداً عن سيطرة الأحزاب على عقله.

الفليح شاعرًا:

تمكن الفليح من الوصول إلى المتلقي من خلال حضوره اللافت في الصحافة حتى طل على الشعر وتوطدت علاقته به في رحلته العسكرية بمصر للمشاركة بالحرب.فتحت مصر عينه على الشعر الفصيح، وانهمر في كتابته دون نشر حتى السبعينيات الميلادية حيث نشر له نص "التوجسات في الزمن الفاسد "والذي جاء به:

"وحلمت الليلة يا أمي برياحٍ تجتاح المرعى

تقمع خيلي

تطرد إبلي

تجلدني علناً بالأفعى

تربطني خلف مضارب قومي

تسقيني إذ أعطش دمي

توسعني يا أمي قمعاً

ورأيت الليلة يا أمي خيلاً برؤسٍ مقطوعة

تغزو قومي

ورأيت امرأة فوق البيرق مرفوعة

تهتف باسمي

عارية يغسلها الدم

ورأيت غيوماً راكضة فوق مضاربنا قانية اللون

ترش رجال قبيلتنا بمياه النار وروح السم

ورأيتك يا أمي مفجوعة

تذرين الرملا

بين القتلى وتلمين فتات اللحم "

ثم صدر له الديوان الأول " الغناء في صحراء الألم – 1979" والذي يعد صورة صادقة لطفولته كما يقول، ثم ديوان " أحزان البدو الرحل -1981"،

و ديوان " ذئاب الليالي -1993م، وديوان " الرعاة على مشـــارف الفجر" و" رسوم متحركة وأخيرا "و اخيرا "البرق فوق البردويل– 2010" بدعوة من نادي الجوف الأدبي.

وترجمت أعماله إلى عدة لغات كالإنجليزية والروسية والصربواكية والفرنسية. وكتب عن تجربته الكثير منهم الشاعر الصيني لي غوانغ بين بكين –الصين، والمستشرق الألباني مو فاكو، والأديب الكويتي خالد سعود الزيد، الأديب البحريني قاسم حداد، الأديب المصري محمود السعدني، الأديب السعودي جارالله الحميد، والناقد محمد الشنطي، والشاعر راشد بن جعيثن، والشاعر مسفر الدوسري والشاعر فهد عافت.

ولم يجد شيء من هذا الانهمار سوى قلمه الصحفي الصريح والذي تسبب بإيقافه قســـرا عن الكتابة رغم محاولاته في التحايل على ذلك الإيقاف من خلال النشر بالاسم المستعار " الصادق الصحراوي " ليتوقف بعدها عن الكتابة الصحفية تماما في مطلع الثمانينيات.

وهذا ما جعله يعود للعمل في الجيش الكويتي في قطاع "قيادة قوة ســـلاح الحدود" الذي يســـتقطب العارفين للقبائل والمدركين بتقســـيماتها ولهجاتها وتراثها وتاريخها.

أقترح حينها تخصـــيص صـــفحتان في مجلة " حماة الوطن " التي تعد من أهم الصـــحف تاريخيا وهي خاصـــة بالجيش الكويتي لنقل حكايات وقصـــص وأسلوب المهربين. والتزم بكتابتها وتحريرها منذ منتصف الثمانينيات الميلادية وحتى الغزو العراقي لدولة الكويت.

مع دخول القوات العراقية للكويت:

انتقـل الفليح إلى المملكـة العربيـة الســـعوديـة مع دخول القوات العراقيـة للكويت، وكان وقع الغزو العراقي صـــادما في نفســـه خاصـــة كونه يؤمن بالقومية كفكرة نبيلة لا منهج ســـياســـي.وفرغ هذه الصـــدمة في ‘‘جريدة الرياض’’ بـدعوة من قبـل الراحـل فهـد العريفي.كمـا جعـل من بيتـه ملتقى لأغلب المثقفين والصـحفيين خلال فترة الغزو. وركز على نقل معاناة المواطن الكويتي حتى تحول إلى رمز شعبي كويتي من خلال سلسلة كتاباته الإبداعية في تلك الفترة.من قصيدة ‘‘أغنية قصيرة لطفلة كويتية في المنفى:

"لا تحزني يا طفلتي إن أقبل الخريف

وبيتك الطيني فوق رمال السيف

يجتاحه الغزاة

بـ (ربلة) الحذاء

وكاسح الألغام

و(الشيول) الخفيف

لا تحزني، إن ذبحوا النوارس البيضاء

وأفزعوا (قباقب) المياه

وجن (بو الخصيف)

لا تحزني، لا تحزني

إن قصفوا بالمدفع الرشاش

أرنبة الصغير واللعبة الزرقاء وقطك الأليف

لا تحزني، لا تحزني يا وردة الحروف

سيأتي الشتاء، ويغسل الكويت

من درن الغزاة

ويزهر الرصيف بالعشب و (النوير)

ويرحل المحتل

في فجر مثل الطيف"

الفليح في كنف أمير الرياض:

من قصيدة ‘‘طائر: ’’

أنا طائر أعزل في حقول البكاء

شاجرتني صباحاً بلادي

لأني أغني لها في المساء
فهل أيها العارفون بكل الأمرر
رأيتم بلاداً تشاجر أطيارها
في سبيل الغناء ؟!

ومع تحرير الكويت عاد الفليح للإقامة بها وانتظم بالكتابة اليومية في "صحيفة الوطن" الكويتية وبالكتابة الأسبوعية "بجريدة الرياض"، حتى تقاعد وتفرغ للكتابة الإبداعية أكثر عام 1998م. وسرعان ما قرر العودة إلى الرياض الذي أحبها حبا هائلا، حاطا ركابه في كنف أمير الرياض آنذاك صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز آل سعود .

ووجد منه ما يساعده على الاستقرار في مدينة الرياض، وبدأ الكتابة اليومية معبرا عن هموم وقضايا الناس، متلمسا احتياجاتهم بأسلوبه المميز والساخر، وساهم حضوره اللافت بتفاعل الناس معه وإحاطته بالمحبة والتقدير من مختلف الشرائح والأعمار .

ثم انتقل إلى الكتابة "بجريدة الجزيرة" في عام 2004م حتى و2013م، ولم يتوقف نشاطه الإبداعي على الصحافة والشعر بل كانت له مساهمات في التلفزيون، فقد أعد برنامجا تلفزيونيا في تلفزيون الواحة 2003م، وشارك في تحكيم عدد من المسابقات التلفزيونية الشعرية. كما كان له تجربة فريدة في

كتابة الأغنية حيث كتب كلمات أغنية " أصرخ في أبواب العالم " والتي تعد مقدمة سينمائية لفيلم "بكاء النوارس" من تلحين يوسف المهنا وغناء عبد الكريم عبد القادر.

عن فليح الإنسان:

عرف الفليح عند المقربين منه بصعلكته، يتحدث باسم الصعاليك ويكتب عن الصعلكة حتى التصق بها في أذهانهم، يقول عن أحاديث الصعلكة في قصيدة " أغنية الولد البدوي":

"أيها الولدُ البدوي

إئتنا بالربابة

وغن لنا ياطويل البقا ما ينحي الكآبة :

(راكبٍ فوق حرِّ يذعره ظلهـ

مثل طيرٍ كفخ من كف قضّابه)

وتأن قليلاً بلحنك

إن السماء ملبدة بالعقارب

والليل يُرخي حجابه

ونحن سنسهر حتى الصباح
نعيد حديث الصعاليكِّ"

ولا يخلو حديث الفليح من الفكاهة، والخفة والوعي والثقافة. كما كان صديقا للمسئولين وأعيان البلاد، فاعلا في المجتمع ومشاركا في النشاطات ذات الطابع الوطني .وتمكن من التمثل بكل ما كان من تكوينه في يوم ما، الصحراء التي حمل صورة لها في قصائده وحتى العاطفي منها، وخاله الذي حمل أطباعه في شخصيته، والفقر الذي زاده غنى وعزه .ولأن للموت سبلا عديدة الفقر ليس أحدها، عاش سليمان حيا بمعاناته التي أيقظت ضميره وشعوره حيال الجميع، وتوفي أثر التهاب رئوي في يوم 21أغسطس من عام 2013م، تاركا خلفه قبيلة من الأبناء الذين توارثوا الشعر والإعلام من والدهم.

رحيل شاعر (أحزان البدو الرحل)

بقلم مؤيد الشيباني [194]

في الكويت، منذ نهايات السبعينيات وحتى النصف الثاني من الثمانينيات (1979 - 1986)، كانت الساحة الثقافية والصحفية عامرة بالحركة، حيث شهدت تلك الفترة ولادة أصوات شعرية جديدة وأخرى معروفة تطورت، وثالثة جرفتها الصحافة اليومية بحكم انتشار المهنة على نحو سبع صحف يومية كبيرة. وكان من بين تلك الأصوات النابضة بالتمرد والتجديد الشاعر سليمان الفليح، الذي كان، لفرط تميزه، يكتب زاوية ضد التيار بعنوان "هذرلوجيا".

في تلك الفترة صدر له ديوان (الغناء في صحراء الألم) وتحديدا سنة 1979، ثم بعد سنة وتعبيرا عن احتراقاته اليومية صدر له ديوان أحزان البدو الرحل في عام 1980 ...

بعد تلك السنوات انقطعت الأخبار، وأخذتنا سبل الحياة إلى مسارات بعيدة في المكان والروح والهموم، لكن اللغة بقيت متقاربة وكأنها تعيش تحت خيمة واحدة ولو مثل نجوم متناثرة في سماء الرحيل.. وقبل أيام رحل سليمان

(194) – مؤيد الشيباني شاعر وإعلامي عراقي / صفحة في الفيس بوك | 30 نوفمبر 2013

الفليح.. حزنت كثيرا وذهبت فورا إلى ملفات الصـــور المنســية وفوجئت بالكثير من اللحظات الموثقة معه.. هذه اللحظات عمرها اليوم يقترب من الأربعين سنة!!

مِنْهُمْ مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّن يَنتَظِرُ

بقلم: الشاعر سميح محسن [195]

إلى الصديق العتيق الشاعر سليمان الفليح..أيها البدوي الرائع.. قبل أيام كان ابني عبد الرحمن ابن الثلاثة عشر عاماً، يعبث بعشرات الصور القديمة التي لا يربطه بها رابط إلا فضول الإطلال على ماضي ذكرياتي المصورة على ورق مصقول حفظها من عاتيات المناخ المتقلب.

لا أدري كنه ما لفت انتباهه إلى صورة دون غيرها، هل غرابة الشكل الخارجي لها كونها صورة أخذت بكاميرا فورية، أم لأن الأشخاص الذين استطاع معرفة والده في أيام شبابه من بينهم لا يعرفهم. تلك الصورة جمعت أربعة شعراء وهم: محمد الأسعد، سليمان الفليح، فتحي ذيب سليمان، وسميح محسن كتب على الصورة بخط الشاعر فتحي ذيب أنها أخذت في مقهى الصالحية في الكويت بتاريخ 16/10/1980، ودون عليها أسماءنا.

وقبل أيام قليلة أيضاً كنت (أعبث) في تقليب صفحات (غوغل) على الإنترنت، فقفز أمامي مقال بقلم الشاعر سليمان الفليح نشر في زاويته

(195) - 29, 2010 ديسمبر فلسطين – عزة

هذرلوجيا على صفحات جريدة (الجزيرة) السعودية بتاريخ 22/7/2010، بعنوان(زملاء الزمن الأخضر) وكتبه بعد رحلة له إلى عمان الصيف الماضي.

يتساءل الفليح فيه عن مصائرنا، فأدركت أنه انقطع منذ عقدين عنا، كما انقطعنا نحن عنه، وعنا، وبخاصة أن عدداً ممن سأل عنهم يعيشون في عمان، وعدد آخر في رام الله، وهناك من أسأل عنهم كما سأل صديقنا العتيق سليمان الفليح، ولا أعرف شيئاً عن مصائرهم.

لقد استذكر الفليح في مقالاته، وهو يقتفي خُطى الشاعر مصطفى وهبي التل (عرار)؛ الذي وصفه بأنه أعظم شاعر صعلوك أنجبته الأمة العربية بعد الشعراء الصعاليك الجاهليين العظام"؛ استذكر الأصدقاء والزملاء الذين عاشوا بعصر غير عصره أي عصر (عرار).

ويقول الفليح: "وحينما يتعبني التسكع خلف ذلك المتسكع الكبير لابد أن أتذكر الأصدقاء والزملاء الذين عاشوا بعصر غير عصره فأتفقد الوجوه التي أعرفها وجهاً وجهاً حينما جمعتنا الحياة في الكويت لأكثر من ربع قرن من الزمان، وسأشرع بالسؤال أولاً عن مصطفى أبو لبده، نبيل الغزاوي، فتحي ذيب، سميح محسن محمود الريماوي، مروان حزين وأخيه نوح سهير التل مازن شديد، إبراهيم زعرور (الشاعر الذي كان يقيم في جزيرة فيلكا ويزرع النعناع في أسباخ البحر)، سهير التل، نواف أبو الهيجاء وغيرهم

وغيرهم ممن لا أتذكرهم الآن، وهؤلاء الأصـــدقاء الزملاء الذين زاملتهم في الزمن الأخضر، أي في ميعة الصبا وفي الكويت تحديداً.

أقول إن بعضهم لربما) قضى نحبه وبعضهم ينتظر وما بدلوا تبديلاً .. ولكني أقول إن الحي أبقى من الميت وأطال الله أعمارهم، والوداع الوداع."

وأنا يا صديقي الوفي لدي جزء من الإجابة عمن سألت، فبالنسبة للصديق فتحي ذيب فقد قضـى قبل عشـر سـنوات في مدينة الزرقاء وهو في ريعان شـبابه بمرض السـرطان، وكذلك الصـديق نوح حزين، فقد قضـى في مدينة عمان في شـهر آب (أغسـطس) 2009 بالمرض نفسـه. وأما بالنسـبة لمن أعرف أنهم ما يزالون على قيد الحياة، فالأصـــدقاء محمود الريماوي، إبراهيم زعرور، ومازن شـــديد، وســـهير التل فهم موجودون في عمان، أما أنا، فقد عدت إلى الضـــفة الغربية عام 1991، وتنقلت بالعمل بين زهرة الدنيا (القدس) وبين مدينة رام الله التي أعمل فيها حتى الآن.

لا تظن أيها الصـــعلوك الجميل، أنني لم أفقدك وأتفقدك ولطالما تذكرت لحظات التسـكع الجميلة المتمردة على كل ما هو قبيح، ومصـطنع، ومُفْتَعَل في ذلك المكان والزمان. أتذكر معاركنا مع الأدعياء، ومع المصـطنعين، لأننا كنا نكافح لأن نكون نحن لا أن نكون سوانا، ولم نكن نحسب حساباً لأي

عقاب قد يُنْزَلُ بنا، أننا باختصــار، وربما باندفاع صــبيانية) الســن، أردنا أن نسبح ضد التيار، ولم نكن نحسب أن كنا نجيد السباحة فعلاً أم لا؟.!!

تعود بي الذاكرة الآن إلى عام 1983. أحاول إعادة تجميع شتات المشـهد من شـتات ذاكرة يتقدم بها العمر المكان: فندق شـيراتون الكويت المناسـبة: مؤتمر صــحفي للشــاعر الكبير الراحل محمود درويش عشــية انتهاء فعاليات الأسبوع الثقافي الفلسطيني في الكويت. الحضور عدد من محرري الصفحات الثقافية في الصـــحف والمجلات الكويتية والكتاب، وأما الحادثة فهي يا ســليمان: (أتذكر يوم وجهت ســؤالاً للشــاعر الكبير الراحل محمود درويش حول تأثر قصــيدته) العشــاء الأخير مع عز الدين القلق بقصــيدة الشــاعر الكبير سـعدي يوسـف من أوراق المهدي بن بركة. ففي حين أجاب درويش بهدوء أنه لم يقرأ قصيدة سعدي يوسف، انتفض جموع الصحفيين والكتاب الحضور غضباً من السؤال سواك، حيث ناصرت سؤالي، فظنوا أنك تناصر صديقك. أتذكر يا سليمان عندما طلبت فسحة من الوقت لإحضار نص القصيدتين لتأكيد مشروعية السؤال أولاً، وجوهره ثانياً ؟

أيها البدوي الجميل.. في مدن الإسمنت، وعلى حبات الرمال الملتهبة، وأمام عيون المتلصـصـين والبصـاصـين، وأذان الوشـاة، كنا نحاول صـياغة مشـاريعنا الكتابية المتمردة، وتقديم قولنا المختلف، لأننا كنا نعتقد أننا نكتب عن الناس الذين نعتبرهم ملح هذه الأرض. إن رحلة تمردنا التي جبلناها بمفاهيم

الصعاليك العفوية، وبأنفاس الشنفري الازدي؛ عروة بن الورد السليك بن السلكة؛ وتأبط شراً قديماً، ومصطفى وهبي التل (عرار) حديثاً ما كان لها أن تتشكل وتدوم لو كانت رحلة نزهة في البر (الصحراء)، أو رحلة افتعالية عابرة. إنها مرحلة الزمن الأخضر كما وصفتها أيها الصديق العزيز.

أيها الصديق العزيز.. لقد عاقبتنا الأرض التي احتضنتنا يوماً على موقف لم نكن نملك من أمرنا شيئاً في إعلانه، أو في سوء فهم ذلك الموقف، أما أنت فتستطيع الوصول إلى حيث شئت، إلا إلى حيث أنا الآن، وفي هذا الأوان. أنت تستطيع إضاءة الأمكنة التي جمعتنا، أما أنا فقد أصبحت غير قادر حتى على عصر الذهن لاستعادة صور تلك الأمكنة، إلا أننى لا أزال قادراً على استعادة خفة الروح، والضحكة المجلجلة، وصور الوجوه كما كانت قبل عشرين عاماً من الآن أيها البدوي المتمرد الذي تمت سنوات وسنوات في الصحراء وأنت تبحث عن اعتراف ببداوتك.

أنا قادر في هذه اللحظة على استعادة صورة المكان الذي بقيت منه صورة الأربعة، وسماع القدود الحلبية بصوت المطرب صباح فخري التي كانت تصدح بالمكان، واصطكاك حبات المسبحة بين أصابع يدك، وكانت حركتها تعكس قلقك الدائم، وتشي بما ستقوله من كلام.

لقد علمت من نجلك "أسامة" أنك الآن في الكويت لك في لحظات العودة بالذاكرة عشــرين عاماً، أو ثلاثين عاماً، أن تمر على (الصــالحية)؛ ولا أدري ماذا تبقى من ملامحها التي نعرف الآن، وأن تشــــعل شمعة لتضــــيء ليل الأصدقاء الذين رحلوا.

فِك الدريشة وطالع من ستايرها

صحيفة الإتحاد[196]

رسـائل الغرام.. من منظورٍ جماليّ فلسـفي، يمكن القول إنّ «الدريشـة» - وهي نافذة قديمة تلتصـــق بالبيوت وتفتح أجواء أهلها على محيطهم، ولها وظائف وغايات أخرى- ضـوءٌ جديد يدخل البيت، أو هي وسـيلة المحبين إلى فضـــاءات جديدة تخرجهم من كلّ هذا الروتين باتجاه حياةٍ جديدة. فحين تفتح القلوب أبوابها مشـــرعةً على هذا القادم من عالم الغيب، من خلال «الدريشـة»، فإنّ لهذه الكوّة ذكريات، وآهات، وأحزاناً وأشـجاناً لا يعلمها إلا المحبّون الذين ذابوا في إزجاء نظراتهم رسـائل ودٍّ واشـتياق، لدرجة أنّ الشـــعراء علموا ما لهذه «الدريشـــة» من طاقة على الصّـــمود وإطلاق الزفرات والعبرات، ربّما، وهي التي ظلّت تغسل مسامات الدريشة ومفاصلها الحديدية، فتسّـاقط معها أحلامٌ وربما تحبس فيها أشـواق على ظلمةٍ موحشـة إذا ما انتُبِهَ إلى الطاقة الروحيّة الهائلة والعاطفيّة الكامنة في الدريشـــة، فتكون إيذاناً بسـجنٍ أو اعتياداً لقضـبان ماحقة صـلبة عادةً ما توصـد في وجوه المحبين.

(196) – دراسة "متجزأة " نشرتها صحيفة الاتحاد الإماراتية في تاريخ 30 يناير 2020

الدريشــة» تتأكّد بوابةً للعشــق على صــغر حجمها، فهي مجال حار لمعرفة الجواب، وهي رسـائل تقذف إلى القلوب التي تتلقاها بحرارة لا شـبيه لها ببرد اللقاء اليوم وخلّوه من العنفوان القديم، وفي هذا الســـياق يقول الشـــاعر سليمان الفليّح، مستذكراً تفاصيل قديمة في قصيدة يضمّنها ما للدريشة من أثر في تكوينه الثقافي، وفي ذكرياته التي هي بالتأكيد نفتقدها اليوم مثلما يحس بهذا الافتقاد الشاعر صاحب العلاقة الأكيدة بهذا الموضوع:

"أبحـث في شـوارع الكويـت.. تلـك الـتي أحببتهـا في ميعـة الصّـبا.. عـن الحـواري القديمـة.. عـن (الدريشـة) الـتي تطـلّ مـن (درفتهـا) صـبيّةٌ جميلـة.. كـان اسمهـا (غنيمـة).. ألقـي لهـا رسـائل الغـرام.. إذ ألفّهـا علـى حجر.. (أحذفها).. تلقفها.. وأنتظر...!

وتبدو الأسئلة خاليةً من الإجابة لدى الشاعر الفليّح إلا عند وصول الحجر والتقاف الردّ من خلاله، لنكون أمام شـــكوك وأوهام وضـــجر وخوف لا يمكث لديه إلا قليلاً، إذ سرعان ما يجيئه الحجر مضمّخاً بالعطر و... وذلك ما تظهره الكلمات الرقيقة التالية من هذه القصـيدة الطقسـيّة العذبة ذات التفاصـيل الرومانسـيّة اللاهبة التي عاشـها جيلٌ قديم ربّما انتهى أو اصـطدم بثورة التكنولوجيا، جيلٌ يعلم ما للحب من مشـــاق وما للأنفاس الحارة من نار أمام احتمال الرد بالإيجاب أو بالرفض، يقول الفليّح:

"تأكلني الشـــكوك والأوهام والضّـــجر.. وعندما يجيئني الحجر.. مضـــمّخاً بالعطر والرسـالة الملوّنة.. وقطرات الزعفران.. وبصـمة الشـفتين بــــ«الديرم» الخنين.. والسهم والقلبين.. أحس أني من أسعد البشر.. وأكتب الأشعار.. عن روعة الهوى.. ولوعة الجوى.. والحرقة الأليمة، و(سـرّي الدفين).. فأشـتم الحسّـــاد.. وألعن (الحقّاد) وناقلي النميمة.. والكاذب الأشـــر.. أبحث في الشـوارع الخلفيّة.. عن أوّل الندامى.. عن منزلٍ من طين.. يسـكنه أربعة من المدرسين....

وتصــلح هذه القصــيدة بامتياز لتدلّ على التفاصــيل العذبة التي يلتقطها الشـــاعر من بيوت الطين والبحر وتفاصـــيل كثيرة، ليس هنا مجال تعدادها، بقدر احتياجنا لما يؤكّد الحياة الكاملة بين «دريشتين» من خلال حجر يروح ويجيء حاملاً رسائل تذوب على صدور العشّاق، لدرجة أنّ الشاعر يضغط كثيراً على أعصـــابه بانتظار الرّد الذي، إمّا أن يجعله لا ينام ليله من شـــدة الفرح أو يظلله بســـحابة ســـوداء تنعكس على حياته ومزاجه بعد أن يعود الحجر المحمّل برســـائل ملوّنة ومعطرة بالزعفران أو المحمل بالتجاهل، وقد لا يعود من الأســاس إن أخطأ الشــاعر في حدســه أو قلبه النابض بالحب من طرف واحد، فأمامه فترة طويلة لكي ينسـى أو يتناسـى أشـياء هذه الذاكرة، أو تفاصيلها التي لا تغيب.

أَحْزَانُ البَدْوِ الرُّحّل
تَتَشَّجَرُ فِي شُرُفاتِ النّسيم

شعر: عبد الله بن عبدالرحمن الزَّيد(197)

إلى.. رُوح الشاعر سُليمان الفُلَيّح: سيرة:

منذُ السُّـلَيْكِ وما مِنْ مَهْمَهٍ سَـلَكَهْ   يُنَاكِفُ الكَوْنَ كيْ تَرْضى به السَّلَكَهْ
كـلُّ الجِيَـادِ تَخَلَّـتْ عن أَعِنّتِهَـا   إلا سُـليمانَ صـانَ العَهْدَ إذْ أَلَكَهْ
فَيَـا لَـهُ مِنْ نَبيـلٍ كُلّمَـا أَزِفـتْ   للبذْلِ سـاعةُ فَتْحٍ للنَّدَى مَلَكَهْ
وكُلَّمَا حضَـرَتْ لِلْعَزْمِ سـانِحَةٌ   مِنَ المِضَـاءِ.. تَحَدّى رَهْبَةَ الهَلَكَهْ
وَإِنْ تَنَـاثَرَتِ الأَفْلاكُ مِنْ نَسَـقٍ   تسَـاقَطَتْ زُمَرُ التَّنْجِيمِ والفَلَكَـهْ
فَـلَمْ يَـلُـذْ بِحِجَـابٍ لا إِلـهَ لَـهُ   ولا تَعلَّقَ بالمِصْـبَـاحِ أو دَلَكَـهْ
قـد كـانَ فـارسَ هـذا القـاعِ مكتفياً   لا القَاعُ أَنْصَـفَهُ ولا الّذي سَـلَكَهْ
ولا دَهَـاقِنَـةُ الصَّـحْرَاءِ إذْ رَكَضُـو   صَـوْبَ الأَظِلّةِ أَوْدَوْا بالّذي عَلَكَهْ
تكوينُـهُ عَرَّفَ الإشْـرَاقَ فِي زمنٍ   ضَـلّت أَسَـاطِينُهُ في حمأةِ الحَلَكَهْ
يا مَنْ رَسَمْتَ بِسِـفْرِ النُّورِ سـيرتَهُ   أَغْـدِقْ مِنَ النُّورِ لي أَغْـدِقْ لَـهُ وَلَكَـهْ
قَـدْ هَـامَ فيـه حَمِيمُ النَّثْرِ مُحْتَفِيـاً   وأَلْهَبَ الشّـعرُ في تَخْليـكِ الملَكَـهْ

***

(197) – ألقاها في أمسية التأبين في نادي الرياض الأدبي ثم نشرها في صحيفة الجزيرة في تاريخ 12-7-2014م

أَمَامَ جِدارِيّة الفُقْدان:

ليتَ الذين نُحِبُّهُمْ..

إنْ غادَرُوا..

أخذوا من التوّديع ظِلاًّ وافِراً..

وتَوَقَّفُوا..

بربيع دربٍ مَهَّدَتْهُ قلوبُنا..

لِتَشُدَّ أيديَهُمْ نُفُوسٌ أَقْفَرَتْ برحيلهم..

وَنُقِيمَ أُمْسيةً

ونُنْشِدُ كلَّ ما لمْ نُبْدِهِ

من حقهمْ..

ليت الذين نحبُّهم..

إن دَرْهَمُوا..

يَسْتَأْثرونَ بودِّنا..

لو ساعةً..

لنقولَ ما لم يَسْمَعُوهُ..

لِيَسْمَعُوهُ..

وهم على دُوَّارةِ الأنفاسِ..

لا يَسْتَمْطِرُونَ مَدِيحَنَا..

لا يَسْأَلونَ بقية الإعجابِ

في خطراتنا..

أَنْ تَسْتَفِيقَ..

لِلَحْظَةٍ لا تَسْتفيقْ..

ليتَ الذين نحبُّهمْ..

وَأَدُوا الطريقْ..

ليت الذين نحبهم

مَرُّوا على سَجّادة الوُدّ التي..

تمتدّ في أعماقنا..

ليُغَادِرُوا أَدْنى حَوَافي وَجْدِنا..

ولِيَقْرَأُوا عند الفِرَاق – على الأقلّ –

(الله لا يبينْ غَلاَكْ)

تلك التي جَمَدَتْ على عبراتنا

عند العناقْ..

وليعلموا:

تاريخُهُمْ ليس الذي بَخِلَتْ يَنَابيعُ الوُجُودِ

بِسَقيهِ..

وتوقفت عنه أَحَابِيلُ الحياهْ..

لكنه..

في ذلك الشوق المدِيدِ..

إلى المحَيّا..

والسؤالِ..

والانْشِدَاهْ..

لكنَّهْ..

في نبتةِ الإِكْبارِ

في وَهَجٍ..

من الترحيبِ.

قد شَرُفَتْ يَدَاهْ..

أواهُ..

معذيرةً..

أحبةَ عمرنا..

إنا وُجِدْنا مجبرينَ

بحقبةٍ..

لا تكتفي مِنْ مقتنا..

فَزَمانُنا..

زمنُ الصدودِ

إذا تكتّلَ.. ثم .. رابْ..

زمنُ القطيعة..

إذْ يخامِرُها التّرابُ..

في كل يومٍ..

نَذْبَحُ الوُدَّ الذي يحتار في أحوالنا..

وَنُشيحُ عن وَصْلٍ الذينَ..

إذا اسْتَشَاطُ البينُ قربَ نَدِيّهِمْ..

ضجتْ لَهُ - أو قُلْ به - زُمَرُ النحيبِ

وعافت الآصالُ أصلَ وجودنا..

أوَّاه..

معذرةً..

أحبةَ عمرنا..

إنّا وجدنا مكرهين بغابةٍ

من المدنِ التي لا تستحي

مِنْ سِيرةٍ للشَّوق في أمشاجنا..

فبرغم مائجة الحنين..

ويرغم آهاتٍ تُبِينْ..

وبرغم موجعةٍ من الندم المهِينْ..

تَصْطَادُنا المدنُ الكئيبةُ

ذاهبينَ..

وآيبينْ..

تغتال فينا ما تَبَقّى

من كراماتِ القُرى..

وحفاوةِ الريفِ الأمينْ

فَزَمَانُنَا..

فصلٌ من الموْتِ البطيءِ..

والانْقِراضْ..

ومكانُنا..

رَدَهَاتُ غَمٍّ

يَنْتَهى عَجْزاً..

ودوراتِ افْتِرَاضْ..

اللهَ..

يا هذا الذي..

رَحَلَتْ به أَسْبَابُهُ

صَوْبَ النّجاهْ..

قد عِشْتَ أَحْوالَ البُدَاةِ..

فصِرْتَ عَرَّاباً..

لأَحْزَانِ البُدَاهْ

أَسْكَنْتَ حزنَكَ

في القصيدِ..

فظل يَحْزَنُ مَنْ قَرَاهْ..

وبعثتَ حزنَ البيدِ..

صوبَ مدائنِ الغفلاتِ.. مُنْتَفِضاً

فأيْقَظَ من رآهْ..

ستظلُّ في عَبَقِ الأَهِلَّةِ..

مُورِقاً بالنُّبلِ

في روح البَيَانْ..

سَتَظَلُّ

عنواناً

لأزمنةِ الغِنَاءِ

والافْتِتَانُ..

مَوّالُ شعرك..

نبضُ نثرك..

مُسْتِحيلٌ أَنْ يُعادَ بلا افْتِتَانْ..

اللهَ..

يا هذا الذي

غَنّى لكلّ الأسوياءْ..

وتَلَبَّسَتْ ألحانُهُ..

أحوالَ كلِّ الأشقياءْ..

سَتَظَلُّ..

في جمَل الدواوين التي لا تُحْتَوى كلماتُها..

شَلاَّل مِحْبَرَةِ الإباءْ..

سَتَظَلُّ في تَنْويع تلك الأُمْسِياتِ

مُنَزّهاً بالشَّأْنِ..

عن كلّ الذين إذا اسْتَكَانوا للسُّدَى..

نَبَذَتْهمو فِقْراتُها..

وبقيتَ في عين التّلقّي..

تفتدي بيت القصيدِ..

فلا يُبارِحُكَ الفِدَاءْ..

نَمْ..

يا رفيقي..

قُرْبَ مكرُمةِ الرَّسُولْ..

فوَسَائدُ الرحماتِ..

والغُفْرَانِ

تَعْرِفُ مَنْ تُوَسّدُهُ..

عَلَى فُرُشِ القَبُولْ..

سَنَظَلُّ بَعْدَكَ مُشْرَعِينْ..

نَرْتَادُ أبوابَ الرّضا..

ومقابضَ الصّبرِ الجميلْ..

لا الشّمسُ..

مُوقَفَةٌ على أَحْزَانِنَا..

أبداً..

ولا القمرُ الحزينْ..

لا تَبْتَئِسْ..

سَيَمُرّ قربَ مُصابِنَا غيثُ العَزَاءْ..

نعم..

سنعتمر العَزَاءْ..!

إذْ.. كيف تعتمرُ البَيَاضَ..

وتقتفي أَثَرَ الذين تواتروا صوب الرَّجَاءْ.

ونظلّ غَرْثَى قربَ قبركَ..

مُبْلِسِينَ بلا رَجَاءْ؟!

موَّال شعركَ..

نبض نثركَ..

مُسْتَحِيلٌ..
أَنْ يُقَارِبَهُ العَفَاءْ..
ورحيقُ عمركَ..
طيبُ ذكركَ..
مستحيلٌ أَنْ يُفَارِقَهُ الوَفَاءْ..
خاتمة:
ليت الذين نحبُّهُم..
إذْ عافَتِ النَّفَحاتُ في أقدارهِمْ..
ما بيننا..
يَسْتيقظون.. لِلَحْظَةٍ..
ليباركوا هذا النَّشيجَ بمَلْكِهِمْ..
أو يَرْفُضُوا بفَمِ الملاَكْ..
ياليتهم..
يَسْتَيْقِظُونَ..
فيَسْمَعُونَ - عَلَى الأقل-:
(لَوَ الله.. اللّي.. فاض..
واغْرَقْنِي غَلاَكْ)..

أُنشودةُ الزَّمَن

شعر:عبدالإله المالك [198]

في رِثَاءِ فقيدِ الفكرِ والأدبِ: سليمان الفليّح، رحمه الله:

بْكِي الْقَصَــــائِدُ في سِــــرٍّ وفي عَلَنِ ... على سُـــلَيْمَـانَ فَخْرِ الْفِكْرِ وَالْوَطَنِ
شَــرَارَةُ الشِّــعْرِ في عَيْنَيْهِ مَا انْطَفَأَتْ ... كَلاَّ وَلا صَـــــدَحَـتْ إلاَّ على فَنَنِ
تِلْـكَ الْمَحَـابِرُ ثَكْلَى بَعْـدَ غَيْبَتِـهِ ... وَالْحِبْرُ يَقْطُرُ أَنْغَـامًـا بِلا شَــجَنِ
أَيْنَ الــدَّفَـاتِرُ وَالأَقْلامُ مَـا فَتِئَـتْ ... تَخْضَــــلَّ إِنْ عَزَفَتْ أُنْشُــوْدَةُ الزَّمَنِ
مَـا زِلْـتَ فَـارِسَــــهَـا وَاللَّيْـلُ مُنْفَطِرٌ ... يَرْعَى الْمَطَالِعَ في صَـحْوٍ وَفي وَسَــنِ
يَا هَــانِئَ الْجَفْنِ في عَلْيَـاءِ مَكْرُمَـةٍ ... طُوْبَى لِرُوْحِكَ إِذْ ضَــاقَتْ عَنِ الْبَدَنِ
هَـذْرًا وَلُوْجِيَّـةً أَمْتَعْـتَ قَـارِئَـهَـا ... مِنْ كُـلِّ فَلْسَــفَـةٍ جَوَّابَـةِ السُّــفُنِ
أَخَـا الصَّـــعَـالِيْـكِ لا دِفْءٌ يُـدَثِّرُنَا ... مِنْ بَعْدِ فَقْدِكَ وَالأَمْصَــارُ في حَزَنِ
سَـأَلْتُ عَنْكَ فُنُوْنَ الْفِكْرِ فَابْتَسَـمَتْ ... تَـقُـوْلُ: أَعْـرِفُـهُ جِـدًّا وَيَـعْـرِفُـنِيْ

---

[198] – من أوائل القصائد الرثائية في الكاتب والشاعر سليمان الفليّح نشرها عبر " تويتر" ثم نشرها في صحيفة الجزيرة في التاريخ 2014/01/26

بوسامي، ثلاث لقاءات

وذاكرة كاملة

بقلم: محمد النبهان [199]

لا أذكر تمامًا، هل كانت في نهاية الثمانينات من القرن الماضـــي. أو أول التســعينات، لكنني أتذكر جيدًا أننا التقينا في جريدة الوطن قبل الغزو بقليل وتكلمنا لأول مرة. كنت بالمصـادفة أجلس إلى جانبه في اللقاء المفتوح الذي أعدته صفحة الوطن عن الشعراء الشباب، حضر بوسامي اللقاء مستمعًا، وكان يمزح معنا بكل خفة روحه وتمردها.

لطالما كنت أتحاشـى التعرف على سـليمان الفليح عن قرب حبًا بقصـيدته وسـيرته التي اسـتطاعت أن تتغلغل في قصـائد الشـعراء الشـباب وخوفًا من التأثر به مثل كثير منهم، كان ثمة جلســات كثيرة في الجهراء، ســواءً في بيت سـليمان أو بيوت أخرى، ولم أكن أحضـرها، كانت لي حياة عبثية أخرى في مكان آخر، وربما أيضًــا لأني الوحيد بين المجموعة الذي لم يكن من ســكان الجهراء، ولم أكن أعرف الطريق إليها.

لكن الذي أعرفه أن هذا الشــاعر لا يمكن أن يجلس معه شــاعر آخر إلا ويتأثر بطريقته وقصـيدته، من جيله أو ممن سـبقوه في التجربة أو الذين لحقوا

---

[199] – نشرها من خلال "حسابه" في استفرام. ١٦ سبتمبر ٢٠٢٢

به، أعرف تأثير كائناته الصحراوية على كل من سبقوه وأعجبوا به وبداوته وعفويته الأصيلة وسحر كائنات قصيدته، منذ «الغناء في صحراء الألم» و«أحزان البدو الرُّحَّل» وما تلاهما من مجموعات تعيش وتعيّشك تجربة سليمان الفليح بفرادة وخصوصية قصيدة هذا البدوي الصعلوك.

ثم جاء الغزو وتغيرت أشياء في مجتمع لا يتغير إلى المدنية كما يجب أن يغيره التاريخ والأحداث الكبرى في وجوده. غادر كل منا إلى بلد آخر يبحث عن هويته أو ما يريد أن يغيره منها إلى وجوده الإنساني. غادر سليمان إلى السعودية وأنهى تاريخه البدوني، وغادرت أنا قبله بقليل إلى كندا، مع فارق التجربة والعمر والحضور الشعري، كنت أرى أن أكبر خذلان أن يحرم شاعر مثل سليمان الفليح بعمره وتجربته وخدمته العسكرية من مواطنته، بوسامي الذي التحق بالجيش الكويتي منذ عام 1970 إلى أن تقاعد في أوائل عام 1997، شارك في حرب الاستنزاف على الحدود المصرية السورية 1971-1973، وحرب تحرير الكويت 1990.

هذا البدوني الأكبر بين الشعراء، الأكبر مكانة، وعمرًا وتجربة وتاريخًا. وما دام سليمان الفليح خُذل وهو في هذه المكانة فلا يحق لي أن أتحسّر على حق من حسن حظي أنني كنت نزقًا وزاهدًا فيه ولم أنتظر وطنًا من الآخرين، ويمكنني أن أصنعه أينما حللت (مع كل وهم الفكرة أن تصنع وطنًا وحقيقة وهمها في صميم التجربة). ثم؛ تشاء المصادفة بعد رحيلنا عن الكويت في

الســنة ذاتها أن تكون لنا عودة في الســنة ذاتها أيضــا. كان ذلك في العام 2008، عدت للعمل في جريدة القبس وعاد في زيارة بدعوة شـعرية، كنت أجلس في انتظار بدء الأمسـية في آخر قاعة المسـرح، قبل الأمسـية بعشـر دقائق مر بجانبي، ناديته، رغم أننا تحدثنا مرة واحدة قبل أكثر من 17 سـنة، «بوســامي»، توقف والتف للصــوت «محمد!» وحضــنني، قال تعال نخرج نتنفس قليلا خارج القاعة، خرجنا وتكلمنا عن أشـياء كثيرة بعبارات صـغيرة وســريعة وضــحك وحميمية، فهذا البدوي الأنيق يعرف كيف يكســر الزمن نفســه في داخلك بكل حواجزه ومســافاته وجدرانه. قلت له «صــار وقت الأمسـية» وقال بصـعلكته المعتادة «جئت لأرى الأصـدقاء، الشـعر ينتظر». دخل وقرأ قصيدة لم يفهمها إلا من عضه وطن!

ســأقول إنني ندمت على كل يوم لم أتعرف فيه على ســليمان الفليح في جلســات الجهراء. لكننا بعد تلك الأمســية كنا نتواصــل بشــكل مســتمر ونتعارك ونضــــحك، كتبت مرة أعاتبه في مقال وكتب يجيبني في رد المقال، لأنه هو سليمان الفليح الأخ الأكبر لـ«شعراء صعاليك» أضاءوا هنا يوما ما وانطفأوا جميعهم، هو معلمهم الأول، وعروتهم بن الورد الأجمل.

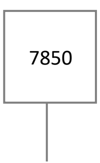
ثالث لقاء، والأخير كان في البحرين قبل رحيله بســنتين أو أكثر قليلا، اتصــــل يقول لي «أنا في البحرين تعال نلتقي»، ســــهرنا معًا، تحدثنا ذاكرةً

وانكسـارات، ورغم تعب السـنين، كان ما يزال سـليمان الفليح هو سـليمان الفليح. الأكثر حضورًا ومهابة وتأثيرًا.

على الرغم من رحيله، لم يعوض أحد صـــوت ســـليمان الفليح البدوي العفوي الأنيق المثقف ثقـافـة حقيقيـة معرفـةً وإنســـانيًـا. حـاول الكثيرون «استعمال» كائناته في نصـوصـهم، لكنها كانت شـاذة في قصـائد هؤلاء، بينما كانت دائما تعرف طريقها في وطن نصوص سليمان الفليح..

بوسـامي، أتذكرك الآن بلا مناسـبة معينه إلا لكي أتذكرك واحدًا الشـعراء الذين تركوا بصـمة إنسـانية في حياتي وأنا أعيد قراءة نصـوصـك. أتذكر مثلاً آخر لقاء مررنا فيه على كل شيء، بأكثر وقت يمكن أن يسفحه «بدونيان» في بلد غريب، وبأقل الكلمات الممكنة، والكثير من الحب والشـــعر. لك السلام.

شهادات مختصرات


7850

يقف بعيداً عن دائرة التصفيق والهتاف

بقلم : حلمي الزاوتي[200]

سليمان الفليّح يقف بعيدًا عن دائرة التصفيق والهتاف، لأنه يؤمن بالتأثير المتبادل والترابط العضوي بين الشعر والثورة.

(200) _

شاعِر وأديب، ومناضل وفقيه وأستاذٌ في القانونِ الدّولي المُقارن، وَ مُحامٍ دولي لحقوقِ الإنسان، و واضع نظرية التوسيم و عدالة التناسب في القانون الجنائي الدولي. وُلِدَ في مدينة نابلس عام 1953، ويقيم حاليا في مدينة مونتريال،كندا. تلقى تَعليمَهُ في عَددٍ مِنَ الجامِعاتِ العَربيةِ وَ الأمريكيةِ وَ الكَندية.

وحينما يغضب لا يحتاج

الى أكثر من ابتسامه

بقلم : علي الخلف[201]

يحمل في خرجِه المنسوج من وبر الإبل كمًّا هائلًا من الشتائم وحقولًا من الورد، وحينما يغضب لا يحتاج إلى أكثر من ابتسامة صادقة

(201) – شاعر وإعلامي كويتي

ان نثرك يعانق شعرك في الجمال

بقلم: عبدالعزيز حسين [202]

إن نثرك يضم شعرك في حضن الجمال.

[202] - عبد العزيز حسين من مواليد 26 نوفمبر 1920 (الشرق) - الكويت ، توفي في 9 يونيو 1996 ، أديب ، وسفيرا للكويت لدى مصر ، كان مستشارا للشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح منذ عام 1985 وحتى وفاته

بدوي(بفخر)

<u>بقلم : المبرقعة</u> [203]

سليمان الفليح، بدوي (بفخر)، صعلوك الزمن الحديث الساخط والقائظ ولا يُلام، حضاريّ المعاملة، مشاعر راقية سكنت هيكلاً عظمياً.

[203] – جريدة السياسة – الكويت . المبرقعة لقب لشاعرة شعبية

صوت شعري يحمل في يده قيثارة

بقلم : <u>أحمد خضر</u> [204]

سليمان الفليح صوت شعري يحمل في يده قيثارة الألم وعلى كتفه عبئاً ثقيلاً ، هذا الصافي بلون رمال الكويت يتخذ من الصدمة والتلقائية والوضوح جواز المرور للاستقرار في ذهن المتلقي وقلبه.

---

(204) – مجلة اليقظة – أحمد خضر شاعر ومناضل فلسطيني

وجسر عبور مرت عليه

مئات الوجوه التائهة

بقلم: مساعد عيادة الشمري[205]

و ثروة هائلة لا حدود لها وجسر عبور مرت عليه مئات الوجوه التائهة والضالة، والتي من خلال توجيهاته وملاحظاته اهتدت إلى طريق الرشد والصواب.

(205) - شاعر وإعلامي من الكويت

كطائر يغرد في رجاء الوطن

بقلم : حمد عبدالله السعيد [206]

إنه كطائر يغرد في رجاء الوطن، صادق وصريح وحاد، ومحب لرمال الصحراء أكثر من حبه لبخور القصور وعطر باريس.

(206) – جريدة الرأي العام . محمد عبدالله السعيد كاتب وقاص كويتي

حدة البدوي وعنف صحرائه

بقلم : جهاد العمر [207]

الشاعر سليمان الفليح فيه حدة البدوي وعنف صحرائه المحرقة، يلتقط اللحظة الخاصة ليعطيها بعدًا عامًا.

(207) – مجلة الثائر العربي

يختصر في (15) كلمه

اعمدة كل الصحف اليومية

بقلم: حسن العلوي [208]

هذا البدوي يتخصر في (15) كلمة أعمدة كل الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية عن معاناة الإنسان العربي أينما كان.

(208) - حسن العلوي مفكر وكاتب عراقي - مجلة الرسالة

الفليح يعتبر من أبرز شعراء المنطقة

بقلم: ناصر العودة [209]

الفليح يعتبر من أبرز شعراء المنطقة في هذه المرحلة بالذات، لأنه يضمن في شعره العبارات والأجواء والصور البدوية التي يوظفها للرؤية الشاملة.

---

(209) - جريدة الطليعة – الكويت

خرج الشاعر عن القاعدة وحقق لهزه شعرية

الموقف العربي – قبرص [210]

ربما خرج الشاعر عن القاعدة

وحقق له هزة شعرية زاوجت بين حياة البداوة والمدينة،

إنه الشاعر الأول في الخليج.

(210) – مجلة أدبية شهرية

بدوي عنيد كجبل ،ورقيق كنسمة

بقلم: علي المسعودي [211]

إنه بدوي عنيد كالجبل ورقيق كنسمة، يكتب كما يتحدث، لا يتلون ولا يتبدى به حكمة الكهول وطيش الشباب.

[211] - علي المسعودي كاتب إعلامي قطري

يتطلع دائماً إلى الأعلى

مجلة مرآة الامة –الكويت

يتميز الفليح بالبســـاطة، كالمكان الذي ولد وعاش فيه ابن البادية. إنه يتطلع دائماً إلى الأعلى، ولا إلى الأسـفل معاً؛ إلى الأعلى لأنه كذلك، وإلى الأسفل لكي يجذب من حوله إليهِم إلى حيث هو، إلى عالمه الجديد.

بدوي جابه بعناد

مجلة البيان – رابطة الأدباء الكويت

(بدوي جابه بعناد، وبلا لثام، قســـــاوة المدينة، ولو أفح مادياتها بقلم بقطر الماء، صـــارخاً فيها لعلها تســـتيقظ، هكذا ظل إلى أن كاد أن يغفو، وهي لم تستيقظ بعد)!!

أصل بدوي ولكن الروح عصرية

بقلم : جهاد فاضل [212]

سليمان الفليّح شاعر من أصل بدوي، لكن روحه عصرية، وشعره مجلوب من المزج بين هاتين المنطقتين، اللتين يتميز الإنسان العربي من بينهما.

[212] – مجلة الحوادث ، جهاد فاضل وكاتب وناقد لبناني .

هذرلوجيا لآل الفليح

بقلم: لطيف الربيعي [213]

الله بالخير لأبي طلال، ومناظر لأبي محمد، وسوالف الفهد، وهذرلوجيا لآل الفليح، كلها تطرق باب قلب القارئ لتصل إلى الذهن بعد أن تمر بعمليات الغسيل والتكرير وقنوات أخرى، لكنها في الوقت نفسه تنافس كتابات كبار الكتاب في الدراسات الاستراتيجية في العالم من حيث تعميم الفائدة ونشر الوعي. هاذان يطرقان القلب ويمهدان للفكر، ويزيدان أضعافًا أضعاف من يقرأ الدراسات الاستراتيجية، ولكن المعادلة تبقى قائمة، وإلا فما قول سامحونا بزاهد مطر؟

(213) – كاتب وناقد

آمال: هذرلوجيا

بقلم : <u>محمد الوشيحي</u> ([214])

لم أجد عنوانًا للمقالة هذه أفضـــل من «هذرلوجيا»، وهي الزمردة التي كان يزيّن بها الصعلوك النبيل سليمان الفليّح عنق زاويته في جريدة «السياسة» في سالف العصر والأوان. وآه، ما أجمل ذلك الصعلوك! الآن، عمنا الصعلوك يكتب في جريدة «الجزيرة» السعودية...

لكن، ومن دون زعل، أظن أنه ترك خاتمه وجنونه وقلبه وشـــقاوته هنا، وأحرق ابتســاماته قبل أن يغادر الكويت مجروحًا. فابحثوا عن خاتم ســليمان وجنونه وبقية أدوات شــبابه، علّكم تجدونها فتُبشّــرونه فيعود إلينا ضــاحكًا فوضويًا كما كان.

افتقدناك... سليمان.

---

(214) - جريدة الجريدة 14-11-2014 محمد الوشيحي كاتب وإعلامي كويتي .

شكراً عليك

مجلة: حياة الناس

الذئب اسمه "سليمان الفليّح"، لا أحد يجهله، وقلة من يعرفونه!! أحد أهم من "هدموا" الشـــكل الوقور للمثقف الخليجي! دافع بشـــراســـة عن حرية التعبير... وقف بشجاعة نادرة في وجه كل من "يؤطر" الفن، ويحرم أشكالاً، ويحلل أشكالاً أدبية للتعبير... كل شعراء الكويت تتلمذوا على يديه،

حتى من هم أكبر سناً منه!!

نسى نفسه ..

ومن حين لاخر نتذكره ..

ونتجح بوفائنا العظيم له

سليمان الفليح ..

البدوي ، الوبش ، النزق ، المتحفز دائماً كذئب ، لايريد منا شيئاً

لاشكر .. ولاهم يحزنون ، فقط يريدنا ان تكتب بشكل أفضل ، ان نحب بطريقة أجمل ، ان نمارس حياتنا ، بذنوب أقل

سليمان الفليح

تريدنا مثلك ، هذا صعب، صعب ، لسنا ملائكة يا سيدي !!

الْحِوَارَاتُ الصَّحَفِيَّةُ

(1)

اَلْحِوَارُ الْأَوَّلُ:

اَلْحِوَارُ الْأَوَّلُ

سليمان الفليّح، هذا الذي تنساب الكلمات على شفتيه، كانسياب الهمِّ في قلبه؛ هذا الذي يحمل صحراء في نفسه، تتمرغ فيها الكلمات من دنس العصر، وتخلع جميع أرديتها المزيفة، لتنهض بعد ذلك باسقةً ككل الأشجار الأصيلة، لتبهر الناس ببُسطائها الجارح – في أغلب الأحيان – لأنها مُعبّأة بالصدق الذي غادر المدينة، وشدّ أحزمته هربًا من سياط النفاق، منذ زمن.

حاوره: مناحي العنزي[215]

(1) تجربته الشعرية؟

- لا يستطيع الإنسان أن يكشف مواهبه، لأنها تُعتبر أحد النوازع الكامنة في أغوار الآخرين، بشريةٍ معقّدة. ثم إنك لا تستطيع أن تعلن موهبتك وأن تدّعيها ما لم تكشف هي خمارها للآخرين؛ قد تكون، في وجهة نظرهم، شائنةً فيصدّون عنها، وقد تكون جميلةً فينسدّون إليها.

---

[215] – آفاق ثقافية – مجلة الجامعة – الكويت – 9 مايو 1982م

- أمّا إزاء هذه الحالة، وفي ترسيخ قناعتك الهشّة آنذاك، فإما أن تُفرغ أحاسيسك وعواطفك ورخائلك النفسية نحو هذه الوليدة الجميلة، وترسم دربًا منك إليها، ومنها إلى الآخرين؛ وعلى العكس من ذلك، إذا كانت شائهة، فإن الآخرين هم أنفسهم ينسفون هذا الجسر الذي ستمدّه إليهم، غير آسفين على هذا التواصل الواهن.
- لذا اكتشفتُ بوادر هذه الموهبة منذ الطفولة، ولا سيّما أنني عشتُ في وسط لغة الشعر، بحكم ظروفه، المعايشة بكل ما تحمله من مآسٍ ومباهج، وتخلّف وفقر، وقناعة وأمل، وثبات دائم في وجه خيانات الزمن.
- حاولتُ أن أقول كما يقول المحيطون بي من الأهل والعشيرة، أبناء الرعاة الذين يئنّون تحت جلافة شيوخ القبائل، وحينما تنكّرت الصحراء – جنتي الأولى – لمواطنيها، وألقتهم إلى هذه المدن المتناثرة كالفطر على أطرافها، أحسستُ بغربة هائلة إزاء هذا التحوّل الرهيب، لأنني رأيتُ أن المدائن تطحن بأضراسها كل مفاهيمي، قيمي الأولى، رؤاي البريئة، فأذعنتُ في بادئ الأمر لهذا الانقلاب الفظيع على مضض.
- جوُّ الصحراء، بوحشتها، ربيعها في عذابات ناسها وصراعهم الدائم من أجل البقاء تحت ظروف الطبيعة، وحياتي وسط هذه اللعنة المقدّسة (لعنة

الصحراء في سنوات جذبها)، وعظمتها كرمزٍ تاريخي، وأفقٍ شاسع للحرية، هي التي خلّفت، وتركت في ذاكرتي الطفولية، صورًا قاتمة وأخرى مضيئة، علّمتني التحدّي، والصبر، والعناد على مقارعة أسوأ الظروف.

- هذه الحالات كلّها مجتمعة، أحسستُ بأنها تُشكّل عندي رؤى وكوابيس، وأحلامًا مستعادة تتداخل، وتكون بها روحي بكل تناقضاتها المجتمعة. وحينما ألقى بي الفقر والحاجة وخيانة الصحراء إلى هذه المدن، حملتُ كل تناقضاتي الصحراوية السابقة في ذاتي، ووجدتُ نفسي أَصطدم بعنف بتناقضات المدينة، ليُشكّل عندي هذا التناقض حالةً تستفزّني على المواءمة بين أوجاع الصحراء وصدمة المدينة. فبدأتُ أسحب أحاسيس العفوية، وملاحظاتي، من دفترٍ صغير لا يُفارق جيبي، إلى أن رأيتُ المدينة لم تُقحم لي إلا التنكّر والتشويه والمسخ، لتقذفني في أزقّة ضياعها المعتمة.

- هنا قرّرتُ – بالرغم من حاجتي الماسّة لمقاومة فقري الذريع الذي أورثتني إيّاه الصحراء – أن أتعامل مع هذه المدن، رغم مذلّاتها، لكي أقاوم هذه المذلّات. اكتشفتُ بأن في ذاتي تنمو أسلحةٌ خضراء، تتشعّب وتمتدّ في أرجاء الروح، استخدمتها لمقاومة كلّ الأسلحة المضادّة النّخرة التي تستعملها المدينة لقتل كلّ "البراءات" في الإنسان. لذا وجدتُ بأن هذه

الأسـلحة الخضـراء تطرح تلقائيًا زهرًا اسمه "القصـائد". وحتى إذا ما أقنعني الناس – بقوّة فعل النفاذ – أيقنتُ تمامًا أنه ليس ثَمّةَ سلاحٌ يقف أو يحول بين "رئة" الإنســـان النقيّ في هذه المدينة، وبين نتَناتها، إلا عبير الشـــعر. وحينما بدأتُ أُدرك أكثر تأثير هذه المهمّة، بدأتُ أرفد تلك الأشـــجار بجداول الثقافة الأصـــيلة الجادّة من مختلف منابعها، لكي يطغى ظلّها على كلّ سُموق وارتفـاع وبرودةٍ في هـذه الغـابات الإسمنتيّـة، ليتفيّأها المعتلّون بهامشيّة التسطّح الإعلامي والفكري، الذي تلوّثه وسـائل الإعلام الرديئة، التي أصبحت تطفو وتطغى على كلّ شيء، لتزيده ضحالةً وتخلّفًا.

ثم، في مـرحلتي الثانيـة، أصـبحتُ أَبـرِي مـن تلـك الأغصـان الخضـراء – بعـد أن أيقنـتُ مـن فعاليـة صـلابتها – رماحًـا تصـلح لقتـال كـلّ أنـواع الظلـم والاسـتلاب، وأصـبحت صـالحةً لكـلّ الجبهـات. ومـن هنـا، أصـبح الشـعر سـلاحي الوحيـد الـذي أشـقّ بـه طُـرُق العنـف والظلام.

(2) قضية الشاعر؟

– الشـاعر الذي لا يغذّيه قلق الليل بانتظار الصـباح الذي يبدد كلّ سـتائر الظلام بكلّ أنواعها، شـــاعر بلا قضـــية. لذا يقلقني أن يتأخر دومًا فجر

الإنســان الذي يضــيء عتمات التخلف وعتمات الجهل والمرض والضـياع والسجن الإجباري عن رؤية الحضارة.

(3) شكل القصيدة؟

– أنا لا أتوسّل القصيدة ولا أجري وراءها أيضًا، ولكنها عندما تأتي أفرغ لها كل جهات الروح، لذا لا يهمني كيف تأتي، وكيف يكون شـكلها، وكيف أنحته – لأن القصــيدة، حينما تســتعمل الأزميل النظمي لها، تتحول إلى تمثال بلا روح.

(4) رمز البداوة ماذا يعني؟

– كما قلتُ، إني أؤطّر قصائدي ولا أفرض لها شكلًا معيّنًا، ولا أحشرها (في عباءة ذات مواصفات خاصة)، هذا بالنسبة للشكل. أمّا ما تقوله القصيدة فهي مطلقة الحرية، لأن القصيدة الحقيقية هي التي تصنع الحرية. بالنسبة للشكل الفني، أعتقد بأنّها تتميّز بشكل حديث وطرح يتجاوز العصبيّة والإقليميّة أيضًا، إلى قضايا أعمّ وأشمل وأهمّ. فإذا كان هنالك من يصمّ قصائدي أو ينظر إليها من نظرة ضيّقة كالتعصّب، فإنّه لم يقرأ لي شيئًا، وإن قرأ، فإنّه لم يفهمني بعد. وأنا لستُ على استعداد لأن أفهم من لا يريد أن يفهم شمولية نظرتي إلى الحياة. أمّا ما يتعلّق برمز البداوة عندي، فإنّ البداوة

التي أعنيها بالمنظور الواقعي المعاش هي هذه البداوة المدينيّة التي تضفي عباءتها الرثّة على كلّ هذه العواصم العربيّة الممتدّة من الماء إلى الماء. وهذه ظاهرة متخلّفة لا تحتاج إلى تعليل، حتى ولو كان تعليلًا متفائلًا أيضًا.

(5) هل ستكرر التجربة؟!

- بالتأكيد، سـأبقى أكتب القصـيدة كلما جاءت. وحينما تتوقف عن المجيء، فأنا بالطبع سـأتوقف عن كتابتها، ولكنني أؤمن بأن الشـعر قد أصبح دماً إضافياً يطيل في عمري. أمّا أن يسلك الاتجاه السابق، فهذا أمره متروك للمتغيرات التي تعتري واقعنا كله، وأنا والشـعر جزء من هذا الواقع، كلانا مرهونان للتغير. أمّا قضـية تكرار التجربة، فهناك مئات المحنطين الذين يعتقدون بأن تكرار النفس نفسـها، والمفردة، والصـورة، يبقيهم ثابتين. والشاعر الذي يحنط نفسه من خلال تكرار تجربته سرعان ما يموت، حتى ولو كان محنطاً، بمعنى أنه سـيموت في تحنيطه، ذلك لأن الشعر، شأنه شأن أي حركة متغيرة في الحياة، لابد وأن يتساوق مع هذا التغير.

(6) مرثية الفهد الاخير؟

- كان فهدًا يسلمه الوعر للوعر في دكنة الليل منحدرًا للمهامة تسبقه طلقات القبائل، حاقدة، يتقادح خلف براثنه المعدنية صخر الجبال.

وكان خفيف قوائمه المستدقة عبر الفضاء (يدبلج) صوت الريح بـ(صنج)

البخور، بـ(أرزامة الخلج).

كانت عباءته الوبرية فواحة بالرذاذ المتمازج بالشيح، (بالعبس) الرعوى، وبالنفل المتضوع – من شدة الإرْتحال.

كان فهد يسلمه الوعر للوعر.

الوعر للبر،

البر للمدن الصاخبة،

دجنته المدائن.!

إذا أنكر البر أبنائه في اختلاف الزمان.

فهل هكذا كانت العاقبة؟

لم يمته رصاص القبائل، إذ ما انحنى للرصاص، ولكن لهذا الزمان تصاريفه المرعبة.

- أكان يظنّ بأن يسلم الروح بين يدي الطبيب الحديث التخرج؟

- بالقرب من نافذة الصيدلي القبيح.

وهل كان يدري بأن النهاية في إبرة (السستر) الساحبة؟!

***

(2)

اَلْحِوَار اَلثَّانِي:

اَلْحِوَار اَلثَّانِي

الشاعر الكويتي سليمان الفليح، أحد الأصوات الشعرية الجديدة الملفتة للنظر في الحركة الشعرية العربية الجديدة، وهو شاعر حادّ، عنيف، قصائده أشبه بسيوف الفرسان الذين لا يرون أمامهم، لمواجهة الدنيا، إلا أن يحرصوا على الموت لتُوهب لهم الحياة.قلب «سليمان الفليح» مليء بالهموم العربية، هَمٌّ فوق همّ، ووجهه مليء بالبراءة والطيبة والحزم في قول الحق، والكشف عن أيّ قناع زائف.وقد أصدر الفليح حتى الآن ديوانين: "الغناء في صحراء الألم" (1979)، "أحزان البدو الرحل" (1981). وفي هذا الحوار السريع، يتحدث الشاعر (الفليح) عن فهمه للشعر، وعن المدرسة التي ينتمي إليها، ورأيه في عدد من الشعراء العرب البارزين، وعدة قضايا أخرى.وفي هذا الحوار، على إيجازه، يكشف الشاعر عن روحه، وموقفه، ونظرته إلى الفن والحياة...ونرجو أن نقدم للشاعر، في أعداد قادمة من الدوحة، بعض نماذج من شعره الحي.

حاورها: محمد يوسف (216)

- في تصورك الخاص، ما هو الشعر؟ وما هي ماهيته؟

(216) - مجلة الدوحة – مايو 1984م

- حدائق جحيمية لا تزهر إلا الشــــرار الذي يتبعثر عاليًا عندما تندلع رياح الإبداع، ليُشعل السحائب البليدة التي تهادن الظلام... إنه نهر أشعة يمدّ الشمس – إزاء محاولات إخمادها – بالضياء... وهو أخيرًا، دويّ الفجيعة عبر السكوت المقيت.

(1) كيف تكتب القصيدة؟ وهل تستدعي ذاكرتك التاريخية أثناء كتابتها؟

- تمامًا... كما لا أستدعي القصيدة، فإنني لا أستدعي الذاكرة – لا أفقيًا ولا رأسيًا –... إلا أنهما غالبًا ما تأتيان معًا. لستُ أدري، حتى اللحظة، كيف تتفقان على هذا الموعد، ولســــتُ أدري كذلك كيف تنسّـــقان مداهمتهما الغامضة إلى تحجّرات النفس، لتحيا من جديد.

(2) لِمَنْ تَكْتُبُ القَصِيدَةَ؟

– لأولئك الذين يطهّرونها – دائمًا – بالدمع، وهم ما زالوا يجهلون هذا الفضل العظيم. صحيح أنها ضيائي الوحيد، ولكنها تستمد شرارتها الأولى من بريق تلك الــــ"لا عين" التي تشعّ في ليل الحياة... أما كونها، كما تودّ أن تستفز – تلمسًا للطريق الشائك –، فإنني أقول لك: إنني وُلدتُ في

ظلّ إحدى شجيرات الصحراء... وهناك، صبوتُ على منعرجاتها الصعبة، ونهضتُ أخيرًا مواصلًا مسيرتي: الشِّعر، والدم.

(3) الشـــهرةُ في مدينة الشـــعر... هل تُخضِـــعُها المقاييسُ التجارية؟ ما رأيك؟

– إن كل شـاعر يصـدر أشـعاره بموجب هذه القناعة، ما هو – برأيي – إلا غلافٌ يحوي بضـاعةً محدودةَ الصـلاحية، تمامًا كما هو شـأن المعلَّبات التي تُختَم عادةً بتواريخ نهاية اســتعمالها!! صــحيحٌ أنها تكون بضـــاعةً هائلةَ الترويج، بفضل تلاعب التجار، وجهل المستهلك، وصفاقة الإعلان الذي يصاحب طرحها في السوق. الشِّعر الحقيقي –كالدم – لا يخضع للعملية التجارية... الصالح منه يُستثمر، والفاسد يُفصَد. فما بالك بالدم المعلَّب، المحدود الصلاحية والاستعمال؟!

(4) في قصـــــائـدك، تَرشَـــحُ تنويعـاتٌ من لحن الاغتراب والتوجُّع الوجودي... كيف تُفسِّر هذه السِّمة الشعرية لديك؟

– دعني أسترجع لك للإجابة على هذا السؤال صورة عشتها أيام طفولتي... كانت أمي الفقيرة تجرش حبات القمح برحى حجرية ضـــخمة، وكانت تقفز من أشـــداق الرحى بعض حبات القمح هاربة من الســـحق، وكنت

ألتقط تلك الحبات وأبذرها بالقرب من قربة الماء لكي تنمو. كان تصـوري آنذاك يهجس داخلي قائلاً: إنك لكي تجعل هذه الحبة تطعم مزيدًا من الأفواه فازرعها لكي تصـــبح ســـنبلة وتمنحنا مزيدًا من القمح. هذه الحبة الهاربة تشـبه حال الشـاعر إزاء المؤسـسـات الاجتماعية التي تسـحق كل شـــيء... إن هروب حبة القمح من فك الرحى ينطوي على اغترابها، وتحولها إلى ســـنبلة هو عطاؤها، وعطاؤها هو الذي ينقذ مزيدًا من الجياع. ليس في الأمر ورطة.

(5) جماهيرية الشعر والشعر الجماهيري، هل هما مصيدة للانفضاض على (حرية) الشاعر وضغط (رؤيته الشعرية) في قالب صارم؟

- لا أعتقد بأن هناك مصـيدة جاهزة سـلفًا لإيقاع الشـاعر في قالب صـارم، لكن الشـــاعر الذي يحمل أحزان وأفراح الجماهير، آمالها وانتصـــاراتها، هزائمها وانتكاســاتها، هو الذي يضــع نفســه تطوعًا في هذه الدائرة التي تضـيق كلما اقترب منها أو اقتربت منه، وتتسـع حتى تصبح خلاءً موحشًـا كلما بعد عنها أو ابتعدت عنه. لذا فإنها، ولا شك، تحصر رؤيته الشعرية، لكنهـا لا تحـد من فعـاليتهـا. إذن، ليس في الأمر ورطـة، مـادمـت تؤمن،

كشـــاعر، بأنك جئت لإنقاذ الجماهير من ورطاتها السـياسـية والتاريخية والاجتماعية.

(7) – ضع عبارةً مكثفةً ذات دلالة أمام كل صوت من هذه الأصوات الشعرية:

أدونيس؟

- صخرة فسفورية في شعاب الجبال، يتمنى سكان السهول معرفة سر توهجها.

نزار قباني؟

- جبل ذو أزهار اصطناعية رائعة لأنوثة.

أحمد عبد المعطي حجازي؟

- نسر نبيل أعيته التجوال فحطّ على قمته الرؤوم.

عبد الوهاب البياتي؟

- محارب باسل يستغل نتائج هزائمه وانتصاراته.

سعدي يوسف؟

- جبهة مغمومة، عالية تتلقى المطر والأنواء، ولما تباغتها الشمس تبدو — دائمًا — أنصع.

محمود درويش؟

- شجرة زيتون نزقة، مضطربة الظل.

خليفة الوقيان؟

- طائر جارح.

يعقوب السبيعي؟

- ناظم غزليات رقيق.

محمد عفيفي مطر؟

- شاعر أقدره كثيرًا، ولو أن علاقتي بقصائده لم تتعمق جيدًا.

ممدوح عدوان؟

- نموذج فذ لعنفواننا المتمرد المقموع والعابث أيضًا.

علي الجندي؟

- أحد بوابات دمشق الشامخة التي لا يدخل منها إلا العشاق الساخطين.

محمد الفيتوري؟

- أبنوسة تغير أوراقها في الصحراء.

(3)

اَلْحِوَار اَلثَّالِثِ:

اَلْحِوَار اَلثَّالِث

على الرغم من ظهور مواهب شـابة أبدعت في مجالات أدبية وثقافية عديدة، إلا أن آراء الرواد وكل من سبق هذه المرحلة تدور حول عدم وجود هوية محددة لنتاجات الشباب. في الشعر، ظل الشعراء الشباب منذ بداية السبعينات وحتى الآن في حالة بحث مستمر عن الأسلوب واللغة والشكل في إطار التجديد. وعندما نتذكر مرحلة الخمسينات بالمقياس النقدي، فإن جوانب عديدة تتضح وتشكل ظاهرة شعرية بأشخاصها وموضوعاتها وأشكالها. وكذلك الحال بالنسبة لمرحلة الستينات تقريبًا، فهي الأخرى ذات ملامح واضحة ومحددة.

وعندها ينتهي هذا الوضوح لتدخل العملية الشعرية مرحلة جديدة أبطالها الشباب، وموضوعها هموم التجديد والبحث عن الشكل والمغامرات التي تتعدى كونها تجريبًا. ولكن لا يصح هذا المنطق على عالم الشباب الشعري دائمًا، فهناك، وعلى امتداد الساحة الثقافية في الوطن العربي، من حقق تميزًا يُشار إليه بالإبداع، ومن ترجم بشكل خلّاق حركة الشعر الجديدة بعيدًا عن التقليد أو التأثر بمدارس وتيارات أجنبية، وإنما من خلال أرضية البيئة ومفرداتها وإشكالياتها.

فنشأ شعر متميز في تونس، ومصر والعراق والسودان.من الكويت التقينا الشاعر الكويتي الشباب سليمان الفليّح في حوار حول ما سبق ذكره من مفاهيم معظمها في غير صالح الشعراء الشباب. وسليمان الفليّح أحد الأصوات الشعرية التي لها حضور في منطقة الخليج العربي وهو صاحب هموم وأحزان البدو الرحل جمعها في مجموعتين شعريتين صدرتا في الكويت عامي 1979 و1981م

حوار: الشرق الأوسط(217)

الغموض:

(1) تتجمع العديد من الآراء على أن شعر الشباب يعاني من الغموض، أو ما يسمى بالضبابية. فإلى ماذا ترجع هذه الحالة في شعر الشباب؟

- دعني أعترف لك بأنني أحد الذين أعمتهم الضبابية في الرؤية بعين الناس، الأمر الذي جعلني لا أكتب إلا ما تحس به نفسي فقط، دون أن تلمس ما في نفوس الآخرين. فابتعدت تمامًا عن قرائي ووقعت في أنانية مقيتة، وهذا هو حال أغلب شعرائنا الشباب الذين يصل بهم العمى إلى مواكبة

(217) - الشرق الأوسط – مكتب الخليج 1984/12/7م

التجارب الحديثة في العالم ونقلها إلى مجتمعاتهم دون أي محاولة منهم لاستقرار واقعهم وواقع جماهيرهم. لذا فإن الواقع المر يلزمنا هنا بالعودة إلى المباشرة التي كانت تمسّ عيبًا فنيًا. ومن هنا فأني أدعو جميع شعرائنا الشباب، بعدما جربوا كل الأشكال الشعرية، أن يعودوا ثانية إلى تعلم لغة الشارع وتذوقها، ليستطيعوا التأثير فيه. لأننا، وبكل صراحة، أصبحنا لا نقرأ إلا لبعضنا، وبمعزل محزن عن الإنسان الذي نكتب له وعنه. فإذا ما تنازلنا عن عزلتنا المختارة، فأني واثق من أن بلورة جديدة لمرحلة جديدة هي في حكم المؤكد.

النقد:

(2) إلى أي مدى يدخل غياب النقد في خلق أزمة إبداعية بالوطن العربي؟ بمعنى: هل ساهم غياب النقد في خلق حالة من الانهيار أدّت بالشعر إلى الصفوف الخلفية في الحياة العامة اليومية؟

– لا أرى هناك أزمة بالمعنى المضجر للنقد. لكلمة لأننا إذا أسلمنا بذلك فكأننا نقول إن الأزهار لا تنمو في جميع الأمكنة مع إننا ندرك جيدًا أن للأراضي "السبخيّة" إزهارها مثلما للرملية والصخرية، ولكننا في الوقت ذاته لا يمكننا تجاهل عوامل الطقسية أو المناخية التي تؤثر في مسألة النماء، وكذلك

العناية التي تساعد على تواصل العطاء. ففي وطننا هناك المئات من العطاءات المبدعة التي يصلنا أريجها، والتي استطاعت أن تواكب حركة الإبداع العالمي، كذلك هناك المئات ممن لم يصلنا ضوؤها بسبب الحصار الإعلامي. فإذا كانت هناك أزمة فهي تنحصر أولًا في النقد، أي أن الأزمة نقدية وليست إبداعية. ففي وطننا العربي لم يظهر خلال العشر سنوات الماضية أي ناقد حقيقي يقوم بمهمته التاريخية كما يجب، بينما ظهر العديد من المبدعين الذين أصبحوا مرايا لبعضهم البعض بسبب غياب النقد.

تواصل:

(3) كيف يمكن للشعر أن يقيم شعراً بمعنى التواصل الذي يقوم بين الشعراء والجمهور؟

– ليس هناك تواصل أوثق من تواصل الشعراء العرب في هذه المرحلة بالذات، وذلك لأنهم يبقون دائمًا سيمفونية الغد الأجمل التي تعزف ألحانها المهولة من أجل الفجر الصحيح. إن هناك حاجزًا صلبًا ترتد عليه أناشيدهم قبل وصولها إلى مسامع القراء، وصحيح أن هناك صممًا يقترفه القراء ضدهم، وصحيح أن هناك تردّدًا ذوقيًا يعتري القراء. بل دعني أسميه تخلفًا فنيًا لا ذنب لهم به، وذلك بسبب أجهزة الإعلام التي عمدت إلى تهميش كل الأشياء. ولكنني واثق من أن

الشعراء قادرون – لا محالة – على تحرير قراءهم من هذا الوباء، فإذا ما تم ذلك فأني متفائل بقدرة الشعر على التأثير.

(4) كيف اســتطعت أن تجمع تجربتك الشــعرية في الكويت لتقف في مصاف الشعراء الشباب بالوطن العربي، في الوقت الذي تخلو فيه الساحة الأدبية الكويتية من حركة الشعراء الشباب؟

– لعل شعوري بالخذلان هو الذي رفد تجربتي بالألم، فكما تعرف، أنا بدوي أنتمي إلى الصحراء بكل قسوتها، لكن بعد مجيئي إلى المدينة، جُوبِهت باليأس. حينما انحدرت إلى شوارع المدن مبهورًا ببهارج أضوائها، مبتهجًا بالأناشيد البرية البريئة، متطلعًا إلى عالم أبهى، فوجئت بأنني كمن ســقط في بئر موحش عميق تخيم على طياته الهزيمة. لذلك حاولت جاهدًا أن أنقذ نفســي، ولو بالحلم، في الخروج إلى رحاب الحرية. أما بالنســبة لبعض الشــعراء، فهذا فلكل منهم همه العام، وطريقته في الحياة، وسلوكه الشعري.

(5) وهل اســتطاع الشــعراء العرب المقيمون بالكويت أن يســاهموا في تكوين حالة شعرية جديدة؟ وهل استطاعوا أن يحققوا الالتحام مع الشعراء الكويتيين؟

- لا تختلف حالة المقيمين هنا عن حالات المثقفين العرب في بقية البلدان العربية من حيث الهم المشترك وطرق التناول وأساليب النقاشات، إلا أن الذي يحكم العلاقة هنا هو الفتور ووهن الصلة والسلبية وعدم الحميمية، لأن اللقاءات الفكرية والأدبية والثقافية - بشكل عام - غالبًا ما تكون مرهونة بالمصادفات، لذا لا يمكننا تلمس جو ثقافي معين، وهذه الحال تنطبق على كل المثقفين الموجودين في الكويت.

***

(4)

اَلْحِوَار اَلرَّابِعِ:

اَلْحِوَار اَلرَّابِعِ

الشاعر والكاتب سليمان الفليّح من الشباب الذين عايشوا الحركة الأدبية والثقافية في الكويت منذ بداية السبعينات، وشارك في النمو الثقافي بإصدار ديوانين من الشعر الحديث. بالإضافة إلى أنه صوت وقلم مميز، استطاع أن يبرز بوضوح منذ البداية وحتى السنوات الأخيرة، رغم انقطاعه عن ممارسة الكتابة اليومية، إلا أنه لا يزال يشارك بروحه في مسيرة الحركة الثقافية بالبلد. عبر هذه السلسلة من الحلقات لبحث قضايا الحركة الأدبية والثقافية في الكويت، التقيناه ليصارحنا بآرائه التي تضيف إلى ما قاله الأدباء والشعراء بهذا الخصوص.

حاوره : إياد السبتي(218)

(1) الثقافة ذات مفهوم واسع.. لكن ما هو تعريف الثقافة بعمومية لدى فكر سليمان الفليّح؟

– ليس هناك مفهوم ثابت للثقافة، بل إنه مفهوم متحرك مع تحرك الزمن سواء قدمًا إلى الأمام أو تراجعًا للخلف.

---

(218) – إياد علي السبتي كاتب وإعلامي من الكويت – لم يتضح التاريخ على الورقة فربما يكون هذا اللقاء في منتصف الثمانينات

فإذا ما أردنا تراجعنا للخلف، فبمقدورنا تبسيطه على أنه (مجرد اكتساب درجة عليا من المعرفة والعلم)، أو بمعنى أكثر حيوية هو (مجرد إبداع وابتكار فني وجمالي). وإذا ما صعدناه أكثر لقلنا (بأنه نمط تعبيري خاص بسلوك مجتمع من المجتمعات).

ولكن الذي يقنعني من كل هذه التعاريف هو تعريف إدوارد تايلور للمثاقفة بأنها "المركب الكلي الشامل على المعرفة والمعتقد والفن والأدب والأخلاق والقانون والعرب والقدرات والعادات المكتسبة".

ولكون هذا التعريف قد يحتوي مثلا على مسألة (العرف)، ولتضاؤل هذا الجزء من ذلك المركب، فإننا سنتقدم إلى الأمام لأخذ تعريف مالينوفسكي القائل: بأن الثقافة جهاز فعال ينتقل بالإنسان إلى وضع أفضل من خلال كمية هائلة من المعارف الواعية.

ولكني لا أدخل معك في (المثاقفة)، وأقول لك بأنها (الجهد المبذول لتقديم مجموعة متماسكة من الإجابات على المأزق المحيرة التي تواجه المجتمعات). أكتفي بالقول بأن (الثقافة هي كل ما يسرّ إلى ما هو عقلي)، هذا إذا كانت الحضارة هي كل ما يشير إلى ما هو مادي،

وبذلك نصل إلى القول بأن الثقافة هي روح الجسد الحضاري، وأنها بالنسبة للمجتمعات الحضارية هي بمثابة البناء الأعلى للجميع.

(2) ما هو دور الثقافة في الكويت في وضعها الآني؟!

– أنت تعرف أن للانفتاح الثقافي الذي اختطته الكويت منذ استقلالها، ولربما قبله، وما رافق ذلك من مرحلة جادة في البناء والتطوير أثرًا فعالًا ليس على الساحة الثقافية في الكويت فحسب، بل عمل حتى على الساحة العربية، مما حدا بأحد المفكرين العرب لأن يسمّي الكويت "الإمبراطورية الثقافية الصغيرة"، وذلك لإيمان أكثر المثقفين في الوطن العربي بدور الكويت الريادي في مجال الثقافة والفكر. وكل ذلك يعود للجو الثقافي الصحي الذي أفرزته حياتنا الاجتماعية والسياسية والفكرية، مما نمت معه العديد من الكيانات الثقافية الصغيرة التي أصبحت تشكل، فيما بعد، روافد ثقافية تصب في محيط الثقافة العربية الأم. لذا، يتوجب علينا الآن أن نشير بكل الزهو إلى الكثير من المثقفين العرب الذين كان للكويت الفضل الأكبر على تكوين ثقافتهم أو على الأقل إتاحة الحرية لتلك الثقافة.

بأن تنمو وتزدهر، وأعني بذلك كل الأسماء الكبيرة الجيدة التي ترعرعت ثقافتها في ظل الحرية الكويتية، والتي تشكلت فيما بعد لتعطي ثمارًا سياسية أَتت أكلها

الناضـج على شـكل قادة سـياسـيين وقادة فكريين، بدءًا بالقائد الفكري لثورة العشـرين في العراق محمد علي كمال الدين ورفيقه الشـاعر الكبير أحمد الصـافي النجفي اللذين لجآ إلى الكويت في 1920م، وانتهاءً بقادة الثورة الفلسـطينية، سـواء السياسيين أو المفكرين، كـــ ياسر عرفات، وأبو إياد ، وناجي علوش، وغســان كنفاني، هذا عدا عن السـيّاب، وسـعديّ يوسـف، ومحمود حسـن إسماعيل، والكثير الكثير من القمم الأدبية التي لا تحضـرني الآن أسماؤهم. أما في السـنوات الأخيرة فقد كان النتاج الفكري الأدبي الصـادر عن الكويت الأقرب الفعال في إثراء الثقافة العربية وبأسعار زهيدة، فلا أحد يستطيع أن ينسى دور مجلة "العربي"، أو "عالم الفكر"، أو سلسلة "عالم المعرفة"، أو "المسرح العالمي"، أو مجلة "البيان"، وباقي المجلات والصـــحف الكويتية، حتى إن الكويت قد أخذت الدور الثقافي للبنان في مرحلة انشــغاله بالاقتتال والتطاحن، وبذلك أصبحت عاصمة ثقافية رابعة بعد القاهرة وبيروت وبغداد.

(3) تحدثت عن دور الثقافة في الخارج ولم تتحدث عن انعكاســها على الداخل؟

– مرحلة بكل بسـاطة أسـتطيع أن أضـرب مثلًا على محدثك هذا الذي كان قبل سنوات قليلة مجرد بدوي شبه أمي، وبفضل انعكاس هذه الثقافة عليه، ها

هو الآن يتحدث لك عن الثقافة و(المثاقفة). أي إن الثقافة هنا متيســـرة بكل مناحيها، ولكن من يشغل "الثروة" التي لا تنضب في مرحلة انشغال الجميع في جمع "الثورة" التي مالها للزوال.

(4) وكيف ترى الاستخدام الصحي للثقافة كسلاح في معالجة المشاكل الاجتماعية؟

– الثقافة هي لغة العقل والوجدان، ومن هنا فهي طريقنا الوحيد إلى الخلاص من محاولات التشتيت والتفتت والانفلاس التي تحاول أن تعيدنا إلى قرون الدم والتشظي التي تقبع في زوايا العقل المتكلس وللجاهلية الجديدة، وذلك بالتأزر الكلي لتدعيم الوحدة الوطنية ووواد الفتن وبتر الأصابع الملطخة التي تتحرك في الظلام، لكي تبقى الكويت المنارة المضيئة في ليل الدسائس والقلاقل والتعمية.

(5) وماذا عن النشر والطباعة والتوزيع كإحدى قنوات الثقافة؟

– إذا كنت تعني دور النشر سواء كانت مؤسسات أو شركات، فأنا أقول إن هذه الدور تقوم بطباعة الأعمال طباعة جيدة، ولكنها من حيث التوزيع فحركتها أشـــبه ما تكون بحركة الســـلاحف. وأعتقد أن هناك جهلًا وبخلًا في مسـألة نشـر النتاج الأهلي، وذلك لأن أكثر هذه المؤسـســات تعتمد بالدرجة

الأولى على إقامة المعارض السنوية، فيما تبقى المكتبات التي ملأ البلد مجرد مخازن للقرطاسية ومسترجعات الصحف. أما عن علاقة هذه الدور بالمؤلفين من حيث التعامل المادي، فهي علاقة يعتريها الغبن والاحتيال، وذلك لإدراكها أن المؤلف (المحترم) يخجل أن يطالبها بحقه المادي، ومن هنا فإنهم يبتزون المؤلف عبر مكافأة (مخزية لا مجزية!!).

مع أنهم يستغلون إنتاجه أبشع استغلال، أقولها بمنتهى الصراحة: إن عدم اقتناء وزارة الإعلام والمجلس الوطني، ولربما وزارة التربية، لبعض المؤلفات الكويتية، جعلنا مدينين إلى دور النشر إلى الأبد.

(6) كيف ترى دور رابطة الأدباء في الحركة الفكرية الأدبية؟

– مع احترامي الشديد لهذا المنبر الذي لولاه لأصبحت شاعر (قلطة) أو مجرد شاعر قبيلة، فإن دورها الحالي محزن، وإلا قل لي ماذا تقول لشاعر كسقاف الذي يكتب الشعر منذ الأربعينات ولم يصدر سوى ديوان واحد، وكذلك نظيره أحمد العداوني، وثالثهم علي السبتي، الرموز الكبيرة التي لم تصدر سوى عملاً أو عملين، وانشغل كل منهم بما أشغله تمامًا كالرابطة التي لا يشغلها سوى أن تشغلها دماء جديدة. أقول ذلك وأنا أعرف الرد الجاهز كالعادة: وهل تريدنا أن نلاحق الناس لنقودهم إلى الرابطة؟! وأنا أقول لهم (أي نعم!!) فهذا دور

الرابطة الحقيقي، ولماذا سميت رابطة!! وذلك لأن دورها الحقيقي هو خلق جيل أدبي جديد، ولو من خلال متابعة بعض الأسماء الواعدة في صــــفحات القراء. ففي الوقت الذي لم يبرز اسم واحد في مجال الشعر منذ عشر سنوات، هناك ما يقارب (100) صوت شعري شاب تتأرجح نتاجاتهم بين العامية والفصحى، انضموا مؤخرًا إلى الصفحات الشعبية لكتاب القصيدة النبطية، وذلك لتقاعس الرابطة عن مد يديها ((الكريمتين)) نحو تلك الأصوات واجتذابها. وأنا بمقدوري إعداد قائمة كاملة بهذه الأسماء شريطة أن تسرع الرابطة أبوابها، فلم يصلح من هذه الأسماء الواعدة.

(7) أنت تتحدث ضــد الصــفحات الشــعبية... وكأنها عائق لانتشــار الثقافة؟

- أنا لست ضد هذه الصفحات، ما دامت تقدم إبداعًا شعبيًا جيدًا، وقد تلمســتُ في بعضــها دورًا حقيقيًا في تحديث المفردة الشــعبية بما يتلاءم مع روح العصــر، وأصــبحت تقدم لنا لغتنا اليومية – وأعني لهجتنا الحديثة – من خلال فن راقٍ.

ولكنني كنتُ أتمنى أن تكون هذه الأصــوات المبدعة منطلقة أســاسًــا من اللغة الأم، أي الفصـــحى، وفي ذلك ضـــخٌ جديد في عروق الحركة الأدبية هنا، تلك

الحركة التي كانت هي الرائدة في المنطقة، وأصبحت الآن – وبكل أسف في الصف الأخير.

لكنني آخذ على هذه الصفحات اهتمامها بموضوعٍ معين، ألا وهو الغزل، وإن كان هناك من يكتب القصيدة الوطنية والاجتماعية أيضًا. كما أنني آخذ عليها الشللية، وتقفيز العلاقات الشخصية على الصالح العام، مما أوجد "قبائل شعرية" جديدة ينصر بعضها بعضًا.

وأنا لا أعني هنا القبلية بمعناها الأنثروبولوجي، لأن هذا المفهوم قد تلاشى – والحمد لله – من الصفحات الشعرية، ولكنني أعني بالضبط "القبلية الشعرية" التي تكونت من خلال الصداقات الخاصة والشللية الجاهلية، التي بدأت تظهر بشكلٍ مختلف على حساب الحركة الشعبية للأدب، والتي كنّا قد تفاءلنا بها خيرًا، لكنها أصابتنا بالخوف على مستقبل هذه الأصوات، التي أصبحت تصفّق لبعضها لمجرد الصداقة، بغضّ النظر عن الإبداع الذي تقدمه.

أي أنه لو كانت هذه الشللية مبدئية، لكانت دليل صحة، ولكنها شللية فارغة، لا يحكمها سوى المزاج والمواقف الشخصية.

ومن هنا، فقد أصبحت الصفحات تعضّ بعضها بعضًا بلا موجب وجيه، ولا حتى تنافس مجدٍ.

(8) ما دمنا في الحديث عن الأدب الشعبي، فما هو رأيك في الدور الذي تقوم به ديوانية شعراء النبط في انتشار الثقافة الشعبية؟

– أنا أعتقد أن الديوانية تضم بعض الطاقات التي تمتلك ثقافة تراثية جيدة، بل ومستوعبة لتاريخ ذلك التراث وفلكلوره، ولكنني لا أفهم – إلى الآن – عدم مشاركة تلك الطاقات في الصفحات الشعبية، مع أنني أعرف رأي الديوانية في الصفحات، ورأي الصفحات في الديوانية! فأعضاء الديوانية يرون أن محرري الصفحات جهلة بالتراث، ومحررو الصفحات يرون أن أعضاء الديوانية جهلة في الحداثة، ولا يفقهون روح العصر.

وأنا، كطرفٍ حيادي، أرى أن الاثنين على جهل؛ فما دام الطرف الأول يملك الأصالة، ويملك الطرف الثاني الحداثة، فإن الثقافة الشعبية السليمة لا تقوم أصلًا إلا على الطرفين معًا، وبالأصح: الساقين معًا. فلا حداثة ما لم تتكئ على أصالة، ولا أصالة ما لم تقبل هذا الاتكاء، لأنه وسيلة استمرارها وديمومتها. وأعتقد أن الوقت قد حان، وبإلحاح، لأن توَصِّل الأصالةُ الحداثةَ، وتُحدِث الحداثةُ الأصالة، لكي تسير ثقافتنا الشعبية على ساقين سليمتين.

***

(5)

اَلْحِوَار اَلْخَامِسِ:

اَلْحِوَار اَلْخَامِسِ

كانت يده السمراء النحيلة ترتعش بالسيجارة، وأنا أُصوِّب نحوه جهاز التسجيل لألتقط كلماته الشاعرة. نظر إليّ بعين صقرٍ حائر، وكأنني أُصوِّب نحوه سلاحًا لأنتزع ما في قلبه من حب وإبداع، وسألني بلهجته البدوية: "إيش ناوية تسأليني يعني؟" وكان صاحبنا الشاعر المبدع سليمان الفليّح يتصوّر أنني سأسأله عن الألوان التي يحبها، والأكلات التي يفضّلها. ولكن، عندما أشرتُ إلى بعض أسئلتي، ارتاحت ملامحه، وبدا كأنه يُقابل صديقًا بعد غيبة. قال: "في الحقيقة، أنا ندمتُ على لقاءات سابقة، كانوا يوجّهون لي فيها أسئلة تقليدية لا تُقدّمني للناس كما أريدهم أن يعرفوني. ولكن، ما دام الأمر كذلك، فلنتحدث دون ندم." وهدأت ارتعاشة يده، وهدأت نيران سيجارته، وبدأنا الكلام.

حاورهـ: أماني الفقي(219)

(1) كيف تفجّر فيك نبع الإبداع الشعري لأول مرة؟

– لقد كتبتُ الشعر من الطفولة. والظرف الذي جعلني أكتب يتمثل في طفولة قاسية وبائسة، ومليئة بالفقر والترحال والجَدب وانحباس الأمطار

(219) – الراية القطرية 28 يناير 1989م

والضياع، حيث يكون الإنسان منفرداً بين صفرة الصحراء ورزقه السماء، بعيداً ونائياً كنقطةٍ وحيدة. اختزنت ذاكرتي الصغيرة كل مشاهد عذابات الإنسان وارتحالته، وظهر هذا في البداية على شكل قصائد نبطية قصيرة كنتُ أسخر فيها مما حولي. وعندما دخلتُ المدينة كانت الصدمة الكبيرة، حينما لمستُ ضياع الإنسان وابتلاع التكنولوجيا لكل مكوناته الإنسانية، وجهله أمام الآلة التي أخذت تفترسه. حينها تصارع في داخلي الإنسان البدوي النقيّ البريء، وإنسان المدينة المليء بلعنة العصر. هذا الصراع أفرز في بداية السبعينات قصائد كتبتها بالفصحى، وكانت تعتمد على التفعيلة.

(2) قبل أن نكمل مشوارنا، أقف قليلًا عند نقطة الصراع، وأسألك: هل لا بد من المعاناة والصراع لكي يبدع الفنان؟

- ليس هناك إبداع ما لم يكن هناك حافز لهذا الإبداع، سواء أكان ألمًا كبيرًا، أو فرحًا كبيرًا، أو تفاؤلًا كبيرًا.

(3) ذكرتَ أنك بدأتَ بكتابة الشعر النبطي، فلماذا لم تستمر في كتابة هذا اللون؟

– حينما كتبتُ الشـــعر النبطي، كنت أعيش في بيئة بدوية أميّة لا تقرأ ولا تكتب، وكانت تعتمد في مخاطباتها على هذا النمط من الشـــعر. ولكن عندما بدأت أقرأ وأتعلم، وجدت أن القصـــيدة الفصـــيحة أكثر تعبيرًا، وأقدر على إيصال ما أريد أن أقول.

(4) ولكن ألا ترى معي أن الكتابة باللهجات المحلية قد تمنع وصول الفن أو الشعر إلى بلدان عربية أخرى لا تفهم نفس اللهجة؟

– أنا معك إلى حد ما في هذه النقطة، وإنما الآن وبحكم تطور الإنسان ووعيه وثقافته بدأت اللهجات تقترب وتتوحد، وبفضـــل وســـائل الإعلام وانتشـــار الأغنية التي لها دور مهم في تقريب اللهجات المختلفة للبلدان العربية.

(5) يقول الشـــاعر أحمد عبد المعطي حجازي: إن العامية أكثر تقلباً في الحياة واســـتجابة لاحتياجات الحياة اليومية، وعليه فيجب أن تســـتفيد الفصحى من العامية أو تستعير ألفاظها، فهل تتفق معه في هذا الرأي؟

– نعم، بالإمكان الاستفادة من العامية في المفردات التي استجدت في حياتنا اليومية وأصبحت جزءاً من لغتنا، وأنا مع الشعر الشعبي لأنه فن قائم بذاته وهو وليد اللغة الفصـــحى، وبالتالي فلابد أن تخدم هذا الوليد أمة الفصـــحى.

وبالإمكان الاستفادة من الشعر الشعبي باستخدامه وتضمينه في القصائد التي لا نستطيع إكمال معانيها بالشعر الفصيح، ولقد فعلت أنا هذا في قصائد عديدة.

***

قبل أن أكمل حديثي مع سليمان الفليّح تذكرت أن الشاعر الكويتي (خالد سعود الزيد) قال عنه: "تلتقي البداوة بفطرتها والمدينة بخبرتها في شخص سليمان الفليّح"، وتذكرت أيضاً أن هذا الكلام ينطبق على قصائد كثيرة ومنها قصيدة (أغنية للطفلة الزجاجية) وهي عن لويز أول طفلة أنابيب، وفيها يقول:

"تماماً كما يجلس الآن "جون" الذي مزقته الابتهاجات ممزوجة بالمخاوف من أجل "لسلي" التي يقرع الآن من أجلها قلبه

بانتظار الولادة

هنالك عصر هو الآخر الآن ينتظر الابتداء على كوكب حولته اختراعات سكانه

المرعبين إلى معمل نووي

يهدد أحياءه بالإبادة

وما أن تطل " لويز " الجميلة من ظلمة الرحم مسرورة

سيجهش من أجلها الكون , من ثم يهتز , ومن ثم يمنح للزمن القادم ميلاده

ليمنح دكتور "ستبتو" الشهادة

لويز تحول عصر انفصال التمخض عن عصر ميلادها حاجزاً

يفصل الآن بين " الزمان الفضائي "

بين زمان ارتياد الفضاء

وبين زمان ارتياد الإرادة.

***

(6) ونكمل حديثنا مع الشاعر سليمان الفليّح ونسأله: لمن قرأت من الشعراء؟

- قرأت لكل الشـــعراء العرب أو أغلبهم، وتابعت بدقة كل مراحل تطور القصـيدة العربية الحديثة بدءاً من مرحلة الرواد ثم ما يســمى المرحلة الأندلســية كما يسـمونها، قرأت لهؤلاء وأعجبت بهم وأصبحت أتابعهم وأقلدهم، ثم قرأت

لجيل السبعينات الذي هو جيلي أنا وبدأت أكتب مع هذا الجيل المهزوم المأزوم أيضاً.

(7) هل هناك شاعر معين من هؤلاء تأثرت به أكثر من غيره؟

– لم يكن تأثري بشـــاعر دون غيره وإنما بمراحل شـــعرية، وهناك الكثير من الشعراء الذين تربطني بهم صداقة ومحبة شعرية ومنهم سعدي يوسف والبياتي وأمل دنقل وأدونيس وعبد المعطي حجازي وغيرهم.

(8) وهل استمر هذا الإعجاب أم طرأ عليه تغير؟

– طبعاً هناك أسماء بقيت ثابتة وراسخة ومضيئة، وهناك أسماء انكفأت.

(9) صـــدر لك ديوانان هما (الغناء في صـــحراء الألم) عام 1979م، ثم (أحزان البدو الرحّل) عام 1981م، ثم حدث توقف أو فجوة في حياتك، لم نسمع عنك أو منك بعدها ولم نقرأ لك، فلماذا؟

– تجربتي مع الصحافة أثرت على إبداعي الشعري، فالصحافة استهلكتني وقتلت فيّ الكثير من الجهود، فالكتابة اليومية هي استهلاك للإبداع الشـــاعر، وبالتالي فإنها تجهض الكثير من الومضات الباقية في ذات الإنسان، وهنا عليك أن تختار إما أن تصـــبح فناناً وشـــاعراً أو أن تصـــبح صـــحفياً، وذلك تركت

الصـــحافة وعدت من جديد للعالم الوحيد الجميل وهو عالم الشـــعر، وعدت للقراءة المكثفة، وكتبت عدة دراســات منها دراســة بعنوان (إيكولوجيا البداوة) وهو علم دراســـة مجتمع البادية من حيث عاداته وتقاليده وأعرافه وقبائله واقتصـادياته، ودراسـة أخرى أسميتها (أزمنة الصـعاليك) جمعت فيها أخباراً عن حياة الصعاليك منذ العصر الجاهلي إلى صعاليكنا اليوم، وأيضاً جمعت مختارات شعبية من كل الأقطار العربية بعنوان (دوي الرمال)، ومختارات أخرى من الشعر العالمي أسمينها (قصـائد كون)، وكتبت ثلاثة دواوين جاهزة للنشـر وهي (رسـوم متحركة) وهو عبارة عن لقطات كاركاتيرية صــغيرة لها إســقاطاتها الســاخرة، وديوان (مضارب الرخام والقلق)، وديوان (مهب الجهات).

(10) سمعنا أن لك أيضاً تجارب في مجال القصة القصيرة؟

- نعم، لدي قصص قصيرة كنت قد نشرتها في الصحف وأعدت كتابتها وجمعتها في مجموعة قصصية.

(11) رغم كل هذه الإبداعات وهذا الثراء الفني، فإننا لم نقرأ لك شيئاً منشوراً.. لماذا؟

– الحقيقة أنا لم أعد أهتم كثيراً بالنشر وذلك لضعف سوق الكتاب ولظروف النشر الآن، فالقصيدة تشبه هذا المبنى الذي نجلس فيه الآن، إذا نزعت منه طوبة واحدة تأثر كل البناء، وعندما يتدخل مقص الرقيب في القصيدة، لذلك فأنا في انتظار فرص طباعية أو ظرفية أجمل، وأيضاً عندما أحس أن القارئ مهيا لهذه الدراسات والكتابات.

(12) ما رأيك أن تختار لنا إحدى قصائدك التي لم تنشر بعد لنقدمها لقارئ (الراية)؟

– عندي قصيدة أعتز بها بعنوان (دندنة) أخاطب فيها واحداً من أصدقائي الأعزاء وهو الشاعر (مسفر الدوسري) أقول فيها:

في رحلة التسكع العتيدة

قد زرت صاحبين

كلاهما مكتئبان

الذئب في حديقة الحيوان

و(الدوسري) في الشقة الوحيدة

عن الذئب أولا

مرحبا يا أميرَ الوحوش أحييك من قبةِ القلبِ

وأقدّمُ نوارةً من سهوب البراري إليك

وأرثيكَ من لعنة الانزواء

فأنت أسيرُ الزنازينِ

عبدٌ لحملقةِ الآخرين

ولا تقبلُ الارتهان كباقي الوحوشِ

ولا تقبلُ الاحتواء

تلوب طوالَ النهار بـ (مترين)

صارا إليكَ جميع القفارِ

وصارا الفضاء

وقلبي يلوبُ بهذي المدائنِ منذ انحدرتُ إليها

طُعنت

لُعنت/ أهنتُ

ولكن روحي ستبقى تزمجر مثل الرياحِ

بذاك الخلاء (ليس هذا عزاء)

تهبُّ بكلِّ زمانٍ فتصخب حيناً

وتهدأ حيناً

ولكنها لا تدجّن مهما استبيحت

ولا تقبلُ الانحناء

عن الدوسري:

غرابٌ جميلٌ يعيشُ على الشعرِ والحب والأصدقاءِ

فيكويه عصره

يلويه دهره

ولكنه كعصا الخيزران

يرفضُ الالتواء

عن الكلِّ :

كلهمُ في البلاءِ سواء

(مسفرٌ) وأميرُ الوحوشِ وقلبي

كائناتٌ تُباد

وتبدأُ من حيث لا ينتهي الابتداء.

(13) ألا ترى معي أن الأغنية لها دور فعال في تشكيل وجدان الناس؟

– بلا شك، إن الأغنية قد تنمي هذا الوجدان وتجعله يزدهر، وهي تجمل حياة الإنسان وتستطيع أن تملأه بالتفاؤل وأن تملأه أيضاً بالحزن والألم.

(14) ما رأيك فيما يغنى حالياً؟

– لكل وقت زمن أغنية، فهناك أغاني جميلة وأخرى رديئة، ولكن دائماً الأغنية إفراز لنفسية المجتمع بشكل عام، وهي تعبير صادق عن العصر الذي كتبت فيه، لذلك لا نملك إلا أن نقبلها. قد يقول إنسان الخمسينات إن أغاني عصره أفضل من أغاني الستينات، وقد يقول هذا عن أغاني السبعينات وهكذا،

ولكننا لا نملك إلا أن نقول عن أغنية جيدة أو رديئة، فهذا يتوقف على ذوق المتلقي نفسه أو مدى ملامستها لوجدانه.

(15) في زماننا الغريب والمتناقض، هل المطلوب من الشاعر أن يهرب باللاوعي أم أن يزداد وعياً؟

– طبعاً أن يزداد وعياً، لأنه بدون ازدياد الوعي لن يســـتطيع مقاومة الوعي المتنامي لحركة الحضارة، وبالتالي لحركة الزمن، وسيتركك الزمن جاهلاً تصبح مجرد نقطة في هذه الحياة.

(16) أنت تكرر الحديث في أشعارك عن الصعاليك وحياتهم، وكما قلت فإنك قد أعددت دراسة عنهم وأهديتهم القصائد، فهل تعتبر نفسك أحد الصعاليك؟

– لقد أحببت الصـعاليك الذين كانوا من أنبل الشـعراء وأصـدقهم وأكرمهم، ولي الشـرف أن أكون صـعلوكاً، ولكن مثل أجدادنا الرائعين ومثل الصـعاليك الذين عاصرناهم ورأيناهم في إبداعاتهم الجميلة التي لا تُنسى.

(17) ما هي الخاصية الصعلوكية التي تجمعك بهؤلاء؟

- لقد كان الناس والنقاد يربطون اسم الصعلكة بي ربما لقصيدتي الحادة ومواقفي من الحياة وسهولة وبساطة تعاملي مع الرائعين وموقفي الحاد من السيئين، وفي إحدى قصائدي أخاطب الصعاليك فأقول:

ليس للصعاليك

الاحتفالات

والكرنفالات

طقوس الدِّنانِ الثمينة

والبزز الباذخة

ليس للصعاليك

دعوات السفارات

أو واجهات المطارات

أو بهرج المرأة (الكاشخة)

ليس للصعاليك

غير ملح البحار

ورمل الصحار

وقول الحقيقة في الجملة الصارخة

للصعاليك رقصتهم البربرية حول اتقاد الغضى

واتساع الفضا

ووقفتهم الصلبة الراسخة

للصعاليك ما تحمل الريح

من عبق الشيح

والاتجاه الصحيح

إلى الشمس بالجبهة الشامخة.

في واحدة من قصائدك الأولى تقول:

النساء بهذي البلاد تماثيل منحوتة من صخر

لهن قلوب معبأة بالفراغ

وجوه هلامية من حجر

للنساء بهذي البلاد عيون زجاجية تحسن الانحراف

ولكن بدون نظر.

(18) فهل كنت تقصد المرأة بشكل عام أم بشكل خاص؟

– المرأة التي يبحث عنها الشاعر صعبة الوجود، وهناك نسوة رائعات يفهمن الشعر والشاعر، فالشعر عالم من الغرائب والمتناقضات، من الحب الكبير والطفولة الكبيرة وأيضاً من الكهولة الصغيرة، هذه الحالات كلها بحاجة إلى امرأة شاعرة الروح بحيث تفهم هذا العالم، ومواقفي ليست حادة من النساء عموماً، ولكن النساء الخاويات اللاتي لا يحملن من المرأة التي تحمل عقلاً وروحاً رائعين، فالمرأة إحدى جماليات الكون، وأنا أبحث عن هذه المرأة الجميلة في الفكر والموقف.

(19) ماذا تعني الطفولة لك؟

– الأطفال هم جمال آخر في هذا الكون، وكل منا مهما كبر لابد أن يحمل جزءاً من براءة الطفولة وجمالها، وإذا مات الطفل داخل الإنسان فإنه سيتحول إلى وحش كاسر وليس إنساناً.

(20) يقولون إن الشاعر طفل كبير، فهل توافق؟

- نعم، لأن الطفولة هي التي تجعل الإنسان يحمل الخير والبراءة والصفاء، وبدون دهشة الطفل وبدون الحلم لا يكون شاعراً.

(21) هل جربت أن تطرق باب المسرح الشعري؟

- نعم، كتبت مســـرحية شـــعرية، ولكن الظروف وأدتها، فقد كتبت في عام 1975م مسرحية للمخرج الراحل صقر الرشود، ولكنها ضاعت للأسف، ولا أدري هل بقيت معه أم ضـــاعت بين الأصـــدقاء، وعموماً الفن عمل إبداعي، وإذا لم يأت لك أنت لا تذهب إليه، وعندما أجد لدي الرغبة في كتابة مسرحية شعرية سأكتبها.

(22) لدي سؤال أستعيره من عنوان ديوانك الأول وأقول، أما زلت تغني في صحراء الألم؟

مدام هناك ألم وأيضاً هناك أمل، فسيبقى الإنسان يغني بين الألم والأمل، لأن الحالتين تدفعان إلى الغناء.

(23) نختم حديثنا معك بكلامك ونقول لك؟:

زمانك صعب

(فلا تنكسر

وكن مثلما عهدوا صامدا مثل رمح

وإياك ان تنحني

وكن منتجاً رائعاً مثلما حقل قمح

وإياك ان تنثني)

شكرأ وآمل ان أكون هكذا

وتركت سليمان الفليّح وانا امل الاينكسر .

***

(6)

اَلْحِوَار اَلسَّادِسِ:

اَلْحِوَار اَلسَّادِسِ

الصادق الصحراوي يخلع عباءة الصمت ويتحدث بجرأة، سليمان الفليّح .. شاعر كويتي.. بدوي حتى النخاع امتطى جواد الشعر الحديث وتجول في صحراء الجزيرة حمل قلبه الكبير قومه.. متاعب البدو الرحل.. عانى لأجلهم وكتب أجمل أشعاره. عندما تلتقي به تثير فيك نحافته الزائدة وشحوب وجهه وحيويته الدائمة.. وقلقه المستمر أكثر من علامة تعجب!! بل حديثه الرقيق الهادي مع الجميع يثير في نفسك أكثر من علامة استفهام حول أعماق هذا الشاعر النحيف. وتبحث في شخصيته عن بعض الرموز التي تقربك من هذا الإنسان المتواضع جدا باعتزازه الشامخ ولأن الحديث عن سليمان الفليّح لا يعطيه حقه.. وخوفا من ان أخفق في طرح استهلال لهذا اللقاء الصريح جدا فلنترك للقارئ فرصة تعايش مع شخصية غير عادية..

حاوره: منى الشمري (220)

(1) كيف تريد أن يكون المدخل؟

(220) – لا يوجد تاريخ على الورقة فربما قبل عام 1990م ، ويوجد أيضاً سؤالا مفقود لعدم ايضاح الورقة

– من حيث يقضي دائماً إلى ما نود قوله كاملاً، الشعر مثلاً هذياننا الطفولي الأول الذي لا تؤطره مساحات، ولا يرتهن بعلائم ثابتة، ولا تُطبق عليه أشواك ذواتنا الخارجية التي ننكفئ داخلها كالقنافذ. الشعر هذا الذي لا يعرف مهانة الاستئذان، ولا ممالقة السائد الذوق البغيض. أنا (أرى) ذلك أحسن، لأنه ينقلنا إلى كوننا الأرحب والأشمل اتساعًا كعيني الجميلة.

(2) أين ينزل البدو في شعر سليمان الفليّح؟

– وهنالك من شرفة قلبي، دخلت قافلة قادمة
من جزر " العرفج " و" الشيح "
يركبها بدو عرفوني، جاؤوا من عاصمة الموتى
فأناخوا النوق على قبري
واعتصموا في قبة قلبي
ضد رمال الزمن الداجن
والريح

(3) الانقطاع الإبداعي لدي سليمان الفليّح ماهي اسبابه؟

– إذا كنت تعني الإبداع كحالة، فهو مرهون أصلاً بالانقطاع، لأنه حالة لا إرادية تأتي كيفما شاءت وتنقطع كيفما شاءت. ومتى أراد الكاتب أو الشاعر

أن يجعلها متصلة، فإنه (يزوّر) صدقته الفنية، أي يخادع نفسه. فالإبداع مسألة غير عقلانية، وغير منتظمة، وغير قابلة للتهيؤ المسبق، ومتى ما أخضعها الفنان لذلك، أصبح يبتز مشاعر محبيه. لذلك لا أريد – إذا كنت مبدعاً – أن أكون لصاً لأذواق الناس.

(4) التوهج الرملي في قصائد الفليّح ماهي حدوده؟

– سيبقى يتوهج ويحترق ما دام رمل هذه الصحارى يمارس توهجه، إلى أن تكسوه الخضرة، عندئذٍ ستزهر قصائدي بلا شك، وتطرح أروع إنجازات إنساننا الحضاري الجديد.

(5) يلاحظ جمود الحركة الأدبية الحديثة في الكويت .هل نقرأ إضاءة على ذلك؟

– فيما يخص الشعراء بالذات، أستطيع أن أعزو السبب إلى أنهم اكتفوا بوصول الواحد منهم إلى مرحلة "إتقان" كتابة القصيدة (!) التقليدية فقط، ثم توقفوا عند هذا الحد باعتباره النموذج الأمثل في الشعر، ولم يحاولوا – لربما عن قناعة – أن يتخطوا هذه الحالة، ولم يهتموا بما جاء بعدهم من تجديد. لذلك أستطيع أن أقول، وبأسى، إنهم ما زالوا واقفين على قبر شوقي وحافظ،

"يدبّجون" قصـــائد التأبين عن روح الشـــعر (!!). هذا من جهة، ومن جهة أخرى، أرى أن العلاقة الأســـرية الحميمة التي تســـود رابطة الأدباء هي التي جعلتهم يدورون في فلك بعضـــهم البعض، فيتأثر أحدهم بالآخر من حيث لا يقرّ، وبطريقة جدّ عفوية. أما بالنســـبة لروّاد الحداثة هنا كعلي الســـبتي، ومحمد الفايز، وأحمد العدواني، فالأول سرقه المناخ، والثاني سرقته الحِرفة، والثالث سرقته الوظيفة.

(6) سليمان الفليّح متهم بأنه عكف على كتابة القصيدة العامية الرديئة.. ما هو دفاعك؟

– هل هذا صـــحيح يا منى؟! إذن لن أدافع عن الرداءة، حتى لو كانت تعنيني. أما تهمة أنني أكتب القصـــيدة العامية، فأنا لم أكتبها إطلاقًا —— إنما أوجّهها أحيانًا، في ســـياق لهجتي، إلى بعض الأصـــدقاء كبوحٍ ودي لا أكثر، ويتعجّلون في نشرها بلا إذن.

(7) ما رأيك في الحركة الإبداعية الأدبية في الســـعودية؟ ومن لفت نظرك مؤخرًا؟

– لعلي أول المفجوئين بنصاعة وحداثة وأصالة الحركة الإبداعية هنا، حتى إن العديد من الإخوة المبدعين فاجأتهم دهشتي تلك، وقالوا حينها: إنها ناتجة عن الانبهار المباغت، ولذلك لم يكن رأيي واقعيًا!! ولكنني أُعيد هنا وأكرر —— وأنا خارج صدمة المباغتة —— أن الحركة الأدبية هنا تُعدّ من أصدق وأنصع وأعمق التجارب الإبداعية على الساحة العربية كلها. أما الأقلام المبدعة، فهي على سبيل المثال في الشعر: محمد الثبيتي، محمد جبر الحربي، عبدالله الفحيمان، جارالله الحميد، عبدالكريم العودة، فوزية أبو خالد، محمد الدميني، محمد علوان، جبير المليحان، حسين علي حسين، وفي الدراسات والنقد: عبد الله نور، محمد علي، ومحمد رضا نصرالله.

(8) يقال إن الإبداع العربي يعيش حالة مخاض، فماذا تتوقع أن يلد؟

– أنا لا أرى مخاضًا مكتملًا، بل أرى إجهاضاتٍ متوالية وخُداجاتٍ مستمرة، ولا يمنع أن تنشأ خلال ذلك كله بعض الولادات السليمة التي تُبشّر بالأرجِ الخاص.

(10) وماذا تقول في الصفحات الأدبية في الخليج؟

– أستثني صفحات مجلة اليمامة، ومجلة أوراق (الرائعة) التي تصدر في أبوظبي، وصفحات المربد في جريدة اليوم، وبعض الكتابات القليلة هنا وهناك.

(11) نريد استقراءً سريعًا للإبداع الشاب في الكويت؟

– جدير بالذكر أنه إذا استثنينا الفنانين التشكيليين، فإن السنوات الخمس الماضية لم تُنتج لنا أي مبدع حقيقي، سواء على مستوى المسرح (تمثيل – إخراج – تأليف)، أو على مستوى القصة، أو حتى الأغنية، إلا بشاعرين فقط يكتبان القصيدة الشعبية الحديثة، وهما صلاح الساير ومسفر الدوسري. أما على مستوى الشعر النبطي، فلا أرى سوى حمود البغيلي، وعبدالله الردعان، وسليمان المانع، والشاعرة وضوح.

***

(7)

اَلْحِوَار اَلسَّابِعِ:

اَلْحِوَار اَلسَّابِع

سليمان الفليّح .. احدى التجارب الشعرية المتميزة في خليجنا العربي من الماء الى الماء،عاش في المساء... عاش الصحراء، ومنها تعلّم كيف يأخذ حقّه كاملًا من التنفس، عاش في الكويت، أحد بلدان العالم التي تجيد "فن الجوار" مع البحر.

حين تقرأ له، تشبّ الصحراء في ذاكرتك بخيولها ورجالها وتضاريسها المترعة برائحة الهيل والتقاليد! حمل هموم البدو الرحّل على كتفيه، وضعهم على الطاولة، وأحضر لهم "الشمس" كسرة خبز تقاسمها معهم في زمن الجوع. حاول جاهدًا أن يجد لهم مكانًا يذبحون فيه آخر "خطاهم" ويستريحون... لكن لا فائدة، فالرياح لا تزال تجري عكس ما تشتهي السفن.

سليمان الفليّح... غنّى في صحراء الألم عام 1979م، وكتب "أحزان البدو الرحّل" عام 1981م، وتحت الطبع: "مهبّ الجهات"، و*"رسوم متحركة"*، وله دراسة بعنوان: "إيكولوجيا البداوة".

وكتب مئات المقالات في الصحف والمجلات العربية. التقيته، فقال: "اسأل ما شئت!" قلت – مستغربًا –: ليست عادة أعرفها في كُتّابنا أن يقولوا: (ما

شـئت)! قال: "ما شـئت". وشـرعتُ أسـكب كل ما في ذاكرتي الصـغيرة من أسئلة.

حاورهـ: هاني الشحيتان(221)

(1) قبل أكثر من خمسة عشر عامًا، كان سليمان الفليّح كاتبًا في صحيفة "السـياسـة"... كما قيل لي. سـألته: أبا سـامي، ما أجمل الذكريات في تلك المرحلة الصحفية؟

- تحديدًا، كان ذلك في أواخر عام 1974م، حيث كنت متقدًا بالحماس و"الشـيطنة" والصـعلكة أيضًـا. فشـرعتُ أكتب عمودًا شـعريًا باللهجة العامية بعنوان "مخاريز"، ووقّعته باسـم "مخراز"، وكان يُنشـر في الصـفحات الداخلية لجريدة السياسة. ولم تمضِ أسابيع، حتى قرّر الأستاذ أحمد الجار الله نقل العمود إلى الصـفحة الأخيرة، بين كبار الكتّاب آنذاك، فاختار له الشـباب اسـم "هذرلوجيا"

(221) - اليمامة – العدد 1162- ذو الحجة 1411هـ

– لأنني قلتُ في مناقشة سابقة إن "الغرب يصدر لنا التكنولوجيا... ونحن نصدر له الزمالة والتنافس والهذرلوجيا"، فأعجبت المفردة الشباب، لا سيما سليمان الفهد، فسمّاها "هذرلوجيا".

– أما عن تلك الفترة، فكانت "فترة خضراء" من الصدق والزمالة والتنافس والمحبة، والحوار الدائم، والجرأة الفائقة في الطرح والكتابة. لدرجة أننا – في الصفحة الأخيرة – نكتب أحيانًا ما يخالف توجه الصفحة الأولى. وهذه ليبرالية لم يستطع أن يتسامح معها – والشهادة لله – سوى أحمد الجار الله. أذكر أننا كنا نختلف معه في الصفحة الأخيرة، وأحيانًا يخالفنا وينتقدنا في الصفحة الأولى، لكننا غالبًا ما نلتقي في المساء كأحبّة، لا يجمعنا إلا احترام الرأي.

كنا "شلة" عجيبة، رغم اختلاف آرائنا وأفكارنا. فما الذي كان يجمع بين محمود السعدي وعبدالرزاق البصير؟،أو بين ناجي العلي وسليمان الفهد، أو سليمان الفليّح، أو د. عبدالله النفيسي، أو حتى حسن العلوي في سنواتنا الأخيرة؟، وبمناسبة ذكر ناجي العلي، أستغرب كثيرًا تجاهل الفترة التي قضاها في جريدة السياسة، رغم أنها تُعد من أخصب سنيّ عمره، بل كانت قمة حدّته وإبداعه الفني. ولا أعتقد أن هناك أحدًا من الصحفيين يعرف ناجي العلي

أكثر منا، فقد كنا نتصـعلك يوميًا معًا حتى عاد إلى بيروت، ثم عاد مجددًا إلى السياسة.

والأغرب من ذلك أن الجميع كتبوا عن علاقتهم به، إلا أنا وسـليمان الفهد، رغم أننا نعرف كل كبيرة وصـغيرة عنه، حتى لحظة ارتحاله إلى لندن. كما أن الفيلم الذي تناول سـيرته، للأسـف، لم يتطرق إلى حياته في الكويت، رغم أنه انطلق منها فعليًا، بدءًا من مجلة الطليعة، ثم السياسة، وختامًا بـالقبس. وكان ناجي يحب الكويت، ولا ينقطع عنها، ويعتبرها بيروته الأخرى أو "فلسـطينه" الثانية. لكن المنافقين قفزوا على هذه المرحلة المهمة من حياة الفنان المبدع، وادعى كثيرون صـداقته، رغم أنه سـبق أن ضـرب أحدهم بالحذاء! ومع ذلك كتب هذا الشخص عشرات المقالات "الكذوبة" عن علاقته "الحميمة" بناجي!

أما سـبب ضـربه له، فلأنه كان شـخصـية "رقيعة"، فصـرخ به ناجي قائلًا: "أنت تسـيء للفلسـطينيين ولفلسـطين أيضًـا!". وفي السـياسـة، كانت هناك مجموعة من "المخابيل" فنيًا — كعبدالله المحيلان بالفوتوغرافيا، صالح عبّا أيضًا، وقاسـم أفيوني، وغيرهم من الأسماء المبدعة التي لا تسـعفني الذاكرة بها الآن. لكنها – أي السـياسـة في ذلك الوقت – كانت بحق ملتقى للإبداع والجنون الفني والصحفي معًا.

(2) سليمان الفليّح الكاتب، وسليمان الفليّح الشاعر... أيّهما أنت أولاً؟ وكيف ترى وجه الشبه بينهما؟

- صحيح أنّ هناك كانت هوّة بين الكاتب والشاعر، لكنني استطعتُ ردمها في السنوات الأخيرة، حين توصلتُ إلى ما أسميه "المقالة الفنية" أو — إن شئتَ — "النص المفتوح"، ذلك الذي يُلغي المسافة بين القصيدة والمقالة، ويعبر بينهما بحرية دون أن يخلع عباءته الإبداعية. بهذا الشكل "ضممت نفسي إلى نفسي"، وصرتُ أخيرًا سليمانًا واحدًا.

(3) (الدراســـات النقدية) قيل إنك تحب هذا النوع من الكتابات.. متى أحسست أن لك الحق في ذلك؟

- أحياناً إذا كان الناقد متمكناً من عمله، لكنني لا أســتطيع ذلك، بل إنني مثل الكثيرين الذين يدعونها وهم مجرد كتاب (عرض) لا أكثر. فأنا قد أستعرض عملاً يعجبني لا أكثر، ونادراً ما أفعل ذلك.

(4) – من هم كتاب الدراسات النقدية في رأسك؟

- خذ عندك برأيي: عبد القادر القط، منذور، جابر عصفور، وتلينة، ورجاء النقاش، ولويس عوض، ورضوى عاشور، ويمني العيد، واعتدال عثمان. وفي

المملكة: الغذامي، والسريحي، والبازعي، ومعجب الزهراني. وفي البحرين: علوي الهاشمي. وفي الكويت: لا أحد.

(5) يُقال إن سليمان الفليّح كتب "رواية" لكنها لم ترَ النور.. لماذا؟

- "لقد كتبتُ (ما يشبه الرواية) عام 1978م، وأعدتُ كتابتها سبع مرات، ثم ألقيتُ بها على أحد رفوف مكتبتي، ولا تزال جاثمة يعلوها الغبار، لأنني تأخرتُ في نشرها. وعندما قرأتُ (التيه) لعبد الرحمن منيف وجدتها وكأنها هي، وحتى لا أُتَّهم بالسرقة الأدبية، اغتلتها، و(العوض على الله).[222]

(6) المسرحيات الشعرية الهادفة.. يُقال إن سليمان الفليّح أحد المسؤولين عن ندرتها. لماذا؟

- لقد حرّضني المرحوم صقر الرشود على كتابة مسرحية شعرية، وقد أنجزتها بالفعل، فأُعجب بها صقر وقرّر مسرحتها. لكنها لم تعجب عبدالعزيز السريع وبعض الأصدقاء، فأخذها صقر لإعادة قراءتها، ثم رحل إلى الإمارات، وانتقل إلى رحمة الله، ولم أعد أسأل عنها بعدها.

---

[222] - كتب أبي رواية بعنوان "**مثلث الهنود السمر أو المثلث الملتهب**" وأتلفها أو تخلص منها لاحقًا أي بعد عام 1999م حيث كتبها في ظروف مختلفة.

وحينما مات صــقر، مات المســرح الكويتي تمامًا ولم يعد عبدالعزيز الســريع يكتب حرفًا واحدًا.. ولو أن هنالك شــباب قادرون على نفخ الروح بخشــبة المسرح ،لكن يبدو أنها خشبة بالفعل لذلك لست مسؤولًاعن ندرة المسرحيات الشعرية لأنني— ببساطة — لا أفهم بهكذا (شُغلة!!).

***

وحلمت الليلة يا أمي برياحٍ تجتاح المرعى

تقمع خيلي

تطرد إبلي

تجلدني علناً بالأفعى

تربطني خلف مضارب قومي

تسقيني إذ أعطش دمي

توسعني يا أمي قمعاً

ورأيت الليلة يا أمي خيلاً برؤوسٍ مقطوعة

تغزو قومي

ورأيت امرأة فوق البيرق مرفوعة

تهتف باسمي

عارية يغسلها الدم

ورأيت غيوماً راكضة فوق مضاربنا قانية اللون

ترش رجال قبيلتنا بمياه النار وروح السم

ورأيتك يا أمي مفجوعة

تذرين الرملا

بين القتلى

وتلمين فتات اللحم

ورأيت غراباً كبر الليل

ينعق حولي

ويدور كثيراً حول الخيمة، يتغافلني

ينهب طفلي

ويطير بعيداً، يتركني

أتمرغ فوق الرمل الأسود

أفقد عقلي.

(7) كتب صالح الحميدان حول هذا المقطع من قصيدتك: كتب صالح الحميدان حول هذا المقطع من قصيدتك: "المأخذ على الشاعر أنه قصّر في توظيف أجوائه الفنية، فغابت رؤيته الخاصة، وترك لعقل الإنسان الأول أن يرسم له ملامح العداء. فكيف يقف ابن القرن العشرين مرعوبًا، رعب الإنسان البدائي، دون أن يعي ملامح ما أمامه من كوارث؟ إن غياب رؤية الشاعر أفقد القصيدة بُعدًا مهمًّا لو تم." حول هذا الكلام، ما ردُّك؟

- أعتقد أن كل الأجواء في القصيدة موظَّفة، وإن كان الحميدان لا يعتقد ذلك، فهو حرٌّ في رأيه. وأنا لا أحب أن أمتدح عملي، فمدحه أو ذمّه مسؤولية المتلقي أو الناقد، لأنه يرى العمل من زاوية قد لا أستطيع أن أراها، لأنني لا أحب أن "أراني" بنفسي.

(8) يُقال إن نصوص سليمان الفليّح الشعرية في الآونة الأخيرة بدأت تفقد قوتها الأولى... ما قولك؟

- وأنت حر أيضًا فيما ترى.

(9) الشعر العربي الحديث، وخصوصاً في منطقتنا الخليجية، جمهوره قليل جداً.. ما هي العِلّة؟ وما هو علاجها؟

- لأن الشاعر يا سيدي أصبح شكلانيًا، يضع أمامه النموذج ويحاول أن ينحته نحتًا ليصبح مماثلًا له، مما أفقد الشاعر صدقه وإخلاصه لنفسه ولجمهوره. فبدوي مثلي لا يمكن أن يشبه رامبو أو بودلير أو غيوم أبولينير أو والتمان، لأن لكل من هؤلاءِ أجواءه وعالمه. ولكن بعض شعرائنا يريدون أن يكونوا كهؤلاء دفعة واحدة، فتتشتت رؤاهم الخاصة ويُصابون بعمى الألوان واختلاط الرؤية، وبالتالي بالهلوسة البصرية المقضية إلى الهذيان اللفظي الذي يدّعونه شعرًا. والجمهور ليس بحاجة إلى من ينهض بروحه ويفتح أمامها نوافذ الإشراق واستشراف مستقبل أفضل، ولكن بعض شعرائنا – سامحهم الله – يعتقدون أن الهلاوس ضرب من الإبداع، فلا هم بالرمزيين ولا هم بالسرياليين، مع أن الأخيرين يدركون تمامًا كيف يبدعون حتى بالهذيان.

لأنهم ينامون على وســائد صــلبة من الثقافة والوعي والتجربة، لذلك يُطلقون لأحلامهم العنان، ولكنها أحلام مبدعة أيضًــا، لأنها لم تأتِ من خواءٍ تســكنه الكلمات المبعثرة. ثم إن هناك مقولة (مجرمة) يرددها شعراؤنا للأسف، ألا وهي القول: "إنني أكتب لنفسي"، والسؤال الحاد الذي يقطع لسان هذه المقولة هو: إذًا، لماذا تنشــر؟ على أية حال، إنني أرى أن علينا كلنا كشــعراء أن نقبل رأس الجمهور، ونقترب من لغته اليومية وهمومه العظمى، حتى يفهمنا ونفهمه، وإلا أصبحنا نُلقي لأنفسنا الشعر ونصفق لها، وننتفخ غرورًا حتى الانفجار، ومن ثم التلاشي.

(10) هذرلوجيا زاوية استمرت سنين ثم توقفت بعد "الأزمة"، عادت، هل تحدثنا عن هذه المراحل؟

– هذرلوجيا اسـم مركب سـاخر، ذكرت لك سـبب تسـميته، وهي عمومًا لا تصلح لمثل هذه الأيام، ولكن إصراري على عودة هذا الاسم هو الذي أرغمني على إعادته، بالرغم من أنه اسم منتهي الصلاحية، لأن الموضوعات التي كانت تُنشــر تحته لا تصــلح لأيامنا هذه، لأني غدوت مخلوقًا حزينًا نازفًا بعد أن كنت أسخر حتى من الهواء وأضحك حتى على أعمدة النور (أغشمر)، وحتى القتلة، و(أشنع) حتى على نفسي.

(11) هناك دواوين لك ترجمت وهناك أيضـاً قصـائد.. ليتنا نعرف عنها قليلاً؟

– لقد ترجم لي إلى الفرنسية والانجليزية والروسية والصربوكرواتية (لغة البلقان) كما قام بدراسة شعري عدد من المستشرقين والمستعربين أمثال د. موفاكو ود شـاغال . ومحمد حجي وبالرغم من أن شـعري ليس مهماً إلى هذا الحد إلا أن البيئة الصحراوية هي التي يبدو شدتهم إلى الدراسة والترجمة.

(12) يقال إن أدوات سـليمان الفليّح الشـعرية تدور في فلك الصـحراء، وهذا ما جعله يكرر نفسه الآن. ما ردك؟

– وهل تريدها أن تدور في أجواء كوبنهاغن؟ أما مسـألة تكرار النفس فهي مسـألة بحاجة إلى متابعة المسـار الشـعري ومراحل تطوره (إن كانت). ولو أنني أعتقد أنني انتقلت من المناخ الصحراوي الجاف في "الغناء في صحراء الألم" إلى القصـيدة البرقية في "أحزان البدو الرحل"، إلى النص المفتوح في قصـائدي الأخيرة، وعليك ملاحظة ذلك.

أما أدواتي فسـتبقى أدواتي، ولكنني أحاول تطويرها من الداخل وإعطاءها دورًا شعريًا جديدًا يلائم زمنها..

(13) عبد الله نور عاش في بيئة تشــــبه بيئتك.. كيف ترى وجه الشـــبه بينك وبينه؟

- عبد الله نور قيمة ثقافية مبدعة، ولكنها كسولة أما أنا فمجرد شاعر كسول أيضـــاً ولكنني أكتب (زاويتي) تحت الإلحاح أما هو فهو (فالت!!) وإلا أنجز دراسات ضخمة – على فكره – (وينه؟!)

(14) أنت متهم بعلاقتك الوطيدة مع الشعر الشعبي؟

- جداً، وأحبه، وأكتبه بعض الأحيان.

(15) لكن ما ردك على من يقول إن الشعر الشعبي ينخر في جسد الشعر العربي الفصيح؟

-حرام عليكم، هذا إبداع، وذاك أيضاً. وأنا أَجْزِم أن شعرنا الشعبي اليوم يَدْنُو تدريجياً من والده الفصـيح. ومن يطالب بالتخلي عنه، كمن يطالب الشـعب بتغيير لجهته فجأة. ولو أنني ألاحظ أن من حسنات الشعر الشعبي الجديد إلغاء اللهجات القبلية، بحيث لا تسـتطيع تمييز قبيلة الشـاعر من قصـيدته كما كان يحدث في السـابق. وهذه من حسـنات تطور الشـعر الشـعبي، الذي أصـبح مشـحوناً بالمفردات الفصـحى المبدعة، وإلغاءً للكنات.، "فدعوه يتطوّر كسـائر

الفنون، فاللغة الأم في مأمن، ولو أن كل عالمنا العربي يتحدث لهجاته المحلية، فإن الثقافة هي التي ستوحّد هذه اللهجات وتقودها – لا محالة – إلى الفصحى."

(16) "الغدير" و"المختلف" مجلتان جديدتان، وكانت لك بصمات عليهما، كيف ترى مستقبلهما؟

– لا تقل بصمات، بل قل تشجيعاً ومساهماتٍ أخوية، وبعض الاستشارات الصغيرة، لأننا بأمسّ الحاجة إلى مجلات تراثية شعبية تقدم الدراسات والإبداعات، وتحتوي على الأصوات الشعرية الشابة التي قاربت، في هذه المنطقة، مئات الأسماء المبشّرة. وأتمنى لهاتين المجلتين العزيزتين معاودة الصدور في كويتنا المحررة، على شرط أن يسودهما التنافس الشريف والنوايا الصافية، وأنا متأكد من مستقبلهما المضيء."

(17) يوسف إدريس، ممدوح عدوان، علي الشرقاوي، عبدالعزيز المقالح، عبد الله بن خميس، أدونيس، كيف ترى هؤلاء؟

– يوسف إدريس :أحد أهرامات مصر، لولا نرجسيته الطاغية. ممدوح عدوان :مبدعٌ رائع، ونزِق، وشاعرٌ حقيقي لا يشبه أحداً.

علي الشـــرقاوي :شـــاعرٌ جيد، لو لم يصـــدر أربعة دواوين في عامٍ واحد!!

عبـدالعزيز المقـالح :صـــوتٌ شـــعري لا أرى فيـه تميزاً عن جيلـه.

عبدالله بن خميس :مرجعٌ يعجبني مزجه بين الفصـيح والعامي، وأفادني في كتبه، قواه الله.

أدونيس :جبلٌ فســفوريّ عالٍ يجهل كُنهه ســكانُ الســهول، ولكنه مليء بالمعادن الثمينة المعقدة.

(18) محمد الحربي، عبدالله الصيخان، محمد الثبيتي، علي الدميني: كيف ترتبهم حسب تميزهم في رأيك؟

– الشعراء كأزهار الروض، لكلّ منهم لونه وشذاه، ولكنهم كلهم يحملون الحياة. ولم أسمع قطّ بمسابقة بين الورود. وعلى أي حال، جميعهم أصدقائي وأحب قصائدهم، ومن العار إعطاء درجات للقصائد.

(19) صلاح الساير، خالد سعود الزيد، محمد الفايز ، الأشياء الجميلة في هؤلاء كيف يراها سليمان الفليّح؟

– صلاح الساير فنان متعدد الجنون، فهو كاتب وشاعر ويكتب للمسرح ويعيش حياته كفنان حقيقي وله قناعاته الغريبة والعجيبة، ولكنه قادر على الإقناع.

- خالد سعود الزيد: أبونا الحبيب الذي نستمع حتى لشتائمه، وهو مُجدّ في دراساته وبحوثه التي سرقته من الشعر.

- محمد الفايز: إنّ مذكرات بحار الـ 17 قصيدة تغني عن مئات الكتب التي تتحدث عن تاريخ الخليج، ورحيله خسارة فادحة.

(20) أصارحكم، كانت من أجمل الزوايا على مستوى الصحافة الخليجية، يكتبها اسم مستعار "الصادق الصحراوي". قيل إنه سليمان الفليّح بنسبة 99.9%. أبا سامي، هل هو أنت؟

- (أي نعم)، وقد استمرت من 1980 إلى 1983م، ثم سرقها الصديق حسين العتيبي وأخذ يوقع تحتها في القبس، فوهبتها له.

(21) " البنيوية" كيف يراها سليمان الفليّح ؟

- اسأل الدكتور الغذامي، فأهل مكة أدرى بشعابها، ودعني من شعاب وتشعبات البنيوية، فأنا لا أحب أن أنتمي إلى أي مدرسة، بدليل أنني هربت من (المدرسة) في المرحلة المتوسطة..!!

(22) بعد أحداث الخليج.. هل ترى أنه سيحدث تطور في الشعر؟

- لقد أنتجت النكســـة عام 1967م أدباً ســـوداويّاً قاتماً، يُعرف بأدب النكسـة، الذي له طابعه الخاص وتميزه المحلي. وما حدث في الخليج يشـبه زلزالاً قلب كل المواقف وكل المفاهيم، وغيّر كثيراً من الخريطة السـياسـية والاجتماعية، ولا شـك أنه سـيؤثر حتماً على الخريطة الثقافية. فتوقعوا أدباً وشـعراً جديدين، من دون ما تالفون.

(23) خديجة العمري، ثريا العريض، فوزية أبو خالد.. كيف تراهن؟

- كلّهن جيدات، ولكن أين نتاجهن هذه الأيام؟ فخديجة لم أقرأ لها منذ أكثر من عامين، وثريا قرأت لها قصـــيدة واحدة في الرياض، وفوزية قرأت لها مقالًا (رائعًا) في مجلة كلمات.

(24) من الكاتبات تشد سليمان الفليّح ؟

- أميمة الخميس فقط.

(25) ومن الكتاب؟

عبد المحسن يوسف هذه الأيام.

(26) في صحفنا السعودية.. سليمان الفليّح في أي صحيفة يرى الثقافة مميزة؟

- يعجبني اهتمام الصحف السعودية بالثقافة، وأرجو ألا تخلق لي عداوات، فأنا أحب الجميع وأقدر الكل. أما، هل انتهت الأسئلة؟!

(27) انتهت؟

- إذن في أمان الله.

(8)

اَلْحِوَار اَلثَّامِنِ

اَلْحِوَار اَلثَّامِنِ:

سليمان الفليّح هو أحد الأصوات الشعرية المميزة والحادة على خريطة الشعر العربي المعاصــــر، لا ســـيّما في منطقة الخليج والجزيرة العربية. أصـــــدر ديوانين شعريين هما: الغناء في صحراء الألم عام 1979م، والبدو الرحل عام 1981م، وهو الآن يســتعد لطباعة ديوان جديد بعنوان مضــارب الرخام والقلق ورســوم متحركة. وقد تُرجمت العديد من قصــــائده إلى لغات عالمية، كما كتب مئات المقالات والقصائد.

وكان أثناء أزمة الاحتلال، كان يحمل قضــيته ويتنقّل بقامته الشــامخة، محاطًا بمجموعة من المثقفين والكتّاب والصــعاليك؛ يحاورهم ويشــاجرهم، وكان يرفض أي حديث لا يتطرق إلى قضــية احتلال الكويت. وقد تصــدّى خلال الأزمة، وواصـــــل حمل لواء تحرير بلاده بلا كلل ولا ملل. كتب عنه الكثير أثناء الأزمة، كما كتب ضـــده كثيرون، لكنه واجه ذلك كلّه بصـــلابته المعهودة، وصـــلافته البدوية، متجاوزًا كل ما قد يعرقل مسيرته البيضاء نحو العدالة والحق.

كتب في صــحيفة "الرياض" بشــكلٍ يومي طوال الأزمة، وكتب في العديد من الصــحف العربية، وســاهم في العديد من الندوات والمهرجانات، كما عمل في

المركز الإعلامي الكويتي في الرياض، وتطوّع للعمل في عدة مجالات ثقافية من أجل قضية الوطن.

هكذا هو سليمان الفليّح، يأتينا كحصانٍ عربيٍّ أصيل، تتجلّى من خلاله الصحراء بكل شموخها وعزّتها؛ يكتب الشعر، فيأتينا شاعرًا بدويًّا ناصحًا نقيًّا، أجهدته الصحراء برمالها وهمومها. فتارةً يأتينا صاخبًا، يرشّ ملح كلماته على جروحنا، وتارةً عذبًا كنسمة ربيعيّة حانية، كغديرٍ صافٍ ننهل منه شعرًا حرًّا لا ينضب... وحينما يجيء كاتبًا نجده يلملم شتات شظايا احلامنا ينمي في ارواحنا كل اشيائنا الجميلة وعندما يثبت كحصانٍ صاهلٍ حينما يرى الوطن يسلب وينتهك يمارس صهيله القويّ والمضي في الدفاع عن الوطن. التقيناه ليحدثنا عن كلّ مايشغل اذهاننا فكان حوارنا معه وكانت أجوبته التي لا تشبه الا سليمان الفليّح.

حاوره: فارس السلمان (223)

(1) من هو سليمان الفليّح؟!

---

(223) – صفحة الفجر الجيد 1991م

- ومن سيكون؟! سوى أحد صعاليك العرب البائدة، نسيتْه قبيلته على حدود العصر، يطارد حيوان الضب من شدة الجوع، وحينما انتبه، وحيدًا، رآها تنشر قلوعها نحو شواطئ المستقبل، وبقي على الساحل يندب حظّه العاثر، ويُعدّد ما قرأه، ويتغنّى بأمجادها الغابرة.

- ويستنهض في هوادجها الميتة عجاج النخوة، ويحثّها نحو استشراف المستقبل، ولكنها - على أي حال - لم تُعره اهتمامًا، بل أمعنت في الاصطراع والجهل، وتأجيج الأحقاد، ونبش حبة التاريخ؛ لتنهال عليه بالحراب وهي تذرف مزيدًا من دموع الكذب والرياء. وحينما أنهكها الاحتراب، التفتت بعيونٍ غضبى نحو جزيرة حلمه الخضراء، فنسفتها بالقنابل، وجعلت من سيقان أشجارها رماحًا، ومن أنوف زهورها قنابل فراغية، ومن ذوائب حورياتها أسلاكًا شائكة، وحفروا على صدرها خنادق تصل حدّ الماء. وحينما ارتحلوا عنها، أحرقوا شواشي أشجارها، واعتقلوا أسماكها، وأسروا بحرها في خوذ الجند. ثم عادوا ثانيةً يجرّون أذيال الخيبة نحو صحراواتهم البائسة، ليثبتوا للعالم أجمع وفاءهم الذريع لجاهليّتهم المقيتة.، لذلك، أنا بريءٌ من هكذا قبائل لا تُجيد سوى صناعة العشائر للهدم والدمار، وإطلاق الرصاص على الشمس لمجرّد أنها تضيء. ومن هنا، فإنني أنتمي منذ اليوم إلى الضوء، والزهر، والقصيدة الفذّة. ولم أعُد أُمجّد إلا لقبيلةٍ واحدةٍ: "الحرية... والحرية فقط".

(2) لماذا هذا الحزن؟ ما الذي يؤلمك بالضبط؟

– ما يؤلمني فقط هو أن جنديًا عربيًا لا تزال جثته المتفسّخة قابعة في قلبي منذ فجر أغسطس، بكامل ملابسه العسكرية، بما في ذلك حذاؤه الثقيل، وحربته الصدئة التي تجمّد عليها الدم، وخوذته المثقوبة بالرصاص، والملوَّثة بالدخان، وأطرافه التي ينسلّ منها الدود والعفن، وتفوح منها نتانة الزمان.

(3) ولكنك لم تحدثنا عنك بعد؟!

– حدث أن أمي ولدتني ما بين عامَي النكبة والنكسة، تحت سدرةٍ في الصحراء، ولفّتني بطرف عباءتها السوداء ، وسارت (تهيجن) في ظعن القبيلة كما تفعل أغلب البدويات. فتحتُ أجفاني على لونٍ ثلاثيٍ يمزج بين زرقة السماء، وصفرة الصحراء، وشفق الصباح. بخشونة أظافري رعيتُ الإبل، وحين افتقرت قبيلتي، رعيتُ صغار الحملان. والتقيتُ هنالك بالشنفرى وتأبط شرًا، وشعراء التر التربادور الإسبانيين والغجر الذين يجوبون البوادي برباباتهم وأغاني نسائهم الجميلات.

وحينما أملقَ الأهل، ومات والدي الفظ، انحدرتُ إلى المدن لأعيل أمي وأكابد مشـــقات لا طائل منها. أنا أنتمي لعشـــيرة كبار الملعونين في التاريخ: (الصـــعاليك، والتروبادور، والحرافيش، والرعاة)، لذلك أنا شـــقيٌّ حتى تقوم الساعة. أنا، باختصار شديد: (شيءٌ حزينٌ ينزف).

تزوجتُ القضية العربية طوال العمر السالف، وأنجبتُ أحد عشر ولداً وكتابين، ثم طلّقتها بالثلاثة في أغســطس 1990م. التقيتُ بالشــعر ما بين وقع حوافر الخيل وضجيج مصانع النفط، وهذه موسيقاي الشعرية التي تلمحها فيما كتبت من أشعار.

أكلتُ مع الشــعر الزاد والملح، ولهذا بقينا وفيّين لبعضــنا إلى أبد الآبدين. أما أولئك الذين يعتقدون بــ "قطيعتي" مع الشعر لسنوات، فهم ببساطة لا يتابعون حركة الثقافة العربية؛ فحضوري ما زال قائماً في مختلف مناحيها.

عليهم أن يعودوا إلى: مجلة إبداع، والناقد، ومواقف، والطليعة الأدبية، والحكمة اليمانية، وكلمات البحرينية، واليمامة الســـعودية، والمعرفة الســـورية، والآداب اللبنانية، والموقف الأدبي، هذا عدا الصحف السيارة التي ما تزال تنشر لي دون استشارتي.

(4) يقال إنك لم تتطور شعرياً؟

– لقد كتبت القصيدة العمودية ثم قصيدة التفعيلة في (الغناء في صحراء الألم) وانتقلت في الديوان الثاني (احزان البدو الرحل) الى القصـــيدة البرقية " ثم القصـــيدة المدورة ثم القصـــيدة النثر في "مضـــارب الرخام والقلق " ثم قصـــيدة الكاريكاتير في " رسـوم متحركة "الذي لم يصـدر بعد وان نشـر اغلبه في بعض الصحف العربية ثم ترجم لي الى اللغة الانجليزية واللغة الفرنسية واللغة الروسية و (الصربكرواتية) – لغة البلقان فعن أي تطور تبحثون؟!

أنا لستُ نيرودا،

ولا ناظم حكمت،

ولا بوشكين،

ولا أيضاً رامبو،

ولا تريستان تزارا.

إنني، باختصار شديد...:

بدوي شريد

أحب التسكع والشعر

والعطر

والزهر

والنسوة الفاتنات

و أحب الوطن

والنهار الجديد

(5) أثناء الغزو، سمعنا أنك كنت تصرخ في الشعراء أن يكتبوا كيفما اتفق؟!

- (شـوف)، في المنفى، وبعد احتلال الكويت، كنت أصـرخ في أصـدقائي الشعراء: "اتركوا حكاية أن القصيدة تكتبني! اكتبوها الآن من أجل الوطن!" فلم يعد هناك وقت للحلم، والوطن يشـخب دمه من سـاحة الصـفاة حتى أرجاء المعمورة،توجّهوا إلى الجماهير، إلى البسـطاء من الناس، فهم لن يغفروا لأحد، وكذلك الوطن. وكنت أضـرب لهم أمثلة بشـعراء فرنسـا إبّان الاحتلال النازي، حينما صـرخ فيهم (غيوم أبولينير): "دعوا حكاية الإلهام، إن فرنسـا تُنتهك!"، وكان من مدرسة الحداثة والتجديد، بل ربما كان سورياليًا محضًا. وكذلك فيكتور هوغو، الذي نفاه نابليون قبل الاحتلال، لكنه حين احتُلّت فرنسا، أخذ يُنشد

بها وبمجدها. أي أنني كنت أدعو للمباشـــر، للتحريض على مقاومة الاحتلال الغاشـم، حتى إنني في أحد المهرجانات الشـعرية توقفت عن قراءة قصـيدتي من على المنبر، وألقيت شـــعرًا شـــعبيًا صـــرفًا، ثم أكملت القصـــيدة. وقد انفعال الجمهور كثيرًا لهذا الموقف.

(6) هل صـــحيح أنك كنت تكتب بشـــكل يومي؟ ألا يؤثر ذلك على الشعر؟

- نعم، لقد كنت أكتب يوميًا في صـــحيفة الرياض، وتحديدًا في صـــفحتها الثقافية. كانت أغلب كتاباتي شـــعرية ومباشـــرة، تدور حول قضـــيتي. كنت أتصدى بشدة لما يكتبه أصدقاؤنا السابقون في بعض الصحف العربية، وتلقيت كثيرًا من الأذى والشـــتائم، فقط من أجل الدفاع عن وطني وتحريره. لكن تلك التجربة أثبتت لي حجم التصـاق الناس بالشـاعر، بصـورة لم تحدث لي من قبل. ولهذا التقى في داخلي الشـــاعر بالكاتب، فصـــرت أكتب بروح واحدة، وبقلب واحد.

(7) ما رأيك بحركتنا الثقافية قبل وأثناء وبعد الغزو؟

– لا يمكن أن تتنامى الوطنية ما لم يلازمها الوعي، ولا يمكن للوعي أن يتنامى ما لم يشمخ فوق أرضية ثقافية صلبة.

ولكن المؤسف أن أرضيتنا الثقافية متآكلة ومنخورة، وبحاجةٍ ماسة إلى نسفٍ كلي يُبنى عليه أساس أصلب. فـــ"التربية الوطنية" في مدارسنا: صفر. وقراءتنا للتاريخ: خادعة. وعلاقتنا بالجغرافيا: ورقية. وأدبنا: ضبابي، وشعرنا: إعلامي، ومسرحنا: تهريجي وتجاري، وفهمنا السياسي: عاطفي، وصحفنا يعلوها الهباب الأسود

... تتدخّل فيه الواسطة، وساطة حتى في الفكر! والأمن هو من يُملي علينا كيف يعتلي بعض الزوايا "أميّو الفكر"، وكيف يبثّ تلفزيوننا أغانٍ تطعن الذوق، وكيف تلعلع إذاعتنا ببرامج هشة، وأخرى من أرشيفٍ أكله العثّ.. نحن يسيد بأمس الحاجة لمسح ذلك كله وتحكيم العقل والوعي والوطنية الحقة من أجل وطن جديد لا ينهض الا على (تأصيل الحداثة وتحديث الأصالة) ووضع العقل المناسب على الهيكل المناسب.

على الهيكل المناسب أي ان علينا ان نبدأ مرحلة ما بعد الغزو .لأن الغزو الذي حدث كان يسبقه غزو ثقافي مؤدلج ، إننا بأمسّ الحاجة اليوم لبناء الان الإنسان أولاً ليستطيع ان يبني بلده على اساس سليم ولنترك تصنيفاتنا السابقة

ومحسوبيّاتنا المقيتة، ولنحسب بمقياس الوطنية والقدرة على العطاء فقط. أي، باختصار، علينا أن ننشئ "المقاومة الثقافية لأنها هي التي ستحمي الأجيال ، وستدرّبهم على أسس وطنية صحيحة.

ودعونا من المسميات الوظيفية التي كانت تعرقل حركة الإبداع والفكر بروتينها المحنّط فكفانا ماسمعنا أثناء الاجتياح عن خيبتنا الإعلامية، بل وحتى الإدارية. وكفانا ما نالنا من الثقافة المعادية، التي لم يكن يخرسها سوى ذكر بعض صروحنا الثقافية، كمجلة "العربي" و"عالم المعرفة" ومطبوعاتنا التي كنا نعتز بها. وهذا ما جعل دعاة "تقسيم الثروة" يعترفون بأننا لسنا مجتمعاً نفطياً فقط، بل مجتمع ثقافي أيضاً.

واليوم، بما أننا محط أنظار العالم المتحضّر، لأن تحريرنا جاء من خلاله، فلنُثبِت لهذا العالم أننا حضاريّون بالفعل، أو بالأصح: حضاريّون بالعقل. وهذه فرصتنا الوحيدة في الديمومة... والبقاء.

(8) عاصمة المثقفين؟

– ودعني أضرب لك مثلاً على أهمية ما أقول: فقد كتبتُ مقالًا أثناء الاحتلال في إحدى الصحف العربية بعنوان "احتلال عاصمة المثقفين"، أعني

الكويت، ودعوتُ فيه المثقفين العرب للدفاع عن عاصمتهم من البطش البربري. فأتصـــل بي أحد الكُتّاب العرب، وقال لي بالحرف الواحد: "أقســـم بالله إن احتلال الكويت لم يكن يعنيني البتة، ولكن لما تذكّرت أن أغلب مكتبتي من مطبوعـات الكويـت، غيّرت وجهـة نظري!!" أي بمعنى أدق: دعونا نخـاطـب العقول بالعقول، لا أن نخاطب الجيوب بالنقود، لأنها متى ما فرغت... طالبتنا بالمزيد!

(9) يُقال إن شعراء الكويت لم يكونوا بمستوى الأزمة، فما رأيك؟

– يشعرون بذلك، فـ (خليفة الوقيان) كان يضيء من القاهرة، يكتب قصائده ويساهم في نشاطات شتى، ويعقوب السبيعي كان في عُمان، وسليمان الخليفي كتب رسالة رائعة إلى بوش، والسقاف كتب قصائد لا أدري من أين، وفيصل السعد كان يصلنا صوته عبر جريدة السياسة. أما خالد سعود الزيد، فقد سُرق كل تعب عمره، أعني مركزه التوثيقي. وعلي السبتي كان يكتب قصائده الوطنية وهو تحت وطأة الاحتلال، ومحمد الفايز –رحمه الله– رحل قبل أن يتذوق بهاء التحرير. وكان هناك –وللأسف الشديد– من كانوا يطرحون أسماءهم على أنهم شعراء، رغم نتاجهم الرديء، وكانت الصحف تنشر لهم مجاملة، فكانوا يسيئون إلى القضـــية أكثر مما يخدمونها، من حيث لا يشـــعرون. أما الشـــاعرة ســـعاد

الصباح، فقد كتبت الكثير، وعانت أكثر من غيرها، لكنها واصلت، كما كتب الدكتور عبد الله العتيبي قصائد مهمة.

***

(9)

الْحِوَارُ التَّاسِعُ:

الْحِوَارُ التَّاسِعُ

خرج الكويتيون من عُلب الظلام، لم تكن أجنحتهم مقطوعة، كانوا يتجهون نحو الشـــمس. آه، ما أجمل الحرية حين لا تكون لَغْطًا لغويًا. كنا نحلم برمي اليهود في البحر، فرمانا العراقيون في السراديب والمعتقلات والمقابر.

وظل الكويتي الذي يتعاطى الأدب والثقافة يحمل فانوســـه الخاص ليُضـــيء عـــتـــمـــة مـــا فـــوق الـــرؤوس طـــوال زمـــن الاحـــتـــلال. وحين مسّــه أول شـعاع للنهار، اقترب من نفق الكلمة، ودخل الطقس الجديد بروحٍ بلوريةٍ مُغطّاة.

إنّ الأدب يُودِّع حدائق الذاكرة التي تحمل صـاحبها إلى الموت، لكنه لا يخطو الخطوة الأخيرة أبدًا والثقافة، مثل الوطن، تمرّ عبر حقل من ألغام الأســئلة الصعبة.

أما الخيال، وإن كان عباءةً لطرح الواقع الكويتي لما بعد التحرير، فإنه يبقى دائمًا نقاشًا لمصلحة الروح، لإثراء الروح، لاشـــتعال فتيل علامات الاستفهام. نفتح هذا "الملف الأدبي" الذي تضـــمّ حلقاته كُتابًا، وأدباء، وشـــعراء من

الكويت، ويقف اليوم معنا في دائرة الألغام الصـــعبة: الشـــاعر الكبير والمبدع سليمان الفليّح..

حاوره: منى الشمري (224)

(1) إلى أي مدى ســـيكون تأثير فترة الاحتلال العراقي للكويت بكل ما فيها من مآسٍ على سيرة الأدب والثقافة في الكويت؟

– عميقاً كما أعتقد وثراً، بحيث يبدأ تاريخنا الأدبي بدءاً من (2) أغســـطس إلى آخر العمر، في الســـبعينات كان كعود الخيزران، وكنت أشـــاجر حتى الهواء الهادئ، وأكتب ببسالة فذة عن قضايا العالم الثالث، وصلتني رسالة من الشاعر (جوزيه سكوكرييه) يثني فيها على قصيدة كتبتها في مجلة "اللوتس" الناطقة باسم (اتحاد الكتاب الإفروآســـيويين)، ولكوني لا أعرف أية لغة أخرى فقد ترجمها لي صديق، فهمت منها أنه يقول (أي جوزيه): يا لك من شاعر رائع.

ولكنك لو عشـــت في أمريكا اللاتينية حيث التعســـف والاحتلال والقمع، ستكون شـاعراً أروع. أتمنى ألا يحدث ذلك في بلادك السعيدة، لأنك إذا ذاك

(224) – جريدة صوت الكويت 1991–199م

ستصبح شاعراً (تعبوياً) مرعباً. ساعة ذاك أخذت أبحث عن (جوزيه سكوكرييه) في كل الكتب والدراسات والمجلات الثقافية، فاكتشفت أنه شاعر قاوم كل الذل في الكون.. (في الأرجنتين قاتل وساهم في تحرير الإكوادور وناضل في سبيل بيرو، وأخيراً أطلق صرخته المدوية وطلقته الوحيدة من أعلى جبل في الأرجنتين وقال: «هكذا وداعاً أيها العالم الثالث، وداعاً أيها الشعر، لقد أكملت المهمة»، ووجه مسدسه إلى فمه وهوى من أعلى الجبل كزهرة تذروها الرياح). من جهة أخرى، يقول الشاعر الكوبي (مارتي)، بعد أن أضناه التجوال في المنفى، وهذا لم يحدث معي كثيراً: «إن على الشعراء الحقيقيين الذين تحتل بلادهم أن يصبحوا أرشيفاً لوجوه شعبهم، وبذلك يؤثرون ويتأثرون ويتجذرون عميقاً في التاريخ». لهذا سيكون الاحتلال العراقي لوطني بغيضاً إلى الحد المدمي تماماً.

(1) هل تضع في اعتبارك هذه الأيام مشروعاً أدبيا يستنبط أفكاره من فترة الاحتلال؟

- لا، إطلاقاً. لأنني جريح، والجريح لا يستطيع أن يغني فاجعته على الأقل – حالياً – أما فيما بعد، فسيكون الأمر متروكاً للسيد الشعر. صحيح أن الحرب شنيعة والاحتلال أشنع في فكر الشاعر الحقيقي، ولكني أستغرب بذهول حاد

تصــرف شــعراء العراق الجميلين، فهم بالرغم من أن (قائدهم) قال عن الحرب بأنها هذه (الفطيســـة) لابد أن ندفعها بعيداً عن شــواطئنا، يهللون لدفع هذه (الفطيسة) نحو (ساحل السلام) ويمجدون هذه (الفطيسة) ويكتبون يومياً عن تبرير هذه النتانة.

(2) من الملفت للنظر أن الشــعر، في خضــم المعاناة التي تعرضـــت لها الكويت، قد غاب عن المفاصل الحيوية في معركة التحرير واسترداد الأرض، ولم يكن النتاج القليل ليقف في موازاة هذه الحالة؟

- انتظري حتى يبرد الجرح يا منى — ما حدث لنا كحرب، كاجتياح، كغزو بشــع، هو بمثابة إشــكال روحي، بل وأخلاقي أيضًــا، بين الشــاعر الذي يمجد الزهر والشاعر الذي يقصف الزهر حين يكون خلفه عدو. أنت ضد الموت، لكنه يحصــد أصــدقاءك ولم يحصــدك لســوء الحظ. لذلك لابد أن تكون تهليلاً للموت حين يكون الأمر متعلقًــا بالوطن، ولهـذا أعتقـد أن الشــعر في هكذا مرحلة لابد أن ينبثق من بســطاء الناس، وهم "الأحدق" منا جميعًا!

(3) هل كان لغياب الحركة الثقافية العربية، وعدم تفاعلها بشكل عام مع تجربة الكويت، دور في تعطيل العملية الإبداعية لدى المعنيين بها؟

– نحن ضد الانفصال عن الإطار المرجعي الذي يجمعنا ثقافيًا مع الغاصب، ولكنه غيّر كل قناعاتنا النبيلة، ولذلك نحن نعود إلى معانقة تراثنا الشعري العربي الممتد لألف عام باعتباره هو الإطار المرجعي الثابت. ولكننا، من خلال تجربتنا الخاصة، في إمكاننا أن ننفصل عن الغاصب ونركّز على مرجعنا الخاص والملائم لنا من التراث. لذلك، أعتقد بأننا قد خضنا تجربة فريدة. وعليهم أن يستمعوا لنا، لأننا طالما استمعنا لهم وأسمعناهم أيضًا فيما يخص قضاياهم، فلماذا لم يُصغوا قليلًا لشرح قضيتنا؟!

قبل تجربة الغزو الغادر على دولة الكويت، لم يكن ثمة رصيف أو قارعة لتجربة نضالية مزلزلة تعكس نفسها على الحالة الثقافية. وبعد الغزو، وُجد هذا الرصيف، لكن غاب المتعاطون معه.

من الرصيف سوف يطلع الشاعر الحقيقي، تمامًا كما يشق زهر النوير إطلالته الرائعة من خلال الإسمنت والقار. وسيفني أمجاده وتجاربه عن هذه الأرض البكر، التي لم تعرف سوى الحرية والرفاه، والتي لُوِّث هواؤها بشكل مرعب، وبأيدٍ لم تكنّ لها سوى المصافحة الصادقة. ثقي تمامًا بأن أدبًا عظيمًا سيُخلَق، وسيكون مدويًا، وطازجًا، وعنيفًا أيضًا.

نحن الآن بين التوتر والموضـــوعية، فهل يُراد من الشـــهيد أن يروي واقعة استشهاده؟ هل يُراد من الجريح أن يرفض قائمة الأكل؟ هل يُراد من الأسير أن يشـــتم الجندي الذي يقف على باب زنزانته؟ وهل يُراد من زوجة المفقود أن تُكحّل عينيها؟ امنحونا قليلاً من الوقت لنروي حكاياتنا المحزنة، فكثير من المآسي حلّت بهذا الشعب الصغير.

(4) هل تنشيط الساحة الثقافية في الكويت يحتاج إلى حقن مؤسساتي من قِبل (المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب) و(رابطة الأدباء، وجامعة الكويت)، أم أن الدور يقع على عاتق المجموعات النوعية أو حتى الأفراد منتجي النص؟

- قولي (دعم) مثلًا: نشرُ كتابٍ لمؤلفٍ فقير، لنشاطٍ جميل... في المجر، مثلًا، كانت المقاومة تنبثق من الشـــعراء، وكان الشـــعر ينبثق من المقاومة. وكانت الحكومة بعد الاســتقلال تقيمُ نُصُـبًا لهم، ونُصُـبًا لكتبهم. في فرنســا، حينما انضــووا تحت لواء الدفاع عن (فرنسـيّتهم) الحرة، أقامت لهم معارض وكتبيّات، وسمّت الشـوارع بأسمائهم. في إسبانيا، حينما كان الشعراء أهمّ من قادة الحرب (لوركا، ماتشـــادو، وراعي الأغنام الذي لا أتذكره الآن، لعله [هيرنانديث])،

الذي كان يُخفي مطبعته في أصـواف الخراف ليكتب قصـائد النضـال، طبعوا دواوينهم بالذهب وقدّموها إلى رؤساء الدول.

(5) هل تعتقد أن القارئ الكويتي ما بعد التحرير قد اختلف عن ذلك القارئ المُترف؟ وهل سـيكون اسـتعداده أكبر لتلقّي الأعمال الإبداعية المميزة؟

– جداً، لأنني أثناء الاحتلال كنت أسـتمع إلى أناس هامشـيين يتصـلون بي وكانوا يطرحون أفكاراً عظيمة (في ما يتعلق بالتحرير) وكانوا يصـوبون بعض اتجاهاتي الخاطئة ويذكرونني ببعض قصائدي القديمة، ويرهقون كثيراً العم (صالح) المسـؤول عن "بدالة" جريدة الرياض حينما كنت أكتب فيها، لك أنهم قراء من نمط "فظيع"! لكن ننتبه، لم يحدث معي ذلك حينما أصـبحت محرراً في جريدة "الوطن" في الوطن العزيز.

***

(10)

الْحِوَارُ الْعَاشِرُ:

الْحِوَارُ الْعَاشِرُ

في سبيل دفع تهمة عدم تطوره شعريًا، قال لنا الشاعر سليمان الفليّح إنه كتب القصيدة التركيبية والمجسدة، والبرقية، والمدوّرة، والسينمائية، والمغناطيسية، والإلكترونية، فكيف لم يتطور؟! أما تهمة مجاملته لكثير من الأصوات الشعرية الشابة قبل التأكد من حقيقة موهبتهم، فقد نفى ذلك، وقال إنه لا يجاملهم، وإنما يشحنهم ويقدم لهم عدة "الشغل" فقط! تفصيلاً لذلك وغيره، إليكم وقائع محضر التحقيق الذي أجريناه معه:

حاورها: سعدية مفرح (225)

(1) أنت متهم بتوقفك عن إصدار دواوين شعرية منذ أكثر من 12 سنة؟

– بداية، لقد تعرضت في النصف الأول من هذه المدة لظروف قسرية "عامة"، وأعتبر الوضع السائد آنذاك كظروف الرقابة التي كانت تعامل القصيدة كما تعامل المقالة من حيث الشطب والحذف والاجتزاء وربما "الإحالة"! كيف لي أن أنشر قصيدة عرجاء في ذلك الوضع الاستثنائي؟ كما أن وضع النشر كان

(225) – ملحق الوطن الأدبي (أضاءات)1 سبتمبر 1992م

يعاني هو الآخر بشكل كلي من كساح عام وتشويه صمٍّ يثير الشفقة. ولو أنني كنت "أتحايل" وأنشر ما تيسر هنا وهناك لما أريد. وفوق هذا وذاك، لدي أكثر من ديوان كديوان "هبوب الجهات"، "ذئاب الليالي"، "رسوم متحركة"، وديوان شعبي صغير، وعدة دراسات، ومسلسل لم يكتب له تلفزيون يتقبله!! وأشياء أخرى كثيرة أنسى بعضها الآن.

(2) – اتهام: لجوئك لكتابة القصيدة المغرضة في القصر خوفًا من ممارسة كتابة قصيدة طويلة تتميز بمعمار أوركسترالي فخم؟

– اتهام: لجوئك لكتابة القصيدة المغرضة في القصر خوفًا من ممارسة كتابة قصيدة طويلة تتميز بمعمار أوركسترالي فخم؟ دفاع: هذه تهمة فادحة تجعلني أقول إنك لم تطلعي على ديواني الأول "الغناء في صحراء الألم" حيث توجد القصائد الطويلة "السمردحية" مثل "توجسات" و"الصهيل في الزوبعة" و"مخلوقات في الربع الخالي" و"الغزو" وغيرها. كما أن ديواني الجديد الذي سيصدر قريبًا "ذئاب الليالي" يحتوي على قصائد أشد طولاً مثل "الوصايا الأخيرة لصعلوك بني نفط". كذلك كتبت قصيدة كاملة لديوان كامل بعنوان "عمرو بن معد يكرب" يفجر الصحراء، ونشرت هذه القصيدة في بعض المجلات العربية، ولم أصدرها في ديوان بعد. على أية حال، لا يهمني طول

القصيدة أو قصرها، فأنا أكتبها كيفما تأتيني، حتى لو كانت من نوع "التانكا" أو "الهايكو" اليابانيتين، أو هجينية بدوية، أو "ســـوناتا". ولا أتردد عن عزفها على الربابة، سواء كانت مدورة أو نثرية أو حديقة.

(3) أنت متهم بالمجاملة لكثير من الأقلام الشابة قبل التأكد من مواهبهم الحقيقية؟

– ثمـة مثـل يقـول: "لا تمنحـه سمكـة، بـل علّمـه كيـف يصـطاد"، ولـذلك أنا أشــحن مــن تَكُــون لديــه الرغبــة في الكتابــة بالثقــة، وأقــدّم لــه "عــدّة الشــغل"، وقــد أقذفــه إلى الســاحل ليتخــبّط ويــتعلّم العــوم، ويبقــى الأمــر بعد ذلك شأنه، تمامًا كما يفعل مدرّب السباحة.

فأمــا ان يصــاب بــدوار البحــر أو هــل المــوج أو يــتعلم السباحة أو الغــوص أو تأخـــذه الـــدوامات بعـــد ذلـــك أو يصـــبح المقـــدرون اصـــطياد الأسمـــاك بيديــه المحــرزتين وهــذه هــي طــريقتي: إمــا أن يواصــل الســباحة، أو يهــرب مرتجفًــا مــن رعــب القصــيدة. إنهــا طــريقتي الــتي كثــيرًا مــا تفلــح مــع أصــحاب الرغبــات الأكيــدة والهــوايات الأصــيلة. أمــا أولئــك الــذين يريــدون مجــرّد "الطرطشــة" واللعــب بالــرذاذ، فهــم لا يخــدعون إلا أنفســهم. ثم لمــاذا يجيئــون

إلى البحر أصلًا؟ . لذا أنا لا أجامل أنا شخص فقط ولو على حساب خسارتي الخاصة من المشاعر والمعارف والصداقات والخيبات أيضاً.

(4) أنت متهم بتشجيعك للعناصر الأدبية النسائية أكثر من الرجالية؟!

– اشهدوا أيها القراء عليها! ها هي التي تقسم الأدب إلى أدب "رجالي" وآخر "نسائي"، هل ذكرتُ أنا ذلك؟ هي التي قالت! ومع ذلك، أقول: أنا أشجّع كل من يقترب مني ويسألني التشجيع، حتى لو كان في أرذل العمر، أو حتى لو كان طفلًا يحبو. أما بخصوص تشجيعي للعناصر الأدبية النسائية، فالمرأة بحاجة إلى إطراء دائم، لا إلى تشجيع فحسب، فكيف إذا كانت لديها نوايا إبداعية وتتوجّه نحو شاعر؟!

(5) أنت متهم بعدم تطوّر بناء قصيدتك حتى بعد مرور ما يقارب عشرين سنة على بدء مسيرتك الشعرية؟!

– ربما أنكِ لم تلاحظيني جيدًا، رغم أن انطلاقتي الشعرية، منذ ذلك التاريخ، كانت تطوّرًا وقفزًا على تلك المرحلة، ومن حيث الحداثة بدأتُ بالتجريب، واخترعتُ القصيدة "التركيبية" و"المجسَّدة"، ثم "البرقية" و"المدوَّرة"، وحاولتُ

كتابة القصيدة "السينمائية" مع الصديق عبدالله المحيلان، لكن المشروع تعثّر نظرًا لتكاليفه. أيضًا ساهمتُ بقصائدي في استيحاءات "سيمفونية"، وكتبتُ قصيدة "البيت الواحد"، بل ولربما "الجملة الواحدة". وأتمنّى صادقًا أن أجرب التعامل مع "القصيدة الكمبيوترية". كانت لي محاولات فاشلة في مطلع الثمانينات لكتابة "القصيدة المغناطيسية" و"الإلكترونية"، واسألي في هذا الشأن عادل فاخوري، لأنكِ -ربما- لم تسمعي بتجربة مجلة "الرصيف." ربما هو الوحيد الذي أفلح في "القصيدة التلفزيونية" و"المغناطيسية"، بينما لم تعش هذه التجربة بالنسبة للآخرين.

(6) أنت متهم بعدم تحمّلك للنقد، وحساسيتك المفرطة تجاه من يُبدي رأيًا سلبيًا فيما تكتب؟

- كل إنسان لديه حساسية تجاه النقد، ولكن الشاعر له حساسيته المفرطة تجاه كل الأشياء. كذلك لا يستطيع أن يُخادع نفسه باغتيال انفعالاته، في حين يُكابر الآخرون ويُزيّفون شاعريتهم من أجل "سياستهم"، أعني "ديمقراطيتهم" الخادعة.

(7) أنت متهم بتخليك عن كثير من أحلامك ومشاريعك الجميلة التي نسمع عنها بين حين وآخر، ولعل آخرها ديوان بعنوان هبوب الجهات؟

– أنا لم أتخلَّ عن شــــيء من تلك الأحلام، ولكن كلما اقتربتُ منها أخذتْ تناديني من بعيد... وســــأظل أُطاردها حتى آخر العُمر. ولعلكِ تعنين بذلك: "الإسـعاد الشـامل، والعدالة، والحُرّية، وديمومة الفرح، وجمال المسـتقبل، والدفاع عن الجمال ضدّ القُبح مهما تعدّدت أشكاله". أنا لا أتمنى أن "يكون في الكون إنســانٌ جائع، ولا إنســانٌ مُتخم"؛ لأن الأول ســيحقد على الثاني من الجوع، والثاني سينسى الأول من التُخمة. أما بخصوص ديواني، فهو في الطريق، قريبًا، وبين تروس المطابع: ذئاب الليالي.

(8) هل لديك أقوال اخرى؟

– ألا ترين أنني أتحمّل حتى الاتهامات، فكيف لا أتحمّل النقد؟ قولي للآخرين ما لديكِ... وشكرًا لاتهاماتك، واهتمامك، بي ولي.

(11)

اَلْحِوَارُ الْحَادِيَ عَشَرَ:

اَلْحِوَارُ الْحَادِيَ عَشَرَ

سليمان الفليّح لا يُقال عنه "شاعر" فحسب، ولا يحمل مجرد صفة "كاتب"، بل هو من يشـــعر بالكتابة ويكتب بالشـــعر. ينيرك ببدويّته، وبعفويّته العربيّة القَحَّة. ولو صـــادفته وأنت لا تعرفه، لقلت: من هذا الأعرابي، وماذا يريد؟ ولو عرفته بعد مصـــادفته، لقلت: ما أجمل هذا العربيّ المثقّف! ذلك الذي تنفجر ألوان الثقافة من مخيّلته بلا ترتيبٍ أو تزييف أو تلميع. يتكلم بما يشـــاء، متى شاء، بلا مجاملةٍ ولا تحفّظ. قلمه يُشبه حفيف شجيرات الرِّمث والطَّلح. وحين تلمحه لأول وهلة، ترى فيه شموخ الجمل العربي، واهتزاز سيره الأصيل.

كان لنا لقاء معه أثناء احتفال هذه المؤســـسة بافتتاح مبناها الجميل وتجاوب مشكوراً رغم مرضه وارهاقه وتعبه فإلى هذا الحوار الممتع ...؟

حاوره: محمد المنيع([226])

(1) سليمان الفليّح جاء إلى هنا.. فماذا وجد؟

([226]) – جريدة المسائية السعودية (صفحة القمرا) ربما في عام 1997/1996م

– سعدتُ كثيرًا وأنا أتجوّل في ردهات مؤسسة الجزيرة الغرّاء، ألتقي بأصدقاء أعرفهم، وآخرين يعرفونني ولا أعرفهم، وآخرين عرفتهم وعرفوني عن قرب، حبًّا وصدقًا.

(2) ماذا رأى سليمان الفليّح في مؤسسة الجزيرة؟

– رأيت الثقافة، ورأيت الأدب الشعبي، ورأيت وجوهًا كلّها إصرار وجمال وبهاء، تدفع الكلمة المضيئة نحو فضائها المتألق.

(3) ما الميزة التي تجلّت في "الجزيرة" و"المسائية" ولمحها الفليّح وأعجبته؟

– رأيت بعيني شبابًا جادًّا يزرع بذور الإبداع والعطاء في عالم من البهاء، ليقدّموا للقارئ باقاتٍ ملوّنة من الزهر الفوّاح الجميل.

(4) هذه ميزة جميلة جدًا ومتألقة، ماذا سيقول سليمان الفليّح لهم بعد هذا الثناء الجميل؟

– أتمنّى لهم ركضًا أكثر وأجمل في مضامير التفوّق والإبداع والتوهّج والانطلاق المتألّق، وهذا ليس بغريب على هذه المؤسّسة الجميلة، المتألّقة دائمًا بروعة ودقّة.

(5) ما رؤيتكم حول مبادرة الأمير متعب تجاه الشعر الشعبي؟

- مبادرة الأمير متعب دفعة عظيمة إلى الأمام، تُعيد للشاعر الشعبي قيمته وتوهّجه، ليشعر بأنه يحظى برعاية الدولة، حفظها الله.

(6) أنتم تكتبون الفصحى وتنتمون إلى الشعر الشعبي، أليست هذه مفارقة في توجّهاتكم؟

- الشعر الشعبي – في رأيي، وأنا أكتب الفصحى – قد قفز باتجاه اللغة العربية وقدّم لها خدمة جليلة، كما قدّم خدمة جميلة لشعوب هذه الجزيرة العربيّة بأكملها.

(7) يقول د. سعد البازعي إن الشعر الشعبي يتّجه إلى الفصحى، فماذا تقولون؟

- لقد صدق د. سعد في هذه المقولة. فقد وحّد الشعر الشعبي اللهجات واللكنات بين مختلف المناطق والقبائل، وأصبح الجميع يتكلّمون لغة مشتركة موحّدة، تقترب من الفصحى، ولكنها فصحى مبسّطة.

(8) هل من رسالة توجهها إلى صاحب السمو الملكي الأمير بدر بن عبد المحسن حول الأدب الشعبي؟

– لقد وجّهت له رسالة خاصة، وسأوجّه من خلال "المسائية" هذه الرسالة بمناســبة تعيينه وتولّيه هذه المهمّة الجميلة، وهو لها أهل، وهي جديرة به. أتمنى من بدر المبدع أن يوجد للشعر بيتًا يؤويه، ويقيه من أعاصير الإهمال والتشتّت، ليُعيد الشعر إلى مهده الأول ومكانه الأساسي.

(9) سليمان المانع انتهت غربته بمواقف درامية غريبة جداً؟

– سليمان انتهت غربته المكانية وبقيت غربته الروحية والشاعر حينما يتخلى عن غربته الروحية يقل ابداعه.

(10) هل سيتأثّر سليمان بعد انتهاء غربته المكانية؟

– على العكس، سليمان سيزداد إبداعًا وعطاءً، لأن هذا الموقف الإنساني النبيل سيرفع روحه الشعرية نحو عطاء أوسع وأشمل، للإنسانية والمجتمع والشعر نفسه.

(11) – الشعر الشعبي أحد أوجه الوحدة بين أبناء الخليج. فهل تقيّمون لنا دوره وأثره؟

– الشعر الشعبي وحّد اللهجات؛ فكل الشعراء يكتبون بلهجة واحدة، سواء في الكويت أو السـعودية أو قطر أو غيرها من دول الخليج العربي، وبهذه اللغة الخليجية المبسطة نقترب – لا محالة – من الفصحى الأم.

(12) إذا هناك تمازج وامتثال نحو الفصحى من الجميع، ولنأخذ مثالاً ابن لعبون وانتشار "اللعبونيات" في سماء الخليج؟

– يا أخي الكريم، مثـالـك جيّـد. ابن لعبون من نجـد، ورحـل إلى الزبير، ثم الكويت، ثم البحرين، وعاد إلى نجد. وأنا أعتبر محمّد بن لعبون من المجدّدين في الشعر، وقد اخترع موسيقاه الشعرية المميّزة، وأضـافها إلى بحور الشعر المشـهورة آنذاك. ودوره دور ريادة وتجديد. أعتبره مثل المتنبي، وأدونيس، والبحتري، وأبي نواس، وغيرهم من المبدعين.

(13) ألا ترى أن محمد بن لعبون يحتاج إلى عناية أكثر ودراسة ومتابعة دقيقة؟

– أولًا، شـكرًا للقِمَرا على إثارة هذه النقطة الهامة جدًا. محمد بن لعبون يجب أن يُدرَس وتُقام حوله الندوات؛ فهو يمثّل نقطة تحوّل في الشـعر الغنائي في

الخليج ونجد. وأتمنى أن يُعاد تأمّل حياته، ودراسة تجربته العريضة التي لم تنل ما تستحقه من اهتمام ومنزلة عظيمة، وقد عبّرت عن وحدة هذه الرقعة الجغرافية.

(14) وهل ستشاركون في هذه الندوة لو أُقيمت حول ابن لعبون؟

– نعم، لي الشرف في المشاركة في هذه الندوة. ولا أُخفيكم سرًّا: هناك عمل ما يخص هذا الموضوع، سننفّذه في الكويت.

ختامًا:

ركنا سليمان الفليّح، ذلك البدويّ الصِّرف، الذي يذكّرنا بعروة بن الورد والسُّلَيك ومن على شاكلتهم. تركناه يدير نظراته يمينًا وشمالًا، بعقلٍ مفكّر، يحمل الكثير من الأدب والفكر. ووعدنا بلقاء أوسع وأشمل وأكمل، ووعدناه أن نتابعه، وأن نظل أوفياء له. فرغم عارضه الصحي، أصرّ على المشاركة في عرس مؤسسة الجزيرة، وأصرّ – بقلبٍ أبيّ نقيّ – على أن يكون معنا في هذا اللقاء العارض الجميل، الذي ساح فيه فكر سليمان الفليّح بكل تلقائيّة وهدوء.

***

(12)

اَلْحِوَارُ الثَّانِيَ عشَرَ:

اَلْحِوَارُ الثَّانِيَ عَشَرَ

آخر الصعاليك المحترمين"... سليمان الفليّح يطلق الرصاص في حوارٍ ساخن!

هو أحد رموز الشعر، ومن أبرز أصوات الحداثة في الخليج العربي. له خمسة دواوين شعرية بالفصحى، تُرجمت قصائده إلى الإنجليزية، والفرنسية والروسية والصربوكرواتية. تناول قصائده العديد من الدارسين والباحثين، وقدّمت عنها رسائل جامعية. صديق الشعراء والمثقفين العرب، وكاتب ذو رؤية خاصة، يكتب في عدد من الصحف والمجلات.

له دراسات نقدية في الشعر الشعبي، وساند كثيرًا من الأصوات الشعرية الواعدة في بداياتها حتى صاروا نجوماً في ساحة الإبداع. يعتبره كثيرون "الأب الروحي" لهذا الفن. بدويّ استوعب الحضارة من دون عُقد، وعاشق للبيئة تفوح من قصائده وكتاباته رائحة الشيح، والقيصوم والنفل والخزامى.

ذئب حداثيّ نبيل، يحترم الأنثى، ولا يخون صاحبه. تجده وحيدًا، يحوم على تخوم المدينة، "يَقْعي"، ينصت، يرصد...

ثم يطلق عُواءه الخاص. سليمان الفليّح، "آخر الصعاليك العرب"، في حوارٍ صريح يكشف فيه الكثير من الخبايا، بلا مداراة، ولا مواربة، ولا مجاملة لأحد.

حوار: مجلة فروسية (227)

(1) ديوانك الغناء في صحراء الألم هل يمتلك صورة صادقة لطفولتك الشعرية؟

في سني الجفاف المريع

وموت العصافير من سطوة الشمس

عند ارتفاع الظهيرة

واحتضارات أطفالنا الرائعين

على أيدي الأمهات

وجدب صحاري العشيرة»

آنذاك، هل أقول (ولدتني أمي تحت أي سدرة في الصحراء، ولفّتني بطرف عباءتها المتسخة، وسارت (تهيجن) في ظعن القبيلة؟ هل أقول إن الطلق وافاها أثناء الحطِّ والترحال، أو نزع الدلاءِ من الآبار البعيدة النتنة؟ هل أقول إنها ولدتني على "فراش من شيح، أو أريكة من قيصوم، أو على أقل تقدير على

(227) – مجلة فروسية – 19 مارس 1998م

كثيب ساخن من الرمل؟ هذا في الزمن الشعبي. أما الزمن السياسي فقد وُلدت بين النكبة والنكسة، وعانيت الوكسة وكل الخيبات، وولدت شعرياً آنذاك، أحمل انكسارات جيل مأزوم ومهزوم، يعبر عن فجائعه بطرق شتى. إذن، أنا وُلدت ولادتين حادتين وقاتلتين، أفرزتا بالفعل (الغناء/الألم)، أو بالأصح: وُلدت وأنا أغني فعلياً في صحراء الألم. لذلك، فهذا الديوان هو صورة لطفولة شعرية متوحشة، حزينة، ونازفة أيضاً.

(2) أين تجد البدائية المحبوبة؟

– ثَمّة فرق بين البدائية والبداوة، فإذا كنتَ تقصد البدائية كنقطة متخلّفة في الزمان، فلستَ بحاجة إلى البحث عن تخلّفٍ أكثر! وإذا كنتَ تقصد النقاء الفطري أو البداوة العفوية، فإنني أجدها في عمق الصحراء، حيث يُطبق الأفق عليّ تمامًا، وأصبح داخل خيمة دائرية زرقاء. آنذاك، أعرف كم أنا كائنٌ يعود إلى تكوينه الأول، ومعدنه الأساسي، وسلفه الإنسان الأول. آنذاك، أكون أنا: سليمان الأول وسليمان الأخير، والكائن الشاعري، المتأمل، والمتوحش أيضًا، والفطري جدًا، والمندغم حتى التلاشي مع الطبيعة والكون.

(3) رغم بساطتك في الحياة إلا أنك تتحول إلى كائن مهول عندما تمسك القلم وتأتي بأشياء صاعقة هل من تفسير لذلك؟

– إذا كنتَ تعني بالبساطة الصدق مع الذات، فإنني أتحدّى أي مبدعٍ يُحرّف قليلًا من بساطته، أو يحاول خداع ذاته بالتعالي الأجوف أو التواضع الأخرق الذي لا يتوافر فيه أصلًا. أقول: أتحدّى ذلك المبدع أن يبقى مبدعًا متى ما زيّف بساطته وتلقائيّته وصدقه. وهذه الأشياء هي بالذات ما يُحوّلك إلى كائنٍ مهولٍ عندما تمسك القلم، وهي الصدق الذي يمدّك بالإبداع المدهش والصاعق. فكلّما كنتَ صادقًا مع ذاتك، كلّما صدّقتك ذاتك المبدعة معك.

(4) يلتقي الحداثيون والتقليديون في تقدير كتاباتك ما السر في ذلك ؟

– لأنني أؤمن تمامًا بأنه ليست هناك حداثة مجتثّة أو منبتّة تنمو في الريح، بل هي تواصل مع الأصالة؛ فلا حداثة حقيقية ما لم تقبل باتصالها مع الأصالة، بل ستضمحلّ وتتلاشى إذا لم نقبل اتصالها بالحداثة التي تسهم في تجديدها وتطويرها، وبالتالي تحديثها أيضًا. لذا، أنا أؤمن بالحداثة كضرورةٍ ملحّةٍ لن تتوقف ما دام الزمن يجري بأرجله الرياحية، أو بعجلاته الهوائية، أو بأجنحته الإشعاعية. وعلينا أن نستوعب هذه الحركة، وإلا وقفنا عند نقطة ميتة في الزمان: نندب ماضينا، ونولول على حاضرنا، ونتحسّر على مستقبلنا، لأننا لم نستوعب ذلك.

(5) اغلب الشعراء في الساحة الشعبية يدينون لك بالأبوة والأستذة فما هو الدور الذي قمت به من أجلهم؟

– العكس، أنا الذي أدين لهم بهذا الحب العظيم، الذي لولاه لما كنتُ أنا، أنا الذي أحبهم وأحبّوني، ودنتْ لهم نفسي بالولاء والألفة والمحبة الصافية، مثلما قدّموا لي ينابيع جميلة خضراء من فيض أرواحهم الغضّة. لذلك، أمدّوني بالمحبّات المتعدّدة التي ساهمت في اتساع إنسانيّتي، وأبوّتي، وشاعريّتي. صحيح أنني أحتفي وسأبقى أحتفي بمجيء كلّ صوتٍ واعد، وسأهتف له، وأصفّق، وأقوده من أصابعه الغضّة للتسكّع في حدائق الأمل، كصديقين حميمين.

إنّ مشكلة الأصوات الشابّة الواعدة، هي صدمتها بروح الاستعلاء التي تجابهها من قبل بعض الأسماء المكرّسة، مع أنها جاءت أصلًا تحمل ومضًا بحاجة إلى من يلمسه ويشحَنه قليلًا بمزيد من الوهج، حتى تصل إلى ما وصلت إليه تلك الأسماء، بل وتتجاوزها، وأنا أجزم بذلك.

لذلك، أراهن دومًا على مستقبل هذه الأصوات التي تمنحني محبتها، وأتيح لها ما استطعتُ من فرص النشر والانتشار، وأراقب تجاربها عن كثب، وأنتقدها بقسوة طاغية حينما تحاول أن تغيّر من براءتها الأولى.

(6) اصـدقاؤك شـعراء الفصـحى والمثقفون والكتاب في المنطقة يأخذون عليك اهتمامك في السـاحة الشـعبية أكثر من دورك الفاعل والمفترض في الساحة الثقافية؟

- ولكن أين دورهم هم، هؤلاء النَـدّابون الكَـذَابون، الموَلْوِلون بين القبور، الذين لا يملكون سـوى لطم ذواتهم؟ فأنا، حتى الآن، قد أصـدرتُ خمس مجموعات شـعرية، وأكتب العديد من النصـوص الإبداعية في كثير من المطبوعات، ناهيك عن الكتابة شـبه اليومية في الصـحف، والمسـاهمة في الصفحات الثقافية، والملتقيات، والمؤتمرات، والندوات. فأين هم من ذلك؟ وأين نتاجاتهم العظيمة؟

هل يريدون أن تأتيهم الثقافة بأرجلها، وتنحني، وتقدّم لسـيادتهم السـمع والطاعة؟أم هل يُراد لها أن تنحني كالجارية لتقبيل جباههم، كي ينهضوا لإنقاذها من "الساحة الشعبية" والأدب الشعبي؟يا للهراء! فالساحة الشعبية استطاعت أن تكون سـاحة فاعلة، بفعل غيابهم، وتقوقعهم، وجهلهم، وعدم تواصـلهم. وهنا مربط الفرس، أو بالأحرى "مربطهم!"

الســاحة الشــعبية اســتطاعت أن تقدم فنًّا جميلًا ومقنعًا للناس، لأنه يتحدث بلغتهم اليومية، ولـذلك أحبّوا هـذا الشـــعر، لأنـه نبضـــهم، ولغـة قلوبهم. فمن يستطيع أن ينزع من الناس ألسنتها وقلوبها؟

ثم لماذا هذا التعالي الثقافي الأجوف على "لغة الشــعب"؟ أو – بالأصــح – لهجته؟

ولماذا يحترمون لغة الشعب الإنجليزي أو الصيني أو أدب أمريكا اللاتينية، الذي يتحدث عن خاصية شعبية في غالبه؟ ولماذا يكتب بعض المثقفين بعض أعمالهم الروائية باللهجة المحلية، أو تكاد تكون كلها مكتوبة بلهجة الشعب؟

إذن، لماذا يُحرَم الشـــعر الشـــعبي، هذا الفنّ الجميل الذي أثبت تألّقه وتطوّره وتعلّق الناس به، من الاتصال والتواصل كفنّ مستقلٍّ جميل؟

(7) المتابع لتجربتك الشــعرية يلاحظ أنك، في ديوانك الأول الغناء في صحراء الألم، ارتكزتَ على الصور البانورامية (السينمائية) المدهشة والمثيرة للرعب أحيانًا، وفي ديوان أحزان البدو الرحل، اعتمدتَ على القصـــائد البرقية (المكثفة)، وفي ديوان ذئاب الليالي، عمدتَ إلى قصـــيدة النثر، وفي ديوان الرعاة على مشـــارف الفجر، اتجهتَ إلى الخلط بين قصـــيدة النثر

وقصيدة التفعيلة، وفي ديوان رسوم متحركة، اعتمدتَ القصيدة الساخرة المباشرة. إلى أين تريد أن تصل؟

– بالتأكيد لن أصل إلى غاية الشعر، ولكنني سأبقى أجرب كثيرًا وأكتب القصيدة كيفما جاءت، حتى ولو كانت في شكلها الهلامي الأول، المهم أن تحمل ومضة الشعر ما دمت مقتنعًا باكتمالها. لكن هناك مناطق في الشعر عصية على الوصول والإيصال، نحلم جميعًا بالوصول إليها.

(8) الشعر ومضة والشاعر يخزن اللقطات من تجارب الحياة ليطلقها عندما يحين وقتها مقولة لك كيف تداهمك القصيدة؟

– صدقني، لا أعرف... أحيانًا في الضجيج، وأحيانًا في الهدوء، في السوق، في الصحراء، في السرير، في السيارة، في الحلم، في المشهد، في الصوت، في اللون... لا أدري، لا أدري.

(9) ابنك سامي الفليح انتهج خطًا نقديًا تحطيميًا مغايرًا، أثار من خلاله الكثير من الزوابع والعواصف في الصحافة وأغضب الكثيرين. هل أنت مؤيد له أم معارض؟

– أن كان جاء مستقبلك مثل ماضيك /اقول يا خلاف سعي سعيته.

(10) – شخصية قابلتها وتركت اثراً عميقا في نفسك؟

– سلمان بن عبد العزيز من بين الرجال كلهم لأنني أرى فيه رموزاً عدة تجتمع في رجل واحد أي (رجال في رجل).

(11) كنت من أشد المعجبين بصعاليك العرب، حتى نسبْتُ لهم داخل الأوساط الأدبية العربية، وحاولت أن أبرهن على التماثل بينهم وبين شعراء بادية العصر الحديث (الحنشل).فما تعنى لك الصعلكة ؟

– الجاهلون أسلافي، والحنشل أجدادي، والصعاليك عائلتي، وكنت صديقًا حقيقيًا لآخرهم بالفعل، وقد زودني بمناخات أخلاقية عظمى.

(12) هل نحن أمة تقدر مبدعيها؟

– نحن أمة تحطم مبدعيها كما يحطم الأطفال ألعابهم بأيديهم ثم يبكون عليها، ونحن الأمة الوحيدة التي لا تبجل سوى الموتى، أما في حياتهم فتهملهم كالموتى، وبعد الموت الإكلينيكي آنذاك تبكيهم فقط وتبين عظمتهم وتوبخ ذاتها وتقرعها على إهمالها لهم، فكيف تريد من أمة هذا شأنها أن تتقدم!!

(13) في مجلسك لوحة لذئب حجري يشظى من شدة العواء، وتكثر الكتابة عن الذئب، لماذا؟ ؟

– ذاك هو أنا، أنا هو ذلك الذئب الذي يمارس العواء الشـــهم ولم يســـمعه أحد. أنا ذلك الذئب الذي خلفته القطعان وأخذ يعض الحجارة من الهلاك. أنا ذلك الذئب الذي تنبحه الكلاب ولا يســتطيع الاقتراب من المدائن المرعبة. أنا ذئب يسير في دشداشة. هل تريدني أن أنزع غترتي لترى الذئب؟ بالطبع، أنا لست ذئب (هيرمان هسه) ولا ذئب الفرزدق ولا ذئب الأحيمر السعدي، ولا ذئب كيفن كوســتنر (الراقص مع الذئاب)، ولا القتال الكلابي، ولا ذئب ذلك العجمي الذي (خاواه)، ولا ذئب عمي (لعبان بن باطح) الذي قاسمه الزاد والطلقة الأخيرة.

(13)

اَلْحِوَارُ الثَّالِثَ عشَرَ:

اَلْحِوَارُ الثَّالِثَ عَشَرَ

هو سليمان الفليّح، الشاعر البدوي الصعلوك، واحد من أهم الأسماء في عالم القصيدة الفصيحة الحديثة على مستوى الوطن العربي. هو أيضًا الأب الذي علّم الساحة الشعبية كيف تحبو ثم كيف تقف على قدميها وتسير، ومن حسن طالع هذه الساحة وجود رجل بحجم "الفليّح" بالقرب منها، ووجود يد مخلصة محبة مثل يده البيضاء التي أخذت بها إلى طريق الشعر والنجاح. وقف خلف خروجها من عنق الزجاجة في مرحلة من أهم وأخطر مراحلها الانتقالية حين لجأت إليه طالبة المشورة ليكون لها ما أرادت، بل إنه راهن على شاعرية مجموعة من الأسماء وقدم لها يد العون وقدمها، هي الآن نجوم تسطع في سماء الشعر والصحافة الشعبية. هو وقف ويتفرج على نجاحات تلاميذه هنا وهناك فرحًا بما حققوه أو ربما ما حققه لهم. وهو أيضًا كاتب صحافي مرموق، يتابع مقالاته قراء كثر على امتداد الخريطة العربية، وصديق حميم لكبار المثقفين العرب. صدر له خمسة دواوين شعرية فصيحة هي بترتيب الصدور: (الغناء في صحراء الألم، أحزان البدو الرحل، ذئاب الليالي، الرعاة على مشارف الفجر، رسوم متحركة). له دراسات كثيرة في أثنولوجيا البداوة والشعر الشعبي، ودراسات نقدية في الدوريات الثقافية، اشترك في العديد من المهرجانات والندوات والمحاضرات.

حين يكون اللقاء مع قامة طويلة ومعشـــبة مثل "ســـليمان الفليّح"، يصـــبح للحديث نكهة الهيل وحليب البكار.

حاور. :نايف بندر (228)

(1) أنت أول من كتب مقدمات للشــعراء ولقصــائدهم، وكان ذلك في ديوان "خليج الخزامى". الآن، وبعد أن أصــبحت المقدمة ظلّ القصــيدة الذي لا يفارقها، بماذا تشعر؟

– حينما كتبنا مقدمات للشعراء الذين ضـمّهم ديوان "خليج الخزامى" كانت هناك أيضًـا صـفحات شـعبية لم تكن تعتمد المقدمة ضـرورية للقصـيدة، لكن لظهور جيل من الشـعراء الشـباب كانوا بحاجة إلى التعريف، ولوضـع مقدمة ضـرورية تعرف بهم. كنت أشـير على بعض الأصـدقاء الذين يتولون إعداد صـفحات شـعبية أن يهتموا بوضـع مقدمة تعريفية بالشـاعر وإضـاءة للقصـيدة اللافتة والمميزة. ولكن يبدو أن المسـألة قد طالت وتمادى الكثير من المعدّين إلى أن أصـبحت المقدمة تؤرّق النص، وأصـبحت أهم من القصـيدة. وأصـبح، وللأسـف الشـديد، هناك أسماء وأعلام مهمة تنظر إلى وقع المقدمة بأنه أهم من وقع النص. وهذا الوضع قد يشتّت ذهن المتلقي عن جمالية النص، لأنه في هذه

(228) – الواحة 29 ابريل 1999م

الحالة تُسحب القصيدة التي يفترض أنها تعبر عن صاحبها. وقد غالى كثيرًا المشرفون على الصفحات والمجلات في وضع مقدمات نفاقيه فجة، ومنح ألقاب وصفات مجانية لأناس لا يستحقونها، وقد تضخم هؤلاء لدرجة أنهم يريدون أن تكون المقدمة في صفحة مستقلة والقصيدة في صفحة أخرى. وهذه ظاهرة مرضية، للأسف، انساق خلف وميضها الكاذب الكثير من الأسماء الواعدة التي كانت تبشر بصوت مستقل وجديد. وأنا الآن ضد هذه المقدمات التي ضخّمت أسماء أكثر مما يجب، وهذه المقدمات في أغلبها نفاقية ولا تخدم النص بقدر ما أصبحت تنفر من النص ذاته.

(2) ألا تشعر بالذنب أو المسؤولية؟

– أنا لم أشعر بالذنب لأن الساحة في ذلك الوقت كانت بحاجة إلى الإضاءة حول هذه الأصوات والتعريف بها، أما الآن، فماذا يهم القارئ أن تكتب مقدمة طويلة عن شاعر معروف منذ أكثر من عشرين عامًا؟ ما نعرفه أن المقدمة هي ضرورة لمن تقدمه لأول مرة، ولكن أن تقدم مكرّسًا بهذه الطريقة فهي طريقة نفاقيه بحتة، ولست مسؤولًا عنها.

(3) تخرج على يديك العديد من الشعراء الذين أصبح قسم منهم يدير مجلات، وآخرون نجوم في سماء الشعر، بينما بقيت، أيها المعلم، خارج اللعبة. ولماذا؟

- أنا لا أدّعي بأنني معلم، ولكن في بداية الثمانينيات كان هناك شعراء شباب يأتون إليّ ويطلبون مشورتي، ويعرضون عليّ نصوصهم، وكنت أشجعهم وآخذ بأيديهم، وربما كنت أقدم بعضهم بمقدمات وإضاءات معينة. وبطبيعة الحال، أن يتقدم التلميذ في الحياة ويصبح أيضًا أستاذًا، فليس هناك عجب حينما يبقى المعلم معلّمًا، بينما أجيال من طلابه يعتلون المناصب أو يصلون إلى المكاسب والمغانم الحياتية. وهذه تعود إلى موهبة الشخص وإدارته. وأنا شخصيًا لم أطمح، ولا أتقن، ولا أريد أن أكون صاحب مجلة أو أعتلي منصبًا. كنت أكتفي بما أريد، وحققت ما أريد، وأتمنى لهذه الأجيال أن تتواصل نحو تقديم الأفضل.

(4) رغم يدك الطولى في نقل الساحة الشعبية إلى ما هي عليه من ازدهار، وساهمت بشكل كبير في أهم مراحل انتقالها، إلا أن ملامح علاقتك بالقصيدة العامية لم تتضح بعد. ألا تكتب القصيدة النبطية؟ (اعذرني على جهلي)؟

– أنا في الواقع بدأت مع القصيدة الحديثة – قصيدة التفعيلة الفصحى – وإن كانت لي محاولات بالقصيدة النبطية فهي لا تعدو كونها عبارة عن غناء حياتي ويومي، كما يفعل كل مواطني الخليج العربي والجزيرة العربية. وهذه القصائد في رأيي هي بوح ذاتي، ولا ترقى إلى شكل القصيدة المبدعة، وذلك لأن الشعر الفصيح هو الذي سحبني إليه، ووجدت نفسي في القصيدة الفصحى، وأجد أن إبداعي الحقيقي يتجسّد في القصيدة الفصيحة الحديثة وليس في قصيدة النبط. ثم إن المرحلة التي برزت فيها كشاعر لم تكن للقصيدة النبطية ذلك الوقع وتلك الأهمية الاجتماعية، لأن القصائد النبطية كانت تنحصر في المديح أو الغزل أو الوصف، وغالبًا ما كانت تخرج من تحت الغطاء الرسمي الذي يحدد شكل القصيدة وغرضها، فلذلك لم أجد نفسي في هذا المجال الضيق.

(5) والآن، وبعد أن أصبح الشعر الشعبي بهذا الانتشار، ما رأيك في هذا الكم من المطبوعات الشعبية؟

– أنا أرى بأنها ظاهرة شعرية، وكنا نتمنى حقيقةً، أو كما نحلم، أن يصل المجتمع من الشفافية والشاعرية إلى هذا الاتساع وهذا الانتشار، وكنا نريد أن يكون سلوك المجتمع الشامل شعريًا مثالياً وشفافًا يحوي جميع القيم النبيلة

والرقيقة. ولكن في هذه الكثرة من الغث، وللأسف الشديد، وجدنا أن السواد الأعظم من الشعراء ليسوا سوى نظامين، أنا أرى بأنها ظاهرة شعرية، وكنا نتمنى حقيقةً، أو كما نحلم، أن يصل المجتمع من الشفافية والشاعرية إلى هذا الاتساع وهذا الانتشار، وكنا نريد أن يكون سلوك المجتمع الشامل شعريًا مثالياً وشفافًا يحوي جميع القيم النبيلة والرقيقة. ولكن في هذه الكثرة من الغث، وللأسف الشديد، وجدنا أن السواد الأعظم من الشعراء ليسوا سوى نظامين، ولكنهم لا يمارسون السلوك الشعري كما ينبغي، أي أنهم يأخذون شكل القصيدة ويهملون روحها، وأصبحوا متقمصين لروح الشعر دون أن تكون أرواحهم مهيأة للشعر أساسًا. أي أن هؤلاء المقلدين الذين تتوارى خلف كلماتهم الجميلة أرواح متعفنة ورديئة وشريرة وبعيدة كل البعد عن سمو الشعر.

أنا في هذه الحالة اختلط علي الحابل بالنابل، ولم أعد أستطيع أن أميز بين الشاعر الحقيقي والذي يتقمص دور الشاعر، وهنا يكمن الخطر. أي أن هذا الانتشار للشعر الشعبي ضيّع ملامح الشاعر الحقيقي وسط هذا "الحراج" المزعج والمؤذي الذي يقدم مسخًا ونسخًا ردئية للأصوات الشعرية المتمكنة. وأنا من هذه الناحية ضد هذا الاتساع، ومن جهة أخرى معه، لأنه سيقدم أصواتًا

شـــعرية حقيقية جديدة ســـتأخذ موقعها، وبالتالي ســـتزول كل هذه الجعجعة والزوبعة، ولن تبقى إلا الأشجار التي لا تستطيع أن تكسرها العواصف.

(5) هل كنت تتوقع للشعر هذا الامتداد؟

– حقيقة لم أتوقع هذا، كنت أعتقد بأن الشـــعر ســـيقف عند حدٍّ معين لانشغال الناس بالمادة، وضجيج المدن، والآلة، واللهث وراء المكاسب. وأعتقد أيضًـــا ليس أمام الإنســـان في هذا الزمان إلا أن يتحول إلى مخلوق مادي لا يســـتطيع أن يفكر بمشـــاعره، بعد أن ســـيطرت المادة على روحه. ولكن لأن الإنسان في هذه المنطقة قد اكتشف صياغة، أي أنه يتعامل مع هذه الآلة دون الاســتيعاب العقلي والذهني والروحي الكامل، فأصــبح غريبًا عنها، وأصــبحت غريبة عنه. لذلك حاول قدر الممكن أن يســترد إنســانيته، وآدميته، وشــاعريته. وبالتالي ما نراه اليوم هو ردة هائلة وموقف تجاه الموضـــوع المادي العام، الذي جعل الإنسان في هذه المنطقة يجري بلا هوادة خلف الحياة المادية.

(6) أيعني هذا أنه لا يعجبك أحد؟

– أولًا، أنا مـــع الإبـــداع كيفمـــا كُتـــب، عاميًّـــا كـــان أو فصـــيحًا أو بأي وســـائل تعبيريـــة أخـــرى، والإبـــداع يبقـــى مميـــزًا. وقـــد احتفيـــت كثـــيرًا بـــبعض

الأسماء الواعدة، بل وراهنت على نجاحها، وكان لها ذلك حين أثبتت مع الزمن رسوخها وامتدادها الطبيعي. ولكنني أرى أن الأصوات الجديدة لم تستطع تجاوز الأسماء المكرَّسة الأولى، وأن هناك عذرًا لهذه الأسماء الجديدة؛ إذ إن بعض المتسيّدين على المجلات الشعبية، وكذلك الصفحات، لا يريدون إتاحة المجال للصف الجديد من الأسماء المبدعة أن يتجاوزوا هذه الأسماء المكرسة. وللأسف، كثرة المطبوعات وإيمان أصحابها بأسماء محددة أصبح ستارًا عن تقدم الأصوات الجديدة.

(7) – كيف ترى شعراء التسعينات؟

– للأسف الشديد، إن هناك أسماء واعدة، ولكنها تستعجل البروز وتريد أن تأخذ مساحة الشعراء النجوم بسرعة، دون أن تمر في عملية تواصل الإبداع التدريجية. أي أن الواحد منهم، بمجرد نشره قصيدة أو قصيدتين، يريد أن يصبح نجمًا، وليس لديه استعداد لأن يتعب على نفسه ويطورها بالطريقة الطبيعية. وللأسف، إن كثرة الصفحات والمجلات فتحت للجميع أبواب النشر، وأصبح من السهل الظهور هنا أو هناك. بل إن البعض من القائمين على المجلات أو الصفحات يوهم هذا أو ذاك بأنه شاعر نجم.

والمشكلة أن هذه الأصوات لا تريد أن تسمع، وأنا أقولها بصراحة: إن هذه الأصوات، التي تأمل منها أن يكون لها موقع رائع ومميز، تأتي وفي ذهنها أنها أصوات كبيرة، وتريد أن تفرض نفسها من خلال قناعاتها الخاصة، لا من خلال قناعتك بها، ولا قناعة المحررين المتمرسين الذين يعرفون كيف يوصلون هذه الأصوات.

للأسف الشديد، إن هناك أسماء واعدة، ولكنها تستعجل البروز وتريد أن تأخذ مساحة الشعراء النجوم بسرعة، دون أن تمر في عملية تواصل الإبداع التدريجية. أي أن الواحد منهم، بمجرد نشره قصيدة أو قصيدتين، يريد أن يصبح نجمًا، وليس لديه استعداد لأن يتعب على نفسه ويطورها بالطريقة الطبيعية. وللأسف، إن كثرة الصفحات والمجلات فتحت للجميع أبواب النشر، وأصبح من السهل الظهور هنا أو هناك. بل إن البعض من القائمين على المجلات أو الصفحات يوهم هذا أو ذاك بأنه شاعر نجم.

والمشكلة أن هذه الأصوات لا تريد أن تسمع، وأنا أقولها بصراحة: إن هذه الأصوات، التي تأمل منها أن يكون لها موقع رائع ومميز، تأتي وفي ذهنها أنها أصوات كبيرة، وتريد أن تفرض نفسها من خلال قناعاتها الخاصة، لا من خلال

قناعتك بها، ولا قناعة المحررين المتمرسين الذين يعرفون كيف يوصلون هذه الأصوات.

والأمر الذي يجعلهم يتجهون إلى منابر أخرى، ويجدون أنفسهم مكرّسين وَهْمًا، وهم – حسب رأيي – عبارة عن فقاعات سرعان ما تتلاشى. لأن الغرور والتضخم الذي يعتري بعض الشعراء الشباب هو ما قتلهم قبل البدء. وما دامت هذه الأصوات مقتنعة بنجوميتها، لا تستطيع حتى أن تقدم لها النصيحة. وأنا أعتقد أن هذا الجيل هو جيل "خُداج" بمعنى الكلمة؛ أي أنه غير مكتمل النمو، وغير قابل لأن يستقر في الحاضنة، وغير مستعد لأن يتعلم كيف يحبو، ومن ثم ينهض على قدميه، ثم يمشي.

(8) ولكن هذا الجيل نفسه، يتهكم بممارسة "الأستذة" معه، ويقاطع؟

– أنا لا أمارس "الأُستَذَة" على أحد، وأتكلم عن نفسي. كنت في البدء تشدّني الإرهاصات الأولى لنبوغ شاعر، وآخذ بيده وأقوده إلى دعائم الإبداع الحقيقية عبر القراءة والنصائح الوردية. وكنت أرى في جيل الثمانينيات حماسهم في التعلُّم والاستفادة من كل شيء يخدم موهبتهم ويصقلها، بينما هذا الجيل الحالي لا يريد أن يتعلم، ولا حتى أن يُصغي لأيّ كان. وكنت أتمنى أن يثبت – حقيقة – أنه ليس في حاجة لأحد، لو كان مسلّحًا بالوعي الثقافي أو التجربة

الحياتية، لأخذتُ بيده. ولكن، للأسف الشديد، أصبح هذا الجيل عبارة عن نسخة للشعراء المكرَّسين، أي إنه ناقل وناظم، لا أكثر.

(9) ما رأيك بنجومية الشعراء الشعبين؟

– أنا ضد تصنيف الشعراء بهذا الشكل، وإطلاق مثل هذه المسميات عليهم. أنا أعرف أن هناك مطربًا، ولكن بالنسبة للشعراء، أنا لا أعتقد بأن هناك شاعرًا نجمًا، وآخر كوكبًا، وثالثًا قمرًا، ورابعًا نيزكًا وما شابه. أنا أؤمن بنجومية القصيدة المبدعة التي تدل على صاحبها في سماء الشعر، وما اصطلح جزافًا على تسميتهم بـ"النجوم" هم شعراء القصيدة المضيئة البراقة فقط. بل إن هناك، في فجاج الحياة ودهاليزها، من هم أكثر إبداعًا وإثراءً منهم، ولكن "النجومية" المقصودة، كما أعتقد، هي تلميع إعلامي بحت وتصنيف فَجّ أنا لست معه. أنا مع القصيدة المبدعة.

(10) أيعني هذا أنك لا ترى (فهد عافت، نايف صقر، مساعد الرشيدي، وسليمان المانع) نجوماً مثلاً؟

– أنا أرى بأنهم شعراء مميزون، وأرى أن هناك قصائد مميزة لشعراء آخرين. وقد يكون لمساعد قصيدة رديئة، ولفهد قصيدة فجّة، وقد يكون لسليمان نص

عادي، ولكن قد يكون لشـاعر مبتدئ نص شـعري أجمل من قصـائد هؤلاء الشعراء. فأنا أرى بأنهم شعراء مميزون، وليسوا "نجوماً".

(11) – الى أي مدى تعنيك المناصب الصحافية؟

– أنا لم أبحث عن المناصب، والشـاعر حينما يبحث عن المناصب فلا يعدو كونه موظفًا بيروقراطيًا، ويتكلّس ويتحنّط كشـاعر، لأن الشـاعر لم يُخلق لهذه المناصب، فهو كطائر لا تحتويه المكاتب الضيقة.

(12) – وهل ينطبق هذا الكلام على رؤساء التحرير الشعراء؟

– نعم، ومع احترامي لهم – وكلهم أصدقائي – حينما كانوا شعراء يمارسون تحليقهم الحر كانوا يعطون إبداعًا جميلاً، ولكن غلبت متطلبات الحياة على حرية الشعر، ولذلك تغلّب الإداري على الشاعر.

(13) وهل قاموا بالدور المنوط بهم كرؤساء تحرير مجلات شعبية من وجهة نظرك؟

– لم يقوموا بدورهم كاملاً أو كما يتطلب منهم، فلم يمارسوا التوجيه، ولم يقدموا مادة ثقافية بإمكان الشعراء الاستفادة منها، وليس لهم دور نقدي

وتوجيهي في مجالهم. إذن هم يريدون العمل إدارة مكتبية، وينتظرون القصائد التي تأتيهم، ويخضعونها للعلاقات الخاصة، وقلما ينظرون إلى جودة النص.

(14) الجميع طبعا؟

– أغلبهم.

(15) رغم أهمية آرائك، إلا أننا أخيرًا قلّما نجدها مكتوبة على صدر الصفحات، وأعني الشعبية، وتبقى دائمًا في دائرة أحاديث أدبية تجمعك بالشعراء. هل هناك ما يمنعك من كتابتها؟

– حقيقةً، الساحة الشعبية غير متفاعلة مع الآراء التي تُطرح، وقد كتبت آراء كثيرة كنت أتوقع أن تفتح بابًا للنقاشات الطويلة التي شأنها إثراء الساحة، ولكن، وللأسف، رغم أنني كتبت أكثر من دراسة، وكنت أتوقع أن يساهم قطاع كبير من الشعراء أو المهتمين بالساحة الشعبية في الدخول في مناقشات ومثاقفات حول هذه الأمور، لم أجد سوى السلبية والمديح الفج. أضف إلى ذلك أن مرتادي الساحة الشعبية يستسهلون النقاش الشفهي على النقاش أو الجدل الكتابي، وهذا أمر محزن.

(16) كنتم في الثمانينيات وجزء من السبعينيات (سليمان الفليّح، صلاح الساير، حمود البغيلي، وآخرون) صعاليك يشار لكم بالبنان. أين اختفت هذه الصعلكة وهل ولى زمنها؟

– لا بد هنا أن أشير إلى شيء مهم جدًا، وهو أن الصعلوك في المفهوم الثقافي والتعريف الأدبي كان في الأساس فارسًا شجاعًا متفردًا، يحمل قيمًا إنسانية نبيلة وإبداعًا، كما يحمل سلوكًا غريبًا. وانتقلت هذه الصفة إلى المثقف الذي يحمل في الأساس إبداعًا وقضية معينة وتميزًا شخصيًا يختلف عن الآخرين. ويُشار إلى بعض الأسماء بأنها صعاليك العصر، وهؤلاء مبدعون وأصحاب مواقف نبيلة وصلبة تجاه متغيرات الحياة. ولكن، للأسف الشديد، امتطى هذه الموجة الكثير من المتسكعين العديمين الفارغين الذين لا يحملون لا إبداعًا ولا موقفًا مهمًا في الحياة، وأساؤوا للصعلكة، وبذلك انتفت صورة الصعلوك المبدع المثقف صاحب القضية، وظهر جيل من المتسكعين المتخاذلين.

***

وحتى أعطي اللقاء حميميةً أكثر عمقًا وقربًا منه، اتصلت ببعض من أصدقاء الفليّح القدامى ("صلاح الساير، ناصر السبيعي، حمود البغيلي، السيد عثمان") وطلبت منهم أن يوجّهوا على الأقل سؤالين لصديقهم الذي يعرفونه منذ أكثر من عشرين عامًا. ففعلوا، وقبل أن نشرع في الدخول في حوارهم مع صديقهم القديم، أودّ تسجيل شكري الجزيل للزملاء الأعزاء "الساير، السبيعي، البغيلي، عثمان".

(17) حمود البغيلي : هل مازلت تعيش مرحلة أحزان البدو الرحل؟

- أعتقد أنه ما دمنا لا نملك الاستقرار النفسي والروحي كشعراء، سنبقى رحّالاً إلى الموت. ومتى ما استقرّنا، لن نصبح شعراء، لأن من طبيعة الشاعر عدم الاستقرار، والارتحال الذاتي، والتنقل في مساحات الإبداع، ومطاردة الأخيلة الجميلة، والارتحال إلى منابع العطاء. ومتى ما توقفنا وألقينا عصا الترحال، فعند ذلك لم نعد شعراء. أما أنا، فسأبقى مرتحلاً وأبحث عن الشعر أينما كان.

(18) حمود البغيلي: سمعت أنك عملت دراسـات حول الشـعر الشـعبي، ونشرت بعضها، ولكن أين البقية؟ أم لم يحن الوقت لجمعها في كتاب مطبوع مثلاً، ليستفيد منها القارئ؟

– سوف تُنشر إن شاء الله، ولو أنني – وللأسف الشديد – أرى بأن الذين يهمهم أمر هذه الدراسات ليس لديهم الرغبة الحقيقية في القراءة الجادة، وذلك لأنهم أصبحوا يعتمدون على القراءات السريعة والخفيفة، وثقافة "الساندويتش".

(19) –ناصر السبيعي: لماذا لا نراك وجهًا لوجه مع جمهورك عبر أمسية شعرية ؟

– أولًا، أنا لم أدعُ إلى أمســـيات، ولو أنني لدي رغبة في أن ألتقي بجمهوري على المنبر. الشـــيء الثاني، ما دمت قادرًا على أن أكتب الشـــعر، فأنا كلما تجمعت لدي مجموعة جديرة بأن يحتويها ديوان، فســأصــدرها في ديوان. ولدي الآن مجموعة تستحق أن يُضمّها ديوان.

(20) ناصر السبيعي : ما الذي جعل الجمهور يبتعد عن شعراء القصيدة الفصحى ؟

– شـــعراء الفصـــحى هم الذين ابتعدوا عن الجمهور لأنهم لم يفهموا المتغيرات الحياتية سواء كانت اجتماعية أو ثقافية أو سياسية، وبقوا شعراء الفصحى، وما زالوا يتمسـكون بقناعاتهم السـابقة ويقفون في نقطة ثابتة في حركة الزمان، بينما العصر يتطور بسرعة مذهلة. وهم لم يفهموا هذه التطورات لأنهم بقوا عند نقطة أمجادهم الخاصـــــة، أي فترة ازدهارهم، ويريدون من جمهورهم أن يقف معهم في هذه النقطة من الزمان، بينما الجمهور يتجدد وتتغير مفاهيمه، ويتغير وعيه وتعاطيه الحياتي مع كل مستجدات الحياة الجديدة وعصر العولمة.

(21) حمود البغيلي : بعد كل هذا الى أين يا أبا سامي ؟

– إما أن نكون شعراء مجيدين تركنا أثرًا يُشار إليه بالبَنان... أو بالسبابة الوسطى!.

حمود البغيلي: كالعادة!

(22) صـلاح السـاير: بعض الصـفحات الشـعبية تكتفي بنشـر قصـائد الشـعراء، أليس هناك دورٌ آخر يمكن أن تلعبه الصـحافة يتعدّى النقل إلى العقل، ويسـتخدم الأدب الشـعبي والبحث فيه كسـلاح من أسـلحة التقدّم وتطوّر الإنسان؟

– السبب يرجع بالأساس إلى جهل أغلب المعدّين والقائمين على إدارة هذه الصفحات، والذين لم يفهموا رسالتهم الحضارية في توصيل ما هو شعبي بما هو عالمي، وربط التراث بتنامي الوعي، والاستفادة من أصالته وربطه بمنجزات الحداثة. الأمر الذي أوجد صفحات همّها نشر القصائد دون الاهتمام بالدراسات الواعية التي تثير النقاش والجدل، والتي تُدخِل الأدب الشعبي في النطاق الثقافي كما يفترض به. ولذلك، حتى تستفيد الأجيال من تجربة التاريخ الشعبي المليء بالمعطيات الثقافية المهمة، التي بالإمكان إعادة تحديثها والاستفادة منها، فإن سلبية القائمين على بعض الصفحات الشعبية – وأقول البعض – خلقت قارئًا اتّكاليًا وكسولًا، ليس لديه القدرة على التسلح بالثقافة وطرح قضاياه على صفحات الجرائد والدخول في جدل يؤدي إلى نتائج مهمة. بل أصبح الاكتفاء بنشر القصائد أو المقاطع والتعليقات الصغيرة هو أسهل الطرق الآن، لأن الثقافة طريقٌ وعرٌ وصعبٌ ومتعب. فسلبية القارئ التقت مع سلبية المعد، فأوجدت هذا التسطّح الذي يطفو على الصفحات الشعبية.

(23) صلاح الساير: تغلب مواضيع الغزل، وكذلك التعبئة الحماسية في المناسبات الوطنية، على قصيدة النبط، وتغيب القصيدة المتسائلة، وأعني

بها قصيدة رجل الشارع المهموم بتفاصيل الحياة، مثلما يحدث في ساحات الشعر العامي الأخرى. هل من تعليق؟

- كان من أهم أسباب اهتمامي الشخصي بالقصيدة الشعبية هو بروز أصوات كانت تحمل الهمّ الشعبي والوطني والقضايا الإنسانية الكبيرة، والتي نقلت القصيدة الشعبية إلى همّها وفاعلها الاجتماعي والسياسي، مثل حمود البغيلي، عبدالله الردعان، وآخرين. لكن – للأسف – الكثير من الأصوات التي تلتهم وجدت أن الغزل أو المديح أسهل المكاسب وأقربها وأبسطها، فاتجهت إلى طرق هذه المواضيع السطحية، سعيًا للاستحواذ على المزيد من الفتيات، أو للحصول على هبات ومنافع شخصية واهية.

(24) السيد عثمان: لماذا تراجعت حركة الشعر التي كانت تبشر بالازدهار بالكويت؟

لغياب الاهتمام بتطوير حركة الشعر، والبحث عن الأصوات المبدعة والأجيال الجديدة، انعكس ذلك سلبًا على كثير من الذين لديهم ومضات إبداعية، مما جعلهم يتجهون إلى الأدب الشعبي تحديدًا. وهذا ما ترك مساحة شعرية شعبية هائلة، وتقلّصت معها الحركة الشعرية الفصيحة.

الشـــيء الآخر، أن الكويت- وهي إحدى الدول التي تُصـــدر الثقافة كما تُصـدر الشـعر – للأسـف الشـديد - لم تهتم محليًا سـواء عن طريق المجلس الوطني أو غيره، بإيجاد مجلة تحتوي الأصـــوات الكويتية والعربية، لتُثري الحياة الثقافية وتتيح التواصـل مع الوطن العربي، وهذا أوجد جيلًا ضـائعًا، بلا مكان، ولا قيادة تأخذ زمام توجيه دفة الحركة الثقافية في البلد بشـــكل مخلص، الأمر الذي –كما قلت – جعل الكثير من الشـباب يتجهون إلى الصـحافة الشـعبية والشعر العامي

(25) السيد عثمان: أنت مشهور بحبك للشعراء الصعاليك، فمن أحبّهم إلى قلبك؟ وإذا أُتيح لك أن "تتصعلك"، فأين؟ ومع من؟

- كل الشعراء الصعاليك أحبّهم، وأعتقد بأنني منهم. والصعاليك يوجدون بأشكال وهيئات مختلفة على مرّ الأزمنة والعصور.

***

(14)

الْحِوَارُ الرَّابِعَ عشَرَ:

الْحِوَارُ الرَّابِعَ عَشَرَ

على الرغم من أن التناقضات تُعد تهمة شنيعة، سرعان ما يتقاذفها الخصوم فيما بينهم عندما تدور رحى معركتهم، إلا أن تناقضات سليمان الفليّح هي الصفة الجميلة التي تميّزه بين أقرانه من المثقفين. فهو الشاعر الشعبي، ولكنه في الوقت ذاته شاعر الفصحى المجيد لكتابتها، البدوي المتشبث بأصالته، العارف بأنواع الإبل والخيل، والمتحضر الفاهم بعمق لدلالات النجوم ومواسم الزراعة والحصاد. يتحدث بمعظم لهجات الجزيرة العربية الدارجة، حتى ليُخيَّل إليك أنه شمالي إذا تحدّث بلسان الشمال، وجنوبي إذا تحدّث بلسان الجنوب، وذو اللسان العربي المبين عندما يبدأ حواره في الشأن الثقافي ويستدعي الموقف حضور الفصحى ونبذ العامية.

الفليّح، الذي ملأ المشهد الثقافي الخليجي ضجيجًا أدبيًا نخبوياً، لم يُخفِ عتبه على بعض الأصدقاء في السعودية والكويت، أولئك الذين حاولوا تحجيم تجربته، حتى بلغ الأمر حدّ التجاهل — المتعمّد أو العفوي. «وأعني بذلك جامعي الموسوعات الشعرية، ومعاجم الشعراء، والأنطولوجيات، ممن دأبوا على محاولة تأريخ الحركة الشعرية في المنطقة». كما أنه يرفض — وبشدة —

«الأسـتذة» التي يمارسـها بعض المثقفين العرب على المثقف الخليجي... فإلى تفاصيل الحوار:

حاور. : ناصر البراق (229)

(1)– بداية من أنت؟ وأين موقعك على الخريطة الثقافية العربية والإقليمية؟

– أنا بلا تواضع أو استجداء للقارئ يعتبرني النقاد صوت الصحراء العربية من المحيط إلى الخليج ونشـيدها الأزلي الذي يحمل عطر أزهارها وحفيف أشـجارها وظمأ مغاراتها الرهيبة وعويل كثبانها الجرداء ونوح يمائمها الحزينة وبصـمات أبلها فوق الرمال وإيقاع حوافر خيلها فوق البطاح وعطش رجالها السمر الذين يرنون دوماً إلى (مجاهيم) السحاب وأنين ربابهم الذي يقطع نياط القلب... كل هذا في تجربتي الشعرية التي انطلقت منذ أواخر الستينات الميلادية وحتى اليوم. أما على المسـتوى الإقليمي فقد حاول بعض الأصـدقاء هنا وفي الكويت أن يحجموا هذه التجربة حتى التجاهل أو النسيان المتعمد أو العضوي وعزلي كجزيرة من صمت وسط بحر من الثرثرة، وأعني بذلك جامعي الموسوعات الشعرية ومعاجم الشعراء والانطولوجيا والذين دأبوا على محاولة (تأريخ) الحركة

---

(229)

الشـــعرية في المنطقة بهذه الطريقة التي لم تكن تعني لي شـــيئاً في البداية لأنني لا أؤمن بتصـنيف أو تجنيس الشـعر على الهوية الشـخصـية كما تفعل الميليشـيات المسـلحة في لبنان أو العراق!...وذلك لأنني أؤمن أن الفن بشـكل عام والشـعر جزء منه هو الـذي يزرع الأوطـان بعمق ووعي في قلوب النـاس وليس العكس وأعني بالضبط أن الإخوة في الكويت اسقطوا اسمي من هذه المعاجم أو التراجم لأنهم لم يعتبروني (كويتياً!) أما الإخوة هنا في المملكة فقد (حســـبوني) على الثقافة الكويتية! مع أن الثقافة بشـــكل عام لا تخضـــع للتقســـيم الإقليمي مثل الفن باعتباره أحد روافدها المهمة والذي يندرج الشـــعر أيضـــاً تحت تقســـيماتها المتعددة وتقسيمات الفن أيضاً.

(2) هل يزعجك هذا العزل والتجاهل ؟

– أقول إن هذا العزل التجاهلي والإسقاط المتعمد أو العضوي لم يكن يهمني لأنني أثق بالقارئ الذي يحسن الفرز ولا يهمه التصنيف ولكنني كم أحزن حينما يتوجه لي الدارســون والباحثون والمهتمون بدراســة الشــعر من طلبة الجامعات ويقولون لي لم نجد عنك شـــيئاً في الموســـوعة الســـعودية ولا كذلك الموســـوعة الكويتية.

على أية حال لا يضيرني شخصياً ذلك وبإمكان الباحث أو الدارس اليوم وبفضل التكنولوجيا أن يتوجه إلى موقعي الشخصي على الإنترنت ويجد كل ما يهمه عن الشاعر والشعر والنتاجات المتعددة الأخرى. إضافة إلى خمسة دواوين شعرية تناهبتها المكتبات ولم يبق إلا القليل القليل في معارض دور النشر وهي: (الغناء في صحراء الألم، أحزان البدو الرحل، ذئاب الليالي، الرعاة على مشارف الفجر، رسوم متحركة).

لذا وما دام الأمر كذلك فهو يحفزني لأن أقول وبكل غرور لا أجد غضاضة في أن معظم شعراء الفصحى والعامية أيضاً في الخليج والجزيرة العربية والذين انطلقت تجربتهم منذ الثمانينات وحتى اليوم يفتخرون بأنهم قد تخرجوا من مدرسة سليمان الفليح، لأنها أقرب المدارس إلى قلوبهم، ولأنها كانت ولا تزال تعبر عما في صدورهم لذا فإنهم في كل مناسبة أو لقاء يتمسكون بذلك مع أن شعراء العامية أكثر وفاء لهذه المدرسة من شعراء الفصحى وزملائي أصحاب الموسوعات.

(3) ما سر انحيازك للغذامي ضد أدونيس؟

– المسألة ليست انحيازاً فقد كنت منحازاً إلى أدونيس إلى أكثر من عقدين من الزمن حينما كنت ككل جيلي مبهوراً بتجربته الشعرية والكتابية، وقد كنت

ضـــد الغذامي في انتقائيته التي لا تخلو من العلاقات الشـــخصـــية في مســـألة التناولات النقدية لأعمال مبدعي الثمانينات، ومع دراســـــاته التنظيرية الجادة، ومع فرضــه لنفســه باقتدار على قمة الهرم النقدي العربي الذي كان حكراً على أسماء معينة، ومن بلدان معينة، وهذا أمر لطالما آثار بنا الفخر والاعتداد بالقيم الثقافية لنا.

أما ما سميته انحيازاً فذلك يدخل في عدم طأطأة الرؤوس إلى الأبد وكأننا ما زلنا تلامذة للآخرين أو أتباعاً لهم، وما علينا ســــوى أن نهز الرؤوس لما يقولون من دون أن يجرؤ أحدنا حتى على التســاؤل المر حول هذا الاحتكار والاحتقار الثقافي الذي يمارســــونه علينا، والذي امتد ليطاول حتى القامات الثقافية التي تجاوزتهم بل وتخطتهم للصــفوف الأمامية، كما حصــل في اســتخفاف أدونيس بتجربة الغذامي وأهميته الثقافية والنقدية في العالم العربي.

أي بمعنى آخر إننا ســئمنا من هذه «الأســتذة» والفوقية التي يمارســها علينا زملاؤنا وإخواننا المثقفون العرب، وكأنهم يريدون أن نبقى تحت وصـــــايتهم إلى الأبد، لذا فقد آن الأوان أن نقول لهم وبالفم المليان احترمونا نحترمكم وانظروا إلى نتاجنا الإبداعي مثلما تنظرون إلى نتاج أقراننا ومجايلينا في بلدانكم، وهكذا

نكون امتداداً حقيقياً لكم كما أنتم امتداد حقيقي لنا، لأن الإبداع لا يخضـــع للجغرافيا ولا حكاية المركز والأطراف التي قلبتموها رأس على عقب.

(4) بما أنك عشــت ثقافياً في الســاحتين، هل هناك فرق بين الســاحة الثقافية الكويتية والساحة السعودية؟

– في أواسط الستينات الميلادية حتى أواسط الثمانينات حيث ازدهار النهضة الكويتية وانفتاح الكويت على العالم وفتح صـــدرها للعالم كانت الكويت منارة ثقافية وإعلامية، أتاحت في مناخها الصـــحي آنذاك أن تزدهر في ظل تلك النهضـــة والمناخ كل الفنون، لذلك أثمرت تلك المرحلة رموزاً ثقافية وإبداعية كويتية وغير كويتية عبر ذلك المناخ.

وكانت الثقافة مسألة أساسية وجادة وتصرف عليها الدولة، وأنشأت المجلس الوطني للثقافة والفنون والإبداع، ذلك المجلس الذي كان يحق له انتداب المبدعين من ســائر الوزارات والمؤســســات التي يعملون فيها كموظفين وتفرغهم للعمل الثقافي ســـواء كموظفين في المجلس أو منتدبين مفرغين للإبداع، وكذلك كانت هنالك جمعيات وروابط ثقافية تســـاند المجلس في التنمية الثقافية، ولكن دور بعض تلك الجهات في احتضـــان المواهب لم يكن مخلصـــاً، لاســـيما بالنســـبة

للمبتدئين، والسبب في هذا القصور يعود إلى أن مجالس الإدارة في تلك الأمكنة حولتها إلى «نواد» خاصة لها ولمن يدور في فلكها - اجتماعياً - وفكريا.

لذلك كانت مراكز طاردة لا حاضـنة، وهذا ما شـكل على الصـعيد الأدبي خصوصاً للشعر الفصيح انتكاسة ذريعة، ونمو الشعر النبطي الذي تسيد المشهد الفني وذلك حصل للمسرح بعد رحيل صقر الرشود، وتحوُّل المسارح إلى قاعات للهرج والتهريج والتركيز على المحصلة المادية قبل الثقافية وبالطبع انسحب ذلك على كل فروع الثقافة - الرواية، القصـة، الفن التشـكيلي، الندوات الفكرية، السينما «فيلم واحد فقط» بس يا بحر - وبالطبع حينما تراجع الإبداع الكويتي في أواسط الثمانينات كانت هنالك - على صعيد الشعر تحديداً - إرهاصات حديثة تتململ في المملكة قبل هذا التاريخ، ثم اسـتطاعت هذه الأصـوات المدهشـة - الجادة - أن تتخطى حدودها وتتواصـل بالثقافة العربية وأصـبحت المملكة آنذاك محط أنظار المثقفين العرب.

ولعلي أشـير هنا أمانة للتاريخ إلى تلك الأصـوات المبدعة مثل عبدالله الصيخان، عبد الكريم العودة، محمد جبر الحربي، محمد الثبيتي، سعد الحميدين، علي الدميني، محمد العلي، محمد الدميني، محمد عبيد الحربي، جارالله الحميد،

عبد الله الزيد، فوزية أبو خالد، غيداء المنفى، خديجة العمري، أشجان هندي... وغيرهم وغيرهن.

(5) يظهر من كتاباتك انك لا تنحاز للفصيح ضد الشعبي أو العكس، ما السبب في ذلك؟

- أنا أنحاز للشعر الجيد سواء أكان تقليدياً أو تفعيلياً، أو نثرياً قديماً أو حديثاً، فصيحاً أو شعبياً، المهم أن يكون شعراً حقيقياً ومؤثراً، ودعني أبوح لك بأنني أحفظ عن ظهر قلب الكثير والكثير من القصائد العالمية المترجمة لشعراء يكتبون بالإنكليزية أو الفرنسية أو الصينية تماماً كما أحفظ القصائد النبطية التراثية التي يقولها أهلي البدو، لأنني أؤمن أن الشعر لغة الإنسان مثلما هي الموسيقي، إذ لا يمكن أن نفصل الاثنين عن بعضهما البعض.

(6) حكم الشاعر العربي المعروف احمد حجازي على قصيدة النثر بأنها قصيدة خرساء ما قولك في ذلك؟

- أنا معه في ذلك مع أنني أكتب قصيدة النثر فهي خرساء حقاً تشبه الكهرباء الساكنة وتعتمد في بنائها على الإيماءات والإشارات والجمل المبتورة

والمعاني المختزلة، وهي بالفعل مثل لغة الصم والبكم، تعتمد في إيصالها للمتلقي على مقدرة المرسل على الإفهام ومقدرة المتلقي على الفهم.

وهذا برأيي لا يعيبها فهي بالأساس كاللوحة التشكيلية كل يفهمها بحسب ما تعني له أو توحي إليه كما أن استيعابها وموسيقاها الخافتة جداً بحاجة إلى ثقافة عميقة وإحساس مرهف، هذا إذا كانت قصيدة نثر حقيقية لا يكتبها جاهل أو متجاهل لذكاء وحس القارئ ويعمد إلى «رصف» المفردات المتناثرة من دون انتظام أو تواشيح أو تناغم، وهذا برأيي الخاص هو سبب عزوف القارئ حتى عن اعتبارها شعراً ولو كان أخرس، كما قال حجازي وهو من رواد القصيدة الحديثة ويعرف تماماً ما يقول.

وبالمناسبة فإن «أدعياء» كتابة قصيدة النثر والذين يعتمدون على «الخلطبيطة المفرداتية» أساؤوا للقصيدة الحرة، بل وللشعر الحديث بشكل فادح، لأن القارئ العادي يعتقد أن ما يكتبون هو «عين الحداثة» لذلك هو معذور بالانصراف عن الشعر الحديث والاتجاه إلى قصيدة النبط.

وفي هذا الصدد اسمحوا لي أن ألفت نظر القارئ لمن يكتبون قصيدة النثر الحقيقية في الوطن العربي – بحسب رأيي المتواضع – وهم محمد الماغوط، نزيه أبوعفش، سيف الرحبي، أمجد ناصر، صقر عليش، أحمد راشد ثاني، ظبية

خميس، حبيب الصـــايغ، رياض الحســـين، عادل محمود، عبد الكريم كاصـــد، يوسـف عبد العزيز، أحمد الملا ومجموعة شباب الشـرقية، وغيرهم بالطبع ممن لا أتذكرهم الآن.

(7) قد نتفق على أن الشـــعر العربي المعاصـــر في الخليج أخذ مكانة في الصـــفوف الأولى إن لم يتجاوز كثيراً من التجارب العربية الأخرى، لكن هل تعتقد أنت بأنه وصل فعلاً إلى المتلقي العربي؟ وما السبب؟

- لقد عانينا كثيراً حينما كنا نرسـل قصـائدنا إلى المجلات الثقافية التي تصـدر في الوطن العربي، لأنهم يسـتكثرون علينا - كنفطيين - هكذا - صـفة الإبداع لذلك كنا نقيم معهم علاقات مباشـرة لقبولنا، وكم كان يستفزنا اندهاشـهم من مشــاركاتنا في المناسـبات والمهرجانات الشـعرية، هذا ان لم يتهمونا بشـراء تلك القصـــائد، بالطبع كان ذلك قبلاً، أما حينما عرفونا جيداً وعرفناهم عن قرب كمنافسـين، اكتشـفنا أن الكثير منهم لمعتهم العلاقات الشـخصـية، واكتشـفنا هشـــاشـــتهم الثقافية وخواءهم الإبداعي الموهوم، وأصـــبحنا ننتقد أعمالهم في صـــحافتنا الخليجية - الكويتية تحديداً، والتي كانت تصـلهم في بلادهم، وبهذه المناسبة أغلقوا في وجوهنا منبرين مهمين تعود ملكيتهما لنا، ولهما من الانتشـار ما ليس لمطبوعاتهم، وأعني بذلك صـحيفتي «الحياة» و «الشـرق الأوسـط»، إذ

كان الإخوة المشرفون على الصفحات الثقافية في هاتين الصحيفتين ينشرون لأصدقائهم وأقربائهم ومعارفهم وأبناء بلدانهم، ولا تعنيهم إبداعاتنا ولا شؤوننا الثقافية في المنطقة، ولو نشر خبر صغير في تلك الصفحات.

لكنني اليوم وأنا أحرص على قراءة «الحياة»، أحس بأن صفحتها الثقافية اتجهت إلينا، وهذا أمر يحمد عليه، شريطة ألا نغلق الأبواب في وجه إبداعات الإخوة العرب، لأن الثقافة العربية كل لا يتجزأ ويكمل كل جزء الآخر ولا يقبل التصنيف أو الإقليمية الضيقة التي كانوا يمارسونها علينا كحكاية «المركز والأطراف»، لأننا في الواقع نحن المركز الديني واللغوي والتاريخي إذا ما تحدثنا من مفهوم الثقافة العربية الأصيلة، التي يكتبونها باللغة العربية الأم.

(8) ما سر انتقالك من الكتابة في صحيفة «الرياض» إلى الكتابة في صحيفة «الجزيرة»؟ وما الفرق الجوهري بين المطبوعتين؟

– لقد «فنشني» تركي السديري من صحيفة «الرياض». وهذا حق له كرئيس تحرير، ولكن حقي عليه أن أعرف الأسباب، ولكنني أدرك غيرة وحساسية أبي عبد الله لو يجري أي كاتب لديه ولو حواراً تلفزيونياً أو لقاء في أية وسيلة إعلامية، أو يكون له نشاط إعلامي آخر وقد خسر بسبب هذه

الحســـاســـية الكثير من الأقلام المبدعة التي تحبه وتقدر مواقفه الســـابقة، وأنا أحتفظ له بالكثير من التقدير والمواقف الطيبة.

لكنني الآن مرتاح في صـــحيفة «الجزيرة»، وأحظى بكل التقدير من رئيس تحريرها خالد المالك، الذي يتميز بأنه يقبل مناقشـــة الكاتب فيما يشـــطبه أو يلغيه، فإما يقنع الكاتب أو يقنعه الكاتب، وهذه ميزة رائعة تحسب لأبي بشار. ولكن بهذه المناسبة ولأنني عملت كاتباً صحافياً ولأربعة عقود في صحف كثيرة، فاسمح لي أن أقول ان أسوأ مهنة في العالم العربي لا تضبطها عقود أو عهود أو جهود هي مهنة الكاتب، ســـواء أكان صـــحافياً متفرغاً أو كاتباً متعاوناً، إذ بمقدور رئيس التحرير أن يطرده بكلمة واحدة ومن دون إبداء الأســـباب، ولا تحمي حقوقه أية جهة في الدولة.

(9) المثقف الخليجي يعيش صـراعاً داخلياً انفصـامياً على خطين مختلفين خط التفكير للوطن، وخط التفكير للخليج. في رأيك لماذا لم يستطع المثقف الخليجي حتى الآن أن يفكر بطريقة شموليّة ليوحد هذين الخطين؟

– هذا سؤال لم يكتمل لأنك لم تضف أيضاً خط التفكير في القضايا العربية، التي شـــغلتنا كثيراً كمثقفين عن قضـــايانا الوطنية والإقليمية، والتي أخلصـــنا لها

أكثر من إخلاصنا إلى قضايا أوطاننا، وهذه حقيقة صارخة مفجعة لم ندرك خطأها إلا حينما احتلت الكويت.

وأصبح من كنا نناصر قضاياهم أعداء لنا وأصدقاء لمن كان يعاديهم، فاليسار العربي وقف مع الاحتلال والإخوان المسلمون وقفوا مع الاحتلال ومنظمة التحرير الفلسطينية وقفت مع الاحتلال على رغم التناقض العقائدي والأيدلوجي مع النظام العراقي آنذاك، وهذا أمر يعجز العقل «العاقل» عن تفسيره إلا من منطلق الرؤية الشعبية البسيطة التي تنطلق من البيت القائل: (قل العداوة قد ترجى أماتتها...إلا عداوة من عاداك عن حسد) وبالطبع هذا الكلام يجيب على أننا كنا وما زلنا نفكر بطريقة شمولية لا تقتصر على أوطاننا وإقليمنا بل تشمل العالم كله، ولكنني الآن وأقولها - بشكل فردي وعن قناعة عميقة - إن اهتمام المثقف السعودي أو الخليجي بشكل عام بإصلاح شارع يصل بين قرية وأخرى أو إنارة هجرة في البيداء يجب أن يأتي من الأولويات لديه قبل اهتمامه بقضايا الآخرين الذين لم يولوا قضاياه الكبرى كاحتلال الكويت أية أهمية تذكر بل وقفوا ضدها.

(10) لقد توحّد الخليج في فترة الأزمة الكويتيّة، وكان السبب في توحيده هو الوقوف لأجل صد هجمة على المنطقة. ما تقويمك خلال ما يجري في

المرحلة الأخيرة من تلويحات وإشـــارات للخطر من بعض دول الجوار؟ ألا ترى أنها فترة مهمة للمّ الصـــف الخليجي ليس في الخطاب الســـياســـي وحسب، وإنما في توحيد الهم الاجتماعي والثقافي أيضاً؟

– يجب ألا نأمن أحداً، أما كان صـدام رمزاً عروبياً للدفاع عن البوابة الشـرقية للوطن العربي وللخليج خصــوصـــاً، وأما كان المواطن الخليجي يهتف له، وأما كانت صوره الشخصية تعلق في بعض ديوانيات سكان الخليج بدلاً من صور الأمراء الذين يحكمون تلك البلدان فما الذي حصـــل بعد ذلك؟! إذن يجب علينا أن نســـتعد دوماً «للعداء» حتى من الصـــديق فكيف بالعدو التاريخي، وعلينا ألا نجامل أحداً في ذلك.

(11) غالباً ما يعيش الخليجي الهمّ العربي بشـــكل اســـتتباعيّ، ويعرف الخليجي عن دور المركز العربي ومشـــكلاتها أكثر مما يعرفه ويعيشـــه من مشـــكلات دولة خليجية مجاورة، كيف يمكن بنظرك حل هذه المعضـــلة المعرفية التي تنســـحب أيضـــاً على الوحدة الاجتماعية للوطن الخليجي الكبير؟

– أولاً أنا ضد الفهم المغلوط والمفروض والمعكوس لمقولة المركز والأطراف والتي روج لها بعض المثقفين العرب «الهامشـــيين على الأطراف» والذين يعتقدون أن أوطانهم هي المراكز وأوطاننا هي الأطراف.

فمن المنطق أن تعتبر الجزيرة العربيـة «وطننـا» هي المركز الإســـلامي والعربي واللغوي، لأنها هي منطلق هذه الأسـاسـيات الثلاثة التي ترتكز عليها الحضـارة العربية، وقد خرج كل من «يُســمى عربي» من هذه الجزيرة ليلتحم بالحضــارات الأخرى من خلال اســتيطانه في مناطق الأنهار، ويتأثر بتلك الحضــارات تحت ظل حكم جاء من الجزيرة «الدولة الأموية والعباسـية» مثلاً، ذلك الحكم الزاهر الذي تواصـل مع الحضـارات المجاورة. أي بمعنى آخر أن كل مثقف عربي سـواء كان مسـلماً أو مسـيحياً ويكتب باللغة العربية هو نتاج هجرة الأطراف العربية من المركز الأم الجزيرة العربية، لذا فإن الجزيرة العربية هي المركز الأم والدول العربية هي الأطراف التي خرجت من المركز الأساس.

(12) يرى بعض المثقفين الخليجيين أن العالم العربي لا يحمل الهم الخليجي إلا باعتباره منطقة لاســـتقبال العمالة العربية وتوظيفها، في حين أن الخليج يحمل هم القضايا ويشارك فيها بقوّة، بل ويقدم المبادرات التاريخية ويتصدى

للحلول لفك الحروب والنزاعات العربية العربية. ما السبب في وجود هذا الاهتمام من جانب واحد في نظرك؟

- ثمة مثل لدى أهل الصحراء يقول: «فلان كالثومة مأكولة مذمومة» وثمة مثل آخر لدى أهل البحر يقول: «فلان مثل العومة مأكولة مذمومة» والعومة هي نوع من الأسماك التي يأكلها البحارة ويذموها في ما بعد.

هكذا ينظر لنا الإخوة العرب، وللأسف الشديد فنحن على رغم إخلاصنا الطبيعي للعروبة والاخوة ووحدة الدم وفتح أبواب بلادنا على مصراعيها للعامل والمهندس والطبيب والمدرس والموظف العربي، بل كانت الكويت في الستينات الميلادية تضع على كراساتها المدرسية وطوابعها جملة رائعة هي «الكويت بلاد العرب»، وبالفعل كانت الكويت تستقبل العرب بشكل كثيف، وكانوا يتسيدون المراكز العليا أكثر من الكويتيين أنفسهم، وكذلك الأمر في المملكة والإمارات وقطر.

وقد تعرفنا من خلال هذا الاستقطاب على العديد من الرموز العربية المضيئة التي كانت تقدر هذا الدور القومي العظيم، أما بالنسبة إلى الدور السياسي الكبير الذي تقوم به الدول الخليجية بشأن القضايا العربية والتي تأتي على رأسها المملكة بقيادة مليكنا الإنسان عبد الله بن عبد العزيز فإنني أقول إنه لولا

جهوده العظيمة في الحؤول دون أن تتصرف الدول الكبرى ضد بعض الدول العربية فإن الأمور ستصبح كارثية ومحزنة تماماً كما حدث للعراق.

أما لماذا يكون هذا التوجه النبيل من جانب واحد فهذا أمر يخضع للسلوكيات السياسية في تلك البلدان والنظر إلينا بعين «حولاء» لا حول ولا قوة إلا بالله!

(13) منذ زمن لم يكتب سليمان الفليح قصيدة شعرية، فهل يفعل ذلك عن عمد؟

يجيب بقوله: «دعني أكون صريحاً معك ومع نفسي، إنني أحياناً أتعمد إجهاض القصيدة قبل أن يكتمل نموها في الحاضنة الشعرية أو لحظة التوهج لأقدمها (خداجاً) في مساحة المقالة اليومية، ولكن إذا ولدت ولادة طبيعية وليست هنالك حاجة ملحة لوأدها أو إجهاضها أو «تخديجها» فإنها بذلك تنجو وتفرض نفسها على رغم أنفي. لذا أصارحك القول إن قارئ المقالة أصبح يهمني اليوم أكثر من قارئ القصيدة، وأعني بالذات القصيدة الحديثة التي يكتبها جيلي والتي أبعدت الشعر الفصيح عن الجمهور، لما فيها من لغة خوفية (خاصة) كأنها تتجه إلى النخبة، وأنا صراحة - «قرفت» - من تصفيق النخبة التي تدعي الفهم لا! ووجدت أن القارئ البسيط الذي أعبّر في المقالة عن همومه هو أكثر محبة وصدقاً معي من النخبوي الذي لا يخلو من أمراض الثقافة

كالغيرة والاستعلاء والطاؤوسية، لذا فأنا بحاجة إلى قارئ يضمني لا قارئاً يصفق لي.

ولكنني على أية حال وإخلاصاً للقصيدة الحقيقية المكتملة التي تفرض عليّ وجودها فإنني احتفظ بالكثير من القصائد التي لم تنشر بعد، لحدتها وصرامتها وصدقها من دون أية «حذلقات» لغوية».

ويرمي الفليح باللائمة لعدم إصداره مجموعة شعرية جديدة على الحزن والكسل... شارحاً الأمر:

- «لقد حزنت حينما علمت أن ناشري الأول الصديق يحيى الربيعان أفلست دار نشره وباع كتبها بأثمان بخسة لولا تدخل الدولة في الكويت التي اشترت كتبه وأعادتها إليه، وكذلك انتقل المدير العام لمؤسسة سعاد الصباح للنشر الصديق خالد فطمة إلى رحمة الله قبل أيام، أما مؤسسة قرطاس التي نشرت لي الديوانين الأخيرين فاعتقد أنها لم تنهض بشكل قوي لنتاجاتها الجادة والمميزة.

صحيح لقد تحدثت والإخوة أعضاء النادي الأدبي في «الشرقية» بشأن طبع مجموعة جديدة، ولكنني لم أقدم لهم المسودات حتى الآن بسبب كسلي الشديد،

لذلك اسمح لي هنا أن أحييهم على بادرتهم النبيلة، وسأرسل لهم المجموعة بكل افتخار بهم وبناديهم الجاد، وبالمناسبة اسمح لي أن أحيي النادي الأدبي في الجوف الذي استهل موسمه الثقافي الأول بأمسية لي أقيمت على إيقاعات فرشاة الرسم لمجموعة من الفنانين التشكيليين الذين قدموا لي لوحتين خاصتين مستوحتين من الأمسية للفنانين عبود العلي وهند العبدان، وأنا اعتز بهذه الهدية الرائعة منهما.

لا يهتم سليمان الفليح بوصول صوته إلى المركز العربي عبر دور النشر العربية المعروفة ما يهمه بالدرجة الأولى

- «تأصيل وتعميق تأثير صوتي في المنطق أولاً، لأنني أعرف تأثير هذا الصوت وتقديره، أما بالنسبة إلى تلك الدول فلها موقف مشبوه في ما يخص النتاج الخليجي، إذ إنها تهتم بالنتاج الفضائحي والإباحي والشتائمي الذي يتفق مع طواياهم.

ويضيف:

- «أتذكر جيداً أن أحدهم وهو بالتحديد محمدية صاحب دار العودة والتي كانت في السبعينات محط آمال المبدعين في النشر قد

طلب مني ديوان «رسوم متحركة» لنشره في دار العودة، وقد فرحت بذلك ولكنه حينما قال لي كم تدفع تأكدت أن أصفعه لأنني أعرف أن شعراء كبار نجلهم مثل محمود درويش وسعدي يوسف واملي نصر الله، وإسماعيل فهد إسماعيل كانوا يطاردونه من أجل حقوقهم المادية كلما وصلوا إلى بيروت، وكان يعطيهم النزر القليل الذي لا يكفي عشاء أحدهم في بيروت لليلة واحدة، وكذلك تفعل كل دور النشر الكبيرة بالاسم «الصغيرة» بالتعامل، لذا فأنا من هذا المنطلق يهمني أن يصل صوتي إلى القارئ الخليجي الذي يعرف تفاصيل هذا الصوت ومن ثم لا بأس أن يتعداه للقارئ العربي».

- ويوضح: «أنا لدي تجربة طويلة في كيفية الإيصال والاتصال وأعرف أن معارض الكتاب التي تقام في الدول العربية والتي تحمل النتاج الخليجي بمقدورها ممارسة هذا الدور، نظراً إلى أسعار النتاجات المنخفضة والمرتفعة القيمة والتي يقبل عليها القارئ العربي البسيط. إذن يبقى القول إذ إن ليس لدي عقدة المركز، ويهمني أن

أكـــون المركـــز وتتصـــل بي الأطـــراف وأن أردد مـــا قلـــت في الإجابـــة للسؤال البداية أنني أقول كل ذلك بلا تواضع أو استجداء للقارئ!

***

(15)

الْحِوَارُ الْخَامِسَ عَشَرَ:

الْحِوَارُ الْخَامِسَ عَشَرَ

يقول المثل: "العارف لا يُعرَّف"، وفي حالة ضيفنا نقول: "المعروف لا يُعرَّف"... فهو شخصية متميّزة، سواء في مجال الكتابة أو الشعر أو الأدب. نقرؤه في صحيفة الرياض، فنلمس فيما نقرأ إبداعًا حقيقيًا... مع صاحبه الذي لا يعترف بذلك، فعندما سألناه: هل وصلتَ إلى درجة الإبداع؟ أجاب: لم أصل حتى تخومه... وهذا هو تواضع الكبار. إجاباته عن أسئلتنا كانت بالمختصر المفيد، لكنها تحتضن فلسفة مكنونة. ولئلا نطيل، نترككم مع إجابات الشاعر والكاتب سليمان الفليّح، التي تتميّز بما قيل ودلّ.

حاوره: حميد العنزي(230)

(1) موافقتك على إجراء حوار صحفي، هل تعني توضيح أشياء تود أن يعرفها القارئ؟ وما هي؟

- لا، بل لمجرد الاستجابة لاستضافتكم الكريمة.

(230) – جريدة المسائية العدد 5404 تاريخ 18 ديسمبر 1999

(2) بين فصــول الســنة، وهذا الشــتاء، هل ترى أن القدرة على العمل تقلّ؟ أم أن الصـيف، كما هو الاعتقاد، هو موسـم ضـعف القدرات ومن ثم الإنتاج؟

- النسبة إلى الكاتب، فلكل الفصول تأثيراتها الخاصة في نتاجه.

(3) قبل أن تتجه إلى هذا المجال، ما الشـــيء الذي كان يثير اهتمامك أو توقعت أن تكون عليه مستقبلاً؟

- راعٍ للغنم يملك قطيعاً لا بأس به من الأغنام وقليلاً من الإبل

(4) في مجال عملك هناك أسماء كثيرة، فمن تشـــعر بأنك تنتمي إليه أو تتشابه معه؟

- سليمان الفليّح فقط، وربما ولدي الزميل سامي في أحيانٍ.

(5) وسائل الاتصال هي اللغة الأقوى في الوصول إلى الناس.. من وجهة نظركم، أين موقع الصحافة؟

- في الصدارة قبلا.. والآن أخذت بالتقهقر.

(6) كيف ترى ما يجب أن تكون عليه الصحافة لكي تحقق توازنًا مع هذه الوسائل المرئية؟

- مرئية ومقروءة ومسموعة أيضاً.

(7) هل تعتقد بأنها تراجعت بوجود فضائيات وانترنت؟

- بالتأكيد ان لم تدخل كلها الى الانترنت.

(8) المثالية شيء مستحيل فكيف ترى الاقتراب منها؟

- بالاقتناع باستحالتها كاملة .

(9) هل تطمع الى الشهرة؟

- انا شخصيا مللت فيها كثيرا، ولكنني لا استغني عنها.

(10) هل تعتقد بان هناك فرقا بين الهواية والوظيفة؟

- طبعاً في الهواية ثمة ابداع وفي الوظيفة ثمة اتباع .

(11) إذا كان الكمبيوتر لغة اليوم والمستقبل فكيف تستفيد أنت شخصيا من التعامل مع هذه اللغة قس مجال عملك؟

- انا في الفصل الأول منه في مدرسة محو الأمية الآلية.

(12) هل لديك اشتراك في الأنترنت؟

- قدمت طلباً على ذلك.

(13) دائماً ينظر الناس الى مجالك بأنه محل مقارنة مع الآخرين.. فهل تلاحظ ذلك؟

- هذا خطأ فلكل مجتهد نصيب ومآكل مجتهد مصيب .

(14) الابداع مطلوب فيه التميز، ما رأيك في هذا وهل وصلت لدرجة الإبداع؟

- يقولون ذلك مع أنني لم اصل حتى تخومه بعد .

(15) ومادام الفن هو طريق الوصول الى الحسن وكذلك التجاوب مع الحس الجمالي فهل شعرت بأنك اقتربت من ذلك؟

- الى حد ما.

(16) لوقلنا ا نلك هدفا او رسـالة تؤديها فما هذا الهدف الذي تسـعى اليه .. وما تفاصيل الرسالة أو مضمونها؟

- الخير والجمال والسعادة للجميع بلا استثناء.

(17) لماذا انت محاط بالشائعات؟

- انا مكشوف كالمدى فلذلك لا تقترب مني الشائعات.

(18) هل تتذكر ونحن نسأل ان هناك سؤالا كان يجب ان يطرح من البداية؟

- عن عملي الأساسي كشاعر وكاتب.

(19) الانسجام في العمل هل يتحقق بوجود عوامل معينة؟

- طبعاً بالحب والتفاهم والانتماء الوظيفي الحق للعمل.

(20) التنافس هل يؤدي الى الافضل؟

- والى الاسوأ أحياناً إذا خالطه الحس .

(21) كيف تجد الحوافز وتأثيرها في زيادة الإنتاج وحسن الاداء وحسن الاداء؟

- هي اهم مقومات الانتاج ومضاعفته.

(22) هناك اسباب تؤدي الى الاحباط في العمل. ماهي وكيف تعالج من وجهة نظرك؟

- إذا كان الرجل المناسب في غير المكان المناسب والعكس ايضاَ.

(23) يقال ان الزمن تغير فهل يعني ذلك شيئاً بالنسبة إليك على الصعيد العملي او على الزمن ان يفهمنا؟

- لا وعلينا ان نفهم الزمن لا على الزمن ان يفهمنا.

(24) هل انت من الذين يفكرون قبل بداية العمل وكيف يكون وضع الخطوات؟

- لا لا أفكر مطلقاً فأنا محكوم بالعاطفة دوماً كشاعر .

(25) وهل يسبب الصيام إضعافاً للقدرات ام العكس؟

- لدي العكس تماماً.

(26) الحديث عن المواسم يعني بأن هناك تفكيرا متذبذبا لدي الانسان، كيف ترى ذلك وما مدى صحته؟

- علمياً صحيح من الناحية السيكولوجية .

(27) هناك من يميل الى القبول بأي شـــيء نتيجة ضـــعف فكري او مستوى ثقافي ووعي اقل.. فكيف يمكن الارتقاء بهم الى مستوى اعلى؟

- في فهم قدراتهم الحقيقية والاستفادة منها مهما كانت هذه القدرات.

(28) تطوير المناهج هل حان الوقت للاختصار والانتقاء والبعد عن الحشو؟

- طبعهاً بشكل ملح وسريع .

(29) اللغة الانجليزية هل تصلح للإضافة في الابتدائية؟

- طبعاً.

(30) وهل يتم تعميم الكمبيوتر؟

- طبعاً ضروري.

(31) ظاهرة الاقبال على الاستراحات تعد ايجابية كمتنفس للشباب أما الوجه الآخر لها فإنه ســـلبي لعدم وجود رقابة على الصـــغار والافتقار الى فرص وامكانات لنشاطات ترفيه مناسبة ، كيف تتم معالجة ذلك؟

- إتاحة المجال الى متنفسات أكثر وإعطاؤهم ثقة اكبر .

(32) التدخين ينتشـر كالنار في الهشـيم وخصـوصـا بين الصـغار فهل نستسلم ام نقاوم ونسيطر على الموقف ؟

- اتمنى زوال هذه الظاهرة سريعا، ولكن بأسلوب علمي مدروس .

(33) المقارنة بين طالب اليوم وطالب الأمس هل تكون من زاوية وجود وسائل ترفيه لم تكن موجودة سابقاً؟

- طالب اليوم في منتهى السعادة لحصوله على مايريد.

(34) وكيف يتم توجيه هذا الطالب الى ما ينفعه ، بمعنى تنمية قدرته وادراكه في جوانب ماينفع وما لاينفع ؟

- ابحثوا عن نقطة الابداع فيه والتركيز عليها دون إغراقه بمواد لزوم لها بالنسبة الى قدراته .

(35) أصبح دور المدرسـة تربويا شـيئاً هامشـيا وكذلك البيت.. الى أي حد ترى بأن ذلك موجود حالياً؟

- في البرامج الاعلامية إذا أديرت بعقلية نيرة .

(36) التفكك الأسري يؤدي الى مؤثرات سيئة على الابناء، فهل تعتقد ان التوتر لا يترك فرصة لضبط الاعصاب وابعاد الابناء عن هذه المؤثرات؟

– حن اقل الشعوب تفككاً والحمدالله والتوتر سمة العصر وعلاجه الصراحة المطلقة والتقارب مع الأبناء

(37) الفشـــل الدراســـي هل هو بالضـــرورة اهمال البيت او تعبير عن السخط على الصراعات بين الابوين مثلاً؟

– لا.. يعود الى القدرة الاستيعابية لدي الطالب ومناخ المدرسة.

(38) خادمة في كل بيت وسـائق هي مؤثرات اخرى لا شـك بأنها تؤدي الى انعكاسات سلوكية غير مرغوبة كما يقال ويحدث؟

– لا ليس كذلك فهؤلاء يعتبرون – عرفاً – من الأسرة

(39) فهل يمكن السيطرة على الموقف او الاستغناء عن هذه العمالة؟

– ولم الاستغناء عنهم فكل المجتمعات فيها مثل هذه العمالة.

(40) الحديث عن مجتمعنا حســـب بعض ما يثار دائماً يقول بوجود تفاوت واضـــح في المســـتويات الثقافة فهل انت من الذين يوافقون على ذلك، هذا اولاً؟

- نعم وذلك حسب البيئة الاجتماعية الخاصة للنشء الذي يعيش في وسطها.

(41) وثانياً كيف تتجاوب عملياً من خلال انتاجك مع وجود هذه الفوارق؟

- بالكتابة وهي وسيلتي الوحيدة

(42) هل بالإمكان تدخل الأبوين في اختيار رفاق الابناء وكيف يمكن اكتشاف الرفقاء المناسبين؟

- من خلال الرقابة غير المباشرة والنصح غير المباشر أيضا.

(43) المعلم لم يعد مؤثرا من ناحية كونه قدوة ما الاسباب؟

- الممثل السينمائي والمطرب أصبحا هما القدوة وعليهما واجب وطني في التأثير.

(44) مستوى اداء مهمة التعليم أصبح متدنياً واستكمال النواقص في الاداء أصبح مسؤولية الام في البيت؟

- مسؤولية الطالب نفسه والبحث عما يلائمه والتركيز عليه.

(45) هل هي معاناة حقيقية ام حالات نادرة؟

- حالات ليست نادرة ولا يحلها الا التخصص منذ الصغر.

***

(16)

اَلْحِوَارُ السَّادِسُ عَشَرَ:

اَلْحِوَارُ السَّادِسُ عَشَرَ

كثرة من القراء يعتقدون ان التجويد والإبداع في الشـــعر هو من اختصـــاص الدارسـين لفنونه واسـاليبه والمتمسـكين بكلمات الشـفافة.. وهناك ثمة من يقول ان الشعر أو الشاعر هو حصيلة ثقافة غربية، غربية، تراثية وليس حالة انسـانية مجردة من تأثيرات القديم والجديد من الدراسة والمعرفة.

والشـاعر، كما يقول بعض النقاد لا ينمو ولا يكتمل وينضـج إذا لم يتعارك مع شـعراء، ويؤثر ويتأثر.. يدرس لكل من كتب شـعرا من الشـرق أو الغرب. لكي يضيف مفردات وصور، ويعتني بأساليب جديدة.

لكن الشـــاعر الكويتي سـليمان الفليّح ربما يخرج عن القاعدة وحقق " طفرة " شـعرية زاوجت بين حياة البداوة والمدينة التي استوردت كل شـي..حتى الشـعراء قيل انه اختار "المنفى " بعيدا عن حياة المدينة التي كادت تعبق "طفرته" الشعرية المبدعة..

وقيل أيضـاً انه " الشـاعر البدوي " الأول في الخليج ..وهناك من وجد اوجه شه بينه وبين الشاعر العراقي ذائع الصيت مظفر النواب، هو ماذا يقول؟

حوار: الموقف العربي (231)

(1) باعتبارك شـاعرًا بدويًا يعيش في المدينة، كيف تمكّنت من الإمسـاك بطرفي هذه المعادلة؟ وما ملامح العلاقة التي نسـجتها بين القبيلة والمجتمع المدني؟

– بدءًا، أنا لم أُمسـك بهذه المعادلة الافتراضية الهشّـة، ولم تكن تهمّني مطلقًا، ولكنني حينما وجدتُ بأنني ناتجٌ حتميٌّ لها – ساءني إلى حدّ الفزع هذا الناتج الحادّ التناقض الذي حاصرني. دعني أسألك أنت عن هذه "المضارب الحجرية" التي تمتدّ من البحر إلى البحر، والتي تقطنها قبائل – مستباحة – تُسمّى مدنًا، اللهم إلا إذا اعتبرنا أن شيوخ تلك القبائل الذين استبدلوا عباءاتهم الوبرية ببزّات عسكرية تزدهي بنياشين الهزائم، هم أيضًا شكلٌ من أشكال المدينة (!).

أي إنني، ولكي أختصـر، تَمدَّنت. أما ما حفزك لهذا السـؤال – الحالم – فقد كنتُ، ولا زلت، أعاني من هذه "البداوة السـياسـية" البشـعة التي تخيّم على خريطتنا العربية، والتي تحجب عن أعين "قبائلنا" الشمس، وكذلك سأبقى أعاني

(231) – مجلة / الموقف العربي 1984

منها، إلى أن نتمكن من توســـيع أحداق تلك القبائل من أجل تمكين قدرتها على الرؤية الشاسعة للنور .

ساعتها، سيحقّ لنا أن نسأل – بلا وجل – عن ملامح العلاقة بين القبيلة والمدينة. أما بالنسبة لي، فإنه من سوء طالعي التعيس أن أتنقل من بداوة فطرية، إلى بداوة مدينية أشـــدّ تخلّفًا، تهيمن على كل عواصـــمنا العربية، المبتلاة ببداوةٍ ســـياســـيةٍ أكثر بشـــاعة منها. لذا، كيف تريد مني أن أوجد علاقةً بين بداوةٍ وبداوة؟.

(2) جربتك الشـــعرية نمت في الكويت، فدخلت من خلالها إلى دائرة الشـــعراء الشـــباب في الوطن العربي، في الوقت الذي لا يوجد فيه شـــعراء يملكون نفس ملامح تجربتك في الكويت.. كيف تعيش التفرد؟

– لعلّ ذلك الشعور بالخذلان هو الذي رفد تجربتي الصغيرة المتواضعة بالألم، وذلك لأنني حينما انحدرتُ إلى شـوارع المدن، مبهورًا ببهارج أضـوائها، مبتهجًا بالأناشـــيد البرّية البريئة، متطلعًا إلى عالمٍ أبهى، فوجئتُ لدى دخولي إليها بأنني كمن سقط في بئرٍ موحشٍ عميق، تخيّم على طيّاته الهزيمة.

لذلك حاولتُ جاهدًا أن أنقذ نفسي، ولو بالحلم – الأمل – في الخروج إلى رحابة الحرية، ولعلّ هذه الحركة – المحاولة – هي التي أفرزت هذه التجربة التي تسمّيها أنت تفردًا.

أما بالنسبة لبعض الشعراء هنا، فلكلٍّ منهم همّه العام، وطريقته في الحياة، وسلوكه الشعري، ولكن أغلبهم – للأسف – تنقصه التجربة الشعرية الخاصة، وذلك لتشابه ظروفهم المعيشية، وتماثل مناخاتهم الفكرية، واعتمادهم في الأساس على مخزون التراب!.

(3) كيف يمكن للشعر أن يقيم شعرًا، بمعنى التواصل الذي يقوم بين الشعراء من جهة، وبينهم وبين جمهور الشعر من جهة ثانية؟ وهل تعتقد أن هناك حلقة مفقودة في هذا التواصل؟

- ليس هنالك تواصل أوثق من تواصل الشعراء العرب في هذه المرحلة بالذات، وذلك لأنهم يقون دائمًا سيمفونية الغد الأجمل، التي تعزف ألحانها المهولة من أجل الفجر القادم لهذه المدائن التي تقبع – خانعة – تحت الخراب. الصحيح أن هنالك حاجزًا صلبًا ترتد عليه أناشيدهم، مثل وصولها إلى مسامع القراء، وصحيح أن هنالك صممًا يقترفه ضدهم القراء، وصحيح أن هنالك تردّيًا في الذوق يعتري القراء. بل دعني أسمّيه تخلّفًا فنيًا لا ذنب لهم به، وذلك

بسبب أجهزة الإعلام الرسمية السخيفة التي عمدت إلى تهميش كلّ الأشياء. ولكنني واثق من أن الشعراء قادرون – لا محالة – على تحرير قرّائهم من هذا الوباء. فإذا ما تمّ ذلك، فإنني متفائل بقدرة الشعر على التأثير، والشحن، والتهيئة، والاتصال.

(4) في الوطن العربي اليوم أزمة إبداع، إلى أي مدى نُدخِل غياب النقد في هذه الأزمة؟ بمعنى: هل ساهم غياب النقد في خلق حالة انهيار أدّت بالشعر إلى ارتياد بلاط الخليفة ثانية؟

– لا أدري إن كانت هناك أزمة بالمعنى المضادّ للكلمة، لأننا إن سلّمنا بذلك فكأنما نقول بأن الأزهار لا تنمو في جميع الأمكنة، مع أننا ندرك جيدًا أن للأرض السبخية إزهارها، مثلما للأرض الرملية أو الصخرية. ولكننا في الوقت ذاته لا يمكننا تجاهل العوامل الطقسية أو المناخية التي تؤثر في مسألة النماء، وكذلك العنايات المساعدة لتواصل العطاء. ففي وطننا العربي ثمة المئات من العطاءات المبدعة التي يصلنا أريجها، والتي استطاعت أن تواكب حركة الإبداع العالمي، وكذلك هناك المئات أيضًا لم يصلنا إبداعهم بسبب الحصار الإعلامي. فإذا كانت هناك أزمة، فهي تنحصر أولًا في النقد، أي إن الأزمة نقدية وليست إبداعية، ففي وطننا العربي لم يظهر خلال العشر سنوات الأخيرة أي ناقد

حقيقي يقوم بمهمته التاريخية كما يجب، بينما ظهر العديد من المبدعين الذين أصبحوا مرايا لبعضهم البعض بسبب غياب النقد. أما قولك بأن هناك حالة انهيار أدت بالشعر إلى ارتياد بلاط "الخليفة المعاصر"، فإننا نسبّت معك كليًا في هذه المسألة، والتي لا ننفي أيضًا تفشيها لدى بعض البلاطات التي احتار شعراؤها (المسحوبون على أصابع القدم الواحدة!) أن يكونوا "بلاطات" في تلك البلاطات (!) الأمر الذي لا يشرف الشعر حتى انتمائهم له.

(5) كيف تنظر إلى حركة الشعر في الكويت، وما هو موقعها في دائرة الشعر العربي المعاصر؟ ومن هم الشعراء الكويتيون الذين يقفون في المقدمة؟

– حركة الشعر مرتبطة ارتباطًا كليًا بحركة الشعر العربي على امتداد مساحتها، فهي تتأثر به وتؤثر حسب تأثيرها. إلا أن ما يؤخذ عليها هو عدم مواكبتها للنتاجات الجديدة، وعدم تواصلها العلائقي مع رموز المعاصرة. فإذا ما استثنينا بعض الأسماء المبدعة مثل خليفة الوقيان ونجمة إدريس، فيمكننا القول إن البقية ما زالت تتسند على عامود الشعر التقليدي، إلا بالطبع بعض القصائد التي يخرج بها الشاعر الصوفي المبدع خالد سعود الزيد.

(6) إلى أي مدى استطاع الأدباء والمثقفون العرب المقيمون في الكويت أن يكونوا حالة أدبية جديدة، أم هل استطاعوا أن يحققوا الالتحام مع الأدباء الكويتيين؟

- لا تختلف حالة المثقفين هنا عن حالات المثقفين العرب في بقية الأقطار العربية من حيث الهم المشترك وطرق التناول وأساليب النقاش، إلا أن الذي يحكم العلاقة هنا هو الفتور ووهن الصلة والسلبية وعدم الحميمية، لأن اللقاءات الفكرية – غالبًا – ما تكون مرهونة بالصدف. لذا، لا يمكننا أن نلمس جوًا ثقافيًا معينًا، وهذا الحال ينطبق على كل المثقفين الموجودين في الكويت، سواء كانوا كويتيين أو غير كويتيين.

(7) يجمع العديد من الآراء على أن شعر الشباب يعاني من الغموض، أو ما يُسمّى بالضبابية. فإلى ماذا نرجع هذه الضبابية في شعر الشباب؟

- دعني أعترف لك بأنني أحد الذين أعمتهم الضبابية عن الرؤية بعين الجماهير، الأمر الذي جعلني لا أكتب إلا ما تحس به نفسي فقط، دون أن أتلمس ما في أنفس الآخرين، الأمر الذي أبعدني تمامًا عن قرائي، وأوقعني في أنانية مقيتة. وهذا هو حال أغلب شعرائنا الشباب الذين يصل بهم العمى إلى مواكبة التجارب الحديثة في العالم، ونقلها إلى مجتمعاتهم دون أية محاولة منهم

لاســـتقراء واقعهم وواقع جماهيرهم. لذا، فإن الواقع المرّ يلزمنا هنا بالعودة إلى المباشرة الصارخة التي كانت عيبًا فنيًا، لأن جماهيرنا، كما أسلفنا، لم تصل بعد إلى استيعاب تلك التجارب المحدثة. من هنا، فإنني أدعو جميع الشعراء الشباب، وبعدما جربوا كل الإشـــكال الشـــعرية، أن يعودوا ثانية إلى تعلم وتذوق لغة الشـاعر، ليسـتطيعوا التأثير فيه، لأننا – وبكل صـراحة – أصـبحنا لا نقرأ إلا لبعضـــنا، وبمعزل محزن عن الإنســـان الذي نكتب له وعنه! فإذا ما تنازلنا عن عزلاتنا المختارة، فإنني واثق من بلورة جديدة لمرحلة جديدة هي في حكم المؤكد.

***

(17)

الْحِوَارُ السَّابِعُ عَشَرَ:

الْحِوَارُ السَّابِعُ عَشَرَ:

"سليمان الفليح".. آخر معاقل الصعاليك. رجل بدوي عنيد كالجبل.. ورقيق كنسمة. يحمل حكمة الكهول.. وطيش الشباب. وإذا كان "عروة بن الورد" هو "أبو الصعاليك" للزمان الغابر، فإن "سليمان" هو أبو صعاليك هذا الزمان. يكتب كما يتحدث.. لا يتلون ولا يتبدل. أنيق في كتابته.. يحمل مرحًا هائلًا.. وحزنًا عميقًا. يتجول في شارع الصحافة كأنه يبحث عن اللاشيء.... وهو شاعر من طراز فريد، ساخر وجاد في ذات الوقت.

يسطر المقالة كما يبدع القصيدة. يجد نفسه في الصحراء.. ويضيع في المدينة. استجوبته "الحدث" في هذا اللقاء الساخن.. الساخر، فهددها برفع قضية.. فما هو السبب؟ تعالوا نسأله من بعيد لـ "بعيد".!!

حاوره: باسل الشمري (232)

(232) – مجلة الحدث – العدد السابع –فبراير 1997م

(1) تقول آخر الأخبار إنك أصبحت بائع مقالات متجولًا.. هل يزعجك مثل هذا الخبر؟!

- حسنًا، مادمتُم تصدقون هذه الأخبار (هاتوا فلوسي)! فلقد كتبتُ لمجلتكم هذه كما كتبتُ لغيرها، ولم أتقاضَ فلسًا أحمر، وبالمناسبة لقد أنفقتُ جلّ العمر أكتب مجانًا لصحفٍ غنية، وأتعفف عن ذكر الفلوس، لأنني لا أريد أن يشتريني أحد. كما كتبتُ كثيرًا من منطلق (الفزعة) لصحفٍ فقيرة في بداية التأسيس، وقد قمتُ بعمل مجلات من الغلاف إلى الغلاف لأناس لا يستحقون ذلك، ولم ألقَ جزاءً ولا شكرًا. وما دام الشيء بالشيء يُذكر، وما دمتم ترونني كذلك، فإنني سأقاضيكم إذا لم تدفعوا لي ثمن مقالاتي السابقة، وسأضيف إلى قضاياكم الكثيرة قضية أخرى. ولكي أصدقكم القول، حاولتُ مرة أن آخذ (حقي) منكم على طريقة الصعاليك، وذلك بالسطو على معرض الأجهزة الكهربائية القابع تحت مجلتكم هذه، ولكنهم أخبروني أن المعرض يعود لأبي ماضي الخميس وليس لماضي شخصيًا، ولأنني أعرف أن أبا ماضي رجل كريم، والصعاليك في عرفهم لا يسطون على الكرماء، فقد صرفت الفكرة. ثم إن الشرطة، يا أخي، لن تفرق ساعتها بين الصعلكة واللصوصية. أما حكاية "بائع متجول" فهذه (مهونة) لا أستحقها منكم، فأنا كما يعرف القاصي والداني رجل متجول كل

العمر، وكلما حللت بمكان – مثل مجلتكم هذه – طلبوا مني من قبيل (الفزعة والميانة والعشم) أن أكتب لهم، ولأنني (مسكين وعلى نياتي) فإنني لا أتوانى عن مدّ (قلم المساعدة) لهم، ولكنهم كثيرًا ما يخذلونني كما فعلتم أنتم. ولكن الآن، قبل أن نبدأ في الأسئلة القادمة (كم تدفعون؟!) نظير هذه المقابلة؟!

(2) تقول الأخبار أيضًا إنك وصلاح الساير تركتما المدينة وقطنتما البر بصحبة الناقة "سيمون"؟!

– أنا وصلاح نقضي فصلي الشتاء والربيع في البر منذ سنوات، فأحيانًا نكون معًا، وأحيانًا كلٌّ على طريقته الخاصة. أما هذه السنة، فقد شددنا الرحال منذ شهر أغسطس القائظ، وأقمنا مضربنا على أعلى نقطة في الكويت من جبال المطلاع، وفي بقعة جميلة تطل على البحر والمدينة من جهة، وتطل على الصحراء من جهة أخرى. لكن الأفاعي كانت تشنّ علينا غاراتها المتوالية، فشردتنا من ذلك المكان الجميل، وغادرناه بصحبة (سيمون) في أغرب (ظعن) في التاريخ؛ فقد حملنا "اللاما"، بكرة سيمون (ابنتها)، في الوانيت، وجعلنا "سيمون" تتبعها وئيدًا، وكنتُ أقود الوانيت، وصلاح يقود الغرفة المتنقلة المقطورة بالجيب، بينما سيارة شحن الخيام كانت تتبعنا، محمّلة ببقية الكائنات الجميلة.

بالمناسبة، لدينا حيوانات تحمل أسماء (بعض) الذين يعملون في الحقل الإعلامي، ولكنها حيوانات مثلهم! أما (سيمون)، فهي ناقة فارسية اشتراها صلاح من (ابن خشمان)، الذي استوردها من إيران في أعوص عملية استيراد. ولكنها – من حسن حظنا – ناقة "مسوح"، مدرار، هادئة، تحلب كالحنفية دون عناء، لا كسائر النوق التي قد تعذّب أصحابها ولا تحلب إلا في أوقات معينة وبطرق متعبة أحيانًا. أما الآن، فهي – أي (سيمون) – تقضي شهر العسل لدى فحول إبل (ابن مهنا)، صديقنا البدوي الرائع، وتنجع بعيدًا في البيد، ولكننا نزورها بين آونة وأخرى لنستمتع بصحبة ابن مهنا، الذي صار بيننا وبينه خبز وملح و"عِشرة صميل".

(3) تكتب في "المختلف" و"الرأي العام" بذات الطرح والروح والتناول رغم اختلاف توجه كل من المطبوعتين.. ألا تعتقد أن ذلك أسلوب كتابي غير موفق؟

– وهل تريدني أن أتلون كالحرباء التي تأخذ لون المكان الذي تتواجد فيه؟ أم تقصد أن أكون كبعض الكتّاب الذين يبدّلون مواقفهم كلما بدّلوا مواقعهم، تمامًا كما يبدّلون ملابسهم الداخلية؟ لا يا سيدي، أنا أنا، سواء كتبتُ في

"المختلف" أو في "الرأي العام" أو في "الطليعة" أو في "المجتمع" أو في مجلة "سيدتي".

(4) خلال وقت واحد أصدرت مجموعتين شعريتين، وذلك بعد توقف طويل عن الإصدار.. ما الأسباب؟

– عد التحرير، أصدرتُ "ذئاب الليالي" عن دار سعاد الصباح، وفي العام المنصرم 96 أصدرتُ مجموعتين كما قلت، والسبب في إصداري المجموعتين معًا هو أن "دار قرطاس" أرادت طبع ديواني الشعري (الرعاة على مشارف الفجر). ولستُ أدري من وشى لهم بأن لدي مجموعة قديمة هي بمثابة قصائد ساخرة، كنت أعتقد أنها لا تليق بالنشر، لأنها سماعية أكثر من كونها قرائية، ولكنهم نشروها، وأحدثت صدى هائلًا لم أتوقعه، وما إن نُشرت قبل الديوان الأساسي (الرعاة) حتى خنقت (الرسوم) (الرعاة)، بل سرقت الأضواء منها. وهذا ما أحزنني وأبهجني معًا. ولكن، على أية حال، قصائدي كأولادي... لا أفرّق بين هذا وذاك.

(5) ولكن هناك من انتقد مجموعتك الشعرية.. "رسوم متحركة"؟!

– أعتقد أن من انتقدها قد رأى صورته فيها. وهي، أي رسوم متحركة لمن لا يعرفها، بمثابة رســـوم كاريكاتيرية للحيوانات، التي بإمكان القارئ أن يأخذ ملامحها ويُركّبها على ملامح من يشـــاء من الناس. وما دامت قصـــائد انتقادية ســـاخرة، فهي قابلة للنقد أيضًـــا. ولكنني قلتُ فيها ما لم أقله منذ أن تعلّمت الكتابة حتى اليوم، وبطريقة فنية مختصرة وساخرة وسهلة الحفظ. وقد سمعتُ أن أحد أساتذة الجامعة يقدّم هذه القصائد كمادة في الفلسفة، واكتشفتُ مؤخرًا (أنني فيلسوف!!) ولكن بالمعنى الشعبي للكلمة.!!

(6) – بصفتك راصداً لحركة الشعر الشعبي.. ما رأيك بكثرة إصدار المجلات الشعبية؟

– أنا حزين من تضـــخّم هذه الظاهرة التي كشـــفت التوجّه الجمعي للذوق العام، وانحسار بقية الفنون أمام ظاهرة الشعر الشعبي المتفاقمة. وأنا – بالمناسبة – لستُ ضد الشعر الشعبي، بل أحبه، وكنتُ أحلم منذ البداية بإفساح مجال يليق بهذا الشـــعر. ولا بأس من إيجاد مجلة أو مجلتين متخصـــصـــتين في الفنون الشـــعبية والتراث، بحيث تشـــمل، إلى جانب الشـــعر، الدراســـات الفلكلورية والمأثورات. ولكن أن تندلع المجلات الشـــعبية من كل صـــوب، متورّمة بأوجه "موهومين لا موهوبين"، و"وارمين" – هم أيضًا – بقصائد أحيانًا لا يعون معنى

كلماتها، كما لمسـتُ عن قرب، فهذا أمر في غاية البؤس. وحينما أقول "وارمين"، فلأنني سمعتُ من أحد رؤساء تحرير تلك المجلات أن "بعض" الشعراء يشـترطون عليه، نظير النشـر في مجلته، أن تكون أوجههم الملوّنة مبثوثة على الغلاف!! لا، بل وبشكل دائم، وفي كل عدد!! يا للهول!! وما يحزنني أيضًا أن بعض تلك المجلات امتهنت الشـعر الشـعبي الجميل، وجعلت الكل يحاول "اقتراف" الشعر، حتى من دون روح.

***

(18)

اَلْحِوَارُ الثَّامِنُ عَشَرَ:

اَلْحِوَارُ الثَّامِنُ عَشَرَ

أحضـرت قلبي كلّه، وشـرعت صـدري... فبدأ بوحه الضـاج. عمّ تبحث يا فارس الندى؟ أعن الكلمة التي تفتح المدن؟ هل تعرف أن في الكلام ما لا يُحرّك واجب الإجابة بقدر ما يثير فينا شـهية الكتابة؟ الطائر العابر يرمي علينا سماء، ورائحة الخبز الطازج تفتح أمامنا المروج. هل هي "عدوى الشـــجن" التي يقول عنها محمود درويش؟ سأسألك: أين أنت؟ أين أنت الآن؟ أما زلت تحمل قلبك كزوادة الراعي، أم يحملك قلبك كناي، وتمضـيان على غير هدى؟ صـدى من هنا، وصدى من هناك، خلف صوت مكسور. كنت هنا يا سليمان الفليّح. لم تكن أبانا بقدر ما كنت أباً للنبات والشـــجر. كنت هبة لم نتقن الفرح بها كما نتقن الفرح بذكراها الآن. أما زلت عاجزًا عن البقاء خارج البطولة... والقلق؟ قلقك الأثير الذي أصبح هويتك الرسمية. كنت هنا يا سليمان؛ وهجًا لا يفتر. هكذا، "صُرّة ومتاع قليل"... وترتمي البيد في الفضاء الشرس الساكن عينيك. من بيتك الصـغير النابض في "قطعة 2"، انطلقت حشـود الكلمات، والقلوب الرطبة، والقصـائد الجامحة، والصـعاليك، وأحاديث المسـاءات الممتدة، وحكايا التراث العتيقة، والحب. وأنت رجل تجيد "فن توزيع المحبة". شـــخصـــيًا... أزعجتك كثيرًا، وما أكثر ما غضبتَ مني. ولكن هذا الغضب هو أجمل غضب

واجهته. هو أشــبه بغضــب المطر. ســليمان... كنت هنا. وطوال الزمن الذي عرفتك فيه، حاولت أن أكتب عنك، ولكن الجملة ظلّت تتمرّد وتســتعصــي. وها أنا أســتحضــر كل الذاكرة، وأشــرع كل أبواب القلب لريح الذكرى، فتطلّ القامة الباســقة، وتنهَرُ وهدةَ الصــدر. ســأقول أشــياء بديهية قالها قبلي كُثر: ســليمان الفليّح... الآن أضــع رجلاً... لا، ســأســأل: هل يرحل الجبل؟ هل تتخلى قمّته عن مداعبة الريح واحتضان عواء "ذئاب الليالي"؟ سليمان... أنت هنا. سأجلس معك على الورق، وأسمع نصائحك، وأسألك متخليًا عن وقاحتي التي اعتدتها. ولك أن تقول...

حوار : علي المسعودي (233)

(1) لنبـدأ من البـداية، من البـداية جـدًا، لنتوقف عنـد طفولتـك. هـل تتذكرها؟ أم أنك لا تريد أن تتذكر؟ أعرف أنك ابن الصحراء، وقد حافظت على وفائك لها حتى هذه اللحظة. هل يمكن أن تحدثني بإسهاب عن مشوار الطفولة، وملامحها، وأطيافها؟

(233) – مجلة المختلف ––سبتمبر 1999م

- اسمعني جيدًا، وهات أذنيك كلتيهما، وأحضر قلبك كلّه، واشرح صدرك لبوحي الضاج، وإلا لن نتفق على مبدأ الحوار أصلاً. ثم نحّ خبثك الصحفي العتيد أولًا. ولنكن أصدقاء، وبيننا خبز وملح وعشرة طيبة وذكريات جميلة.

حسنًا، أنت تعرف جيدًا:

أنني بدوي شريد،
أحب التسكع والشعر.. و(العطر!!)
والزهر.. والنسوة الفائنات،
وأحب الوطن والنهار الجديد.

أما فيما يخص تشـــردي، فإنه قد آن لي أن أرتاح من هذه الرحلة الســـرمدية المضـنية، ويبدو أنه حان الوقت ليرتاح القلب في ظل شـجيرة وأرفة أستظل بها للتمدد والغناء والغذاء الجيد وممارســـة مباهجي الصـــغيرة وكتابة الشـــعر الذاتي البحث، بعد أن "كاد أن يغدو الأمل خزعبلة!" ولكنني سـأضـعه قسـرًا وكيفما اتفق لأنني تعبت.. تعبت منذ طفولتي الشـــقية حتى اليوم، حيث بقي اليتم ملازمًا الحياة طوال العمر. إيه يا أبا رزان، دعني أتذكر جيدًا:

في سني الجفاف المريع،
وموت العصافير من سطوة الشمس،

عند اشتداد الظهيرة،

واحتضارات أطفالنا الرائعين،

على أيدي الأمهات،

وحلم العشيرة.. وهماً.

بمَرَى المراعي الوفيرة،

تحجر قلبي المدني،

وماتت بقلبي الأماني الكبيرة.

أو لكي أنقل صورة مماثلة لطفولة ليست رائعة على الإطلاق:

أذكر في أعوام البدو الرحل..

نحو الشجر النامي عبر الآل،

وسياط الشمس تقرحنا..

ببقايا تلك الأسمال،

يشوينا الرمل فلا نخشى..

أشباح الموت البرية،

يحدونا شوق التجوال،

للمدن المعدن.

لحُقول نبتت في الحال لزهور الليل الحجرية،

تخرج من طين الصلصال،

أذكر إذا أوغل في ذهني..

وتدق الذكرى في البال،

وجهًا بدويًا محروقًا..

صلبًا كجمود التمثال،

يركض خلف الإبل العطشى،

يحفر آبارًا وهمية.. تبعد آلاف الأميال،

تقطعها بعيون الموتى..

نمشي أيامًا وليالٍ،

إذ كنا نبكي من ظمأ..

يعصر أكباد الأفيال.

(2) بربك أي طفوله تلك التي نتحدث عنها؟

– لأتحدث عن طفولتي بشـــكل آخر. أما زلت تصـــغي؟ ولدتني أمي تحت سدره في الصحراء، ولفّتني بطرف عباءتها المتسخة السوداء، وسارت "تهيجن"

في ضـعن القبيلة، ثم تفتحت عيناي على زرقة هائلة تطبق على بحر أصـفر من الرمل، حيث يغدو المرء في هذا الأفق مجرد نقطة هامشية في امتداد الخليقة. بعد ذلك، انحدرت إلى المدينة، وأدمنت مثل سـكانها الحزن، ومارسـت التسـكع والفقر، وقبل أن تطحن أضلاعي بأضراسها الحديدية غادرتها ببسالة نادرة، بعد أن كرهت المؤسسـات، وإشـارات المرور، ومعاهد التعليم، ناسـياً الحب والكره وكل علائم الزمن القديم. ثم جاء هذا الغريب الذي اسمه "سـليمان الفليّح". في الطريق بلقاه صديق قديم يسأله بحرارة وعنف: "معًا رعينا الغنم ومارسنا التسكع والفقر، لماذا تتشـرد هكذا في بلادك الجميلة كالمتسـولين؟!" يَلْتفت إليه بحنق ويقول له: "أنت مخطئ يا سـيدي، أنا لسـتُ سـليمان الفليّح الذي تعرفه، أنا مجرد بدوي عابر من قبيلة عنزة، الضـاربة من أواسـط نجد حتى شـواطئ الخليج، مرورًا بوديان العراق، فأطراف الحماد، فبادية الشـام.* أما الآن فأنا مجرد مخلوق صحراوي يعود إلى الصحراء.... أتعرف الصحراء يا علي؟..."

(3) عفواً قف! أظن أن المسـافات تداخلت في الذهن بين سـيرة سـليمان الفليح وسيرة بطل حيدر في رواية (الطوفان)؟

- ولكنـني لسـتُ علـى اسـتعدادٍ لأن أفصـل بـين السـيرتين، لأننـا نتحـدث عـن سـيرة واحـدة ولشـخص واحـد هـو الـذي تحـاوره الآن. وإذا

ما أوغلتُ في الشطط، لستُ بحاجة لمن يدلني على الصواب، فقد اختلطت في ذهني الثقافات ممزوجة بزوابع الصحراء. ولم أكن أتحدث إلى "ابنتي" المختلف، فلست مستعدًا لإضاعة الوقت في الثرثرة مع صحافة ناكرة ماكرة تمتص عشاقها وتلقيهم كثمار الليمون إلى الصحراء لتمتصها الرمال.

(4) كيف بدأت الدراسة؟ وأظن أنك من الدائرة التي لم تعتمد طموحاتها أو معيشتها على التعليم. صف لي مرحلة "العلم"، وماذا تحتفظ من ذكريات حولها؟

- بربك، هل تعتبر التعليم الابتدائي تعليمًا حقيقيًا؟ والذي أكملته للمتوسطة فقط وأنا في الجندية، وتحملت كل قساوتها لأعيل أمي اليتيمة مثلي، والتي زوجتي مبكرًا وحسنًا فعلت لكي تحفظني من الضياع على أقل تقدير، كنت أهفو للجامعة وكان حلماً صعباً لحؤول الأنظمة العرجاء والقوانين الفجة دون ذلك، ولكنني حققت هذا الحلم ليوم واحد بالعمر حين ردمت هذه العقدة بالثقافة وأصبحت كما أنا ، فحدث أن دعائي الدكتور مرسل العجمي لألقي محاضرة على طلابه في جامعة الكويت حول (مقاربات بين الأدب الشعبي والعربي والعالمي).

ما كان مني إلا أن وقفت أمام الطلبة وقلت لهم: «أوه أيها الأحبة الطلاب، لطالما تمنيت أن أجلس في مقاعدكم هذه، لا أن أعتلي منصـــب الأســـتاذ لأحاضر عليكم.» يومها بكيت من القلب وقررت أن أوصل أولادي إلى تلك المقاعد مهما كانت الأنظمة والتنازلات التي ســـأتكبدها. لأقل لك شـــيئًا خاصًـــا: دخلت ذات يوم على بناتي اللواتي أنهين الثانوية وجلســـن في المطبخ فقط، وسمعتهن يتحدثن عن الوالد العظيم والشاعر الكبير الذي يفتخرون به.

ثم نهضـت إحداهن وبكت وقالت: «ما فائدة ذلك كله مادام لا يستطيع أن يدخلنا الجامعة؟» ساعةَ ذاك تحولت إلى مجرد صرصار، أصبحت أخجل حتى من رؤية وجهي في المرأة. أتدري كم كان ذلك قاسيًا على شاعر هائل؟! لست أدري كيف تذكرت حينها رواية "المسخ" لفرانز كافكا، حيث يتحول البطل إلى حشـرة. لذا أرجو أن لا تحدثني عن شـيء اسمه التعليم.. لتسـقط كل الجامعات في الوطن العربي التي لم تخرج سوى أنصاف الأميين وأشباه المتعلمين، ولتسقط جامعة... أيضاً!!

(5) في ســـيرتك الأدبية لا تخجل من بداياتك، فتذكر أنك رعيت الأغنام في بدايات عمرك، ماذا تعلمت من هذه المهنة؟

– تعلمت أن وفاء البهائم أكثر من وفاء البشر. أتصدق أن الإبل تضرب عن الرعي حين يتركها الراعي الذي ألفته، بل وتمارس الحنين والبكاء إلى أن يعمد البدوي إلى وضع عباءته على شجرة كي تشم رائحته فتهدأ، ثم تتعود على الفراق.

(6) بعد ذلك على ماذا اعتمدت ثقافتك، كيف سعيت إلى الثقافة أصلاً من الذي أخذ بيدك ليوصلك إلى عالم الكتاب؟

– كما يقول بعضُ مدّعي الإبداع إن القصيدة هي التي تكتبه، أقول لك: إن الثقافة هي التي سعت إليّ. حدث ذلك حينما عينتُ في بدء حياتي الوظيفية بالجيش الكويتي مسؤولًا عن قراءة الصحف وأرشفة مواضيع عملي. وهذه القراءة الوظيفية شدتني إلى قراءاتي الخاصة، ومن ثم قادتني إلى قراءة الكتب التي تتناولها، والكتاب الذين تجلبهم، والشعراء الذين ينشر لهم. وهكذا اهتديتُ إلى المكتبات التي عوّضتني عن عقدة الجامعة! لدرجة أن الكتب شاركت أطفالي لقمة العيش، ولربما احتلت مساحات في بيتي الصغير هم أجدر بها. ثم جرتني القراءة إلى الكتابة، وهكذا صرت "خوش مثقف" و"خوش كاتب" على رأي الآخرين. بل زد على ذلك شاعرًا لا بأس به!

(7) الخروج من الصـــحراء إلى المدينة.. هذا أول اعتراض على "واقع الحال". كتابة الشـعر.. هذا ثاني خروج على تسـيّد الأمية. التخصـص في الشـــعر الحديث.. هذا ثالث خروج على الواقع. أية طاقة كنت تملكها؟ هل كنت تتعامل مع المســـتقبل وأنت تفكر وتعمل في يومك؟ هل أنت سعيد بهذه الرحلة؟

- الصــــحراء... مدرســــتي الأولى، التي علّمتني الخروج على الفقر واليباس والرتابة، بكل ما فيها من أنواء، عواصـــف، لواهيب، أمطار غزيرة، وريح قرّ، ورمضـــاء حر، ووحش. ولم لا؟ فأنا حفيد الصـــعاليك والأغربة، وهم أول من اســتلهمت من مرابعهم الخروج. أما الشــعر، فقد انطلقت فعليًا من القصــيدة الحديثة، ناهيك عن تجارب ضــئيلة في القصـــيدة النبطية أولاً. كنت أخاطب مجتمعًا أميًا محكومًا بالتقاليد الصعبة والأعراف القاسية والثقافة الشعبية، وكان ذلك تمردًا لغويًا بحتًا، اصـــطدمت فيه مع اللغة ذاتها ومن داخلها، لذا كتبت قصـــيدة التفعيلة، والنثر، والنص المفتوح، ولم يكن يهمّني ما يُقال، بالرغم من أنني لم ألقَ سوى المحبة والإجلال.

حتى لو لم يفهم ما أقول!! أما الخروج على الواقع فقد كانت لي نظرة مستقبلية للأشـياء العظمى والتحولات الكبرى، صـرفتني عن النظرة الخاصـة بي وبعائلتي،

وألهتني عن كل مغتم حياتي، لأنني كنت أحلم مثلما يحلم جيلي بتغيرات هائلة تحقق الخير وتحل مشاكل الناس بطريقة شاملة، ولكن هذه النظرة اصطدمت بواقع مرعب ضللتني المثالية عنه، فكنت وحيداً في مواجهته، عارياً إلا من الشعر، ولكنني لم أُحبَط مثل الآخرين، بل تسلحت بالوعي لمسايرته بطريقة مخالفة تحقق لي الرؤية الجديدة له.

(8) الانتقال إلى الصحافة، انتقال إلى عالم آخر... ربما لم يخطر في البال يومًا. كيف كان؟ وكيف تسترجع تلك الأيام التي كنت تكتب فيها "هذرلوجيا"، مع مجموعة كتّاب في جريدة السياسة يمثلون تيارًا حيًا ما زال فاعلًا؟

- في بدء السبعينات شرعتُ بطريقة اقتحامية بكتابة زاوية شعرية نبطية في جريدة "السياسة" باسم "مخاريز"، كانت تطفح بالسخرية والمرارة، وذات حَدَقٍ صميم مع الصديق الكبير سليمان الفهد، وثلة من الصحب، أذكر منهم المرحوم ناجي العلي، والفنان عبدالله المحيلان، ومطلق العجمي، وعبداللطيف الدعيج، والمصور المبدع صالح عباس. أذكر أنني قلت يومًا: إن الفرق بيننا وبين الغرب أنهم يصنعون التكنولوجيا ونحن نصنع الهذرلوجيا، فضحك الجمع من المفردة حتى الاستلقاء، واقترح سليمان الفهد أن نغيّر اسم الزاوية من "مخاريز"

إلى "هذرلوجيا"، وهكذا كان الأمر. ثم تحولت من زاوية شـــعرية إلى زاوية نثرية ساخرة أحدثت دويًّا هائلًا في الأوساط الشعبية، وهكذا التصق اسمها بي إلى اليوم، وأخذت تترحّل معي كبدوية فاتنة أينما "ظعنت". أما الأسماء التي أتذكرها في "الســياســة"، فقد كانت: حســين العتيبي، أحمد الريعي، عبدالله النفيســي، قاسم أفيوني، "أبو الخير" وأمه كذلك أي "أم الخير"، جزاهما الله كل خير، فقد علّمَاني أشــياء كثيرة أدين لهما بها كل العمر، وكذلك كان الكاتب الســريالي المتميز مصــطفى أبولبدة، وكلٌّ منا يكتب على هواه مهما اختلفت الأفكار. أوه يا علي، حتى وأنت توغل في الصحراء، لا بد وأن تسمع ثمة كلب ينبح، سواء أكان لك أو عليك. ولكن، ذلك لم تفعله الصحافة بالنسبة لأحد أبنائها، بل ومبدعيها.

بربك، أي نكران أو جحود هذا؟! بالطبع، أســتثنيك أنت، وأعتبرها ســابقة وفاء نادرة حينما ذكرتني بالخير، وهي سابقة لا تتجاوزها سوى قصيدة صديق العمر حمود البغيلي التي أبكت الكثيرين. على أية حال، دعني أتكلم، وعليك أن تسمع فقط، فأنا لست صاحبك الأول، لقد غدوت نزقًا، وحادًّا، وجاهزًا للمعاركة دومًا... هل تريد أن تعاركني؟ إذن، هب للنزال.

(9) جربت منازلتك.. وخسرت، ولكني سأسألك: رفقة الصعاليك، والخروج إلى الأرصفة، والثورة على المجتمع.. ماذا أعطتك؟ لقب "صعلوك".. ماذا يعني لك أنت بالذات؟

– أرجو هنا أن أُعلِن أن ثمة فرقًا هائلًا بين "الصايع" و"الصعلوك". فالصايع إنسان هامشي، رثّ، اتكالي، غير منتج، يعيش على فتات المجتمع. أما الصعلوك، فهو متمرد على المجتمع، يأخذ ما يراه حقًا بقوة الإبداع والفكر، ويمتلك أخلاقًا رائعة كالكَرَم، والشجاعة، والإيثار، والإبداع أساسًا.

هكذا هي الصعلكة الحق، أما ما عداها فهي مجرد "صياعة" وبؤس وتفاهة. لذا، أنا أفتخر بصعلكتي التي أعطتني كل هذا المجد (علوم الرجاجيل). ثم أنعَمُ بصعلكة عرفتني بأعظم كُتّاب القرن، أمثال: جان جينيه، غونتر غراس، الشنفرى، أبو خراش، أبو النشناش، صخر الغي ، أمل دنقل، نجيب سرور، الصافي النجفي، عبد الأمير الحصيري، مصطفى البدوي، جار الله الحميد، سيف الرحبي، صلاح الساير، العفيف الأخضر، سليمان الفهد، وكثيرون... كثيرون.

(10) أحزان البدو الرحّل والغناء في صحراء الألم، مجموعتاك الشعريتان اللتان حظيتا بترحيب كبير على المستوى العربي.. إلى أي مدى أثرتا على

مســـيرتك الأدبية فيما بعد؟ ولو كنت قد أجّلت إصـــدارهما إلى الوقت الراهن، هل تتوقع أن تحظيا بالترحيب ذاته؟

– طبعًا، تَلاهما ذئاب الليالي، الذي وثّقتُ فيه نفسـية الغزو، ورسـوم متحركة، ســخريتي الخاصـــة، والرعاة على مشـــارف الفجر، حيث أنا ذاتي. ولكنني لا ألتفت إلى الخلف، ســـأكتب أفضـــل منهم. لقد تعمقت التجربة الشـــعرية والحياتية، إذ إن كل ديوان يحمل مناخًا خاصًا بمسيرتي الشعرية.

(11) شهدت ديوانيتك منذ السبعينات الميلادية عددًا من الشعراء، كنت موجّههم ومشجعهم.. ماذا تذكر من تلك المرحلة؟ ومن تَذْكُر؟

– ماماً كما كان قومي أهل البادية في الجاهلية يفدون إلى أســـواق المدن في عكاظ أو المريد ليعرضوا إبداعاتهم الشعرية ويبحثوا عمن ينصت لهم، كنت أرى مجموعة من شـباب البادية يفدون إلى جرائد لا تعترف بالشـعر الشـعبي أصـلاً، وكان أصـــحاب تلك الصـــحف لا يقتنعون بصـــفحات تحوي إبداعاتهم، لذا فتحت لهم القلب والبيت والمكتبة وحاولت جاهداً مساندتهم في تلك الصحف وإقناع أصـــحابها بضـــرورة الاســـتماع إلى هذا الإبداع الشـــعبي الشـــاب. لذلك كنت أخصـص يوماً لكل الشـعراء يسـمعون ويُسـمعون ويتبادلون النقاش

والنقد، وكانت تتسع الدائرة إلى أن أصبحت ظاهرة ثقافية جديدة لا بد لها من منابر.

لذا ساندتهم في إقامة أمسيات شعرية عامة، وأخذت بأيدي المبدعين منهم إلى النشر، وكنت حاداً معهم حتى يتكرس أحدهم كشاعر، وكنت كثيراً ما أحذرهم من سطوة الشهرة والغرور، فمن استمع لذلك نجا واستمر كشاعر مبدع، ومن لم يستمع مات شعرياً.

ولم تكد تمر سنتان لا أكثر إلا وقد أصبح هؤلاء الشباب ظاهرة لها نجومها ومبدعوها وعشاقها وعاشقاتها أيضاً.

وأنا أفخر بهم جميعاً ولست مسؤولاً عن انطفاء وانكفاء بعضهم. أعتز بشكل خاص بناصر السبيعي، مسفر الدوسري، فهد عافت، سليمان المانع، نايف صقر، حمود البغيلي، لكون هؤلاء نجوماً لا يختلف اثنان في إبداعهم، أما بقية النجوم فإنني أعتز بهم بشكل شاسع ولا أريد تحديدهم حتى لا أنسى أحداً، فكلهم أولادي، ثم لأنهم لا يزالون قمماً في الساحة الشعبية، ولا يتسع المجال لذكرهم.

(12) اســـتطعت التعايش مع أكثر من جيل إلى درجة أنني أســـتطيع أن أسميك "أديب الأجيال" على نهج "موسيقار الأجيال"، فأنت عايشت جيل الســـبعينات، ثم الثمانينات، والآن التســـعينات. أولاً: ما الفروق بين تلك الأجيال الثلاثة؟ ثانياً: ألم تشـعر بالملل؟ ثالثاً: هل تعتقد أنك سـتتعايش مع جيل عام 2000؟

– أنا ســـعيد بهذه التســـمية التي لا أســـتحقها، ولكنها لربما تثير الغبطة في القلب، إنني اســـتطعت التواصـــل مع هذه الأجيال لأنني أؤمن بأن الشـــاعر الحقيقي إن لم يتواصـل ويتفاعل مع الأجيال فإنه سـرعان ما يتأسـن ويضـمحل ويموت!! وأنا سعيد أنني لم أمت بعد، أما الفرق بين هذه الأجيال إذا ما سميناها أجيالاً بالمجاز فإنني أرى أن جيل الســـبعينات كان اكثر حرارة وتفاعلاً وتحدياً رغم الانكســـارات والهزائم التي تحملها وحاول تخطيها نحو الأمل وكان يشـــعر بمســـؤولية كبرى نحو مجتمعه ووطنه وامنه، أما جيل الثمانينات فقد كان ذاتياً محضـــاً يكتب همه الخاص، أما جيل التســـعينات فقد تحولت ذاتيته وللأســـف الشـــديد إلى نرجســـية طاغية وأهتم بالشـــكلانية أكثر من غيرها ولكني أتفاءل أيضاً بجيل القرن القادم لعل لديه ما يجيب على الأسئلة الشعرية الصعبة لمسيرة القصيدة الجديدة.

(13) لديك رواية لم ترَ النور بعد، متى ستظهر؟ وما تفاصيلها؟ وهل هي موازاة لتجربة عدد من الشعراء العرب في الاتجاه نحو الرواية؟

- في عام 1978 قررت أن أكتب رواية عن تحولات أهل البادية وانحدارهم إلى المدن طلبًا للعيش، وانعكاس تلك التحولات على مفاهيمهم ونظرتهم الشاملة للكون والحياة، واصطداماتهم بالممارسات الحديثة، وانقلاب المفاهيم لدى شرائح كثيرة من أولئك الناس الذين انتقل بعضهم من البؤس المدقع إلى الثراء الفاحش.

وقد أنجزت تلك الرواية بالفعل، وكانت تحكي السيرة الذاتية لقبيلتين، متساوقة مع السيرة الذاتية الخاصة بي، وقد كتبتها بكل تجرد وشجاعة. ولسوء التقدير وجهلي بالساحة الثقافية آنذاك، عرضتها على مشرفي صفحات كنت أظنهم نقادًا، ومكثت عند أحدهم أكثر من سنتين دون أن يقرأها، ثم قال لي: "إنها تحكي عن رؤية متخلفة"!!

ولأنني كنت ضد التخلف آنذاك، ونتيجة لتسلط سيف الرهاب "العروبي" على رأس المثقف الخليجي، فقد طويتها بالنسيان – لاحظ: لم أقل يطويها النسيان – ولكن حينما صدرت بعض الروايات العربية التي تحكي عن إنسان المنطقة وتحولاته، وجدت أن روايتي كانت رائدة لو قُدّر لها النشر. ولكن ذلك

الناقد، عديم الإبداع كما اكتشفت لاحقًا، قتل تلك الرغبة. ولذا، لن أسامحه، وسأعيد كتابتها بشكل جديد، وسأكتب عن مرحلة ذلك الرهاب والوصاية الفكرية التي كان يمارسها علينا أصحاب قضايا خذلونا في قضيتنا، ولم يقفوا معنا كما وقفنا معهم!!

(14) رحلتَ عن الكويت. حسنًا ،اكتب إليها رسالة؟

– أقول لها: "ما أنساك يا دار ربتني / وسوّتني دافعتُ عنها/ وأدافع حينما تنادي /إن كان عنها ظروف الدهر حدتن، فأنا ـــ حين أسافر ـــ أغادر من بلادي... إلى بلادي.

(15) الأمير سلمان بن عبد العزيز.. ماذا يمثل لك، ماذا غيّر في حياتك؟

– اسمح لي أن أقول لك، بلا مواربة وبلا أي تواضع كاذب، إنني ـــ كما تعرف أنت، ويعرف آلاف القراء الذين تابعوا مسيرتي الكتابية لما يزيد على أكثر من ربع قرن ـــ لطالما نسيت نفسي من أجل نشدان الحياة المثالية، وذلك بتكريس القيم العظمى في الحياة؛ كالكرم، والنبل، والشهامة، والصدق، والإيثار، والكرامة، والعدل.

كنت أبحث عن تحقيقها من أجل حياة أجمل، وعن النموذج الأمثل لتجسـيد هذه القيم مجتمعة.

واليوم، إذ يوجـد في هـذه الحيـاة مثـل الأمير سـلمـان، فقـد تحقق الحلم. لذا، اسمح لي أن أقول: شـكراً لله، ثم لكِ أيتها الحياة التي لا يزال بكِ مثل صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز، يحفظه المولى.

***

(19)

اَلْحَوَارُ التَّاسِعَ عشَرَ:

اَلْحَوَارُ التَّاسِعَ عَشَرَ

أعتقد أن الكاتب أو الشـــاعر مهما عظم شـــأنه، ومهما كان رأي الناس فيه بأنه كاتب كبير أو شاعر كبير، فهو في مدرسة الحياة تلميذ يتعلم، يستفيد من تجارب الآخرين سـواء كانت كبيرة أو صـغيرة، ويأخذ من الوسـط الذي يعيش فيه. فليس هناك شـاعر يعيش في برج عاجي بعيد عن الناس إلا من قبيل باب النرجسية والكبرياء الكاذب الذي يفصل المبدع عن وسطه الاجتماعي. ولكي تكون كـاتباً حقيقياً، يجب أن تعيش حياة الناس كما هي، وتتّواضــــع حتى يحترموك ويتعاملون معك على أســـاس طبيعي وحقيقي. تلك رؤية لســـليمان الفليح الذي يستمر حواري معه:

<u>حاور. : عبيد القحطاني (234)</u>

(1) هل أنت مدرسة؟

– أولاً: أنا لســت بمدرســة!! أنا كاتب التف حولي جيل كانوا بلا آباء وكانوا يبحثون عن نموذج أو مثال، ربما لخلو الســاحة آنذاك من أسماءِ قريبة منهم ومن وســـطهم وبيئتهم، لـذلـك التفوا حولي وجعلوني بمثـابـة الأخ الأكبر، وكـانوا

(234) – مجلة ليلة خميس

يستشيرونني في نتاجاتهم وإبداعاتهم البسيطة، وكنت أوجههم قدر ما أستطيع وأخذ بأيديهم للنشر.

(2) – وكيف هي علاقتك بهم الآن؟

– يثق بي بعض الشباب الذين لهم محاولات كتابية، رغم أنني قد لا أكون محلاً لهذه الثقة. ولكن أرى أنهم يتجهون نحوي يطلبون النصيحة والمشورة، ولا يزالون يستوقفونني في الشارع والأمكنة أو في المناسبات ليعرضوا عليّ نتاجهم. شباب جدد وجيل جديد لهم رؤية جديدة ومنطق جديد، وأؤمن بتعاقب الأجيال وتطورها وبالتواصل والاحترام المتبادل بينها كمحيط ثقة.

(3) أبناؤك سامي وبسام اللذان تدفع بهما بكل قوتك إلى عالم الصحافة والكتابة فجعلت من الأول كاتباً والثاني شاعراً لم تطلق له العنان لكي يتمكن من النشر.. فهل تعتقد أن الكتابة والشعر يأتيان بالوراثة؟

– القضية بالنسبة لسامي ليست وراثة، فقد تفتحت عيناه وسط الكتب والصحف والمجلات والوسط الثقافي، وكان يحتك بهم في البيت. فمنذ صغره تفتحت عيناه وأذناه على حديث الثقافة والأدب، فعرف هذه الأشياء مبكراً وكبرت مفاهيمه مع هذه الأسماء، وهم يعرفونه وهو صغير. لذلك وجد أنه على

علاقة وثيقة معهم، وكانت لديه فكرة عن كتاباتهم وحياتهم. أما بالنسبة لبسام، فهو يحاول ولديه محاولات ضئيلة، وأمل في المستقبل أن يقدم شيئاً.

(4) حين تقف على قلة بعيدة وتتأمل مشوارك الشعري والصحفي ورحلتك المثيرة مع الساحة الشعبية.. كيف ترى هذا المشوار؟ وما هي أهم معالمه وأبرز ملامحه؟

أولاً: تجربتي الحياتية تجربة ثرية ومليئة بالمرارات والإحباطات والإخفاقات والفقر والصعلكة والجوع والشتات. هذه التجربة بحد ذاتها تحمل جماليات الحياة ومراراتها معاً. جربت حياة البادية، تهت في مدن لا ترحم الإنسان وتطحنه، مدن حاولت أن تلغيني تماماً، ومدن تغلبت عليها وصارعتُها ورسمت اسمي على جدرانها، ومدن تطاولت بقامتي الأدبية عليها رغم أنها حاولت أن تلغيني كشخص وتهمشني. فهذه التجربة بتفاصيلها تحمل جماليات الحياة وعذاباتها. فليس عندي مراحل هامة لأن حياتي عبارة عن سلسلة متصلة من هذه الانعاطفات ومن هذه الإخفاقات والانتكاسات.

(5) مرحلة اليُتم المبكر، حين توفي والدك – رحمه الله – وتزوجت والدتك من رجل آخر، ماذا تركت هذه الأحداث في نفسية الطفل آنذاك، سليمان الفليح؟

– الحياة هي أمُّنا الكبيرة، وعندما تمارس معك الحرمان، تخلق فيك روح التحدي لتقفز فوق هذه الآلام الصغيرة، وتُثبت وجودك فيها. فالحرمان دائماً يخلق تحدياً بينك وبين الحياة بشكل عام. لذلك أعتقد أن أكثر المبدعين عانوا من حرمانٍ مبكر في حياتهم، وأرى أنه كلما كانت الحياة أكثر ظلماً ومرارة، أفرزت إبداعاً أكثر توجهاً، وتوهجاً، وتجاوزاً.

(6) – من أي جيل أنت ومن عايشت واستفدت؟

– – في الحقيقة، أنا من "جيل الخيبات الكبرى"، لأنني عاصرت تغييرات حياتية كبيرة، سياسية واجتماعية وعالمية. شهدت انهيار الأيديولوجيات، وتشوه القومية، وكذبة النضال الفلسطيني، والخيانات، والتواطؤات. هذه الصدمات المتوالية جعلتني أقف مذهولاً، أعيد التفكير فيما كنا نكتبه، وما كنا نقوله للناس. كان علينا أن نحاسب أنفسنا كمثقفين وكشعراء، وأن نستشرف المستقبل ببصيرة أكثر اتساعاً ووعياً، لكننا شعرنا أننا ضحية لخدائع متوالية، سواء كانت أيديولوجية أو فكرية أو ثقافية.

(7) أتعتقد أننا افتقدنا الكاتب أو الشاعر التنويري أو الجماهيري؟ وهل تعتقد أن المسألة أصبحت ذاتية فقط؟

– – أعتقد أن همّ الشـــاعر الحقيقي قد تحوّل إلى همّ ذاتي فقط! ومقولة "الكاتب الجماهيري" انتهت، وكذلك "الكاتب التنويري"، أعتقد أيضـــاً أنها انتهت، لأنه لم تبقَ مقولة أو شعار أو فكرة يمكن أن يرفعها الكاتب أو الشاعر ليزيد بها تبرير الناس أو الجماهير بعد كل هذه الإخفاقات. على الكاتب أو الشـاعر اليوم أن يتحدث عمّا يشـعر به بصـدق، بشـرط ألا يكون ذلك عبر فكرة سـياسـية، وألا يكون منقاداً لمِثل غير موجودة، بل عليه أن يقول مشـاعره بصدق، دون أن يخادع الناس بمُثل لا يملكها ولا يستطيع ايجادها.

(8) القضايا الكبرى هل هي موجودة الآن لدى شعرائنا وكتابنا؟

– القضـايا الكبرى انتهت، القضـايا التي سـار عليها جيلُنا انتهت؛ منذ بدء قضـية الإنسـان، وقضـية العدالة في الكون، وفكرة الوحدة، وفكرة فلسـطين، وحتى فكرة الأخوّة العربية والوحدة، أعتقد أن هذه كلها قِيَم أو قضـايا سـقطت أمامنا، والأمثلة كثيرة.

(9) لنخرج من هذا الموضوع وندخل في موضوع الصحافة الشعبية، التي تُعتبر الآن في أوج عصــرها، والتي يُردد القائمون عليها بأنها لخدمة التراث. فما هي وجهة نظرك في هذا الموضوع؟

– هي لا تخدم التراث، والدليل أن أغلب المجلات لا تركز على التراث، ولا على قراءة التراث بشـــكل جيد، ولا على رؤيته من زاوية حديثة، وإنما تكتفي باحترام اللغة اليومية التي تُكتب بشكل فني جميل، لا أكثر ولا أقل.

(10) وماذا عن الشعر الشعبي وكيف ترى مستقبله؟

– مادام الناس تتحدث عن اللغة الشعبية وتتحدث باللهجة العامية، سيبقى الشـــعبي تعبيرًا عاميًا "مموســـقًا" يتداوله الناس بلغة أرقى من الحوار اليومي أو العادي. فاعتقد أنه مادام الناس يريدون سماع لغتهم بشـــكل أكثر فنية، فإن الشعر الشعبي سيبقى قائمًا ومتداولًا.

(11) لماذا يفشل بعض الشعراء المبدعين في قصيدة الفصحى حين يكتبون قصائد عامية؟

- لكل إنسان موهبته الخاصة، ربما يجد الشاعر نفسه في القصيدة العمودية أكثر إبداعًا، وربما يجد إبداعه في قصيدة التفعيلة أو النثر، وشاعر آخر يجدها في القصيدة الشعبية، ولكن أستغرب لماذا يتبرأ بعض شعراء الفصحى من محاولاتهم الشعبية؟ وقد قرأت حوارًا أخيرًا للشاعر الكبير سليمان العيسى، وهو يتحدث ويكشف أنه من أكبر الرواد الذين يدافعون عن لغة الضاد، وأكثر الشعراء الذين يمثلون ريادة القصيدة الحديثة، لكنه اعترف أخيرًا في مقابلة له في "جريدة الزمان" أنه الآن يكتب القصيدة الشعبية، وله ما يساوي أكثر من ديوان باللهجة الشعبية، لكنه كان يكذب على الجمهور ولم يكن شجاعًا في كشف هذه الحقيقة، وكأنها عيب، رغم أنه يقول إنه تذوق الشعر الشعبي.

(12) باعتقادك لماذا يتنكر شعراء الفصحى لكتاباتهم الشعبية؟

- هو "البعبع" الثقافي أو "الكاريزما" الثقافية أو الادعاء الثقافي، وفوقية المثقف التي تتعالى على الناس وعلى اللغة اليومية، رغم أنه يريد أن يخاطب الناس بلغتهم.

(13) ألا تعتقد بأن أهم مشاكل القصيدة النبطية تخليها عن بقية أغراضها وأصبح الجميع يكتبون قصيدة الغزل فقط لا غير، حيث يقول

الكثيرون أن دور الشعر لم يكن كما كان فالقصيدة الشعبية لم تعد تعبر عن همومنا وتطلعاتنا؟

- ذكرت لك في البداية بأن الشاعر الآن أصبح يكتب همة الذاتي ومشكلته الذاتية، احساسه الذاتي ومشاعره الفردية فلذلك ترى الشعراء قد اتجهوا إلى القصائد العاطفية لأن القصيدة العاطفية قاسم مشترك وليس هناك انسانا خال من العواطف أو من الحب أو من القضايا التي تتعلق بالرجل وبالمرأة.

(14) ألا تلاحظ أنه حتى قصائد الغزل اصبحت ممجوجة بطريقة مكررة؟

- الناس ترى بأنها أصبحت ممجوجة، ولكن أعتقد لو أن هذه القصائد قد نُشرت وكانت وسائل النشر المتاحة قليلة لوجدت فيها شيئًا جيدًا ومدهشًا. الشيء الآخر، أعتقد أن الشعر الشعبي قادر على خدمة قضايا الإنسان، ولكن كل شاعر حسب رؤيته ونظره في القضية التي يتحدث عنها.

(15) بداية انطلاقتك من خلال المطبوعات الكويتية هل كنت تواجه صعوبة في النشر من خلال الصحف السعودية أم عدم ثقة فيما تنشره من خلال شعرك وكتاباتك؟

في الواقع، كانت لي علاقة طويلة جداً مع الصحافة السعودية، فقد كنت أنشر في مجلة اليمامة في أواخر السبعينات، وأيضاً كنت أكتب في جريدة الرياض في سنة 1990م، ولم أجد صعوبة في التعامل مع الإعلام السعودي، ولا مع "الرقيب السعودي".

(16) لكنك ذكرت في إحدى الحوارات بأنك طُردت من جريدة الرأي العام "شر طرده"، وأيضاً تم الاستغناء عنك في جريدة الوطن بطريقة مهذبة، فإلى ماذا تعزو ذلك؟ هل تعتقد أن ذلك ضعف في أدواتك الصحفية، أم هناك أسباب أخرى؟

- بالنسبة لجريدة الرأي العام، كانت أسخف من طرده، وكانت عبارة عن مزاجية بحتة، فقط لأنني كتبت عن رجل يخدم الفكر والتراث وهكذا، والأمر الذي أثار حفيظة صاحب الجريدة لأنه ربما بينه وبين هذا الرجل خلافات معينة فاتخذ قراراً فردياً شفهياً وبلغة صريحة: "هذا الرجل لا يكتب في مطبوعتي". وبالنسبة لجريدة الوطن، عندما غيروا طاقمهم، كنت أنا من ضمن الذين استغنوا عنهم.

(17) الكاتبة والقاصة فوزية السالم وصفتك "بالنجري" ووصفت نفسها "بالعنيدة" ترى ماذا تقصد فوزية السالم؟

– فوزية تتحدث عن قصيدة لي، وكلامها هذا مضمن في قصيدتي. "النجري" الذي تقصده هو الشخص كثير المشاكسة، وأنا كنت مشاكساً مع الجميع. ووصفها لنفسها بأنها "عنيدة" هو رؤية لفوزية السالم في ذاتها.

(18) ما الذي يشغل سليمان الفليح في هذه الآونة؟

– حقيقة لم يعد يشغلني إلا أن أرتاح نهائياً وأستقر نهائياً وأتفرغ للكتابة العميقة الجادة، وأكتب سيرتي الذاتية كما هي.

(19) اذن لم تكن جاداً في كتاباتك السابقة؟

– هي جادة، ولكن الكتابة الصحفية تختلف عن الأثر الأدبي الذي تتناوله في عمل سواء كان روائياً أو أدبياً ضخماً، أو عملاً موسوعياً يراد به جهد أكثر من كتابة العمود اليومي.

(20) كثير من الشعراء أو حتى الصحفيين في الساحة يلومون الساحة وما فيها من أساليب! لكن الطرح يبقى عمومياً وعندما يأتي الحديث بشكل

خاص لنقد حالات بعينها تمثل هذا الرأي تجدهم مرتبكين فهل أنتم كشعراء إلى الآن لم تستطيعوا تقبل النقد ووجهة النظر المختلفة؟

هذا الكلام موجه إلى الساحة الشعبية، إلا أنني في تجربتي الشعرية أتقبل النقد وأرد عليه، وأؤمن بالحوار والنقاش وديمقراطية الحوار. أما الساحة الشعبية، لأنها غضة، أعتقد أنها لم تتعود إلى الآن على التقاليد الصحفية الصحيحة، ولم تأخذ صفة الفهم الثقافي للحوار والنقد، وكل ما يُكتب فيها عبارة عن أشياء سطحية وعبارات نكشات شخصية ونغزات.

(21) ما رأيك فيما يتداول من حديث حول سقوط بعض الشعراء والشاعرات؟

- سقوط!! ماذا تعني حدد؟

(22) أنت تعرف ماذا أقصد ربما سمعت ماذا يدور حول أن أحد تلاميذك في الصعلكة وهو سليمان المانع بات مقتولاً شعرياً؟

- هذه المقولة، اسمح لي أن أقول، يراد بها انتقاص قيمة سليمان الشعرية. كل شاعر يمر بتجارب قد يستفيد منها ويتخطى التجربة إلى أخرى، لكن رؤية الناس لماذا تبقى معلقة؟ يريدون أن يؤطروا الشاعر في سياج معين أو يربطوه

بحادثة معينة. الشـــاعر الحقيقي والأصـــيل هو الذي يملك تجارب متعددة في الحياة. ســـليمان المانع يجب ألا يؤطر في قضـــية الغربة، لأننا جميعًا نعاني من الاغتراب كشـــعراء، نحن نعاني الاغتراب الذاتي، وكل الشـــعراء يعانون من هذا الاغتراب. لكن لأن سليمان المانع كتب اغترابه الذاتي بالقصيدة الشعبية، فربما يعتقد الناس بأن ســـليمان وحده هو الذي يعاني الغربة. وكل الأدب العربي الحديث، بدءًا من النكسة إلى اليوم، وصفة الاغتراب الذاتي تلازم أي شاعر أو مبدع في نصـوصـه. سـليمان المانع الآن لا شـك بأنه يعيش تجربة جديدة في الحياة، وأنا أرى سـليمان المانع إلى الآن يقوم بقصـائد جديدة في تجربته الحياتية الجديدة، وأعتقد بأنها لا تقل قيمة وابداعًا عن قصائده السابقة.

(25) – كتبت يوماً مقالة تقول فيها "أنا للبيع أو للإيجار" فهل وصـــلت بك الأمور إلى هذه الدرجة؟

– أنا كتبت هذه المقالة من باب الســـخرية، وكنت أســـخر فيها من معاملة أصـحاب الصـحف للكتاب، إلا أن الناس اتخذوا هذا العنوان وتعلقوا به، وهذا للأســـف الشـــديد يدل على تعلق الناس بالأمور الهامشـــية أو العناوين دون تكليف أنفسـهم بالدخول في النص وفهمه. كنت أسـخر من وضـع الكاتب في

هذه الصـــحف التي تدعي أنها تقدم فكراً وأنها تحترم هؤلاء الكتاب الذين يكتبون فيها، ولا أعني في هذا الموضوع سوى السخرية.

(26) – هنا تبين بأنك تقصد الموضوع بشكل عام، ولكن يبدوا لي بأنك كنت تقصد نفسك وربما والله أعلم!؟

– أنت تجاوزت حدك، ولكن أرجع إلى المقالة وســوف تجدها في مجلة المختلف.

***

(20)

اَلْحَوَارُ اَلْعِشْرُونَ:

اَلْحَوَارُ اَلْعِشْرُونَ

إجراء هذا اللقاء، حلمٌ انتظرته منذ سنوات... سنواتٍ طويلة، وعجلة الحلم تدور... وصلت الآن، وتحقّق. كنتُ قلقاً: أيةَ أسئلةٍ أحملها إليه؟ ومن أيّ الأبواب أدخل؟ وما هي الأماكن التي لا يمكن المكوث بها، أو المرور عليها بسرعة؟ وهل هناك مناطق محظورة لا يمكن العبور منها؟! لم أستطع كبح جماح خيول أسئلتي، التي ركضت في كل النوايا، قفزت كل الحواجز، لكنها اصطدمت بمن يُروّضها... رجلٌ بهذا الحجم، الوجه "الفليّح"... سليمان. الشاعر الكبير بأدبه، بإنسانيته، بشِعره... طمأنني، وقال لي: "اسأل ما شئت، أبواب قلبي مفتوحة لأسئلتك، وستمكث ضيفةً عزيزة." هذا هو قدر الكبار... كرماء في تعاملهم، في مشاعرهم، في مودّتهم. إليكم اللقاء الحُلم:

حاوره : نايف الرشيدي (235)

(1) كيف كان شعورك وأنت تحزم أمتعتك مسافراً عن الكويت؟ وما هو أول شيء أخذته معك؟!!

(235) – مجلة المختلف 12 يوليو 2001 م

– مثلما سافرت بي طويلاً ها أنذا (أحزمها) في الفؤاد وأسافر فيها وأول شيء أخذته معي هي ليس من السهل أن يترك المرء عمره ويسافر وأقول ذلك سواء كانت قناعتها تلك أو لم تكن المهم أنها قناعتي كانسان وكشاعر وكرجل أيضاً.

(2) أيُّ الأماكن تتذكَّر، ويأخذك الحنين إليها في الكويت؟

– برّها أولاً، وسواحلها التي تقع قبالة (جزيرة كُبَّر)، والجهراء التي يضرب نخيلها في القلب، وشارع الصحافة الذي يعرف خطواتي جيداً، ومعسكر الحدود وأشجاره الهرِمة.. ومطعم "السيلفر ستار" و"قيصر" الذي يقع خلف الشيراتون.

(3) ماذا تركتَ للساحة الشعبية الكويتية؟ وما الذي ستُقدّمه للساحة الشعبية السعودية؟

– تركتُ المحبة هناك، وسأُقدّم المحبة هنا، فليس لديّ سوى المحبة، وهي أثمنُ شيء في الوجود. أما غير ذلك، فمُختَلفٌ عليه.

(5) "اتجهت إلى الرواية أخيراً، ما الذي دفعك إلى ذلك؟"

– أنا لم أتجه للرواية ولا أستطيع ذلك، ولكنني شرعت بكتابة (السيرة الذاتية لطائر الشمال)، والتي أعتقد أنها قد تصلح رواية كاملة، حشد الأحداث

والأبطال والأمكنة والدراما العالية التي تحرك كل هذه العناصر في مسيرة صعلوك صغير لم يمت بعد.

(6) لو طلبنا منك اختيار عشرة أسماء شعرية نحن نختار، فماذا تقول لكل واحد منها؟

خذ عندك:

- سفر الدوسري: باذنجانه بائعة خارجها اسود وباطنها ابيض.
- حمود البغيلي: الوفاء الارعن والشعر المسفوح بلا تقنين.
- ناصر السبيعي: التواصل الوفي والوفاء المتصل والاصالة الوافية.
- سليمان المانع: حينما ينتصف العمر تغدو الطفولة ادعاء والفوضى ضياع والصعلكة تسكع والحرية بطالة سافره!!
- سليمان الصقير: الخيط الرهيف بين الجنون المبدع والالتزام الصارم.
- الحميدي الحربي: الرجل/ الموقف والشعر النبيل، ومعابده النكران.
- صنيتان المطيري: البهاء في التواصل والشح في العطاؤ.
- راشد بن جعيشن: تبقى الاستاذ مهما قلبوا لك ظهر المجن.

- هلال المطيري وفلاح السبيعي: الصوتان الحقيقيان من أواخر الجيل الشعري المبدع- استمر قدماً.

(7) سامي ابنك وصديقك وزميلك الآن، بماذا تختلفان وبم تجتمعا؟

- ختلف في كل شيء، ونجتمع في البيت - وخصوصاً حول مائدة الطعام.

(8) ماذا تبقى للصعلكة في مشاويرك؟ هل أعياك التعب يا سيدي؟

- بقيت أفكارك وذهب ممارساتها، مع أنني لم أتعب بعد، بل أصبحت أكثر نشاطاً وعلى استعداد أن أشاجر حتى الهواء، وإذا لم تصدق ذلك: هبّ للنزال.

(9) كيف تصف علاقتك بحمود البغيلي ولماذا كانت الرديات بينكما كثيرة ونشر القليل منها؟

- انها علاقة عمر فيها من الذكريات التي لم تمر على شاعرين في هذا الزمن وكنا طوالها لا نتحدث إلا شعرًا حتى في ابسط ممارساتها (السخيفة) إلا أن ذاك الشعر لا يصلح قطعياً للنشر ولا كذلك تفاصيل تلك العلاقة التي جمعت بين شاعرين (مخبولين) في الشعر والحياة والصعلكة.

(10) اللعب بأوراق الصحافة الشعبية ظاهرة متفشية في أروقة الساحة، إلى متى تستمر هذه المهزلة، وما الذي يحد من انتشارها؟

أنا لا أسميه لعباً، بل بحثاً عن الرواج المادي والأدبي، ولكن المهزلة تكمن في من يستمر ومن يدرك أنه يمارس المهزلة بعينها. وأعتقد أن الأمور قد توضحت وتحددت الأطر وتكرست بعض المواقع والأسماء، ولكنني أتساءل في الوقت نفسه: لماذا لا يقتنع الخاسرون في هذه (اللعبة) بضرورة الانسحاب من (الملعبة)؟

(11) الحياة ادوار فما دورك في بيت الحياة الشعبية؟

– لقد أدّيت دوري كاملاً شاملاً، ولكن ليس كما رسمت، وها أنذا أنسحب اليوم لأترك المجال لغيري من الجيل الجديد.

(12) – ما القصيدة أو الكتابة التي تمنيت لو أنك قتلتها في لحظاتها الأخيرة ولماذا؟

– قصيدة كتبتها تعاطفاً مع شخص كان ثرياً، وتكررت مآسيه الإنسانية، فانقض الناس من حوله. ولجهله ظن أنني أنافقه كما فعل مئات الشعراء المرتزقة،

لأنه لم يكن يعرف من هو هذا الشاعر الذي كتب تلك القصيدة، والتي مزقتها ما أن غادرته وإلى الأبد. وكانت المرة الأولى والأخيرة التي أخاطب فيها جاهلاً لا يعرف أن المشـــاعر الإنســـانية فوق كل الاعتبارات والأوضـــاع الاجتماعية والمادية. وكذلك ندمت على كتابة مقالة دفعت ثمنها غالياً بســـبب شـــخص كنت أعتقد أنه جدير بالمواقف الرجولية، ولكن للأسف لم يكن كذلك.

(13) ما رأيك بالآراء التي تهاجم الشـــعر النســـائي والتي تدعي بأن الشاعرات تقف خلفهن شعراء ومعدون؟

- الشاعرات أكثر صدقاً من الشعراء وأنا الحظ ذلك من خلال حرارة المفردة وصدق العبارة وانسياب العواطف في سياق النص بل أن النبرة تشي بمصداقية الشـــعر.. وإذا كان هنالك شـــعراء يقفون خلفهن ومعدون أيضـــاً فأنهم ليس بمقدورهم اقناع القراء كل الوقت وأن خدعوهم وخدعوهن بعض الوقت فتحت نعرف من هي الشـــاعرة الحقيقية ومن هي النســـخة الشـــائهة ومن هي المدعية ايضا وذلك من خلال المتابعة المستمرة لخط سير الشاعرة والأمر نفسه ينطبق على الشعراء أيضاً

(14) أصـــبحت متحفظا في اجاباتك وصـــارت مغلفة بالهدوء والكتمان ترى ما السبب؟!

– اسألني أسئلة صارخة، وعليك تلقي إجاباتها الحادة شريطة أن تقوم بنشرها كما هي، وبلا فلسفة أو ضحك على ذقون القراء.

(15) حدد ملامح علاقتك بشعراء جيلك والقراء الحاليين ولمن تنحاز؟

– للحاليين بلا تحفظ لأنهم نتاج زمنهم مثلما نحن نتاج زمننا وظروفه، لذلك أنا أحترم تجربة جيلي وأنحاز للشعر الجديد شريطة أن يكون مقنعًا ومبدعًا.

(16) من...من الشعراء والشاعرات الذين تطرب لهم حدد بالاسم لو سمحت؟

– ابن ضميد، سعران، ضاحي ونس، مهلي، مشعان هؤلاء صوتًا وشجوا أم أننا نسـيناهم في زحمة الأصـوات المتداخلة والضـجيج الكبير أما المعني النقدي الدارج كثيباً فأطرب للكثير من القراءات الشـعرية والأصـوات المميزة، أما الشاعرات فيعجبني شعرًا في السابق "عابرة سبيل، وضوح، ريمية، غيوض"، أما الآن فهناك دماث سـحايب خير، "همس عبير ،نجد، هتان، النائفة، الرويلية" وهذا ما أذكر من تلك الاسماء الرائعة المبدعة

(17) الآن انسانيا شعريا عاطفيا تحدث وبصراحة تامة؟

– إنسانياً، أن تنتهي مسخرة انعدام الهواية في العالم العربي البائس الذي يأكل أبناءه الواحد تلو الآخر، وشـــعرياً أفكر في طريقة جديدة للشـــعر الحديث، وعاطفياً دخلت في حب قديم جديد بمقدوري أن أفصح عنه بكل شجاعة.

(18) ما الأسماء الشـــعرية والنقدية التي قدمتها للصـــحافة والســـاحة الشعبية؟

– هي التي قدمت نفســها، وأنا الذي ســاعدتها في الإعلان عن نفســها مع "شـوية" نصـائح لا أكثر، مع تكبدي خسـارة أغلب كتبي ووقتي وربما علاقاتي خارج هذا النطاق.

(19) التغيرات المتكررة في المجلات الشعبية بدأت في المحررين ووصلت الى رؤساء التحرير ما هو السبب برأيك؟

– لأن أغلب مالكيها ناصـــبون يســـرقون عرق الناس ويســـتغلون الكتاب المحتاجين، لذلك يسدون بهم الذرائع لبعض الوقت، ويبحثون عن غيرهم وهكذا دون إيفائهم حقهم، وهذا عار كبير في الصحافة الشعبية أحذر منه

(20) مقوله المدارس الشعرين هل تؤمن بها وإلى أي حد؟

- لا، ولكنني أؤمن بالتميز والتفرد والصوت الخاص المغرد خارج السرب، فهو الأساس لما تسميه مدرسة حينما يصبح نموذجاً للمبتدئين، شرط أن يؤمنوا بالتجاوز فيما بعد.

(21) ما الذي غيرته الساحة الشعبية فيك وما الذي غيرته انت فيها؟

- قربتها للفصحى وقربتني للعامية وبذلك أغلقت الفجوة والتجافي؟

(22) هل نسمي غيابك عن الساحة الشعرية وكتابتك للشعر، انطفاءً، انزواءً، ام مللاً ، ما رأيك أنت؟

- أنت تدرك أنه (شغل) من شوشتي حتى أخمص قدمي ولماذا هذا الخبث.

(23) – هل كان توزيع دواوينك ناجحا وبحجم قيمتك كشاعر وانسان؟

- الناشرون يسرقونني، واكتشفت ذلك في المعرض الأخير للكتاب في الكويت حين رأيت أوراق دواويني مختلفة، مما يعني وجود طبعات أخرى أنكروها! وقد كنت قبل ذلك حزيناً حين كانوا يعلنون أرقاماً متواضعة رغم أنني لم أجني من تلك الدواوين سوى السمعة واستمرار الحال.

(24) – هل تخاف نسيان الجمهور لك في ظل غيابك الذي طال؟

– لقد أصبحت يومياً أطل على الجمهور، وأنت الذي نسيت ذلك أم أنك لا تقرأ جريدة الرياض؟ فمن هو الغائب يا سيدي؟

(25) – لطل من اقتراحاتك تطرحها على المطبوعات، الشعر الشاعرات، تهم الساحة الشعبية خصوصاً وأنك شاعر كبير يهمنا رايه كثيراً؟

– أقترح أن تتوقف المطبوعات (المكابرة) التي تكبد أصحابها خسائر فادحة، وكذلك الشعراء (المكابرين) الذين يكبدون القراء تكراراً مملاً وغثاثة مقيتة. فقد حان حصر الأصوات الحقيقية وانتهاء زمن المجاملات والتلميع.

(26) – كنت وما زلت تمارس (شغبك العاطفي) اللذيذ في قصائدك ترى من اعطاك مفاتيحه؟

–بالطبع الحب، الحب الناضج (القلب، العقل، الروح)، وسأبقى أحب حتى الموت، وإلا توقف قلبي عن النبض.

***

(21)

الْحِوَارُ الْحَادِي وَالْعِشْرُونَ:

الْحِوَارُ الْحَادِي وَالْعِشْرُونَ

هو ليس تجربة متفردة فقط، بل تجارب إنســـانية رائعة... الحوار معه من أروع ما يكون. يفتح قلبه ليحدثك عن كل ما يختلج بداخله. ملامحه القوية تخفي قلباً طيباً... أن تحاور "صـــعلوكاً"، فلابد أن تكون حذراً وفطناً، لكن مع "الصعلوك" سليمان الفليّح (الذي ينسب نفسه إلى الصعاليك) من المهم جداً أن تكون إنســـاناً قبل كل شـــيء... حوار أقدر أن أسميه – بالنســـبة إليّ على الأقل – "حوار العمر"... فلنقرأه معاً:

حاورها : نواف عافت (236)

(1) أبو سامي.. لماذا كل هذا الغياب؟

– أنا موجود في الصحافة بشكل يومي من خلال زاويتي "هذرولوجيا" في جريدة الرياض.

(2) اسألك عن الصحافة الشعبية؟

(236) – مجلة المختلف ، اغسطس 2004م

ليس لدي الآن ما أقوله غير أنني لست راضياً عن الكثير مما يُطرح في المجلات الشعبية، وما تقدمه من نتاج فج، ومن أسماء لم تصل بعد إلى المستوى الجيد والمؤهل للإبداع... هذه الصحافة الشعبية، بشكل عام، أصبحت تستعجل وتُسلق كثيراً من المواهب وتقدمها على أنها "إبداع"، وتضخمها، وبالتالي تفرضها على ذائقة القراء وتضلل الجميع.

(3) هل برأيك هي بحاجة لقائد او موجه؟

– لا أعتقد أنها بحاجة إلى موجّه ولا ناصح ولا ناقد، لأنها أخذت الأمور على عواهنها ومقتنعة بطرحها. مع أنني ضد الوعظية بشكل عام وضد النصح، إلا أنني أرى أن هذه المجلات أصبحت لا تكترث لا بنصيحة ولا بغيرها.

(4) ولكنها مجلات ناجحة وتحقق شهرة واسعة؟

– هذا كلام يجافي الحقيقة، وقوائم التوزيع التي يدّعيها كثير من أصحابها ليست دقيقة. أنا أعرف تماماً السوق، وأعرف أيضاً شركات التوزيع. صحيح أن هناك مجلات توزّع ما يغطي مصاريفها، لكن كثيراً من المجلات عبء على أصحابها وخسارة فادحة، ومع ذلك يُكابرون في الاستمرار.

(5) أليس الاستمرار دليل نجاح؟

- الاستمرار ليس دائماً دليلاً على النجاح، بل هو أحياناً نوع من المكابرة القاتلة المريضة التي تؤدي بصاحبها إلى التهلكة وتضليل الآخرين.

(6) لكنك أحد مؤسسي الساحة والجميع ساروا على طريقكم؟

- ليس هذا هو الطريق الذي رسمناه حين بدأنا في المجلات الشعبية، وأخص بالذكر "المختلف" و"الغدير"... كان هناك هدف، وكان هناك أناس قيّمون على هذه المجلات، يقدمون أسماء مبدعين حقيقيين قادرين على تثبيت أقدامهم في عالم الشعر والإبداع. والدليل على ذلك هذه النجوم التي تتلألأ في الساحة الشعرية والأدبية في الخليج اليوم. كان الهدف السامي لهذه المجلات، وعندما أصابت جزءاً يسيراً من النجاح، أصبحت تهتم بالإعلان والتوزيع أكثر من رسالتها الحقيقية... وبالتالي بدأت تنحرف عن هدفها الأساسي.

(7) لكن مجلات الدراسات والنقد الثقافي لا توزع؟

- كانت المجلات تكابر... فلو أنها قدمت دراسات جادة وموضوعات مقروءة، لكانت قد هيأت مناخاً يفضي إلى حركة شعبية صحيحة.

(8) هل ترى ان زاوية صغيرة كافية لمتابعيك؟

– طبعاً كافية، لأني أكتب بشكل شبه يومي، وجريدة "الرياض" توزع أكثر من نصف مليون نسخة، وتُوزع خارج المملكة، ولها طبعة عربية، مما يجعلني أشعر بأن مسؤوليتي قد كبرت، لأني على تماس يومي مع القارئ، وأشعر بأنه يستوقفني يومياً في الشارع ليحمل إليّ همَّه الشخصي... أصبحت الآن في داخل الهم العام، وكبرت مسؤوليتي عن ذي قبل.

(9) يتهمونك بأنك ما زلت تكتب وترجع لماضيك، لأن كتاباتك الحالية ليست مقروءة؟

– أنا لا أرى ذلك، بسبب التفاعل اليومي المتضاعف، الذي يدل على إقبال الكثير من القراء وتزايد عدد المعجبين. الأسلوب جزء من شخصية الكاتب، ولا يمكن تغييره؛ فلكل مرحلة لغتها، وأنا أدرك هذا جيداً وأحسب هذه الحسبة تماماً.

(10)– قليل حضورتك الاجتماعي والثقافي، ما السبب؟

– الحقيقة، أنا لا أمتنع عن حضور أي نشاط ثقافي أو المساهمة فيه، لكني أرى أن النشاط الثقافي وهن كثيراً، وقد قل الاهتمام به، إذ ليس هناك تفاعل مع الجو الثقافي العام. كما أرى أن هناك انصرافاً عاماً عن الثقافة.

(11) ما رأيك بالحركة الثقافية في الخليج؟

– لدي إحساس بأن حركة الثقافة في انحسار محزن. أعتقد أن وسائل الإعلام لم تعد تولي الثقافة الاهتمام اللائق بها، ولذلك الصحف أيضاً لم تعد تهتم كثيراً بالجانب الثقافي، وكذلك الجمهور انصرف إلى "التفاهات" التي تقدمها القنوات الفضائية التي تخلو تماماً من أي برنامج ثقافي جاد... وهذا شيء محزن. إلى الآن دفة الإعلام تحركها الفضائيات، وهي التي تسيّد التفاهة والتسطح، وبالتالي الفراغ والخواء!

(12) "أبو سامي" إنك تهاجم كل شيء... لماذا؟

– هذا الواقع. أنا لا أداهن أحداً أو جهةً ما. يجب أن نضع الإصبع على الجرح، ويجب أن نعالج هذا الخلل بأي صورة. ويبدو أننا نحتاج إلى "انتفاضة" على السوء الإعلامي الموجود الآن. أيضاً علينا استحضار الثقافة من جديد ووضعها في المكان اللائق في خضم الإعلام الذي يبيع جميع الأشياء.

(13) لكن المثقفين أنفسهم لم يبادروا ويقدموا نتاجاً ثقافياً جيداً؟

- لا أعتقد أن هناك مثقفاً يتصـــل بقناة أو بجريدة ويقول: "أجروا لقاء معي" أو "انشروا قصيدتي". هذه القنوات ووسائل الإعلام هي التي غيّبت الثقافة عن جهل. المثقف معذور وليس مداناً بهذا الغياب الثقافي.

(14) دائماً تحاول استمالة الناس بلبسك و"ميلة عقالك"؟

- أنا أستغرب هذا السؤال، لأنني أعتقد أن طريقة اللبس جزء من الشخص لا يمكن تغييره أو تمثيله أو أن تكون مثار لاســـتعطاف أحد! أسمع نقداً كثيراً لهذا الموضوع، لكن هذا هو أنا، ولا أستطيع أن أغير شخصيتي.

(15) أمضيت فترة من حياتك في الكويت، ثم انتقلت للعيش في السعودية. حدثنا عن هذا الانتقال؟

- الكويت هي الثدي الذي أرضعني وأنشأني بكنفه، وعلمني المحبة والصدق والصراحة والحرية... علمتني الكويت كيف أمسك القلم وكيف أدافع عن وطن لا أنسى أفضاله ما حييت، فأنا بتجربتي وحياتي نتاج الكويت، التي علمتني كل الأشياء الجميلة واحتوتني بقلبها وصدورها، وتحملت شغبي وعبثي وصعلكتي،

فتقبلت كل ما فيّ من سلبيات وإيجابيات... إنها، بصراحة، شكلت شخصية سليمان الفليح.

(16) لماذا تركت هذا "الثدي"؟

– الظروف المعيشية والاجتماعية، والقوانين الجامدة التي لا تراعي أبداً مشاعر أحد، ولا تقر بالإنسانيات ولا الحميميات الكبرى... القوانين هي نصوص جامدة لا تهتم بالمشاعر ولا العواطف أو العلاقات التاريخية السامية بين الإنسان ومن يحب وما يحب.

(17) عشت اليتم في طفولتك. هل عوضته بأبنائك؟

– أنا عشت يَتْمًا وغربةً وصعلكةً. ومرت عليّ حياة بائسة، ومرت عليّ أشياء جميلة وسيئة... عذابات "حلو ومر"... أما التعويض في أبنائي، فالحمد لله، أنا لست يتيماً، بل عندي "قبيلة" من الأولاد والأحفاد، وأحس أنني مسؤول عن أسر كثيرة... هذا يعوض يتمي.

(18) ساهمت في بروز عدد كبير من الشعراء. حدثنا عنهم؟

– حقيقةً، من الكذب الذريع أن تقول إن النجم يُصنع. ليس هناك أحد يصنع النجم. أنا ساهمت في تألق بعض هؤلاء النجوم الشعراء الذين جاؤوا إليّ مبدعين

يحملون بداياتهم المبشرة، وكانوا يملكون الإبداع في ذواتهم... كل ما عملته أني حاولت أن أسلط الضوء على هؤلاء، وأضعهم في "مجرّتهم"، وأتابع سير هذه الكواكب وأحاول رصدها بـ "مجهري" الخاص. ولا يعدو دوري أن أشير إليهم، وهم يستشيرونني، وأدلهم على النوافذ التي يطلون من خلالها على الكون الرحب، والمنابر التي يتألقون فيها.

(19) ما رأيك في من يعتزل ويترك الشعر؟

– الشعر ليس معصية... وأما عن الاعتزال فالشاعر ليس رياضياً حتى يترك عند عمر معين... الشعر في دم الإنسان ونفسه، وما دام يستنشق الهواء فهو ينفث الشعر... أما حكاية اعتزال الشعر، فقل توقفت عن نشر الشعر، وأن تعتزل الشعر فهو مقولة سخيفة وتافهة. إذا كانوا شعراء حقيقيين فلا بد بشكل دائم أن تأتيهم القصيدة ويرددوها كل منهم مع ذاته. فالشعر لا يعتزل أحداً حتى لو اعتزله الشخص.

(20) ما رأيك بحكاية التدين في الشعر؟

- الرسول صلى الله عليه وسلم أشاد بحسان بن ثابت الشاعر الجميل، فالشعر يدعم توجه الإنسان ويعزز معتقداته. وكثير من الدعاة ورجال الدين الكبار يستخدمون الشعر في خطبهم. الشعر ليس عيباً ولا جريمة ولا حراماً.

(21) هل الشعر يفتح أبواباً مغلقة للشاعر؟

- سهولة النشر في هذه المجلات تُمكِّن الشاعر من أن يصبح معروفاً في الأوساط الاجتماعية، وإذا كان شاعراً جيداً فقد يُعجب به المسؤولون، أو الفتاة الفلانية... وبهذه الطريقة يستطيع الوصول إلى مآربه، وذلك بفضل الإعلام. كذلك، هناك من يستخدم شعره وسيلة للارتزاق.

(22) حين يمر شريط حكايتك أمامك، ما الذي تندم عليه؟

- لست نادماً على أي شيء فعلته في حياتي، وكل ما فعلته أنا مسؤول عنه، إلا إذا كنت قد أسأت إلى أحد... لا أندم على شيء قلته أو كتبته أو عملته.

(23) منذ فترة فقدت والدتك. كيف أثر ذلك عليك؟

- وفاتها أحدثت شرخاً كبيراً في وجداني وعاطفتي، وأحسست أنني فقدت جزءاً من الحياة الجميلة. لكني أحاول أن أُعَوِّض هذا الفقدان بأولادي وأحفادي.

(24) كيف تتعامل مع التكنولوجيا الحديثة؟

– أنا أملكها كلها، ولكني أتوجس من التعامل معها، ولم أتعود عليها، ولذلك ألجأ إلى أصغر أبنائي ليساعدني في "النت" والفاكس من أجل إنجاز أعمالي والرد على المتابعين.

(25) يتهمونك بأنك السبب في فشل تجربتي ابنيك سامي وبسام؟

– أولاً، من يقول إنها فشلت فحديثه هذا غير صحيح. سامي كان صحفياً أفضل مني، وأحد الأسماء المهمة جداً في عالم الصحافة والنقد الفني... سامي أكثر ثقافةً وعلاقات ووعياً مني، وهو ابن زمنه، ولكن بشكل حديث وحضاري. فلذلك، سامي صديقي، وهو يترك الصحافة أحياناً ثم يعود إليها، لكنه لم ينفصل عنها. أما بسام، فهو شاعر لا يزال في طور المحاولة، وقدم شريطاً أنا راضٍ عنه إلى حد ما. أنا راضٍ كما كنت أُعامل كثيراً من الشباب، لا أقول له إني راضٍ عن عمله حتى أدفعه لمزيد من العطاء والإبداع... أنا أفتخر بسامي وببسام.

(26) لكنهما دائماً يواجهان مقارنة ظالمة معك؟

- أنا ضد أن يُقارن أي كاتب أو مبدع بآخر، فهذا ظلم للاثنين معاً... لكل صوت نغمته الخاصة، ولكل إنسان لونه الخاص وشخصيته المستقلة، سواء في الكتابة أو في الحياة. فمتى ما نسخ شخصٌ شخصاً آخر، فهذا يعني أنه قد فشل... أنا أريد لكل مبدع أن يأخذ لونه الخاص بما يتلاءم مع زمنه الخاص. لا يمكن أن أكون المتنبي أو محمود درويش أو نزار قباني... أنا سليمان الفليح فقط.

(27) تميزت علاقتك مع أصدقائك في الفترة الأخيرة بالفتور؟

- كل واحدٍ مشغول، وكلٌ يسبح في فلكٍ معيّن، منشغلٌ بحياته الخاصة... ونحن كبرنا كثيراً، ولدينا عائلات ومشاكل. في السابق كنا "عزّاباً" لا همّ لنا... أما اليوم، فهناك وظيفة، وعائلة، وبحث دائم عن الرزق. ولكن الزمن لن يعود إلى ما كان عليه.

(28) هل ستكتب وتنشر كتاباً عن حياتك؟

- أنا أحب السيرة الذاتية، وأعتقد أن على كل كاتب أن يكتب سيرته الذاتية مهما كانت، لأن السيرة الذاتية عمل جميل، وهي من أنواع الأدب الممتع،

وتقدم تجارب مختلفة ومتفرقة ومتنوعة. وأنا قد عكفت منذ فترة على كتابة سيرتي الذاتية.

(29) هل مازلت تكتب الشعر؟

– عم، أكتب، ولكن الركود الثقافي لا يشجع على النشر، وأغلب ما أكتبه أنشره في زاويتي "هذرولوجيا".

(30) هل الرقيب يحجب إيداع الكاتب؟

– طوال عمري أكره الرقابة، ولا أحب أن أكون رقيبًا على أبنائي في كل الأحوال، لكن هناك مسلّمات لا يجوز تجاوزها، منها العادات والأخلاق.

(31) كيف ترى نظرة المثقف العربي إلى المثقفين في الخليج؟

– للأسف، ما زالت روح "الأستذة" تهيمن على أفكار المثقفين العرب تجاه المثقف الخليجي. ونحن ساعدناهم بالمداهنة وأذعنا لها كثيرًا، وكنا للأسف نخاف منهم. لكن أعتقد أنه منذ غزو الكويت تغلبنا على أنفسنا، وعلينا أن نكون أندادًا للمثقفين الذين ينظرون إلينا نظرة تقييمية جميلة، وأيضًا على من ينظر إلينا باستعلاء واستكبار أن نبادلهم هذه النظرة. لقد انتهى زمن المجاملات والتبعية.

(32) أين تصنف نفسك ككاتب؟

- أنا كاتب مع كل ما هو جميل، وضد ما هو قبيح، كيفما كان وأينما كان، وحتى لو صدر مني. أنا مع الحياة، والجمال، والتقدم، والازدهار، وكل ما ينفع الناس.

***

(22)

الْحِوَارُ الثَّانِي وَالْعِشْرُونَ:

الْحِوَارُ الثَّانِي وَالْعِشْرُونَ

قبل أن نناوشه بالأسئلة، قال: "أبقولكم شيء، الوعل عندما يُحاصر، يشوف صخرة كبيرة ويصدم رأسه فيها". ضحكنا، وعرفنا ما يقصد. أطلقنا سهامنا عليه، لكنه صدّها ببراعة وذكاء يُحسدان عليه، كيف لا، وهو الشاعر، والأديب، والكاتب، وصاحب تجربة عريضة أثراها بتفاصيل غزيرة. سليمان الفليّح، "أبو سامي"، في ضيافة "بروز"، في مساحة تتّسع بحجم الأفق... متعة..

حاوره: أسرة التحرير [237]

(1) عبد العزيز الكويكبي: أيّهما أقرب إلى نفسك، الشعر الفصيح أم العامي؟

- أولًا، أنا لا أعتبر نفسي شاعرًا عاميًّا، لأن ما كتبته من قصائد شعبية لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة. ولكن ارتباطي بالساحة الشعبية والتصافي معها جعل البعض يعتقد أني شاعر شعبي، بينما الحقيقة أني شاعر فصيح "وحداني"،

---

(237) – مجلة بروز ، نوفمبر 2004م

وأكتب القصيدتين: العمودية والتفعيلة. ثانيًا، أنا لا أفصل في الشاعرية بين هذا وذاك، فالشعر يبقى شعرًا بغضّ النظر عن طريقة كتابته. إنما الشعر الشعبي أقرب إلى حياتي اليومية، لأنه يُكتب باللهجة التي أتخاطب بها مع الجميع، ولكن ما يسكن أعماقي ووعيي وكياني وتكويني، هو الحالة الشعرية الفصحى، التي كوّنتني كشاعر.

(2) عبد العزيز الكويكبي: هناك العديد من شعراء الفصحى تحوّلوا إلى كتابة الشعر العامي، ما رأيك في هذا التحوّل؟ وما الدافع في نظرك؟

- السبب في ذلك يعود إلى إهمال وسائل النشر لبعض الإبداعات الفصيحة، التي لم تجد من يهتم بنتاجها، مما دفع أصحابها للبحث عن طريق آخر لإيصال إبداعاتهم بطريقة مختلفة. وعندما تحوّلوا إلى الشعر العامي، وجدوا احتفاءً جميلًا، وأصبحوا بين عشيةٍ وضحاها نجوماً يُشار إليهم بالبَنان، وانهالت عليهم اتصالات المعجبات!

(3) عبدالعزيز الكويكبي: إذن هناك من تخلى عن قناعاته من أجل الشهرة والمعجبات؟!

-لا، لا... ولكن أيّ مبدعٍ بحاجةٍ إلى وسيلة أو طريقة يستطيع من خلالها إيصال إبداعه للآخرين.

(4) طاهر بخش: لماذا تخليت في الفترة الأخيرة عن الشعر بأنواعه واتجهت للمقالة؟

- لأنني أساسًا بدأت في نشر المقالة قبل الشعر، فقد كانت بدايتي كاتب زاوية في جريدة السياسة عام 1974م، قبل أن أتجرأ على نشر القصيدة. فالقصيدة الفصحى التي كنت أكتبها، كنت أخشى نشرها، بسبب وجود نقّاد "لا يرحمون"، وكنت أرتجف أمامهم عندما أقدّم لأحدهم أي نص، لأن "الصراحة" كانت دَيدَنهم.

(5) طاهر بخش: وهل هناك رابط بين قصـــيدتك ومقالتك من حيث الفكرة؟

- الطبع لا... فالمقالة هي تناولٌ يوميٌّ للحياة المعاشة، بينما القصيدة اختزالٌ لتجارب إنسانية أعمق، وأبعد من حدود الحياة اليومية.

(6) سلمان العصيمي: إذن أين وجدت نفسك.. بالقصيدة أم المقالة؟

الحقيقة، وجدت نفسي في الإثنين، فكلاهما مكمل للآخر، وهما جزء لا يتجزأ من شخصيتي وتكويني، ولا يمكن لي أن أفضل هذا على ذاك. فالذي يكتب القصيدة هو سليمان الفليّح، والذي يكتب المقالة هو أيضًا سليمان الفليّح.

(7) هاني الظاهري: بما أن بدايتك كانت بالكويت... فلا بد من وجود تأثير على تجربتك... خصوصاً وأن الجو الصحفي هناك صحي؟

- من حسن حظي أنا وجيلي أننا أُتينا في مرحلة السبعينات، التي كانت فيها مساحة الحرية كبيرة جدًا، خصوصًا في الصحافة، وكانت القضايا الاجتماعية والسياسية حديث الناس. ومن باب الأمانة التاريخية، فإن أحمد الجار الله فتح صحيفته لكل "المشاغبين" الكويتيين والعرب، وفتح صحيفته لكل التجارب، لدرجة كنا نشتمه في الصفحة الأخيرة، وهو يشتمنا في الصفحة الأولى! وكان خلافنا حول موضوع "السادات" وذهابه إلى إسرائيل!

(8) هاني الظاهري: هذا يقودنا إلى سؤالك، عما إذا كنت انتميت في يوم من الأيام لتيار معين؟

- كان يُعاب على الشخص في ذلك الوقت إذا لم يكن منتمياً إلى تيار معين، ولكني شخصياً كنت مؤمناً بالاستقلالية والتفرد منذ الصغر، وأرفض أن أكون تابعاً لأحد، وأكتب قناعاتي اليوم، حتى لو خالفت قناعاتي بالأمس!

(9) هاني الظاهري: كيف ترى العلاقة بين جيلك والجيل الذي قبله... جيل فهد العسكر والأنصاري؟

- الجميل في الكويت أنه كام "فيه" نوع من الترابط بين الأجيال، فكل جيل يأخذ بيد الجيل الذي يليه بكل حب وصدق... اذكر بأن أول نص قدمته كان للشاعر العراقي فيصل السعد، وكان وقتها مسؤولاً عن الصفحة الثقافية بجريدة السياسة وقال بإنه لن ينشره ولكن قدمه في رابطة الأدباء بالكويت وذكر بأنه سيقرأ في رابطة الأدباء بالكويت وذكر بأنه سيقرأ نصاً ورده ضمن رسالة من قارئ وكنت موجوداً وبعد الاستماع إليه ذكر البعض أسماء شعراء كبار، فقال لهم بأن هذا النص لشاب وأشار إلي فأمسك بيّ خالد سعود الزيد، رحمه الله، وقال: الأسبوع القادم ستكون هناك أمسية لك وأنا سأقدمك فيها وقال بإنه يفتخر بذلك.. فكان هناك تواصل جميل واحترام ولم يكن هناك من عداء كما هو حاصل الآن!!

(10) طاهر بخش: ما مدى تأثيركم على الجيل الحالي وهل ترى بأن العيب في تجربتكم، بحكم أن الجيل الحالي اتخذ خط سير يختلف عن خطكم؟

– أنا أرى أن التواصل بين الأجيال استمر إلى حدّ الثمانينيات، أما في التسعينيات، وبسبب خروج المجلات الشعبية وتكاثرها، فقد تشكّل شلل أحزاب، وأصبح كل مجموعة من هذا الجيل تنتمي إلى مجلة معينة!

(11) عبد العزيز: في الوقت الذي كان فيه المثقفون يحاربون المجلات الشعبية كنت أنت أحد المساهمين في ظهور هذه المجلات؟

– خوف المثقفين من المجلات الشعبية كان بسبب خشيتهم على اللغة الأم من اللهجة المحكية "العامية"، ومعهم حق في ذلك. لكنني أرى أن اللهجة العامية هي رافد من روافد اللغة، وهي "ابنة" اللغة العربية، وتستطيع إعادتها إليها. بالإضافة إلى أن اللهجة العامية هي لهجتي ولهجتك ولهجة آبائنا وأجدادنا، ونتخاطب بها بشكل يومي. ولإيماني بذلك، كنت أحد المساهمين في أن يكون لها منبر تنطلق من خلاله. عوضًا عن تلك البرامج الشعبية التي تُقدّم في التلفزيون والإذاعة بشكل سيء، فهناك كنوز مدفونة في الأدب الشعبي يجب أن تظهر.

(12) نايف المطيري: ولكن محاربة المثقفين للمجلات الشعبية لم يأت إلا بعد النجاحات الساحقة التي تحققت لهذه المجلات.. لماذا لم يسع هؤلاء إلى ظهور منابر تخصهم ينافسون من خلالها المجلات الشعبية؟

- تعجبني تجربة سامي في الكتابة، لا الشعر! أفقت، وانتهت معركتي كصعلوك! أعتقد أن الغيرة لعبت دورها. ثم إن المجلات التي حاولوا إصدارها من المستحيل أن تُسوّق بشكل مقبول، لأن طريقة إخراجها كانت عادية، وليس فيها إبهار أو جاذبية. كانت تحتوي فقط على نصوص جافة، وبالتالي لا يقبل عليها إلا المتخصصون، بعكس المجلات الشعبية التي استطاعت أن تجد "خلطة" من حيث تنوع المواضيع، الصور، والإخراج، ومن هنا وصلت إلى مختلف الشرائح!

(13) طاهر بخش: ولكن هل ترى بأن المجلات الشعبية قادرة على خدمة الموروث وخصوصا أنها معتمدة على اجتهادات شباب؟

- نعم، هي قادرة بإذن الله، ولكن عليهم الاهتمام بالموروث وإخراجه للناس، لأنه سيساهم بلا شك في إثراء هذه المجلات.

(14) هاني الظاهري: في السعودية خرج جيل للشعر الحديث وعرف رواده.. بينما في الكويت لا يوجد جيل واضح المعالم.. لماذا؟

- لا لا.. بالكويت خرج جيل كذلك، ولكن لم يجد اباءً او رعاة بعكس الجيل الذي خرج في السعودية وواكب خروجه ظهور نقاد على مستوى عالٍ احتووا هذا الجيل وقيموا تجربته مثل: الغذامي، سعيد السريحي، معجب الزهراني، عابد خزندار وغيرهم.. ولكن بالكويت لم يخرج ناقد واحد يشار إليه البنان منذ السبعينيات!! ولكن توجد إبداعات ولها ثقلها.

(15) مصطفى يوسف: أعيدك لموضوع الأجيال.. ألا ترى بأن التخندق والوقوع في حضن التيارات المختلفة هو سبب القطيعة بين الأجيال.. وكيف الخروج من هذه الحالة؟

- أنا أعتقد أنه لا يمكن أن تتواصل الأجيال إلا بعد أن يؤمن الجميع بقدسية الثقافة والأدب بشكل عام، ولكن للأسف، أغلب المنتمين لهذا الوسط يمتهنونه بدافع نزعة فردية وليست جماعية. لذلك، لا يوجد همّ مشترك بيني وبين الآخر حتى نحمل بعضنا البعض، بالإضافة إلى عدم وجود خيمة تظلنا جميعًا.

(16) مصـطفى يوسـف: هل يعني هذا بأنك ضـد "الأدلجة" والعمل من خلال التيارات؟

- أنا أرى أن الأدلجة هي نوع من الاستعمار للفرد.

(17) مصطفى يوسف: هناك اتهام قائم بخصوص الحركة الأدبية في الخليج بأنها "حركة نفط".. باعتبار محمولاتها ونتاجها، أهي كذلك وكيف تنظر لهذا الإتهام؟

- الحقيقة، هذا سـؤال جميل. أنا لا أفهم لماذا يعيبون على أدب هذه المنطقة ويربطونه بالنفط! يا عزيزي، النفط نعمة عظيمة، فبعد أن كان الإنسان في هذه المنطقة يتعب ويشقى ويقطع القفار من أجل اصطياد "ضب" ليسد به جوعه، جاء هذا النفط لينهي معاناته. فلماذا لا نمجد نحن، شـعراء هذه المنطقة، "ثرواتنا"، مثلما نجد في بعض البلدان العربية شـعراء يتغنون بالقطن والزيتون والقمح؟! وإن كان هناك من ينظر لنا بهذه النظرة من منطلق "عرب المركز وعرب الأطراف"، فنحن المركز، والآخرون هم الأطراف. فلو نظرنا للموضـوع من منظور إسلامي، فالرسالة المحمدية انطلقت من هذه الأرض، ولو نظرنا إليها من منظور الثقافة العربية، فاللغة العربية منطلقها هذه الأرض، وكل الثقافة

العربية انطلقت منها. وبالتالي، أنا "المركز"، وليس الآخرون، لأن بعضهم "كنعاني وفرعوني".

(18) مصطفى يوسف: ولكن ربما لأنها لم تشكل وجدان أمة، مثلما فعل "لبنان ومصر" وأنها أي الحركة الأدبية هنا.. لا تملك ما يؤهلها لذلك وأنما قدمت محمولاتها من خلال ما تملكه من "نفط"؟

– عفواً.. وجدان هذه الأمة من الذي شكله؟ هل هو "ميشيل عفلق" و"انطوان سعادة، هل هؤلاء مؤهلون لقيادة الأمة؟ هل هو عبد الناصر الذي أضر بالأمة أكثر من نفعها.. مع أننا نحبه ونهتف باسمه فهو "قمع وجوع، الشعب المصري فقيراً ويدفع "ضرائب" دكتاتورية عبد الناصر... فهل هؤلاء المؤهلون لتشكيل وجدان الأمة؟! ثم هذه البلدان "استعمرت" من قبل "الإنجليزي والفرنسي" الغيرة سبب محاربة شعراء الفصحى للعامين وهم من أتوا بالمطابع ووسائل النشر معهم.. بينما أنا في تلك الفترة لا أملك إلا "صحراء" ولكن هناك للأسف من ينظر لنا نظرة دونية لدرجة أنهم يعتقدون بأنه حتى "عقلي" اشتريه بالنفط!! اذكر أنه في يوم من الأيام التقيت مجموعة من الشعراء الكبار من عاصمة عربية في أحد المطاعم فقال أحدهم "أكتب لك قصيدة

وتدفع حساب العشاء"!! فقلت: "انت ادفع الحساب وأنا اكتب لك ديوان.. فللأسف هم ينظرون إلينا بتعال!!

(19) – نايف المطيري: ألا ترى بأننا سبب في تضخيم هؤلاء؟

– نعم... لأننا لا ننسى فضل المدرس، فلا زالت شخصية المدرس تهيمن علينا، علماً بأن هذا التلميذ درس وتخرج وربما أخذ "الدكتوراة"، بينما المدرس بقي مدرساً ويحمل الماجستير. فلماذا يُنظر إليّ إلى الآن كتلميذ؟!

(20) – عبد العزيز الكويكبي: هل أنت مع من يرى بأن ظهورك في برنامج "نسايم ليل" مع نجاح المساعيد هو "سقطة" في مشوارك... لأنك سمحت بمرور بعض التجاوزات التي في البرنامج؟

– أنا، الحقيقة، لم أتابع إلا حلقتي والحلقتين اللتين قبلها فقط، وهناك من أشاد بالحلقة ومن انتقدها. وبالنسبة لنجاح المساعيد، فهي "قد" لا تعرف من هو سليمان الفليح، وكنت أعتقد بأنها ملمة بتاريخ الفليح. والحقيقة أنني كنت على سفر، لولا أن الأخ ناصر السبيعي طلب مني تأخير رحلتي من أجل تسجيل الحلقة!

(21) – نايف المطيري: هل ترى بأن الجيل الســـابق ينظر للجيل الذي يليه بعين "الأستذه"مما منع ظهور تجارب جديدة إلا ما ندر؟

– الحقيقة، هذا هو الخلل الأســاســي في الثقافة، لأنه إذا كان هناك شــخص مبدع في الثمانينيات واكتفى بمجده في تلك الفترة، ويعتقد أنه لا يزال نجماً في الثمانينيات رغم أننا الآن تجاوزنا عام ألفين، فهذا الرجل لا يتغير، ولا يتطور، ولا يفهم المتغيرات حوله، ولا يفهم أن هناك أجيالاً تتطور حوله، وناســاً تتقدم وتواصــل الطريق، بل تجاوزت حتى تجربته هذه تماماً. كما ذكرت ســابقاً، مثلما نقدس المدرس ونعتبره هو ســقف العالم، وأنت اســتطعت أن تواصــل تعليمك وتحصــل على الماجســتير والدكتوراة، وهو لا يزال على شــهادته الســابقة، وفي نفس الوقت هو ينظر إليك نظرة التلميذ، وأنت تنظر إليه نظرة الأســتاذ. وهنا يكمن الخلل، لأنه إذا لم تحترم التجارب بعضــــها البعض، والأجيال بعضــــها البعض، فهنا يكمن خلل في السياسة، ويصبر هنا الانفصام والاختلاف.

(22) – نايف: هناك تجارب زاملت ســـليمان الفليح أذكر منها نايف المخيمر الذي سبق وقرأنا لك كتابة عن تجربته. لماذا تناسته الساحة الشعبية والمنتمون لها لا يعرفونه؟

-.. أنا أعتقد أن الناس لا يعرفون نايف المخيمر، لأنه رحمه الله جاء في وقت وقدم تجربته بشـــجاعة، لأنه ما كان الخلل في الثقافة هو نظرة الجيل الســـابق للحالي بطريقة الأسـتذة "أحد" يجرؤ أن يقدم القصـيدة الشـعبية الحديثة وكان المتعارف عليه هو القصيدة التقليدية ونايف قدم تجربته وكتب القصيدة الشعبية الحديثة وكانت مغامرة منه ومن حسن حظه أنه بداها من الكويت، لأن المجتمع الكويتي كان يتقبل في ذلك الوقت التجديد أو أي شيء حديث وتجربة المخمير رائدة ومميزة، ولكن للأسف هو من أراد لها ألا تستمر.. حيث قام بجمع دواوينه واحرقها.

(23) – مصـــطفى يوســـف: أنت تكتب المقالة، والقصـــيدة بنوعيها، سـؤالي.. ما مدى أهمية الحرية عندك كأوكسـجين لحياة الجنين الذي تلده أياً كان شكله؟

– أنا أعرف تمامًا كيف أفتح نوافذ الحرية، وكيف أفتح مســارب ضــوء الحرية على ذاتي. علّمني الزمن كيف أتحايل وأفتح نوافذ ومســـارب الحرية على ذاتي بكل الوسـائل، تمامًا مثل موقف الشـاعر الألماني "هيرمن هيسـه" عندما كان في السـجن، وكان السـجن معتمًا. لكي لا يختنق، رسـم على الجدار قطارًا ودخانًا، وأخذ يقف أمام هذا القطار ويتصـور أن هذا القطار يسـافر به، ويقول: "الآن

وصـــلت ألمانيا ونزلت الســـوق، وبعدين أركب وأقول الآن وصـــلت إيطاليا"، وهكذا. حتى اعتقد جازمًا أنه يركب هذا القطار، وعندما أرادوا إخراجه قالوا له: "خلاص، اطلع، سجنك انتهى". وعندما أراد الخروج قال لهم: "لحظة، لقد تركت أمتعتي بالقطار". فالشاعر يعرف كيف يفتح مسارات الحرية.

(24) – سلمان: أبو سامي أنا قرأت لك تصريحاً مفاده أنه لم يعد هناك شاعر يعجبك وتبحث عن الشاعرات؟

– ليس بهذا الشكل، إنما الذي أذكره أنني قلت إن شعر المرأة أصدق من شعر الرجل.

(25) – سلمان: أبو سامي ألا يزعجك أن يفتح أحدهم جريدة الرياض، يتصفح كاريكاتير الهليل ويتجاهل مقالتك؟

– لا، بالعكس، فمن الممكن أن يأتي قـارئ يحـب الهليـل ولا يحـب الفليح، وهنـاك من يحـب الفليح ولا يحـب الهليـل. ولعلمـك، زاويتي هـذه "هـذرلوجيـا"، عاشـت بجانب رسـامي الكاريكاتير في جريدتي السـياسـة والوطن، أمثال ناجي العلي وعلي فرزات.

(26) – منصور العتيق: سمعنا أنك كتبت راوية.. هل هذا صحيح؟

- نعم، كانت في عام 1978م، وكانت بعنوان المثلث الملتهب، وتتحدث عن تحولات الإنســــان البدوي في هذه المنطقة وعلاقته بالنفط. ولكن عندما صدرت مدن الملح لعبد الرحمن منيف، وجدت أن الفكرة هي نفسها، فأدركت أنني تأخرت ولم أنشرها، فقررت إلغائها من حياتي.

(27) – سلمان: أين وجدت الحرية أكثر على مستوى الرقابة.. في الكويت أم السعودية؟

- طبعاً في الكويت.

(28) –أبو سامي قرأت لك ذات يوم كتابة مفادها أن البناء في المدينة هدم للصحراء.. هل قبضت ثمن التنازل عن بداوتك وهل كان الثمن مجزياً؟

- ما فيه أجمل من التنازل عن البداوة. البداوة منظور ســــيء، ولكن كنمط معيشة، أنا أمارس حياتي الأولى كرغبة وحنين لبيت الشعر. أما إذا كنت تقصد التنازل عن الأفكار، فالأفكار قابلة للتغير، أما المبادئ فهي راســــخة في الوجدان، وإنسان بلا مبادئ بلا وجدان.

(29) – طاهر: أنت ورثت في ابنك سـامي أشـياء كثيرة من ضـمنها الشعر.. هل تحس أنه نموذج جيد؟

- رغم أني احترم تجربة سامي واحترمه كشخص ولكن لا تعجبني تجربته الشعرية، بل الكتابية.

(30) – هاني الظاهري: باسمي واسم جميع زملائي نشكرك "بابو سامي" على حضورك وتلبية الدعوة؟

-الله يسلمكم وأنا سعيد جداً بهذا اللقاء.

***

(23)

الْحِوَارُ الثَّالِثُ وَالْعِشْرُونَ:

الْحِوَارُ الثَّالِثُ وَالْعِشْرُونَ

هذا هو الأستاذ سليمان الفليّح؛ سفير البادية في المدينة، وسفير المدينة في البادية، كما قال عنه الدكتور عايد المناع، مستشار جمعية الصحفيين الكويتية. وهو كما قال عنه مؤرّخ الأدب الكويتي، المرحوم خالد سعود الزيد: "تلتقي فيه البداوة بفطرتها، والمدنية بخبرتها". وذلك لأن الأستاذ الفليّح استطاع أن يُؤصّل الحداثة، ويُحدِث الأصالة، وتمكّن من أن يحفظ هذا التوازن الذي قلّما استطاع المحافظة عليه مثقفٌ يعيش في هذا العصر. لذا، سعينا إليه بحثًا عنه في المجلس الذي يتوسّطه دومًا، حيث تجد الدكتور بجانب راعي الأغنام، والمهندس بجانب المحامي، والشاعر بجانب المؤرخ، والشيخ والفقير في مجلسٍ واحد، لا يُسمح فيه إلا بالكلمة الطيبة، والرأي المستنير، والنظرة البعيدة. ولا يميّز بينهم سوى حب الوطن، ومقدار خدمته. لذلك، حينما بحثنا عن "أبي سامي" أستاذ الجيل، حملنا أوراقنا واتجهنا إلى حيث يجلس يوميًا بين أبناء عشيرته، في مجلسٍ يفوح بالهيل والزعفران، وقصائد الفرسان، والسوالف العذبة، وصوت الربابة. وما إن دخلنا السور، حتى استقبلنا ابنه، الزميل سامي الفليح، و"أبو سلطان" سويلم الرميثي، صديق الإعلاميين والشعراء، الذي عُرف بطرافته، وأريحيّته، ومواقفه الرجولية. وما إن سلّمنا على الجميع، ودارت فناجين القهوة، حتى فُتحت آفاق

الحديث،محاوره :"العانية. والقنوات الفضـــائية الإخبارية وحديث طارئ مُلح حول فصل التوائم".

<u>حاورها: حامد البراق (238)</u>

(1) – تناول الحديث بداية ســليمان الفليح (صــاحب المجلس) مناقشــاً المحور الأول الذي أثر مجلسنا التطرق له وهو (العانية)

– العانيّة فكرة نبيلة تعبر عن مدى تداخل المجتمع وتلاحمه، ولكنها أصبحت حاجزًا تمثل شــيئاً مثل الدين الواجب الســداد في هذا المقابل أريد أن أسمع من بعض (الشيبان) حكايات أو قصائد حول مسائل من هذا النوع، وهل توفرت العانية بشـــكلها الحالي منذ القدم أم ان طارئًا طرأ وهل هناك الحصـــص حول نشأتها؟

ثم تحدث ســلطان بن راكان المرشــد حيث قال: لعانية أمر مهم جدًا، فهي تُثبت تكافل الجميع وترابطهم، وتُعد شــكلاً من أشــكال التواصــل الاجتماعي التكافئي بين أفراد القبيلة، أو المجتمع، أو المدينة. كما أنها تُغذي الشـــعور بالانتماء إلى المجموع على حســـاب الفرد، وقد أمرنا الدين الحنيف بالترابط

(238) – مجلة البواسل ، فبراير 2005م

والتكافل ومساعدة بعضنا البعض، ولولاة الأمر فينا القدوة والمثل في ذلك. لذا، فإن هذا الطرح بخصوص العانية طرحٌ جيد، ولو أن مسألة العانية مرتبطة ارتباطًا شديدًا بارتفاع المهور.

ثم أردف عبكي بن عاقول القول: العانية يا ولدي، تدل على تضـــامن الرجاجيل مع بعضــها، وعيال العم والقرابة، والرجل إذا له ربِع، ما يبلّش، ربعه يســدّونه ويعاونونه باللي يقدرون عليه. وهناك قصـائد كثيرة وأمثال، ومن زمان يقولون: "العانية واجب، و"كلٌّ على حسب مدّته، واللي ما يقدر معذور."

ثم أخذ بطرف الحديث ســـويلم الرميثي حيث قال: هناك شـــيء مهم يا جماعة يماثل أهمية العانية وهو ارتفاع وغلاء المهور التي تســـبب بالعديد من المشـاكل وتحرم الشـباب من إكمال نصـف دينهم، في العانية لا أحد يطالبك بشـــيء محدد كل (يعين) بقدر ما يســـتطيع اما في مســـألة المهور فأعتقد ان ارتفاعها يمثل مشـــكلة جديدة بالبحث عن الحل وقد حاولنا ولو بجهد محدود عمل شيء في هذه القضية فيما يخص (ربعنا) و(جماعتنا).

تدخل مونس الشـــيب قائلاً: أظن أن العانية مرتبطة بأشـــكال متأخرة من الحضارة يمكن أن تلغي أو تستبدل بشكل هدية أو يمكن للأثرياء مساعدته في أشـكال أخرى، مثلاً سـاعدته فيما يحتاج لتأثيث منزله ثم مشـكلة العانية أنها جاءت كفكرة لمسـاعدة الأقارب إلا أنها مع الوقت تحولت إلى ما يشـبه الدين الواجب السداد وهذا ما فرغها من محتواها الأصلي وغير في اتجاه طبيعتها.

***

بعد ذلك انتقل الحديث إلى محور آخر تناول القنوات الإخبارية ما لها وما عليها حيث ابتدأ صـــاحب المجلس الحديث عن هذا المحور قائلاً: في ظني أنها تجربة جديدة قُدر لجيلنا ان يعيشـــها وهي بلا شـــك تعبير عن تطورات في فهم الإنسـان ومتابعة التطورات انا شـخصيا استمتع بالبرامج الوثائقية وكذلك أتابع نشـرات الأخبار الرئيسـية أثناء الأحداث المهمة اما المتابعة المسـتمرة فإنها تخلق لدى نوع من التوتر وعدم الارتياح.

ثم تحدث د. محمد سالم الرويلي حيث قال: نحن نحتاج إلى إيصال قضايانا إلى العالم لذلك يجب أن نخاطب العالم بلغة يفهمها لذلك لماذا لا تشرع القنوات الإخبارية في توجيه نشـــراتها بمختلف اللغات وتحاول البث باللغتين الإنجليزية والفرنسية، نحن نحتاج ان نخاطب مختلف الشعوب ثم إنّ الاختلاف يثري ثقافة وحضوراً ويجعلك تتطور باستمرار بشكل يلغي الحواجز بين الجميع، مشكلة القنوات العربية أنها تتجه إلى متلق واحد عبر خطاب واحد ثم تحاول توجيه الرأي العام الشـــعبي في الدول العربية وهذا شـــيء من الممكن ان ينتج ثقافة خطيرة ومتطرفة.

ثم أردف سامي الفليّح قائلاً: إن الشـحن الذي تمارســه القنوات الإخبارية الفضائية ذو تأثيرات خطيرة فيكفي أنها تجعل متابعها ومشاهدها في حالة شد وتوتر طوال مدة مشاهدته النشرات كذلك الأخبار العاجلة والشريط الإخباري، كما إن كثرة الأحداث المهمة والمؤثرة في منطقتنا وحولها جعل الحدث أي حدث مهما بدا صغيراً، شيئاً مهماً تتناقله الوكالات والتقارير وغرف الأخبار، أظن هذه المســألة تحتاج متابعة لأنها تنعكس على نفســيات المتابعين مما يجعلنا نخشى من أنتشار الأمراض النفسية لدى جمهور الفضائيات مما يؤدي إلى زيادة ظهور قنوات فضائية نفسـية تحاول علاج تأثيرات القنوات الفضـائية الإخبارية

التي تحول الحدث مهما كان تافهاً إلى (خبر عاجل) ومراســـل يتحدث على الهواء ومحللون سياسيون بعدد شعر الرأس.

وقال ســـلطان بن راكان المرشـــد: اعتقد أنها احدثت شـــيئاً مهماً في وعي الأفراد ومكنتهم من متابعة آخر الأخبار في كل أنحاء العالم ولكن يبدو أن بعضها يعمد إلى الاستعراض والتحريض وإشارة الفتن ولكن بعضها موضوعي ويبحث عن الحقيقة ويتابعها ويسعى إلى إيصالها للناس.

أما عبكي بن عاقول فكان له رأي آخر حيث قال: انا والله يا ولدي أشـــوف الأخبار بس وإذا فيه أحداث وأخبار تخص المملكة أما غيرها فلا والله يا ولدي.

تدخل د.خالد الســـبيعي فقال: أنا اظن ان هناك جوانب إيجابية لننظر مثلاً إلى انعكاسات واصداء عملية فصل التوام البولندي وقبلها المصري إن ما صنعه هذا الحدث شـكل لنا جميعاً مصـدر فخر خصـوصـاً تداول القنوات الإخبارية لأسماء أطباء ســـعوديين مثل د. عبدالله الربيعة فلذلك أظن أن مثل هذه

الأحداث الجيدة والتي تعكس عنا صـورة حسـنة من المهم التركيز عليها، لذلك أظن أن الإعلام والقنوات الإخبـاريـة بحـاجـة إلى لغـة وخطـاب يمكنهمـا من التواصل لذا فإن حدثا مثل فصل التوائم البولنديتين اللتين أمر بإجراء عمليتهما والتكفل بعلاجهما سـيدي ولي العهد الأمير عبدالله بن عبدالعزيز والأصـداء الجميلة لهذا الحدث الإنساني جعلتنا ندرك كم نحن بحاجة إلى إعطاء بعد إنساني لصورتنا في العالم، كما أن هناك أشياء أخرى يمكن تسليط الأضواء عليها، لقد كانت هذه العملية إنجازاً فريداً أحاطت به أسـرار العناية الإلهية وتجلت بها عجائب قدرة الله سبحانه وتعالى.

سـويلم الرميثي رأيه في القنوات الإخبارية: أنا أظن أنها مفيدة رغم أنها اكثر من المطلوب ثم إن هناك ظواهر جديدة تتضـح منها ان بعض هذه القنوات في سبيل البحث عن التميز يحاول تضخيم أبسط الأشياء ويعطيها أبعاداً أكبر كما تحاول بعض القنوات في حديثها او تناولها لأخبار المملكة وتحاول التركيز بشكل سلبي فقط رغم أن ذلك يتنافى مع المهنية الإعلامية.

أما مونس الشبيب فيقول: طرح جيد وجديد، ولكن مثل أي شيء يوجد به الجيد والرديء ولكن رغم ذلك فإن فوائدها تعد أكثر من سيئاتها مما يجعلها جانباً إيجابياً ثم ان الناس ليست ملزمة بمتابعة السيء خصوصاً متى ما توفر الأفضل هذا رأي على الأقل.

أما سلطان بن راكان المرشد فقال: إن عملية فصل التوائم تعد من المكارم الكثيرة لولاة الأمر وان سيدي صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبدالعزيز سباق إلى مثل هذه المكارم وهذه ليست المرة الأولى وحتماً لن تكون الأخيرة في هذا المجال فإن أيادي سمو ولي العهد دائماً بيضاء على الجميع وحتى في آخر الدنيا ونطلب من المولى أن يديم نعمة الأمن والأمان على هذا البلد وأن يحميه من براثن الإرهاب وتخريب المخربين مستنكرين كل ما يحدث باسم الإسلام من أعمال تخريبية والإسلام منها براء.

وفي النهاية كانت الكلمة لصاحب هذا المجلس العامر الذي قال:أظن أن هناك قضايا كثيرة أثارتها نقاط د. خالد ود. محمد وسلطان المرشد وهي أننا كيف نحاول أن نكون وبين ما يحاول ان يلصق بنا نحن نريد ان نوصل إلى البشرية رسائل سلام ومحبة وما عملية فصل التوائم البولنديتين إلا إحدى هذه

الرســـائل الجميلة من الأمير عبد الله بن عبدالعزيز، ثم اننا ندرك كم أصـــبح من الضـروري مخاطبة العالم بلغة يفهمها ويدركها وتصـل إليه سـريعاً، شـكراً للجميع وشكراً للبواسل صاحبة المبادرة دائماً في كل ما هو جميل وشكراً للأستاذ حامد البراق على هذه الزيارة الخاطفة.

***

ختام هذا الحوار قصيدة للشاعر خليف العنزي، عن الربيع والطبيعة وعن حياة البادية

يا شفت نبت الأرض متخالف أشكال/ متخالفن بالنبت ورد ونواوير
في حاجرن عم الحيا جانبه سال/تعاقبنه صادقات الشخاتير
من مدلهمن بارقه بشعل إشعال/ صبت إمزونه بأمر والي المقادير
شعبانها من السيل تنظم على الجال/ منها المصامد تلتطم والمحافير
هذا مراد النفس وهذا هو البال/ شوف الخباري طافاحاتن مفاتير
والأرض لبست قبعتها عقب الأمحال/ يعجبك نبت اسهالها والعناقير
العشب شاخ وبالسهل والوعر طال/ من كل نوع تشوف نبته تفازير
تشوف الكمأ في حفت الروض تلال/ تلقا الزبيدي بالقداره مزابير
جو خلا ما تشوف به شبح وازوال/بس أم سالم تزعج الصوت تعبير

شوف الطبيعة ينعش الروح والحال/يا زين فيها سجت الصبح وعصير
جون خلا ما فيه قيلن ولا قال/تنسى همومك ساعتين والتفاكير
يا زين ممشا مع وسيعات الأسهال/وشوف الفياض المعشبات المخاضير
هي منوتي يا شفت انا الصيد بجتال/ما غيط انا اللي يكنزون الدنانير
شفي مع بدون بين راحل وتزال/ تناظرو ثم إشمخوهن مقاطير
توحي لحن اللي يصوت بالأعجال/قال الفلاح وتم جوه المناعير
وتجاذيو حلو الطرايف والأمثال/سوالفن يشفق عليها نوادير
واليها إنثنو شالو على الزمل رحال/بيزمي السلف قدام وجه المظاهير
بيرى الجنب من كل مدرع وخيال/بيانهم علطن تقص الأباهير
واليادعاهم داعين جوك صوال/بيتا الفزع كلن على فاله إمغير
هذى حبات البدو حفاظت المال/حاميتها بحدب السيوف البواتير
بدواً على شيم العرب تزعل إزعال/ إمدلهين الجار ريف الخطاطير

**

(24)

الْحِوَارُ الرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ:

الْحِوَارُ الرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ

سليمان الفليّح تاريخ حافل بالأدب وسعة المعرفة صاحب قلم متميز وشاعر كبير له من الكتابات أجملها ومن الشـــاعرية أجزلها. كان لنا مع الفليّح هذا اللقاء الذي تحدث لنا من خلاله عن جوانب عديدة ومختلفة شملت بداياته الشـعرية والصـحفية، كما أبدى رأيه في عدد من المواضـيع التي تهم السـاحة الشعبية. نجوماً كاذبة وأسماء واهمة تسـيدت المشـهد الشـعري في الآونة الأخيرة فأوصـلت الشـعر إلى حالة من الاسـتهزاء ومسـخت قدسـية الشـعر الحقيقية ومســـخت مكانة الشـــاعر امام قارئه وأمام جمهوره وأمام الناس الذين يعتبرونه صوتاً لهم يعبر عن مشاعرهم وعن مشاكلهم..

حاورها: مرزوق الروقي (239)

(1) – بما أنك من معاصري بداية الساحة الشعبية ألم تحاولوا تغيير الوضع القائم الآن بأي شكل من الأشكال؟

(239) – مجلة شخصيات ،ربما العدد الأول

الآن اتسعت الرقعة على الراقع، والآن لا تملك أن تحد من انتشار هذه الظاهرة، لاسيما أن السوق أصبح فاتحة لكل إنسان قادر على أن يخرج بمطبوعة. وللأسف الشديد، أن الكثير، أو أقول 90% من أصحاب هذه المجلات، ليسوا جديرين أصلًا بامتلاك هذه الوسائل، ولا بإدارتها، ولا بتوجيه دفة ذوق الجمهور نحو الأدب أو الإبداع. فهذا ما خلق هذا التشابه، وهذا التسيب، والتلميع الفني، وهذا الاندلاق الشعري. كل هذه الأشياء هي التي مسخت معنى الشعر في المجتمع.

(2) – هل يمكننا القول بأن حرب الخليج قد أثرت بشاعرية سليمان الفليّح وأدت الى ولادة ديوان ذئاب الليالي؟

– بالتأكيد، أنا أعتقد أن هذا الحدث هزّ التاريخ العربي كله، وهزّ حتى المفاهيم السياسية، وهزّ كل أطروحات المثقفين العرب. فبالتأكيد أن تهتزّ تجربتك الشعرية، وأن تتغير نظرتك للأشياء. وحتى تكون منصفًا، يجب أن ترى الواقع المتغيّر. لأن الشاعر الذي لا يفهم المتغيرات، ولا يفهم المستجدات، ولا يفهم حركة الزمان ومتغيراته، أنا أعتبره شاعرًا رجعيًا، وعبارة عن مستنقع آسن سرعان ما يجف، ومن ثم يتبدد. الشاعر يجب أن يكون نهرًا متدفقًا، لا يستكين لما يعترض طريقه من منعرجات ومنحنيات، فيجب أن يشق طريقه دائمًا نحو الأمام، مثلما النهر

لا يتراجع، فعلى الشاعر ألا يتراجع إذا كان يؤمن حقيقةً بالشعر ودور الشعر. فكلما طرأ في الحياة شيء، على الشاعر أن ينظر له بمنظار جديد، ويحاول أن يستوعبه، وإلا لما سُمّي الشاعر قارئًا أو مستشرفًا للمستقبل. وكثير من الشعراء قالوا قصائد تحققت لاحقًا، وكأنهم يستقرئون المستقبل. فطبيعة الشاعر أن يرى ما لا يراه الآخرون، إذا كان شاعرًا حقيقيًا. فما بالك إذا وقف في نقطة ثابتة في الزمان، وبقي على قناعاته السابقة— أقصد قناعاته في الأشياء والمتغيرات. يجب أن يكون الشاعر متطوّرًا، ويفهم مجريات الأمور، وينظر بعينٍ ثاقبة، ورؤيةٍ جيدة للمستقبل.

(3) أنت مقل في نشر قصائدك العامية هل هذا يرجع إلى عدم رضاك عن قصائدك أم عدم رضاك عن المناخ الشعري الموجود؟

- صدقني يا أخ مرزوق، أنا لست بشاعر شعبي، وليست لدي تجربة حقيقية في الشعر الشعبي. أنا عندي قصائد شعبية تُعد على أصابع اليد، ولكن الناس تنظر إليّ كشاعر شعبي، ربما لاتصالي بالساحة الشعبية، أو لأني عايشت انطلاق حركة الشعر الشعبي الجديد في المنطقة. لكني في الواقع لست بشاعر شعبي، ولا أرضى عن قصائدي، ولا أعتبرها جيدة، وليست بمستوى قصائد بعض الشباب المبدعين.

(4) هل تظن ان الشعر الشعبي سحب البساط من تحت الشعر الفصيح جماهيرية ومتابعة؟

- طبيعي هذا شيء لا أحد ينكره ولا أحد يزايد عليه.

(5) ترى ما السبب في ذلك؟

- أولًا أنا أدين أصدقائي وزملائي كتاب القصيدة الفصحى لأنهم لا يُولون القصيدة أهميتها، سواءً من حيث النشر أو المتابعة أو من حيث الاتصال حتى بالحراك العام، ولم يصدروا مجلات مثلما أصدر الشعراء الشعبيون. فلو كانوا جادين لأصدروا مجلات: واحدة أو اثنتين على الأكثر، في خضم هذه المجلات الشعبية.

فهاتان المجلتان بإمكانهما أن تستقطبا الأصوات الواعدة من الشباب، وبالتالي تساهمان في إيجاد مناخ للقصيدة الفصيحة. وأنا أعرف كثيرًا من الأسماء المبدعة في القصيدة الشعبية، هم في بداياتهم جاؤوا من المدارس بقصيدة فصحى، ولكن لم يجدوا منابر تحتويهم، ولم يجدوا أماكن تحتفي بهم كإيماضات أولى في مجال الإبداع، فلذلك وجدوا منابر مفتوحة ومجلات مفتوحة تستقبلهم وتُسهّل لهم النشر. فلذلك، أنا أرى بكل صراحة أن الشعر الشعبي سحب البساط حضوريًا

من شعراء الفصحى، وهذا ذنب شعراء الفصحى الذين لم يفهموا المتغيرات، رغم أنه من السهل لأي أحد منهم استخراج ترخيص مجلة، وبإمكانها نشر محاولات القصيدة الفصيحة، ولكنهم لم يفعلوا ذلك.

وحتى إذا أصدروا مجلات فصلية، ليسوا جادين في الاتصال بالأصوات الواعدة، ولا يسألون عنها، وفيهم هذه الكبرياء، ويريدون الناس أن تأتي إليهم ولا يذهبون هم إلى الناس. بينما المجلات الشعبية هي التي تنادي الأسماء المبدعة، وتنشر لها، وتقدمها في مقدمات مشجعة. فهذا هو السبب في سحب البساط من تحت القصيدة الفصحى، وإضفائه على القصيدة الشعبية.

(6) قلت في أحد لقاءاتك أنك تحاول تقريب الساحة الشعبية إلى الفصحى كيف ستفعل ذلك؟

– هذا ما أتكلم عنه، وأنا لم أقل إنني أحاول، أنا قلت إن القصيدة الشعبية التي يكتبها الشباب الواعي الآن ـــ المثقفون والمتعلمون والذين يمتلكون ناصية الإبداع الحقيقي ـــ ألغت، كما قلنا، اللهجات الإقليمية والقبلية، وأصبحت، من خلال تراكمهم الثقافي، تقترب من قصيدة الفصحى. أي إن هذا تدرّج وتطوّر طبيعي للقصيدة، وليس دوري أنا، وإنما هو إفرازات وعطاءات هؤلاء الشباب.

(7) كتاباتك اليومية في جريدة الرياض اغلبها تعالج قضـــايا اجتماعية والسؤال هنا هل عالجت قضاياك التي تتحدث عنها؟

- أنا أعتقد أنني منذ 30 عامًا أكتب بصـــورة يومية أو شـــبه يومية. في الصــحف الكويتية كنت أكتب بشــكل يومي، وفي جريدة الرياض أكتب يومًا بعد يوم. أعتقد أن هذه الثلاثين عامًا من الشـــغل شـــبه اليومي، إلى حدٍّ ما، تناولتُ فيها ما اســتطعت من مشـــاكل، وربما أقول أغلب المشـــاكل. ولو أن الكاتب لا يقدّم الحلول، وإنما يُضـــيء المشـــاكل، ويبحث عن حلول لها، لأن الحل ليس بيده، ولا القرار أيضًـا، وإنما يسلّط الضوء على المشكلة، وصاحب القرار هو من يتخذ قرار حلّها. فدور الكاتب مقصــور على الإضـاءة، لا حلّ المشكلة.

(8) هل عانيت من مقص الرقيب في كتاباتك أم أنك لا تتجرأ على الوصول إلى حدوده؟

- أنا أعتقد أنني أمتلك الجرأة، أينما كنت، على أن أكتب رأيي إلى الحدّ الذي يقصّه الرقيب، فعندما يقصّه الرقيب، لن يكون لي ذنب. فأنا، طوال حياتي، ومنذ بدأت أكتب، أعاني من مقصّ الرقيب، حتى في ظل وجود الحرية الصحفية التي كانت قائمة في الكويت. لكن المقصّ هنا هو مقصّ الرقيب الموجود داخل

الصحيفة، لأن في كل صفحة هناك رقيب، فالمقالة يجب أن تمر على رقابة ذاتية من الجريدة نفسها. وفي فترة معينة، خلال عملي في الصحافة الكويتية، كان هناك رقيب معيّن من وزارة الإعلام، وكان يُشرف على مقالات الكتّاب. فأنا طول عمري وأنا أعاني من مقصّ الرقيب الموجود في الجريدة، فما بالك برقيب وزارة الإعلام! لكن، استطعت من خلال هذا المران، ومن خلال هذه التجربة، أن أوصل فكرتي بشكل أو بآخر. ولا أريد أن أكشف كيف أوصل هذه الفكرة، فلكل كاتب أسلوبه في إيصال فكرته، وأنا تعلّمت أن أوصل فكرتي، ولا أريد أن أشرح كيف يتم ذلك، لأن هذا "سر المهنة".

(9) نعود للحديث عن الساحة الشعبية ونتكلم عن كثرة المجلات الشعبية وتزايدها بشكل واضح هل أنت مع هذا الشيء أم ضده؟

– حقيقةً، أنا مع كثرة المطبوعات، مهما كانت وكيفما كانت، ولكن المجلات الشعبية لها دور سلبي في تبسيط الشعر، أو بمعنى آخر: مسخ قيمة الشعر، وذلك بسبب كثرة المدّعين. فهذه المجلات تنشر لكثير من مدّعي الشعر، وفيها ـــ للأسف الشديد ـــ أناس ليسوا جديرين حتى في مسألة الانتقاء، أو في مسألة الذوق، أو التصنيف، أو إجازة النص الجيد. فهذا السبب يتيح المجال لركام هائل من دعاة الشعر الذين يسيئون إلى مفهوم الشعر، فهذا هو الدور السلبي الذي

تلعبه المجلات الشعبية، لكن أنا مع كثرة أي مطبوعات ليكن كلٌّ يكتب ما يشاء ولكن أنا أعرف شيء جيد، والناس مع الظاهرة، هات أي أغنية تافهة في التلفزيون ويكررها يومياً على المشاهد فإن مع التكرار يتعود المشاهد على هذه الأغنية ومن ثم يرددها من حيث لا يشعر وتصبح كأنها أغنية جميلة لأنها انتشرت غصباً عن ذوقه، هذه المجلات الشعبية في تكرارها لبعض الأسماء تكررهم على ذائقة القارئ رغماً عن ذوقه، الخطر يأتي من إن الشاعر الشاب الجديد يرى في هذه النماذج الجيدة التي تمثل الشعر الجديد فيؤمن بأستاذيتها ويقلدها مما يكون لدينا جيل آخر ضعيف شعرياً وهذا هو الخطر من كثرة المجلات.

(10) أيضا المنتديات والمواقع المهتمة بالشعر أصبحت تنافس المجلات الشعبية ما مدى رضاك عنها، وهل تتوقع لها الاستمرارية؟

– شِئنا أم أبينا، فأنا أعتقد أن هذه هي النقلة القادمة لوسيلة التعبير الأخرى، فلا يمكن أن تمنع أحدًا من أن يتصل بالعالم ويقدّم ما لديه، مشكلة الإنترنت أنه أصبح أكثر انتشارًا ووصولًا من المجلة الشعبية، فأعتقد أن الإنترنت لا يُجبرك على متابعة ما لا يعجبك، لكنه مجال يتيح لكل إنسان أن يعبّر عن رأيه، وأنت لست مُلزَمًا بمتابعته على عكس المجلة، فأنت تشتريها لتقرأ لفلان وعلان فتأتي بالمجلة للبيت وترميها فيه وممكن أن تمكث سنة أو أكثر ويطالعونها أبناءك

ويقرؤونها،حتى ولو على سبيل تزجيه الوقت وقتل الملل.. ويقرؤون نصوصًا قد يرون أنها جيدة، فلو أنها غير ذلك لما نُشرت في المجلة، فبالتالي، كأنها أصبحت شيئًا موجودًا يُرجع إليه.، بينما في الإنترنت بإمكانك أن تنتقل من مكان إلى آخر، والجميل في الإنترنت أنه تواصل مع العالم وإيصال صوتك له والعالم مخير ان يقتنع به أو لا، ولكن اعتقد ان هذه المواقع الشعرية هي المرحلة التي ستلغي المجلات واعتقد ان تكون لها "هَوْجة" مثل هَوْجة المجلات، ولا نعلم ما يأتي بعد مواقع الانترنت لا بد ان يكون هناك وسيلة اخرى للنشر والاتصال علينا ان نتقبلها ونتعامل معها.

(11) الحداثة في الشعر، هل يمكننا القول بأنها بدأت في الانحسار ـــ إن صحّ التعبير . أو نقول إنها قلّت جماهيريتها في الآونة الأخيرة؟ ما رأيك؟

– الحداثة هي كل ما هو حديث، ولا تحمل هذه المفردة أكثر من معناها. نحن لا نستطيع أن ننفصل عن عصرنا؛ علينا أن نفهم عصرنا ونستوعبه إذا كنا نريد أن نعيش فيه، ولا نبقى أسرى لا للماضي ولا للوهم. فعلينا أن نفهم الحديث ونستوعب الحداثة، لأنها نتاج عصرنا، وأعني بالحداثة: كل ما هو حديث وجديد. والتحديث من الحداثة، وهو سِمَة الزمن، فالزمن يأتي بحداثات وتطورات، ويأتي بكل ما هو حديث، وعلينا أن نتابع ذلك، ولا يمكننا أن

نعاديه. وإذا كنت تقصد القصيدة التقليدية أو القصيدة الحديثة، فأنا أعتقد بأن القصيدة المبدعة الحقيقية — سواء كُتبت بشكلها العمودي أو بشكلها الحديث — هي قصيدة رائعة وجيدة وتستحق الاحتفاء. والدليل على ذلك أن هنالك شعراء يكتبون القصيدة الجديدة، سواء كانت التفعيلية أو النثر، وظلّت هذه الأسماء تحظى باحترامها وثباتها وروحها القابلة للتجدد والتطور، من خلال المفردة، لا من خلال الشكل. فالشكل في القصيدة لا يعني شيئًا، والقياس الحقيقي هو في المضمون، وفي الروح المتطورة في النص، سواء كُتبت القصيدة عمودية أو كُتبت على الطريقة الحديثة.

(12) من يلفت نظرك من الأسماء الموجودة سواء في الشعر أو في الكتابة؟

– لا أستطيع أن أُسمي، لأنهم كلهم أبنائي وأصدقائي، ولا أستطيع أن أحصرهم، وأنا يعجبني النص الجيد لأي كان، مهما كان كاتبه، فأنا لا يعنيني الاسم، وقد عملت — حينما كنت في المختلف — على هذه الطريقة: إلغاء الاسم وقراءة النص. ولكن — للأسف الشديد — سوق المطبوعات يفرض عليك ما لا تريده، لأن هناك، كما قلت، أسماء صاحبتها دعاية، فبقيت مُكرّسة في ذهن الجمهور، وأنا موقن تمامًا بأن هناك أصوات شباب جدد أفضل كثيرًا ممن يُسمَّون "نجومًا" ويتسيّدون الساحة.

(13) هل من كلمة أخيرة في نهاية اللقاء؟

- أشكركم، وأشكر هذه المجلة المتميزة والمغايرة للمجلات، وأتمنى لها دوام التقدم، ولقرّائها أن يجدوا فيها المتعة والتنوّع.

(25)

الْحِوَارُ الْخَامِسُ وَالْعِشْرُونَ:

الْحِوَارُ الْخَامِسُ وَالْعِشْرُونَ

مع سـليمان الفليّح، الشـاعر والكاتب المعروف، هذه خمسـون جوابًا عن خمسين سؤالًا. وكل أسبوع، هناك وجه ثقافي أو اجتماعي يأخذ قلمًا وممحاة، فيكتب هذا ويمحو ذاك، حتى يكتمل الجمع: خمسون في خمسين. الشعراء... إما عشّاق أو لصوص.

حاوره : فهد الحميدي (240)

(1) هل يهندس الشعر حتى يلقبوك بمهندس الشعر أم أن الألقاب ترمى هكذا؟

– أنا مهندس شوارع، أعرف طولها وعرضها من كثرة التسكّع. أما مهندس الشعر الشعبي، فهو بدر بن عبد المحسن، وبإمكانك أن توجّه له هذا السؤال.

(2) "الصادق الصحراوي" هل كان من ذوي "الشرطات" أم "النجوم"؟

– من ذوي (الشطحات) في النجوم!

(240) – مجلة اليمامة، العدد 1571 ص 50x50

(3) المرشـــحات والمقننات للأنترنت؟ ألا تصــلح لتركيبها في الســاحة الشعبية؟!

- فات الفوت والعالم (قرية شعبية) ليس ساحة فحسب.

(4) إذا كانت القشة هي التي قصمت ظهر البعير، فماذا فعلت بك "الذبابة"؟!

- رفعتني من "المديونير" إلى "المليونير"!! ولكن... على الورق فقط!!

(5) نشوة "الغرور" متى تكتسحك؟!

- حينما (اكتسح) الذي تكتسحه.

(6) في رحلتك البرية "الثمانينية".. ما الذي سرق نظرك أكثر "الحمرة أم القوبعة"؟

- القبرة.

(7) –إذا انتهى عصر المفاطيح.. فهل سيقتصر عمل "الخمس" على المصافحة؟

- بل على (المصافعة).

(8) – "أبو شنب" هل تعلم أن بعض المطلعين على كتاباتك أطلقوا عليك هذا اللقب؟

- ما عند الرجاجيل أعزّ من اشنابها.

(9) لماذا تهاب "المقصات" ذلك الشارب!

- لأنه (تلَمها).

(10) هل تعلم أنهم يقولون إن الهليل سيقدم شكوى ضد شنبك الذي تعدى إطار المقال إلى رسوماته؟

- أنا قصدي (يرسم) به حينما (تعزّ) الفرشاه.

(11) ابن الوز عوام.. لكن يبدو أن عوم ابنكم لم يتم إلا بـــــــــــــــ "الطفاحات"!!

- لا تحرك تبلش!!

(12) ما الفرق بين زوايا الصحف وزوايا "الحارات"؟

- واحدة (تظهر) بها. وواحدة (تختبئ) بها أن لم يكن الظهور (لائقاً)!!

(13) إذا كان "قدر" العصفور طيرانه، فما هو "قدر" ذوي "الهذرة"؟

- (طيران ألسنتهم).

(14) لو كان حرف "د" كرة، ففي مرمى من ستهدفه؟

- مشعل السديري، فهد العريفي، عبدالله نور، محمد العلي، فهم سادة حرف (د) وغيره من الحروف.

(15) ومرمى من ستقذفها بعيداً عنه!

- عد وخربط من (الدايات!!).

(16) لو عطس أحدهم بجانبك تلاها "بحكة" سريعة. فماذا ستقول له؟

- أقوله له (أعد).

(17) هل صحيح أن 45% من سكان الخليج "كتّاب" و 48% منهم "شعراء" و7% أناس عاديين؟!!

- ليش الكتاب والشعراء مهم ناس؟!

(18) جمال المبرقعة.. أكان ممزوجاً بإذن صاغية؟!

- طبعاً وبعين وقلب وروح أيضاً.

(19) وماذا لو استبدلت البرقع الأصيل بآخر "استرتش"؟!

- عيب عليك!

(20) "آخر الذيابة" مع من ألف العيش الآن؟

- مع نفسه.

(21) الأقلام النسائية.. ماذا تقطر غير الحبر؟

- بعضها عسل وبعضها مكياج وبعضها لغو.

(22) قال لي أحد "البناشرة" إنه في يوم "رقع" رأس أحد الكتاب.. أهذا صحيح؟!

- وماذا كنت (تصلح) عنده؟!

(23) لو كان هناك حدث سريع وأردت الكتابة عنه في زاويتك ليوم غد، وتفاجأت بإعلان يحتل مساحة "الهذرولوجيا" فما الذي سينتابك؟

- الفرح.. لأن رئيس التحرير سيتمسك بي أكثر!!

(24) ما معنى: (هذر). وما معنى (لوجيا)؟

- هذر تعنى أسئلتك و(لوجيا) تعني فن السخرية!!

(25) كم عمر صورتك التي ترافق مقالاتك؟!

- منذ أن بدأت تهتم بها قبل الزاوية.

(26) ما علاقتك بالـ "بزنس"؟

- كعلاقتك بالصحافة.

(27) ما رأيك في "البنيوية"؟

- اسأل (المقاولين).

(28) كم صفراً في عام 2000م؟

- قل كم (صَفق) أحسن.

(29) عندما تقلب صفحات "المختلف" اليوم.. ألا تشعر بالندم لكونك أحد الذين "اقترفوا" إثم تأسيسها؟

- ليش ما نشروا لك قصيدة؟!

(30) وأينها عن مرحلة البدايات عندما كانت "المختلف" مختلفة حقاً؟

- تعني بعدما (اختلفت) معها لعدم النشر؟

(31) يتهاوشون.. يتراكلون... يتقاذفون بالتهم.. أي شعراء وأي هم هؤلاء الذين "غثتنا" بهم المطبوعات الشعبية؟!

- لا تقرأ تلك المطبوعات ولا (تغث) روحك.

(32) لماذا انفض المتحلقون حول تلك "المجلات"؟

- عندما سمعوا رأيك!

(33) نشـــم في "هذرولوجيا" رائحة البر و"حليب الخلفات" وتقرأ عن مدافع الميكرويف والبلازما ومســـرح العمليات المعلوماتي.. هل هؤلاء هم البدو إذا تثقفوا؟!

- إذا كان ذلك يزعجك. فليهدموا الفلل والمســـاكن الحديثة وليســـتبدلوها ببيوت الشعر شريطة أن تدفع لهم أجرة البلدوزرات وتؤمن لهم المضارب!

(34) عدت إلى "الرياض" المطبوعة والمدينة.. فأيهما كان يغالبك الحنين إليها؟

- كلاهما معاً ما دام في الأول (سـلمان) وفي الثانية (تركي السـديري)، وكلا (المكانين) برمزيهما يمثلان لي قيماً نبيلة كالقيم العظمى في الحياة مثل (الصـدق والكرم والشجاعة والشهامة).

(35) تعرفونهم، تعرفون "الدكاكين" التي يشـترون منها، ومع ذلك تلهيون أكفكم بالتصفيق والاعجاب لـ "ابداعهم".. كيف تفهكم؟

- كيف (افهم سؤالك. إن لم تقل لي من هم (لأصفق لك أنت الآخر اعجاباً بـ (وضوحك).

(36) تقول ليلى أحمد إنك تخجل من أسلوب احتفائها بك.. يقولون "إن اللي يستحي...."

- استح من هذا السؤال.

(37) لحظات الكسوف.. كيف استقبلتها؟

- أنا أعرف لحظات (الكسوف جيداً لذلك استقبلها بـ (الأحضان).

(38) "ونان" الإسعاف بماذا يذكرك؟

- بك. وانت (تزّن) على رأسي للإجابة على هذه الأسئلة:

(39) إذا نصـبت رئيسـاً لجمعية ما.. فماذا تود أن تكون اهتماماتها؟ أي جمعية تود أن تترأس؟

- جمعية الصم والبكم واهتماماتها عدم الانصات للأخبار العربية وعدم (الحكي) الفاضي.

(40) من ترشح لنيابتك؟

- أبو الهول.

(41) وبماذا تشترط على أعضائها؟

- استخدام الأيدي في الكلام.

(42) مجلس التعاون الخليجي لماذا لم يفعّل ثقافياً؟

- ولماذا لم (يفعل) في أمور أخرى؟!

(43) سليمان الفليح.. متى يكتب مذكراته؟

- شـرعت في كتابة السـيرة الذاتية والتي سـأقول فيها كل شـيء بلا خوف بلا خجل بلا مواربة وسأعرى زمني تماماً. ولتضف فيما بعد كيفما اتفق.

(44) الفضائيات إضافة لرصيد النكسة.. توافق أو لا توافق؟

- لا أوافق، فهي نتاج مرحلتها فقط وثورة الاتصالات والمعلومات والهوائيات وآمل ألا تصيبنا (نكسة) إعلامية أخرى نعلق على مشجبيها كل اخفاقاتنا.

(45) الصحافة في الكويت.. هل ما زالت تحت صدمة الغزو العراقي؟

- لا. ولكن (الطارئين) عليها ليس لديهم موضوع سوى الغزو، هذا الموضوع الذي (فرّخ) صحفيين بـــ (الكود) أو بـــــ (الأكوام) ولا يحسنون الكتابة عن موضــوع آخر، الأمر الذي عرقل مســيرة الصــحافة الكويتية كثيرا وصــرفها عن قضايا وطنية أهم. ثم إن هنالك (كتبة) يريدون أن تستمر معزوفة (اللطم) لأنهم لا يجيدون ســـوى (الولولة) والندب واســـتمرار (متاحة) الغزو لكي لا يتيحون (للمستبصرين) الخروج من هذا النفق المسدود.

(46) – ماذا أيضاً لوجدت أحدهم قد (لف) ساندويشا بتلك الزاوية؟

- أقول له احذر (القولون)!

(47) – في رسالة صوتية بـ "الآنسر ميشن" ماذا تقول لهؤلاء:

- فيصل القاسم: أنت شر لابد منه.

- طلال السعيد: الدنيا دواره و(المجلس) دورات.

- فهد عافت: الشعر، ثم الشعر ثم الشعر وغير ذلك قبض ريح.

- مسفر الدوسري: لم يعد لديّ ما اشتمك به زودني بآخر الشتائم لاشتمك.

- عبد السلام الهليل: أقرب مساحات الفرح لقرائي المتجهمين.

- بدرية البشر: قولي لقرائي إنني (ما ني فيه) اليوم. وسأفعل أنا ذلك مع قرائك واللي أوله شرط آخره نور.

(48) إذا كانت جميع الجهات تجهزت لمشـكلة عام 2000م، فهل تتوقع ان عبدالله بخيت تجاوز هذه المشكلة؟!

- الـ (بخيت) اللي تجاوز هذه المشكلة، وعبد الله يعرفها قبلك وعندي شهود.

(49) لماذا يبدأ الشعراء بـــــــ "المتمرد" في بداية حياتهم، ثم ينتهون إلى "العكس"؟

- لأن أجسادهم لم تعد تحتمل العراك: هُبّ للنزال!!

(50) ما هي علاقة الكتابة بسهر الليل؟

- لأن أغلب الكتاب إما عاشقون، أو لديهم نوبات حراسة أو (لصوص يسطون على (نصوص) غيرهم أو (دشير) ما يقضيهم ليل ولا نهار وهذا هو الأرجح!

(51) من يقرأ كل هذه المجلات.. "النبطية"؟

- الرقيب وحده.

(52) سليمان الفليح، هل تقبل بأن يكون قادمنا 500. 500!!

- (000. 000).

(53) لو كتبت مقالاً عن غازي القصيبي.. فما هو العنوان الذي ستختاره؟!

- لن اكتب عنه لكثرة ما يكتبون عنه، مع أنني أحبه.

(54) متى يصبح الفشل جميلاً؟!

- حينما يكون نتيجة (لدسيسة) تحاك ضد (غافل).

(55) سليمان الفليح.. مم يخاف؟!

- من ضاع الجيل الثاني من أولادي مثلما ضاع الجيل الأول!

(56) الشعراء يتبعهم الغاوون.. فمن الذي يتبع الشعراء الشعبيين؟

- الهاوون والخاوون.

(57) ألم تسأم من الكتابة في "الهم الشعري"؟

- لعم؟!

(58) لمن يكتب عبدالله يا جبير؟

- للقارئ العادي جداً.

(59) ماذا لو "دبلج" أحد الإنتاجات المحلية إلى المكسيكية أو البرازيلية؟!

- الدبلجة (دبل جيد) و (تعور) القلب أيضاً ولذا لا ترضاها للآخرين.

(60) هل يعلم "المفرفرون" بالتخصصي أن عاصمتهم "عاصمة الثقافة"؟

- (الفرفرة) إحدى ثقافات العولمة وش فيها؟!.

(61) ما رأيك بالقنوات.. "الحلوات"؟

- تبي تخرب أخلاقي؟! وبيتي أيضا!

(62) – أحياناً.. يغرز قلمك حبره في جسد الورق، ومع ذلك نجد النزف شاحباً وهزيلاً... فلماذا؟

– الجرح؟! آه من النزف واندلاق الدماء.. لو أن العالم بأسره يعيش حالة إبداعي عندما يبدأ النزف.. لربما أيقن الجميع أن قصيدتي التي تولد في متاهات نفسي وعلى قمم شرودي ليست إلا مدينة حزينة لا يعرفها المرفهون ولا الأثرياء.. قصيدتي قد تدعوني إلى البكاء أحياناً لأغسل به عوالق الحياة الملوثة في ذاتي.. وذلك لأستكين فيما بعد وألوذ إلى صمت طويل.

(63) – مطر البوح قد ينهمر في اجتياح العواصف على حقول مقربة إليك، فلى أي مدى تحتفل بالصداقات الحميمة؟

– إلى حد بعيد.. بعيد جداً.. قد يلمس شغاف القلب أو يتمركز في العين، العين.. تلك البلورية التي ترى أحياناً ما لا يراه غيري حتى وإن كانت زرقاء اليمامة.. اخاف الاتي بالصداقة صاحب جداً.. جداً. فأنا صديق وفي لزمن غدار.

(64) عندما تنسكب العتمة على أجوائك المتوهجة.. عادة كيف تستقبل الليل؟

- غالباً ما أشـــعل القناديل الزمنية في وحدتي الملبدة بســـحب من العتمة، بصوت طلال مداح وعبد الكريم عبد القادر.. وأحياناً أمزق السكون من حولي بصـوت فيروز وكذلك سـعدون جابر وناظم الغزالي.. ومع هذا يبقى الليل على شـــواطئ عـالم مخملي بـديع.. مطرز بإشـــراقـات النفس.. وتألق الاطيـاف الحميمية.. نعم.. أنا أيضاً.. صديق وفي لليل.

(65) قال التاريخ: جلبت لك صفحة لتدلق عليها حصيلة تجربتك، على مرمى هذا النصح ماذا يمكن أن تكتب؟

- تاريخنا الشـــامخ لوث بعض أوراقه عبث المغول والتتار.. ولكن صـــفحاته الخرافية الإبداع ما زالت منقوشـــة بروعة العطاءات الخاصـــة بالمتنبي وأبي فراس الحمداني ومجنون ليلى وغيرهم.. وأنا إذا ما قدر لي أن اترك بصـــمة على واجهة إحدى الصـفحات التاريخية.. فلا شـيء في خاطري سـيهتف مثل عبارة "أيها الشرفاء عبر الزمان.. أنا عبدالله السويدان العنزي.. فأين أنتم مني.. وهل سمعتم عني كما سمعت أنا بكم؟!"

(66) حدثنا عن الآخر الذي يســـكنك.. ويرقبك من وراء أســـوارك الشاهقة!

- هل تظنين حقاً بأن أسـوراي شـاهقة.. لا.. لا أعتقد.. بعد كل هذه الانطلاقات والعبثيّة لا أجد فواصـل بيني وبين العالم الذي أعيش بين جنباته رغم رفضي لمهاتراته المتناقضة أحياناً.. صدقيني.. لا أقدر على البوح أكثر من ذلك..

(67) فهل علمت يوماً بأن الشعراء جبناء!..

- إذن أنا أولهم..

(68) أي الأقلام الإبداعية الشعبية استطاع أن يزهر بورد الانبهار بين جوانحك؟

- إذا كنت تقصدين الإبداع الشعري، فلا أجد أفضل من قصائد الأمير الشاب سعود بن عبد الله وكذلك سليمان المانع، أما على صعيد الشعر والكتابة معاً.. فإني أجد في قلم الشاعرة موضي الرشيد.. ما يبشر بالتميز والجمال حيث أراها شاعرة حقيقية لا يشق لها غبار.

(69) الآتي من الأيام.. ما هي خططك وإنجازاتك الملونة بالإبداع لتشكيل ملامحه؟

– الآتي في المستقبل لا يعلمه إلا الله، غير أنني منذ سنوات صنعت حلماً لطموحي وأحاول أن أجد له مخرجاً على أرض الواقع، وحلمي يتجسد بتأسيس منتدى للشباب في شرق الرياض وذلك حتى يتسنى لنا مشاركة الوطن بجميع مناسباته من خلال تخطيط جيد ومدروس، ولكن مشروع كهذا ما زال ينقصه الكثير وكذلك ينقصه الممول، ولعلى الآن انتهز الفرصة وأرمي بأوراقي وتصوراتي على مكتب الشيخ زيد المليحي، لأنني أظن بأن أبناء وشباب المناطق الشرقية ما هي إلا أمانة في عنقي...!

(70) كلما اختل ميزان العصر، تكومت الخطى الواهنة على الدروب الشائكة. فإلى المتعثرين ماذا تقول؟

– ابتسموا.. فأنا أكثركم تعثراً، لكنني ما زلت ضمن نطاق الأحياء، أجل أيها الأعزاء.. علينا أن نخلع عباءة الانهزامية ونلقيها بعيداً كي نتحرر من ظلالها الداكنة، اصمدوا.. فهي ليست إلا خطوات قليلة.. ومع الإصرار.. سنخرج حتماً من هذه الدائرة اللعينة.. ثقوا بي.. قليل من الجهد فقط.. وسنصل إلى الهدف المنشود.

(71) عبارة أخرى كنت تود قولها للشعراء في هذا العصر الزاخم بالتناقضات..!

- الأيام كفيلة بإذابة القشور وإظهار الجوهر، والأضواء ليست كافية لتحجب عن البعض منا زيف إبداعه.. والتناقض وحده ما أوجد تلك الفجوة بين الشعراء المبدعين، لكن ليست هكذا تكون النهاية، فحين نقوم بغربلة الإبداعات الحقيقية من الإبداعات الطفيلية الدخيلة.. وعندما تسقط الأقنعة عن وجوه بعض القائمين على النشر.. هنالك سنبدو شعراء حقيقيين.. شعراء بلا سقطات أو زلات...!

***

(26)

الْحِوَارُ السَّادِسُ وَالْعِشْرُونَ:

الْحِوَارُ السَّادِسُ وَالْعِشْرُونَ

"عن رسوم متحركة ومع سليمان الفليح"

قراءة وحوار: علي الصافي (241)

ترتبط قصيدة سليمان الفليّح بمناخ بيئي واحد تبرز فيه المفردة الصحراوية، وهو لا يبتعد كثيرًا إلا ليذهب إلى البحر. تجربته هذه المرة تبدو مختلفة نوعًا ما نسبةً لما طرحه سابقًا، إذ غيّب الفليّح ملامح قصيدته السابقة وطرح رسمات كاريكاتورية لفظية جريئة في الفكرة والمضمون، أطلق عليها اسم "رسوم متحركة". قد يشي هذا العنوان بالصيغة الكاريكاتورية للمجموعة، وكان الشاعر يهنئ المتلقي نفسيًا لاستقبال النص الكوميدي واللغة الساخرة، بالإيحاء من خلال عنوان المجموعة التي احتوت على (21) قصيدة ساخرة في (62) صفحة من القطع الصغير المربع، والتي صمم غلافها ليلي سيد موسى، وصدرت عن دار قرطاس للنشر والتوزيع.

الحيوان – الانسان:

(241) – جريدة الأنباء "محتمل أن تكون" في 1996م

تبدو رسوم الفليّح، التي اتخذت شكل نصوص بسيطة تسير باتجاه الشعر برؤية عميقة، كأنها، بنصوصها ذاتها، قد صارت عبارة عن كائنات ذكية: مخادعة، خبيثة، غبية، طيبة، كريمة، طموحة، وربما مثقفة ومواكبة للهم الاجتماعي والسياسي اليومي. وهي تمامًا كأناس يعيشون بيننا، يفكرون معنا، يقتسمون الأفراح والأحزان، ويحملون وجهات نظر مختلفة، وينتقدون أوضاعنا نقدًا لاذعًا. الفليّح في هذه المجموعة الجديدة يهدف أيضًا إلى "إنسانة الحيوان"، إذ يضفي على الكائنات الحيوانية صفات إنسانية وتجسيدات شكلية تمثل البشر، فتأتي الحيوانات بسلوكيات بشرية، والعكس أيضًا، كما جاء في قصيدة "اللخمة" (ص ٥١).

"عاهرة تجر ذيلها الطويل

تطل ثم تختفي تحت رمال القاع

عصية وسهلة الإيقاع

لكنها قاتلة

ان لم تزل شوكتها ليسهل

الجماع "

الاسقاطات الرمزية:

للوهلة الأولى، تبدو موضوعات القصائد هامشية، لأنها تتحدث عن كائنات حيوانية ليس لها أدنى تأثير، بل إن بعضًا منها ليس على قدر كبير من الشهرة في المجتمع الإنساني، إلا أنها قد تكون في مجتمعها الحيواني نجومًا، قادرة على النقد والاعتراض والتغيير لكل الأوضاع المأساوية مثل: الورل، الرعاش، الشريب، الويش. وهذا ما نجح فيه الفليح، حيث كشفت القصائد من خلال رصد البيئة والمجتمع عن واقع مأساوي متكئ على الإسقاطات الرمزية واللغة الساخرة. ولارتباط الفليح بالبيئة الصحراوية التي أمنت له قاموسًا صحراويًا، فقد جاءت أغلب عناوين ولغة النصوص صحراوية مثل: السلوقي، الخروف، السخلة، الجمل، الحرباء، الضبع، السبع، في حين كانت البقية الباقية أكثر ارتباطًا بالبحر مثل: الخثاق، الفريالة، الموقعة، اللخمة، الرعاش. فإنسانة الحيوانات لم تُطبق على الكائنات البرية التي تحدث عنها الفليح في مجموعته السابقة، لكنها اتجهت نحو الكائنات البحرية أيضًا. فجاء مناخ المجموعة الشعرية هذه المرة صحراويًا – بحريًا، بلغة بسيطة واضحة تنهل من الذاكرة القريبة، لكنها لا تغرق فيها، بل تتجه نحو صيغة فنية معينة بإيقاع قريب من إيقاع الهم اليومي.

عامية وصحراء:

في إصـــداراته الســـابقة، مثل الغناء في صـــحراء الألم (1979)، وأحزان البدو الرحل (1981)، وذئاب الليالي (1993)، لم يبتعد الشاعر الفليح عن المفردة الصحراوية التي تبرز تجليات الصحراء بكل حالاتها، غير أنه في رسوم متحركة يدخل إلى القصيدة مناخًا جديدًا، ويحرك رسوماته الكاريكاتورية شاهداً وناقدًا للواقع اليومي، في طرح جديد جريء إلى حد ما، مغاير لما طرح ســـابقًا، يســـتخدم فيه أحيانًا الكلمة العامية كما في قصـــيدة "كلب" (ص 25)، إذ يختتمها بكلمة "جب"، وهي كلمة عامية كويتية تعني "اخرس".

"رجل هش القلب
ينبح كي يبدو صلب
يتقن هز الذيل
ونقل القيل
وسوء النية والكذب
والرجل الكلب
يشليه السيد كي ينبح
يخرس إذ ينهره جب"

على كل حال، ومن أجل اســتكشــاف مدى اختلاف هذه المجموعة عن سابقاتها، وعما إذا كان الفليح يهدف إلى طرح مغاير لتجربته من خلال رسوم متحركة، المجموعة الشعرية الجديدة التي ستصـدر قريبًا... من أجل ذلك أجرينا معه هذا الحوار، وهنا نصه:

(1) في مجموعتك الجديدة، ظهر الفليح الذي نعرفه بطرح جديد نوعًا ما، يختلف عما طرحه ســابقًا. هل هناك تغييب لملامح قصــيدتك، ســواء في المضامين أو في ملامح أخرى؟

- هذا الطرح ليس جديدًا بل عتيقٌ، ولم أســتطع الفكاك من أســره، ولو أنني حاولت كثيرًا. أما حكاية تغييب الملامح، فإني لم أغبها كليًا، وقد قربتها كثيرًا من وجه القارئ بشــكل أكثر مباشــرة ووضــوحًا، لأن هذه القصــائد وظروفها كانت تحتاج هذا الوضــوح والتقريب. أما في قصــائدي المقبلة، أقصــد الديوان الجاهز "الرعاة على مشــارف الفجر"، فســترى لغةً وطرحًا جديدين ربما يختلفان عن كل تجربتي السابقة، كيفما اتفق.

(2) طرحـك في هـذا الـديوان رســوم متحركـة، وإن كـان جريئًـا، إلا أنه لم يهتم بقنيات القصيدة؟

- أنا معك على طول الخط بطرحك هذا، لأن هذه القصائد مصنوعة، بل قل هي نظم خالص لفكرة فنتازية، لذلك كتبتها كيفما اتفق... المهم كان عندي الإيقاع والفكرة، ولم أهتم بشعرية النص ولا بالحالة الشعرية أيضًا.

(3) ارتباطك بالمفردة الصحراوية يرجع إلى أنك لم تتخلص من أسر المكان والمناخ الذين أثّرا على مجموعتك الأولى؟

- آه... من يخلصـــني من لعنة هذه المفردة التي تطاردني حتى في أعماق البحر وفي قمة ضـــجيج المدن؟ صـــدقني، إنني أتمنى التخلص منها خوفًا من نمطية التكرار، ولكنني أحسّ أنها تلبسني كصوتي وكهيئتي. فمن يستطيع التخلص من هيئته؟ صـحيح، لقد غادرت تلك المناخات، ولكنها لم تغادرني. فهل بمقدوري أن أمحو ذاكرتي المنبسـطة كالصـحراء، وأزرعها مدنًا هائلة تشـقّ عماراتها عنان السماء؟ ذلك ما أحاول.

(4) في ديوانك الثالث "ذئاب الليالي"، ظهرت قصيدة "الحرب" ثم اختفت، بل إنك في أزمة الاحتلال كنت تكتب يوميًا في مدينة الرياض مقالة إبداعية، ولكنها تتحدث عن الاحتلال والأزمة والتحرير. فهل خضـــع الشـــاعر للموضوع، أم أن الموضوع أخضع الشاعرية؟

– في الأزمات الوطنية، أو حينما يتعرض الوطن للخطر، لا بد أن تتحول إلى مقاتل مهما كنت، وتستخدم جميع الأسلحة المتاحة. فالمقاتل يحسن استعمال البندقية، والشاعر يحسن إتقان القصيدة، والكاتب يحسن إتقان المقالة. هذه ضرورات الحرب. فإذا كنت تتقن كل هذه الأدوات، فعليك استعمالها جميعًا لتقاتل في سبيل تحرير الوطن. تمامًا كما لو كنت تتشاجر أو تشتبك مع شخص في الطريق، فلا بد أن تستعمل العصا والحجر والرجلين واليدين والأسنان والسباب أيضًا، لأنك في تلك اللحظة لن ينقذك كونك أديبًا أو مليونيرًا أو أخلاقيًا أو حتى مسالمًا، فهو سيقتلك لا محالة في كل الحالات. أي أن عليك أن تكون مهاجمًا ومدافعًا في آن واحد. لذلك كنت أؤرخ لتلك المرحلة وأصف الحالة العامة بأقصى صدق، وهكذا علمني الشعر أن أكون صادقًا معه، فيصدق معي.

(5) المطلع على ديوانك "الرعاة" يلمح جنوحك إلى وصف الطبيعة والقصائد الذاتية، وليس مطلوبًا منك أن تبرر، ولكن لماذا الطبيعة؟

– قد أن للقلب الجريح أن يستريح كما يقول نجيب سرور، وأنا ألا يحق لي أن أتغنى بالأزهار، وأرمم القلب بالعواطف الجديدة، وأن أستمتع بالموسيقى، وأن آكل بشكل جيد، وأن أنام بشكل جيد، وأحلم بشكل جيد، وأن أخمد كل

الزوابع والأعاصير في هذه الروح الضاجة؟ أي أنني أريد أن أحب الخليقة كلها بهدوء تام.

(6) مجموعتك الجديدة التي تستعد لطبعها.. ما سماتها؟ وهل ستكون طرحاً مغايراً لما سبق؟

– أعتقد أن مجموعتي الجديدة "الرعاة على مشارف الفجر" تختلف اختلافًا كليًا عن كل ما سبق، من حيث المضمون والشكل. ففيها أجواء غريبة لم تعهدها قصائدي من قبل، وفيها موسيقى ساكنة، وأحيانًا لا موسيقى إطلاقًا، وفيها الكثير من قصيدة النثر، والقليل جدًا من قصيدة التفعيلة. ولكنني أجزم أنها تجربة مختلفة تمامًا، ولا تشبهها أية تجربة لأي شاعر آخر، حتى ولا تجربتي الشعرية، ولا حتى الشخصية. إن في ذلك الديوان مناخات شعرية، أو بالأحرى كونًا شعريًا شاملًا لا أعرف حتى أنا سره، وأنا بحاجة إلى قراءته مرة أخرى، وذلك لأنني حين كتبته كنت مستسلمًا لسطوة التهويمة الكلية.

***

(27)

الْحِوَارُ السَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ:

الْحِوَارُ السَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ

تكريم سليمان الفليّح (السيرة، شهادات بعض الأصدقاء)

عندما شــرعنا في تكريم الرمز ســليمان الفليّح، لم تكن الفكرة وليدة اللحظة. فسليمان الفليّح شاعر وأديب وصحفي أثْرى الساحة الأدبية العربية، والتراث، والصحافة، بكل ما هو جميل ومورق ومخضّر. فكان من الواجب تكريمه. لذلك قامت مجلة أصداف بتكريم الشاعر سليمان الفليّح، بحضور لفيف من الشعراء والإعلاميين. وقد قام الشـــيخ محمد البراهيم بتقديم الدرع التذكاري في نهاية الحفل، جريًا على عادة أصــداف. وعندما طلبنا من ضــيفنا الكريم إجراء حوار عن سيرته الذاتية، قال: "إنني سوف أتحدث عنها بلا أسئلة... فأنتم تستحقون بهذه اللفتة الكريمة ما لا يستحقه غيركم." فشرع ضيفنا بالقول:

حاوره: عايد الخالد (242)

بطاقة:

- الاسم: سليمان فليح لافي العنزي
- الحياة الاجتماعية: أب لـ (12) وجد لـ (2)

---

(242) – مجلة أصداف مايو 1999م

- المستوى العلمي: (متوسط)
- العمر: متقاعد (47) عاماً ولربما أكثر
- الاصدارات:
- الغناء في صحراء الالم – شعر- 1979
- أحزان البدو الرحل – شعر – 1981
- ذئاب الليالي – شعر – 1992
- الرعاة على مشارف الفجر – شعر – 1996
- رسوم متحركة – شعر – 1996
- ايكولوجيا البداوة – دراسة قيد الطبع
- الصعاليك – دراسة قيد الطبع – مثلث الملتهب – رواية – ضاعت في الغزو ووجدتها مؤخراً.

(1) – الفليح في تكريمه لـ أطياف:

ذات سنواتٍ عجاف من عمر الدهر، أعتقد أنها تقع في مطلع الخمسينيات الميلادية، أتذكر أنني كنت طفلًا ناحلًا، أجري حافيَ القدمين، مسرود الثوب

حتى أعلى السـرّة، خلف جمالٍ عجفاء، أعتقد أنها آخر ما تبقى لأهلي من سنوات الجفاف والموت وارتحال العشيرة نحو فيافي المستقبل المأمولة بالأمطار.

آنذاك عرفتُ كيف تكون الطفولة الجائعة البائسة، التي تجد نفسها هلعة أمام فكّ غول الحياة الرهيب، الذي يبتلع كل أملٍ بالخصب والنماء، وإعادة تشكُّل قطعان القبيلة (العنزية) التي كانت تغطي الأفق، وهي تمارس ترحالها المتواتر في شمال الجزيرة وأطراف الحماد، وحتى تخوم قرى لا أتذكرها الآن، لكن أضـواءها الواهنة في الليل كانت تترسب في ذاكرتي الطفولية كأنها أنجمٌ تجري على الأرض، أو أشجارٌ تهرول في السراب.

آنذاك أُصيب العديد من أفراد عشيرتي بأمراض المحل والفقر، فمنهم من مات ودُفن في صحارٍ شتى، ومنهم من قاده القدر إلى عواصم فاغرة الأفواه، مزّقت وحدة العشيرة التي عاد أغلبها إلى موطنها الأصلي (نجد). أما بالنسبة لي، فإنني حقيقةً لا أعرف تحديدًا في أية بقعة من الصحراء وُلدت، ولا أعرف أيضًا تاريخ ميلادي بالضبط، لأنني حتى الآن لا أحمل شهادة ميلاد تؤكد -على الأقل- تاريخ مولد هذا الكائن الصحراوي الغريب الذي اسمه "سليمان بن فليّح العنزي".

لكنني أعرف أنه بعد وفاة أبي بمرض السُّـــل، وتزويج أمي من رجل آخر من عشـــيرة أخرى، تبنّاني خالي الذي أدين له بالفضـــل الكبير، وأعتبره والدي الحقيقي، لأنه هو من شـكّل ملامح شـخصـيتي الأولى. أطال الله عمره، فهو شـخصـية فذّة، يحبها الجميع. المهم، أنه وقبل أن "يخطّ شـاربي" —كما يقول أهلنا البدو — انحدرت إلى مشـــارف مدينة الكويت، وتوزع الأهل هنا وهناك، وسـكنت في "عشـة" أو "صـندقة" في منطقة الشـدادية، وذلك بعد أن طوت القبيلة بيوت الشـــعر وخيام الترحال، وإنْ كان جزء منها، وإلى يومنا هذا، لا يزال يمـارس الترحـال في أنحـاء المملكـة كبـدوٍ ورُحّـل حقيقيين.... المهم، أنني حـاولـت الالتحـاق بالجندية في الجيش الكويتي، الـذي أدين لـه بحيـاتي كلهـا، ولكنني ســقطت في محاولة القبول الأولى، وذلك لهزالي الشـــديد. ولكي أكون منصفًا، كانت الجندية على حق، لأن الريح كانت تطوّحني ذات الشمال وذات اليمين حين أمشي، من شدة الهزال! لقد كنت أختزن بؤس وفقر وشحوب كل الأعوام العجاف، التي أبادت قطعان القبيلة وبعض أناسـها الطيبين... ثم اعتنى بي رجلٌ فاضـــل، لا زلت أدين له بالفضـــل الكبير إلى اليوم، وذلك بالتغذية الجيدة! وكأنني حصـانٌ سـأدخل السـباق في العام المقبل — أي لأدخل ثانيةً الجندية، لأنها كانت الســبيل المتاح للعيش في تلك الأيام، وأقصـــد أوائل

الســـتينيات حتى أوائل الســـبعينيات. ثم التحقت في المحاولة الأخرى بالجيش الكويتي، وأصبحت جنديًا أرتدي شعار الوطن الأول بعد الصحراء.

(2) – الشعر النبطي الساخر

آنذاك، وبما أحمله في داخلي من سخرية من مرارة الأيام، وكما كنتُ أسخر في مضارب القبيلة من الرعاة، كنتُ أسخر من الضباط والجنود. وعرفتُ سلاطة الشعر وسطوته على الناس، فحوكمتُ محاكمة شديدة نظير سخريتي من أحد الضباط. ثم سمع بأمر المحاكمة ضابط فلسطيني كان يعمل مقدماً في الجيش الكويتي، وكان يتصف بالحكمة، واسمه "وجيه المدني" – رحمه الله – وكان في طور تشكيل فرع "التوجيه المعنوي" في الجيش الكويتي. وحين سمع "المهجوه"، كاد أن يستلقي على قفاه من الضحك، وأنقذني من المحاكمة. ثم قال لي: أريد أن أنقلك للعمل معي في تشكيل التوجيه المعنوي. ولكنني، بكل وقاحة – ولا زلت نادماً عليها – قلت له: "لا يشرفني أن أعمل مع رجل ترك النضال من أجل قضيته ليستمتع بالرتبة والنجوم". وكان – رحمه الله – قد ترك تأسيس جيش التحرير الفلسطيني في عهد أحمد الشقيري، قبل ياسر عرفات، وعاد إلى الكويت. ساعتها غضب الرجل كثيراً، وقال لي بالحرف الواحد: "اسمع يا بُني، كل العرب يتاجرون بالقضية، وكل السياسيين يكذبون على شباب الأمة

مثلك، فليس لديهم نية للتحرير (ولا بطيخ). وسيوقع الجميع على الاعتراف بإسرائيل... وستذكر ذلك يوماً ما!" وبالفعل، صدق المرحوم أبو طلعت. حينها، وقف بشموخ ليصافحني على هذا الموقف، وأكد تمسكه بي، ثم نقلني إليه، وقال: "سأصنع منك صحفياً كبيراً، شريطة أن لا تنسى عمك وجيه حين تصبح مشهوراً." ثم وضعني في مكتب اسمه "الصحافة"، تأتي إليه كل الجرائد، وكان عليَّ أن أقرأها كلها، وأقص له قصاصات الورق التي تتعلق بالجيش والأسلحة والدفاع، تماماً كما يفعل رجال العلاقات العامة هذه الأيام.

(3) – تشكلات الثقافة:

كان هذا المكتب هو نافذتي على الثقافة والاهتمام بالقراءة، وبدأت أقرأ – من خلال واجبي الوظيفي – موضوعاتٍ ومقالاتٍ لا طاقة لي بها، وبذلك أصبحت شغوفًا بالقراءة والاطلاع. ثم أدخلني – رحمه الله – إلى دورة صحفية في جريدة السياسة، التي أبديت فيها نشاطًا ملحوظًا قبل بدء التدريب. ولا أكتمكم سرًّا: كنتُ أكثر اطلاعًا وحسًّا صحفيًا من مدربي الصحفي المصري، الذي كان أحد أشهر صحفيي أخبار اليوم، لدرجة أنه قال لي: "هل أنت المتدرب أم أنا؟" فكرهتُ التدريب الكاذب، واتخذتُ لي زاوية ساخرة بالشعر النبطي قدّمتها إلى رئيس التحرير، وكانت تحت عنوان: «مخاريز» يكتبها مخراز،

وربما كانت هي أول شعر شعبي يُكتب في جريدة يومية في الصحافة الكويتية. ثم سرعان ما نقلني الأستاذ أحمد الجار الله إلى الصفحة الأخيرة، وكانت قفزة هائلة لي لم يحققها أي كاتب في تلك الأيام. وهنا سيطرتُ على روح "الأستذة"، وغيّرت "مخاريز" النبطية إلى زاوية يومية باسم «هذرلوجيا»، التي لا تزال ترافقني حتى اليوم، وذلك لما أحدثته من وقع هائل في الصحافة الكويتية، بأسلوبها الغريب، وطرحها الجاد، ولغتها الجديدة. والغريب أن أحمد الجار الله هو رئيس التحرير الوحيد الذي كنا "نشتمه" في الصفحة الأخيرة، ويشتمنا على الأولى!

(4) – أنا والشعر الحديث:

أقول لكم من خلال واجبي على الاطلاع على الصحف في أوائل السبعينيات اصطدمت رأساً بموجة الحداثة (محمود درويش سعدي يوسف، البياتي، توفيق زياد، سميح القاسم، بلند الحيدري والخ) وكنت أحب كثيراً أن أقرأ لهذه الأسماء وأتابع مقابلاتهم، هذا عدا شعراء الكويت: خالد سعود الزيد، الوقيان، والعديد من الشعراء الفلسطينيين المقيمين في الكويت. وكنت أحمل قصاصات مقابلاتهم وأشعارهم لأقرأها في "عشتي" في منطقة الشدادية وكنت الوحيد بين أبناء عشيرتي الذي كان يحمل جريدة في تلك الأيام. صحيح أنني كنت شاعراً نبطياً

صغيراً في مجتمع عشيرتي لكنني أعتبر آنذاك كاتباً شهيراً في الكويت، في الوقت الذي لا تقرأ فيه عشـــيرتي ما اكتب في الجرائد، لأن الأمية كانت متفشـــية في تلك الأيام وكما كنت كاتباً كبيراً كما كنت أظن، كنت اطمح أن أكون شـاعراً كبيراً في المجتمع، لا شـاعراً صـغيراً مغموراً في وسـط عشـيرتي التي لم تكن تعرف شـيئاً عن متغيرات الحياة. نسيت أن أقول لكم: إن أول قصـيدة نشـرتها كانت بمحض الصـدفة في بداية السـبعينيات ونسـيت أن أقول لكم عن ذلك الشـاعر الذي جعلني أمزق ديواني الأول لأنه قال لي لن تصـبح شـاعراً واكتشـفت أنه ليس شـــاعراً حينما دخلت لأول مرة الى رابطة الأدباء، وذلك لأن أحد الأصدقاء عرّفني الى شاعر كبير في السن وله ديوان. فعرضت شعري عليه وهو الذي رفضـني ورفض حتى مسـتقبلي الشـعري، ولكنني ذات صـدفة وفي بداية التدريب في السـياسـة وكنت اعتبر جميع المحررين سـخفاء فارغين باسـتثناء المحرر الثقافي، لأنه كان شـاعراً عربياً معروفاً اسمه فيصـل السـعد وذات يوم طلب مني فيصـل ما أحفظ من الشـعر القديم ليسـد فراغاً في الصـفحة الثقافية فقدمت له قصيدتي (توجسات في الزمن الفاسـد) التي استحضرتها من الذاكرة ومن دفتري الذي مزقته بناء على رأي الشـــاعر الذي كشـــفت ضـــآلته الأيام وحينما اطلع فيصـــل على القصـــيدة هب كالملدوغ وقال لي: من أين "بقتها" أي ســـرقتها؟

فقلت له لدي الكثير مثلها ولكنني قمت بتمزيقها جميعاً برأي من الشـــاعر (فلان) وهنا صـــرخ فيصـــل بلهجته العراقية "ولك هذا مخبل!" وحمل فيصـــل قصـيدتي الى رابطة الأدباء وقدمها الى الشـاعر الكبير خالد سـعود الزيد الذي كان رئيســـاً لرابطة الأدباء الكويتيين وكان احتفاله كبيراً بي وقرر اشـــراكي في أمسـية خاصـة برابطة الأدباء ليقدمني لأول مرة الى جمهور اسـتمر في التصـفيق لأكثر من عشر دقائق وقوفاً بعد الانتهاء!!"

ومنذ ذلك اليوم توالت الكتابات الصـــحفية وإصـــدار الدواوين وبشـــكل تصـــاعدي جميل يوافق المرحلة ومتطلباتها الاجتماعية فأصـــدرت أولاً ديوان: "الغناء في صـحراء الألم، الذي أحدث "هوجة" نقدية لم تهدأ الى سـنوات وكان أن ترجم الى الانجليزية والفرنسـية والروسـية والصـربوكرواتية وكان ذلك في أواخر السـبعينيات حيث بدأت النزعة الطاغية للصـعلكة والتسـكع في المدائن العربية مثل بيروت ودمشـق والقاهرة فأصـدرنا مجموعة من الصـعاليك مجلة "الرصـيف" وكنا مجموعة مختلفة من الشـعراء من مختلف الجنسـيات العربية منا الفلسـطيني واللبناني والسـوري والعراقي والخليجي وكانت هذه المجلة تطبع بثمن بخس وتوزع كالخبز على أبواب الأفران وكان مقرها "الرصـيف" ومكاتبها المقاهي الرخيصـة ويصدرها صعاليك ضجت بهم المدينة، فمنهم من مات في الحرب اللبنانية وهو

يوزعها ومنهم من اعتقله الإسرائيليون أثناء الاجتياح ومنهم من مات في اليمن تمزيقاً بالخناجر، فعلي فودة الفلسطيني ضربته شظية قطعت ذراعه وهو يوزعها والقيت جثته في ثلاجة الموتى ولما صحا أخذ يطرق الثلاجة وفي اليوم الثاني قرأ نعيه في الصحف ومات. أما "أبوروزاوولف" فقد رفض أن ينتظم في طابور الاعتقال الاسرائيلي لكونه شاعراً حراً فكان أن "خرط" به الجندي الاسرائيلي شرشوراً كاملاً من الرصاص. أما "غيلان" العراقي فقد انتقل مع بعض الفصائل الفلسطينية الى اليمن ولحق امرأة الى قرية نائية ومات طعناً بالخناجر وهكذا انتهت اول مجلة للصعاليك في الوطن العربي بهذه الصورة المأساوية. أما أنا فكنت الذي اجمع لهم اشتراكات المجلة من الناس والمثقفين وكنت مسئولاً عن إعداد ملف "شعراء الخليج" وقد ضاق بنا المثقفون الرسميون ورفضت أن تنشر لنا الكثير من الصحف لأننا "زعاطيط" كنا نصر على نشر النص كاملاً بكل ما فيه من (حرتقات) وكنا نشتم الشعراء "المكرسين" الكبار ولا نستثنى أحداً.

وكان جُلّ تركيزنا الثقافي على استلهام تراث الصعاليك وإعادة الاستفادة من تاريخهم الجميل ولذلك عرفت "بالصعلوك" الذي كتب عنه الكثير من الدراسات والرسائل الجامعية وصادقت أكبر وأكثر مثقفي العالم العربي ولربما شخصيات العالم الثقافية مثل "جان جيثيه" و"ريتسوس" و"كتيارو" وآخرون

وآخرون، أما الصـــعاليك العرب الكبار فكانوا عبد الرحمن الخميس، محمود السعدني "نجيب سرور، فتحي سعيد، أمل دنقل، الصادق النيهوم، عبد الاله الحصيري، حسين مردان وآخرون وآخرون.

(5) – يسقط الرئيس:

وأذكر أننا كنا مجموعة من الصعاليك في القاهرة نسهر على شاطئ النيل وكان مما أذكر معنا فتحي سـعيد ونجيب سـرور، ومحمد جاد وأمل دنقل وسـعدي يوسف ولربما ممدوح عدوان وكان الرئيس السنغالي الشاعر "سنغور" في القاهرة، وفجأة تسلل من الضيافة المخصصة له والتحق ليسهر مع الصعاليك كما يليق بشـاعر وحينما طال السـهر حملناه على الاكتاف ونحن نهتف يسـقط الرئيس فتصدت لنا مجموعة من الجنود فقلنا إننا نقصد رئيسنا لا رئيسكم "السادات" وأخذنا نشير الى "سنغور" الشاعر الرئيس المحمول على أكتاف الصعاليك وكنا نحبه كثيراً لأنه هو الرئيس الوحيد الذي ترجل عن كرسي الحكم ليتفرغ للشعر!!

في مطلع الثمانينيات عصـفت بي ظروف اجتماعية وعملية هائلة ومارسـت عزلة ذريعة في الصـحراء أي عدت الى بداوتي الاولى وذلك لكي اتفرغ الى رعي الغنم ونسيان كل ما يمت للثقافة بصلة واصبحت اكتب الشعر النبطي الخالص القديم واشـــتم كل ماله علاقة بالأدب والفن والفكر والإبداع وفي هذه الفترة

اغتسلت روحي تماماً من شوائب المدن وحواريها الخلفية الضيقة والممارسات الفوضوية القاتلة. ولم تكد تمر سنتان على هذه الحالة الا وقد تعرفت على الصديق الشاعر والكاتب الساخر "صلاح الساير" الذي كان يمارس هو الآخر عزلة هائلة وهنالك شكلنا فريقاً ثنائياً لنرحل طوال فصلي الشتاء والربيع الى الصحراء لنضرب خيامنا هناك ونتقطع لأيام عن المدينة لنتحاور مع الطبيعة، نكتب ونمارس هواية الصيد وتربية الحيوانات الاليفة ودراسة طبيعة الصحراء واعشابها ونكون علاقة وطيدة مع رعاة الأغنام. وكنت خلال هذا الموسم بمثابة "القائد البري" للفريق الذي ينضم له بعض الأصدقاء الطارئين الذين يمكثون ليوم أو يومين لا أكثر، وكانت تلاحقنا الصحف والإذاعة والتلفزيون لإجراء حوارات حية معنا في عالمنا النائي بل لا أكتمكم سراً أننا كنا نهرب عن ملاحقة المعجبات المجنونات وننزح حتى عن المخيم بعيداً عند رعاة الاغنام وكان لدى صلاح صقرٌ أعور وحصانٌ أعرج وكلبٌ أخرس!!

أما في فصل الصيف فيتولى صلاح القيادة ونمتطي زروقاً بحرياً "طراداً" وتوغل الى جزيرة نائية في الخليج اسمها "كبر" وتكون إقامتنا هناك، حيث يلحقنا بعض الصعاليك وكنا نمنع الشباب الذين يعرفوننا من الرسو في الجزيرة الا لنأخذ "هكذا مزحاً" ضريبة الرسو وكانوا يتقبلون ذلك بروح مرحة، أما الضريبة فهي لا

تعدو عن كونها وجبة أسماك لا أكثر أو ما يقابلها من المواد.. وأذكر أنني كنت أحرس شاطئ الجزيرة فرسى "يخت" كبير فتقدمت اليه بانتظار الغنيمة ولكنني فوجئت بأسدين هائلين يخرجان من اليخت يقودهما رجل متجهم يرتدي النظارات فوليت القرار وأخذ يسخر مني الاصدقاء الصعاليك الذين سموني "قرصان البر الكبير" ولكن ما ان نزل الرجل حتى عرفنا انه المرحوم الشيخ فهد الأحمد الذي جاء للسلام علينا وحينما أخبرناه بمهمتنا الابتزازية قرر – رحمه الله – أن لا يكون أحسن من المواطنين الآخرين وعليه أداء الضريبة التي كانت بمثابة غنيمة كبيرة للصعاليك وقرر أن يجلس معنا ولكننا اشترطنا عليه إبعاد الأسود الأليفة التي يحملها معه في البخت وأذعن لهذا الطلب العجيب وكان كل ذلك يتم بروح "الغشمرة" والمزاح لأن المرحوم كان شجاعا لايهاب ولكنه احترم فكرتنا الغربية المجنونة وقرر أن يرسل لنا "الضريبة" كلما عبر بالجزيرة طائعاً ليس مكرهاً احتراماً لإبداعنا وجنوننا الغريب ثم شكلنا من "عندياتنا" جمعية لحماية البيئة في الجزر وقمنا بتصوير فيلم "بكاء النوارس" الذي حاز على الجائزة الاولى في مهرجات القاهرة الدولي فيما بعد واذكر ممن كان يصاحبنا أحياناً الشاعر المبدع مسفر الدوسري وولد فوضوي صعلوك اسمه "زايد" هو الآن من أفضل عارضي الازياء في أمريكا.

(6)– تعبيد الساحة الشعبية في الثمانينيات:

وكان هنالك إرهاص أولي لصــفحات شــعبية في الصــحافة الكويتية لم تكن تحظى باهتمام أحد وكان هنالك بعض الشـباب يكتبون شـعر الأحداث الذي يوائم المرحلة الادبية مثل عبدالله الردعان وحمود البغيلي ومن ثم صـــفحة لنايف الحربي وأخيراً صفحة في جريدة السياسة لناصر السبيعي فأصبحت أشجع هذه الصــفحات في الجرائد المختلفة واقف مع محرريها إزاء رؤســاء التحرير وادعوا الشعراء الى ملتقيات اسبوعية لمناقشة آخر الابداعات وبدأت الحلقة تتسع شيئاً فشـيئاً الى أن خصـصـت لهم يوماً في الاسبوع في بيتي يحضر فيه جميع الشـعراء الشباب لتداول الشعر وقراءته ونقده أيضـاً وهكذا اهتم الشباب جدياً بالشـعر الحديث وبدأت أبحث عن أي اسـم مبدع أضـيفه الى السـاحة وأدرت ظهري تماماً للحركة الثقافية لأنني وجدتها تعج بالكذب والخديعة والتضــخم وأولي جلُ اهتمامي بهذه الحركة الإبداعية الشعبية الجديدة لعلي أجد بديلا لنسف الساحة الادبية ولكنني للأسـف الشـديد اكتشـفت مع مرور الايام أن السـاحة الشـعبية أكثر كذباً وخديعة وتضـخماً، بل وخواء أيضـا باعتبار الأخيرة إضـافة جديدة بالنسـبة لي ولكنني واصلت الرهان بكل بسـالة وأخذت أقتحم بالأدب الشـعبي

المنابر الثقافية وأعد للشعراء الأمسيات في الوقت الذي لم يكن هنالك مكان لاحتوائهم سوى ديوانية شعراء النبط.

ولقد تميزت أسماء كبيرة في تلك الفترة فاستمر الصادقون فقط وتلاشى المراؤون وناظمو الكلام وغير القادرين على تطوير وعيهم الشعري ثم دخلت في قلب الساحة اكتب لهم وعنهم وكانوا يتوهجون بشكل رائع، مما سرق الاضواء من الساحة الادبية كلها وكنت فخوراً بذلك، لأننا دخلنا في معارك حسمها الجمهور لصالح هؤلاء الشعراء الجدد الذين "يقولون كلاماً حلواً" وأذكر من تلك الأسماء: ناصر السبيعي، فهد عافت، مسفر الدوسري، سليمان المانع، نايف صقر، فهد دوحان، علي الزعبي، حمود البغيلي والخ والخ. وتوجت مرحلة الثمانينيات بإصدار "مجلتين" تختصان بالشعر الشعبي ألا وهما: الغدير أولاً ثم المختلف وكان ذلك بمساندة لا تنسى من الأمير بدر بن عبد المحسن وهكذا أخذت كل تلك الأصوات تتحلق في هاتين المجلتين اللتين شرعتا في التنافس النبيل.

(7)– أصوات يخرسها الرصاص:

وحينما حل الغزو على دولة الكويت، لست أدري لماذا خرست جميع تلك الاصوات؟ وكان ذلك بالنسبة لي كارثة كبرى وخيبة صادمة بهذه الحركة الشعبية

التي كنت أراهن عليها وكان تبريرهم الوحيد هو: "أن ما حدث اكبر من كل قول!!؟"

أما بالنسبة لي فقد انصرفت الى الكتابة شبه اليومية في جريدة الرياض طوال فترة الاحتلال وكانت بمثابة كتابة "تعبوية" لتحريض الناس على الأمل والثبات والحلم بالنصر الذي تحقق بفضل الله وبفضل القيادة الحكيمة لخادم الحرمين الشريفين جلالة الملك فهد – اطال الله عمره – الذي استدعى قوات التحالف لتحرير الكويت.

وحينما تحررت الكويت ساهمت تطوعاً بالكتابة في جريدة الوطن التي كانت تعاني شللاً تحريرياً هائلاً ولكنها ما إن استعادت صحتها حتى خرجت منها لأكتب هاوياً في مجلة المجالس التي انتقلت بعدها الى جريدة الرأي العام التي طُردت منها بشكل سخيف وذلك فقط لأنني أثنيت على جهود عبد العزيز البابطين في دعم الثقافة بالمال.. الأمر الذي لم يعجب رئيس التحرير "لشيء في نفس يعقوب" وكانت هذه إحدى غلطاتي الفادحة لأن الموقف الذي اتخذ حيالي لم يكن بحجم الموقف الذي اتخذته!! ثم عدت للعمل في مجلة المختلف مستشاراً للتحرير، انتقلت بعدها "بلطف" في الزمن الصعب وأعني بذلك الرياض وها أنا أكتب بها حتى اليوم.

***

ناصر السبيعي.. تجربة كبيرة وصديق شامخ..:

رئيس تحرير مجلة المختلف.

حينما دخلنا عالم الشعر والصحافة.. كنا أشبه بالتائهين في أرض قفر مكشوفة.. لم يكن هناك من يؤمن بقناعاتنا لم يكن هناك من يدرك الطموح الذي يسكننا لقد كانت مرحلة صعبة.. في خضم وسط صحفي لا يرحم وشرس جداً. في تلك الفترة كنا بحاجة الى معلم.. يدلنا على المسالك ويقوم بتوجيه النصائح.. يدافع عنا.. ويعزز من ثباتنا وسط هذا الجو المرعب كان سليمان الفليح كذلك.. يشير علينا بالصحيح والخطأ.. يرسخ قناعاتنا.. كان مثل من يؤسس الركائز.. هكذا في الريح ويضع الأساسات في فراغ مهول. في ذلك الوقت كان سليمان الفليح الأستاذ يصدرنا للآخرين.. خصوصاً في ظل تأثيره الواسع النطاق على الآخرين. المثقفين.. المسؤولين.. الكتّاب المحترمين.. أقنع الأغلبية بنا.. وبطرحنا.. وبقصائدنا المرتبكة.. زرع فينا الثقة والطموح.. وشخصياً كنت أحسب كل خطوة أقدم عليها.. خوفاً من الا أخدش احترام الأخ الأكبر.. "سليمان تجربة كبيرة وصديق كبير شامخ أهدى لنا إحساسه وصراحته وصداقته الرائعة.. لم أحاول أن أجعل الكلام وازيقه.. بل حاولت أن

أجعل الأحاسيس الحقيقية تنطلق من ينابيعها البعيدة.. حتى احاول أن أصل الى صدقي الأكمل وأنا أتحدث عن هذه القامة. وأنا شخصياً أشكر مجلة أصداف على تكريمها لهذا الرمز الذي ساهم في إقناع الناس بنا.. عبر طرح مستمر وتوجيهات أبي سامي ورغم ذلك ها أنا أقول إن حقك أكبر علينا.. نحن تلامذتك. ولكن أرجو أن نساهم بشكل أو بآخر في تكريم هذا الرمز.

***

فوزية شويش السالم ..الفليح أصيل لا يتغير:

الشعر بوابة المعرفة بيني وبين الصديق العزيز سليمان الفليح.. وزمن البراءة الجميل بيننا عمر –كانت معرفته وصداقته قد نعت بين ضفتي الشعر والفن بشكل حميم وصادق شدني الى "سليمان" صدق بداوته وأصالة إحساسه بهذه البداوة –كتب عن الترحال وغربة الروح داخل المدن الاسمنتية التي تعمرها الوحشة والقطيعة بين الناس وتتركهم في سباق محموم للعمل وجمع المال.. فبعد تلك المضارب التي تنعس فوق كثبان الرمال وصدر الصحراء.. تأتي المدينة بمعاولها لتدك وتنتزع الخيام وأروقتها الجميلة وذكريات حياة كانت فيها.. نسبها الزمن ولم ينسها قلب شاعر – وبقيت تنبش فيه وتكتب تاريخها ... شدني هذا الإحساس الهائل بالحنين الى ماضي وتراث البداوة.. هذا البدوي الذي احتج

على طوفان حضارة سرقت أصالته وتراثه منه.. ولم تترك له إلا الوحشة والغربة.. حيث يصبح القلب صحارى تصرخ من وحشتها الروح، هذا الشاعر: كان يبكي كل ما جفت لعقم الغيم في الأفق سحابة.. ويرش الأرض دمعاً من شابيب الكآبة ويغني كل ليلة.. ليكتب تاريخ الصحراء لنا حين لن يبقى من آثارها ما يدل عليها.. ستبقى صحراء سليمان دائماً في الذاكرة.. وسيكون لسليمان الفليح شرف هذا الغناء ورنين الأصداء الشاسع وستغني له الربابة ويبقى سليمان الشاعر.. كما عهدته.. وكما عرفته.. أصيل لا يتغير... تتغير حوله العادات وتتلون الوجوه وتنسي البداوة أصلها... إلا هو. هذا هو سليمان الذي عرفته الصديق الذي "يواصل هجراته للشواطئ البعيدة لأنه طير شديد يتعتعه شوق الهجرة:.. ويبقى الصديق العزيز.. "النجري" وابقى "العنيدة".والشاهدة على الدواوين والتحولات لسليمان كل المحبة والذكرى الطيبة واستمرار النجاح وشكرا كبيراً لمن التفتوا البه بالتكريم

***

إبراهيم الخالدي.. تكريمه تكريم للصحراء والأزهار:

لأبي سامي دينٌ في أعناقنا وجميل يجعلنا أجمل وأبهى.. منذ الحروف الأولى وهذا الشاعر الباسق... يعلمنا الأدب بفرعيه الإبداعي والسلوكي!!! هكذا

تكتب القصيدة... هكذا تتعاملون مع بعضكم البعض.. الأفضل من أن تكتبوا شعراً جميلاً.. أن تتصرفوا بنبل... منذ الحروف الأولى وسليمان الفليح يضحي بحاضره ومستقبل أطفاله ليترك لنا أدباً حقيقياً وفكراً صادقاً. منذ الحروف الأولى وسليمان الفليح يحتمل سخافات بعضنا وعقوق بعضنا وبذاءات بعضنا.

منذ الحروف الأولى وسليمان الفليح باب المحبة الذي لا يوصد ودفء الشيمة الذي لا ينقطع، وعندما طلعت لحانا "ولحمية سامي بعدنا" ثم يتقاعد الفليح.. بل ظل الأدب والشاعر الأصدق موهبة والصديق الكبير الذي يحرصنا على المواجيب ويفهمنا العالم.

وإذا كانت "أصداف" مشكورة تكرم هذا العلم اليوم... فإنه شكريم لجميع الشعراء البسطاء.. أصحاب النوايا البيضاء والكلمة المبدعة. وهو تكريم للصحراء وذئابها وأزهارها البرية. وهو تكريم للصعاليك.. منذ عروة بن الورد الى سليمان الفليح.

***

خلف الحربي.. الأب الروحي للشباب:

هو أستاذنا جميعاً.. أحد مؤسسي الوعي في الساحة الشعبية من المثقفين القلة الذين لم يكونوا على مسافة بعيدة عن تراثهم وتاريخهم وإرثهم الثقافي والإنساني– كان منسجماً مع ذاته وأناسه ومجتمعه خدم التراث الشعبي من حصيلته الثقافية ووظف هذا التراث في نتاجه الإبداعي. ظل شاعراً يتفيا الورقة... يرافق القلم.. في ظل موهبة بارزة لسنا من يتحدث عن هذا الرجل وتجربته ولسنا نحن من يقيمها الأب الروحي للشباب جميعاً. كافح كثيرا من أجلهم ودافع عنهم بشراسة.

وحينما نسترجع التاريخ حينما كان العطاء الإبداعي والتحصيل الثقافي المعرفي بمثابة الترف والوجاهة الاجتماعية في مجتمعات المنطقة.. كان سليمان الفليح مثقفاً حقيقياً ومبدعاً حقيقياً.. كافح في سبيل موهبته وتراكمه المعرفي وتكوين اسم محترم يعبر عن تطلعات وهموم لبناء البادية. "كان من الحريصين على نشر الوعي في الصحافة الشعبية عبر تناولاته الموضوعية.. تحمس للصحافة الشعبية كثيراً ومارس الكتابة والتأسيس بروح شابة متحمسة وطاقات مندفعة. هو أول من وظف الموروث البدوي في الشعر العربي الحديث واستخدم الصحراء.. ومفرداتها وأجواءها ولكن للأسف حين الحديث عن شرف الريادة في ذلك لا يتحدثون بالحقيقة ابتكر كثيراً واتكأ على موروثه وتاريخ الصحراء وأجوائها.

وحين النظر الى الجيل الذي يمثله كانت مواهبهم تبدأ عادة بشــكل تقليدي الا هو.. فقد كان منذ بدايته شـــاعراً متجاوزاً مجرباً.. وانا أشـــكر حقيقة مجلة أصداف على هذه الخطوة الرائعة فما يستحقه أبو سامي كثير.. كثير..

***

صلاح الساير ..إنه ضد المدّعين والكذبة:

جمعتنا الكلمة والصـــداقة والحلم والتســكع والجنون. وإصــرارنا على أن تكون (مثلما نبتغي نحن.. لا مثلما يبتغي الآخرون) حسـب الشـاعر سـليمان الفليح، رفيق الرحلة. رحلة دشّـنا خطواتها الأولى منذ ما يقارب العقدين من السـنوات، عقدنا أطراف ايامها بأطراف الليالي، مرت بناء طيها أطيار وضـــرار وزواحف وأناس مثل الينابيع ومررنا بيرك آدمية آســـنة تبادلنا "الكراريس" والكتب والمودة والمشـورة والشـتائم، تعرفنا على عقول وأفئدة وعيون. وتعرفنا على أحذية تعتمر برأسـها بشر. تصعلكنا عشرات المرات. تخاصمنا اضعافها. وفي كل مرة يطلق (ســليمان) (طائر) الشــعر والحب والفوضــى والتمرد ويعود اليه وهو يحمل له القلوب الدفينة التي عرفت ســليمان واحترمته. هل اكتب عن شــعر الشـــاعر ســليمان الفليح؟ بالقطع.. لا. فتلك فريضــة غائبة. غيبّها النقاد الذين تراخت عزيمتهم العلمية. ولم يوفوا تجربة الشاعر حقها بالتناول الرصين رغم دوبها الواسع

الانتشار. وأعداد من طلعوا من تحت عباءته والشواهد لا شك جمة. اكتب عن الإنسان سليمان الفليح الذي عرفته واقتربت منه وتلمست خصاله وعقده وأمراضه وأحلامه وأوجاعه، حتى أيقنت أنا الشاهد بأن هذا المشهود تتملكه روح شفيفة. انطوى عليها جسده المبروم، وأخفاها محياه البرم! عرفته متمرداً على الجمود ثائراً ضد السكونية ساخراً من القبح الجواني يشابه قصيدته حد التطابق والانسجام سلوكه تفاصيله سمته أفكاره نزقه ثرثرته.. كما النص المشرع للدهشة. يسعى.. يسعى نحو آفاق بكر.. يفتش في الحلم عن علم سوف يأتي. يخلص للمجلس قبل اكتماله ولربما ويخون رتابة الجلسة والجالسين يحمل هذا المخلوق في صدره خصلة وفاء مزمن تكاد تبلغ به درجة الإعياء الدائم. محاصر بأطياف من يحبهم، تجري سيرتهم على لسانه دون انقطاع، وان اتسعت الشقة بينه وبينهم وتباعدت المسافات. يذكر اصدقاءه بدفء وكأنه في حضرة الغائبين. ساخر من الطراز الرفيع يملك قدرة عجيبة على (مسخرة) المشهد كما يملك حساسية خاصة ضد المدعين والكذبة مثل العصفور الذي يستشعر الخطر.

بدوي، ينزع للحياة الفطرية، تهدأ روحه تحت سقف السماء أما البخر ف "صحراء" من ماء. والسفين مطايا.. فرسانها البحارة السُمر. ونحن في عرض

البحر همس لي. قال: (الموج كثبان زرقاء) عشـق البحر مثل أي حضـري بحار. أدخله وأدخل صوره في ثنايا القصيد لست أزجي مديحاً لصديق وان كان ذلك (حق) لمثله لكن الحقيقة تســاق الي مطارحها. وذلك (واجب) على شــاهد مثلي. جميل.. تكريم شاعر نبيل.. جهد التكريم.. أصيل.. صاحب المكرمة.

***

مسفر الدوسري.. سليمان.. الإشراق والقلق

سليمان الفليح الشاعر، والأب والصديق الممتلئ بالشفافية والصدق، المحمَّل بكل طيب الخزامى والنفل.

ســليمان الفليح.. المعلم والمرشــد، والموجه الأمين.. كنا نلتف حوله صــغاراً بتجاربنا يحدونا الحماس لأن نكون شــيئاً في عالم الشــعر، وكان وهو المختزن تجارب عظماء الأدب والفلسفة والفن والنضال في العالم من إليوت إلى مشعان ابن مجول فهد بن صليبيخ بندر بن سرور.. الخ

كنا نلتف حول هذا المعشــب بكل هؤلاء، مزهوين بشــغبنا الطفولي، و"شخابيطنا" وكان يحتضن شطحاتنا ونزقنا بكل حنو، ويتفاعل بصدق مع ما

كنا نعتقد أنه شعر عظيم وجميل قد يقسو علينا أحياناً، ولكنها قسوة المحب، وكنا بكل ما أوتينا من جهل نغضب أحياناً، ولم نكتشف ما صنعته بنا تلك القسوة من جمال إلا بعد سنين متأخرة جداً، وحين طرحت تلك القسوة ثمارها في بصيرتنا قبل أبصارنا.

سليمان الفليح، حالة نادرة من الاشراق الإنساني المبهج، ونهر نهل من مائه في الأمس كثير من شعراء الساحة البارزين اليوم وأعلامها "فهد عافت، ناصر السبيعي، نايف الحربي، حمود البغيلي، سليمان المانع، فهد دوحان، محمد عواد، وأسماء أخرى كثيرة".

وهذا الصعلوك القلق، قادر دائماً على إبقاء جذوة الشعر فيمن حوله متأججة، وقادر على إشعال الحرائق الفنية كيفما ووقتما يشاء، يصعب علي وأنا استعرض شريطاً مليئاً بالذكريات مع سليمان الفليح، يصعب عليّ أن أجد لحظة خالية من الفن، إحساساً أو ممارسة، ويصعب علي أن أجد لحظة غير مسبعة بالندى والعبير، حتى شجاراتنا الصغيرة التي كنا نفتعلها أحياناً حين يسبقها وقت لزج يدعو للتثاؤب والملل، كانت مخضبة بحالات التألق العاطفي!! للفليح في لحظة تكريمه التي يستحقها بكل اقتدار أقول: يالك من شاعر وأب، وصديق رائع، وجميل علمتنا الكثير الكثير، ولم تجد منّا النزر اليسير الذي

نكافئك به بل أن بعضنا كافأك بالجحود أحيانًا، وبقيت أنت، كما أنت دائماً ذلك المتسامح المحب العظيم.

وأخيراً: شكراً لمجلة أصداف التي قامت نيابة عن كل أبنائك الصالحين منهم والعاقين بهذه اللفتة الوفية.

***

ليلي أحمد.. أنا أحبه بلا تحفظ!!

هذا المرتحل ومنذ أن عرفته أي منذ عشرين عاماً.. لم يكن إلا سحابة تعوم في الفضاء.. وحينما تكاد أن تلامس الأرض تلامس وجه من يحب.. رجالاً ونساءً.. وكتباً وأطفالاً بل وحتى بعارين إنه نقاء روحي لم تهزمه عاديات الزمن "على قولة الشعراء" وفيه صدق وحميمية.. لكن هذا الصدق لا يمس بالطبع مواعيده "الملخبطة" معنا دائماً.. فهل نعتب على السحاب.. إذا ارتحل منذ أول يوم عرفته وأنا في بداياتي البكر في الصحافة.. وحتى اليوم.. أصبح سليمان الفليح مرتبطاً بوجداني، وبكل ما هو بكر في الحياة.. في الحياة.. أشعر بارتعاشة روحية كلما قرأت كلماته واشعر بالضبط ان هذا الكائن الصحراوي له جذور ليست في الصحراء التي يعشقها بل في الماء ايضاً.

يعجبني عندما يحاول أن يكون ماكراً.. ويخفي عني بغموض أمراً ما.. عندما ألاحقه به بسؤال.. أركز في خضار عينيه.. فتهربان مني كغزلان شاردة.. "يبربش" بهما.. وتذهبان للبعيد، ومثل بدوي حذق يريد معرفة رد فعلي ولكن سرعان ما تعود تلك العينان اليّ.. فاكتشف ارتباكه إنه الغموض الذي مارسه بطفولية صارخة.

سليمان.. ليس قريباً جداً مني وليس بعيداً كثيراً عني ولا أخجل أن أقول إنني كثيراً عني ولا أخجل أن أقول إنني كثيراً ما أشتاق اليه حينما أكون مهمومة جداً، بل واحتضنه لو لم يكن رجلاً تحركه جذوره الصحراوية بالريموت كنترول.. الأمر الذي يجعله يضحك ارتباكاً وهو الذي لم يعتد على جنون وجرأة فتيات المدينة.

وذات مساء زارني في مكتبة في جريدة الوطن، ولاحظ اني "ماني مركزة معاه".. "شخط فيني" فلمسته من ذراعه – اعتذاراً فعلياً دون كلام.. فهدأ.. وشعرت أني "اشفط" منه نقاء لا يحد.. لرجل لا يتكرر كثيراً.. وإن وجدته فليس هو السحابة التي تلامس جميع الوجوه النقية التي يحبها.. أنا شخصياً أحبه دون تحفظ.

***

ثناء خاص:

في البدء، أزجي خالص الشكر وعظيم الامتنان للإنسان الشاعر الشيخ محمد البراهيم على هذه الرؤية الحضارية الرائعة، التي تشي بأريحية نادرة قلّما يتمتع بها رجال المال والأعمال فيما يخص الثقافة والإبداع. وهو، بهذا الالتفات النبيل نحو تكريم المبدعين الذين خدموا الشعر والأدب والتراث، يضيف مأثرة سامية إلى مآثره الإنسانية الأخرى التي أعرفها جيدًا، ويضيء شمعة عابقة بالنور في عتمات حياتنا الإبداعية التي يسودها التجاهل والإهمال والتهميش. ويسهم، مع آخرين – وما أقلّهم – في خليجنا العربي، بتقديم وردة على الأقل لمن يُجمّلون الحياة بالعبير. شكرًا له من القلب، مرة أخرى.

***

(28)

الْحِوَارُ الثَّامِنُ وَالْعِشْرُونَ

الْحِوَارُ الثَّامِنُ وَالْعِشْرُونَ

حينما يقوم الشـــاعر بإخفاء بعض معاني القصـــيدة، يُقال: "المعنى في بطن الشاعر". ولتبيان تلك الحقيقة، وفي محاولة لسبر غور المعنى، أفردت "بروز" هذه المســاحة لاســتضــافة الأســتاذ ســليمان الفليّح، الشــاعر والكاتب المعروف.

حوار: مجلة بروز(243)

(1) هل الشاعر نهم لدرجة أن يكون المعنى في بطنه؟

- نعم أو "نهم"، لا فرق، خصوصًا الشاعر الذي يقرض الشعر ويلوّكه ويزدرده، ولا يجد معدة قادرة على هضـــمه! كذلك، أنا ضـــد أن يكون المعنى في رأس الشـــاعر، لأن الرأس بيت العقل، والشـــاعر العقلاني ليس شـــاعرًا ألبتة، وإنما الشاعر الحقيقي هو من يكون معنى شعره في وجدانه.

(2) يقول خالد الفيصـل: "أسـهر على المعنى ويتعبني القاف " ما هو المعنى الذي سهرت عليه؟

(243) - العدد (1) الأول /يونيو/ اغسطس 1999م

– الألم لا القلم —— فهو وحده الذي يســـهرني، أما المعنى فلا يعنيني مطلقًا إذا لم يأت هو، وكذلك أفعل مع الحبيبة إذا لم تأتِ هي. هذا، إذا كان هنالك حبيبة جديرة بالمحبة، لا سيما في هذه الأيام الرديئة من العمر.

(3) أيُّهما يأتي عندك أولاً: قوة المعنى أم خيالية الصورة؟

– أيُّهما يأتي أولاً من حيث التوقيت، وكلاهما من حيث الأهمية، والإجابة على هذه (الأسئلة) الآن باعتبارها تتعلق بالمعنى.

(4) هل تعاني من المعاني؟

- هي التي تعاني مني في طريقة صـــياغتها، فكل الناس تملك المعنى، ولكن القليل من الناس من يتمكن من صياغته بشكل جديد ومبهر.

(5) يُقال إن أقصـر الطرق إلى قلب الرجل (بطنه)، فما هو أقصـر الطرق إلى قصيدته؟

- هي نفســها التي تســلك الطريق – أي المرأة – فهي شــرارة المشــاعر والشعر، وهي التي (تنضج) القصيدة والكبسة!!

(6) هل ثمة علاقة بين وزن الشاعر وأوزان الشعر؟

في مجتمعنا اليوم (الوزن) الحقيقي هو لصاحب الوزن الثقيل، أما الشاعر الحقيقي فلا (وزن) له. كلما أحسست (بالتخمة) الشعرية التي تتسيد اليوم كل المجالس!

(7) أيهما أشد على الشاعر جوع البطن، أم القلب أم الجيب؟

- بالطبع جوع البطن ولا تصدق غير ذلك،ومن قال أنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان كان بالطبع يملك حقولاً من الفاكهة والمعكرونة والكاكاو.

(8) يا حلو يا مملوح هل هو تناقض الذائقة؟

- بل والذوق أيضاً .

(9) القوام غصن موز والخدود تفاح والاستنان حب رمان والصدر بيضتين ..وجبة أم حبيبة؟

- اسأل نفسك هذه الأسئلة، هل تعمل طباخاً ؟!!

(10) هناك من يتحدث عن (بهارات) القصيدة ..ما قولك؟

- الآن تأكد لي ذلك !

(11) هل يتأثر الشاعر بدخول المطبخ الصحفي؟!

- بالطبع مادام يعد مثل هذا الأسئلة!

(12) يدلل الشعراء على العشق بالنحافة ، هل لازال هذا القانون سارياً؟

- لا ترد عليهم هؤلاء مصابون بفقر الدم!!

(13) من هو الذ شاعر؟

- أنا لم أكل شاعراً في حياتي حتى أقول لك من هو الألذ!!

(14) من هو الشاعر الذي لم (تهضمه)؟

- الذي يكون شعره مثل علك بـ (علك).

(15) هل (تغرق) من بحر أم من قدر؟

- من قدر أفضل لأن البحر غالباً ما يكون مالحاً وشديد اللزوجة.

(16) عصفورك ، ماذا ينقش من ثمرة العذق؟

- اسأل بدر بن عبد المحسن .

أما أنا إذا ما رأيت عصــفوراً فإنني (ســأنقشــه) واشــويه وأكله**!** ألا ترى أنني أصبحت أتحدث بلغتك ، هذا هو التأثر والتأثير بلغة أهل النقد**!!**

(17) بين صدر القصيدة وعجزها اين موقعك ؟

- في المنتصف بالضبط!

(18) هل تتسع الساحة أم تضيق؟

- اسأل (البلدية) !

(19) ما الفرق بين (النق) والنقد ؟

- حرف (الدال) الدال على الفرق بينهما.

(29)

الْحِوَارُ التَّاسِعُ وَالْعِشْرُونَ

الْحِوَارُ التَّاسِعُ وَالْعِشْرُونَ

لم أره حزينًا ساخطًا مثلما وجدته وهو يجيب عن أسئلتي.. حتى كدت أتراجع عن إجراء هذا الحوار معه، ليس لعدم رغبتي في الحوار، فالرجل اتفقنا أم اختلفنا معه، يُعتبر أحد الذين كان لهم دورهم البارز في تشكيل المشهد الثقافي في الكويت.. بل امتدت شهرته إلى بقاع المنطقة الأخرى.

لكن ما دعاني إلى التفكير في التوقف عن المحاورة ما لمسته من ألم ينبع من كل حرف نطقه.. والحوار الذي أمامكم، والذي أفرغ فيه كل همومه الشخصية والعملية وهموم الشعر، لا شك سيعطيكم الانطباع الذي خرجت به حين حاورته.

حاوره: علاء الجابر [244]

(1) سليمان الفليح.. لو طلبنا منك تعريفًا لنفسك، فبماذا تعرّفها؟!

[244] مجلة مرآة الأمة –العدد 1115 السبت 2 مايو 1998م

– لا أحد لا يعرفني، ولا أحد يعترف بي. لقد مللت من هذا الاسم الضخم: الشاعر المبدع، الأستاذ، الكاتب الصحفي، الصعلوك، المحارب... إلخ. أريد أن أكون اليوم سليمان بن فليح العنزي، مجرد أعرابي يعود إلى صحرائه الأولى بعد أن سلبته المدينة زهرة العمر، وجلست على مؤخرتها الباردة تضحك عليه وتصفق يدًا بيد.

أنا ذاهب لأرعى أغنامي، زهرة العرفج، وأولادي زهرة الروح. خذوا مئات صفحات الجرائد التي كتبتها طوال العمر، مضافًا إليها خمسة دواوين شعرية، لكي لا أوقد بها نار الهزيع الأخير من الليل حينما يعزّ الحطب. أو أقول لكم: انقعوها واشربوا ماءها، ودعوني أذهب إلى الجحيم (فالنار تستقبل من ترفضهم الجنة). أما إذا أردتم تعريفًا جديدًا لي، فأنا كما قلت لغيركم: أنا (ذئب وعقاب وجمل). ذئب في عزلتي، وعقاب في ترحالي، وجمل في صبري. فإذا نفد صبر الجمل أعوي بحنجرة الذئب حتى تتطاير الأضلاع، وحينما يبحّ العواء أرفع أجنحة العقاب وأطير إلى مرتفع شاهق لأحدّق في المدائن التي سخرت مني، لأسخر منها وعليها.

(2) أيــن تقــف القصــيدة الفصــحى في الكويــت حاليًــا؟ مــا شــكلها ومــا توجههــا؟ هــل مــا زالــت حيــة أم ماتــت؟ وإذا كانــت ميتــة، فمــا أســباب ذلــك؟ وإلى أي مــدى أنــت متــابع لحركتهــا على الساحة المحلية؟

- كانت القصيدة العربية التي تنطلق من أرض الكويت لها الحضور المشرف في الساحة الأدبية على مساحة الوطن العربي، وهنالك أصوات كويتية لها صــهيلها المدوي في المحافل الثقافية. ذلك كان من خلال القصــيدة التقليدية (العمودية) التي قدمها الســقاف وخالد ســعود الزيد وخليفة الوقيان. ثم جاءت مرحلة القصــيدة الحديثة، وتواصــلت الكويت مع الحداثة بنفس الأصــوات التي طوّرت القصــيدة، وإن كان من روادها بشكل خاص علي السبتي ومحمد الفايز.
- ثم جاء الجيل الذي تلاه، والذي تواصــل أيضًــا مع تلك الأصــوات، والذي أفرز يعقوب الســبيعي وجنة القريني ونجمة إدريس. ثم لا أعرف كيف توقفت الحركة الشعرية عند هذا الحد، ولم تعد تقدّم أصواتًا جديدة لها الحضـور في الثمانينيات والتسعينيات، أي في القصـيدة الحرة (...) . أما مؤخرًا، فقد بدأت بعض الأصـوات الشــابة تحاول تقديم شــيء ما، لكنها (...) مشـتتة ومتنافرة وضـائعة، مما أتاح فرصًـا لإنصـاف المواهب التي حاولت ملء هذا الفراغ، والتي وجدت من يصــفق لها ويضــخمها

لخلو الساحة من الأصوات المبدعة الحقيقية. صحيح أن هناك أصواتًا مميزة كـإبراهيم الخالدي ودخيل الخليفة وأحمد النبهان، ولكن هذه الأصوات طحنتها ضروس آلة الحياة واللهاث المضني خلف لقمة العيش. والآن يبدو أن هناك في قصيدة النثر أصواتًا خافتة، بعضها مبشّر، كصلاح دبشة وفوزية شويش، وبس (!!). لكنني حزين لأن الكويت لم تقدّم جيلًا في قصيدة الأثر.

(3) عد هذه الرحلة الطويلة.. كيف تنظر إلى نفسك اليوم؟ هل قدمت ما ترضى عنه؟ وما الذي ما زال يقبع في أحلام الفليّح ولم يتحقق بعد؟ هل ما مضى كان أجمل، أم أن الحزن ما زال قابعًا في قلب البدوي، شأنه شأن كل البدو الرحل؟

-لم يزل فيها مجاهل شعرية لم أكتشفها بعد، وسأرضى عنها تمامًا عندما تصبح بالنسبة لي مكشوفة كعراء مطلق، ساعتذاك لن أكون بحاجة إلى الحياة. ثم إنني لو توصلت تمامًا لمعرفة ما يقبع في أحلامي، لوصلت إلى نهايتي الشعرية، وأنا أريد أن تستمر شاعريتي حتى بعد الموت. أما بالنسبة للحزن، فلم يعد في القلب متسع للمزيد من الأحزان.

(4) كتبت مرة في مجلة المختلف أنك "قلم معروض للإيجار"! وماذا تقصد بذلك تحديدًا؟ وما الذي دعاك إلى ذلك؟

- كنت أسخر حد البكاء من الوضع الحقيقي داخل صحفنا المحلية، ومعاملتها البائسة للكتاب والمحررين من حيث التقدير المادي، الذي أتحدى أن تنشر تلك الصحف الأرقام الحقيقية التي تدفعها للأساتذة، الذين تعتلي ابتساماتهم الشائعة زواياهم الحزينة. إذ أجزم في تلك الكتابة أن الكاتب أو الصحفي، لو عاش على راتبه الذي تدفعه الصحيفة، لكان ما يحصله أمام المسجد في يوم الجمعة أكثر مما يحصل عليه من مهنة المتاعب.

(5) جمعت بين المقالة والشعر، فما الذي دعاك لهذا الجمع؟ كيف كان؟ وهل أخذتك الصحافة من الشعر، أم نفعتك كشاعر؟

- الشعر موهبة، والكتابة حرفة، و(حرفنة)، ولكن بالنسبة لي غالبًا ما يطغى الشعر على الكتابة مهما كانت طريقة التناول. فبالشعر أعبر أحيانًا عما تعجز عنه الكتابة، وفي الكتابة أعبر أحيانًا عما يعجز عنه الشعر، وكلاهما مهمان بالنسبة لي. كنت أتمنى أن أجيد الرسم والموسيقى ليكون التعبير أشمل، ولكن ذلك ما أجده في الطبيعة (موسيقى ولون)،

وهما محفزان جيدان للشعر. ومع ذلك، فإن التعبير عن هذا الثلاثي السحري (الشعر، الموسيقى، اللون) لا يتم إلا بالكتابة المحضة، ومن هنا أقبض بقوة على القلم لأعبر عن ذلك كله.

(6) أنت كاتب صحفي قديم، تنقلت عبر كل الصحف تقريبًا.. فلم كل هذه التنقلات؟ هل روح البدوي تسيطر عليك فتمنعك من الاستقرار، أم أن وراء تلك التنقلات أسرارًا أخرى؟!

– بما أنا من أقل الكتاب تنقلاً، فقد بدأت الكتابة في صحيفة السياسة منذ أوائل السبعينات وبقيت مخلصًا لها، وهي مخلصة لي، إلى أن جاء الغزو. وبعد التحرير، تأخرت السياسة في الصدور بسبب غياب مطابعها، وكانت صحيفة الوطن أكثر قدرة على الصدور بعدد أقل من الكتاب والمحررين. وكعمل وطني بحت، التحقت بالوطن إلى أن استعادت عافيتها، ثم طرأت عليها تغييرات جذرية في الملكية وجهاز التحرير، حينها لم أعد أكتب، إلى أن صدرت الرأي العام الجديدة، التي عرضت عليّ الكتابة فكتبت بها، إلى أن تركتها في بداية هذا العام لسبب غير جدير بالذكر (!!).

(7) تبدو حانقًا على الصـــحافة، رغم أنك أحد أبنائها.. غالبًا ما تتهمها بعدم حفظ الود. ما الذي بدر منها نحوك ودعاك إلى هذا الحنق؟

- أنا لســت حانقًا على الصـحافة، فهي أمي التي علمتني أبجدية الإبداع، وهي التي قادتني من يدي بكل زهو لتقدمني للعالم ككاتب وشـــاعر سـلطت عليه الضـوء. ولكنني حانق على بعض أولئك الذين يتسـيدونها اليوم، وهم لا يعرفون حتى محرريهم، بـل بعض أهم كتـابهم، وذلـك لانشغالاتهم الأخرى وانصباب جل اهتمامهم بالصفحة الأولى التي تحمل أسمـائهم المبجلـة. وأعني أولئـك الـذين ناموا على المجـد الغـابر وطمـام المرحوم، معتقدين أنهم يقدمون صـحافة حرة متطورة، بينما تجاوزهم الزمن وتجاوزتهم الحرية التي كان من المفترض حمايتها. بربك تصـور كيف تنشـر أو تدعو بعض تلك الصـحف لتكميم حريتها، وهي لم تأت إلا بشـعار الدفاع عن الحريات وتتبنى قضـايا الناس الذين لا صـوت لهم، وهي أشـد تكميًا لأفواه أولئك النـاس الـذين هم عمـاد انتشـــارهـا. أنا حـانق لأن صـــحافتنا المحلية الآن تقف، مثل كل منجزاتنا، وللأســف الشــديد، في الصف الأخير، حتى مع صحف المنطقة التي سبقتها في المسيرة بأشواط. ثم قل لي: ما سـر هذا التورم الغث بأصـوات لا تمت لفن الكتابة بصـلة؟ ثم إنني أقولها بمنتهى الصراحة، إن بعض رؤساء التحرير جهلة ولا يحسنون الكتابة، وبعضـهم لم يتعلم حتى كتابة سـطر واحد، رغم تربعه على سـدة

المؤسسة لأكثر من عقدين من الزمن. أما من حيث حفظ الود، فتلك الصحف سرعان ما تتخلى عن أهم أعمدتها وبمزاجية فجة، ترعب كل العاملين فيها، وهي أقل الصحف في العالم وقوفًا مع العاملين فيها إذا تعرضوا لأي موقف بسيط!

(8) تتهم من ساندتهم ووقفت معهم بالعقوق ونكران الجميل، رغم مواقفك الكريمة معهم. فهل تقصد أشخاصًا معينين؟ وماذا بدر منهم تجاهك؟

– أنت تشير إلى مقابلة سابقة في مجلة المختلف، فيها شننت حربًا لا هوادة فيها على بعض العاقين الذين كانوا انتهازيين حقيقيين، اعتقدوا أنهم وصلوا فتنكروا وأساءوا لي إساءات شخصية مباشرة عبر التحرير والتزوير، وادعوا النطق باسم (صداقتنا)، وقاموا بأعمال أخجل عن ذكرها كلها، تنم عن ضمائر خربة ونفوس متفسخة تعج باللوم والضغينة. وهكذا، عندما اعتقدوا أنهم بقوا شيئًا من أدي النجاح، أبرزوا أنيابهم الكلبية. ولكي أطمئنك الآن وأطمئن القارئ، فإن حبل الكذب قصير فعلاً، فهذه الأسماء تهاوت وطواها النسيان. أما المبدعون الحقيقيون، فقد أصبحوا من

أعــز الأصــدقاء الــذين تجــاوزوني إبــداعًا وقامــة، وهــذا مــا يبهجــني بالفعل.

(9) تبنت لفترة طويلة ما يمكن أن نطلق عليه «فكر الصعاليك». فإلى ماذا أوصلك هذا الفكر؟ ألا تعتقد أنك خرجت منه خفيّ الحنين، أم ماذا؟

- الصــعاليك خلعتهم قبائل، وأنا خلعتني مدائن. ومن هنا، فإن صــعلكتي أشــد قســوة ومضــاضــة. لقد اســتفدت منهم ثقافة أثرت مجتمعي البدوي وبداوة أثرت مجتمعي الحضــري. تعلمت منهم النبل، الصــراحة، الإيثار، الكرم، الوعي، التمرد على البشـــاعــة، تمجيـد الجمـال، تفجير اللغـة، التصـــدي الفردي، التوحد مع الطبيعة، الزهو، الثقة، الوفاء، القوة. فهل هذه الجماليات خفي حنين؟!!

(10) شــعرك لا يشــبهه أحد، له طعم خاص ولغة خاصــة. ورغم ذلك، لم يشـكل نهجًا خاصًـا به.. أقصـد تحديدًا: لم يفتح فصـلًا في مدرسـة صـاحبها الفليّح لها تلاميذ ومريدون. إلى أي مدى أنا محق بهذا الاستنتاج؟

– أنا لا أريد أن أكون نموذجًا أو مثالًا أو شيخ طريقة، ولا حتى (موديلا). هل يعجبك ذلك؟ وبالرغم من هذا، أعتز بجيل كامل من الأحبة والمريدين، ولا أعتز بالناسـخين والمقلدين، وأعتقد أنك لسـت محقًا بهذا الاسـتنتاج. وثق تمامًا بأنني

لو لم أجد تواصلًا حميمًا حتى مع من يخطون خطواتهم الشعرية الأولى، لما سمحت لنفسي بالاستمرار، لأن هذا الأمر بالذات هو الذي يحفزني بقوة ويلقي على كاهلي مسؤولية كبرى. وأنا مغتبط حتى الزهو بالأصوات الشابة التي تغرد ببشائر المستقبل، وأراهن عليها أيضًا.

(11) بصفتك مستشارًا لمجلة المختلف، المجلة التي يتسيدها الشعر الشعبي، كيف استطعت أن تندمج في عملك فيها، ومعروف أنك شاعر فصحى؟ ثم، كيف تقيم ساحة الشعر الشعبي مع كل تلك الهوجة الإعلامية لصالحه، وهذا الكم الهائل من الشعر الشعبي؟

- أولًا، كلمة (شعبي) ليست سبة، بل مفخرة، لأنها تنسب إلى الشعب، واللهجة الشعبية هي لغة الشعب، والشعر الشعبي هو التعبير الوجداني عن الروح الشعبية. فما دمنا كمثقفين أو متعلمين غير قادرين على استخدام الفصحى كخطاب حياتي شامل ينسف اللهجة المحلية، فليس بمقدورنا الآن على الأقل زحزحة هذه القناعة الضخمة التي يمتلكها الناس. لذا، فما (...) إلا الإذعان المؤقت لإرادة الغالبية، حتى ولو خالفت كل آمالنا. ومن هنا، فإنه علينا احترام وسائل تعبيرها الخاصة كإرث نتمسك به، والشعر الشعبي هو أحد هذه الوسائل التي فرضت نفسها،

بـل وتكرسـت كلغـة معاشـة لهـا تعابيرهـا الخاصـة ومفرداتهـا ورموزهـا وإيحاءاتهـا. ومـا دام الشعب يريـد ذلـك، فعلينـا أن نقـدم لـه مـا يريـد، مـع ضـرورة اسـتخدام دورنا كمثقفـين بأسـلوب تـدريجي خـالٍ مـن الوعظيـة الفجـة والاسـتذة الصـلف والوصـاية القسـرية، أي تقـديم مـا يفيـد ويقـدم ويطـور، ويفـتح آمـالًا جديـدة تحـرص علـى التطـوير والتحـديث. لـذا، اسمـح لي أن أقـول لـك، وعـن معرفـة دقيقـة بالسـاحة الشـعبية، إن مـن أهـم فضـائلها هـي إلغـاء اللهجـات القبليـة ودمجهـا في "اللغـة الثالثـة"، الـتي تقـع بـين العاميـة والفصـحى، والـتي تأتي كمرحلـة أولى للانـدماج بالفصـحى. ثم، إنـني أرى، والشـاعر الحـديث الـذي يكتـب بالفصـحى يحـاول الـتخلص مـن القوالـب والأطـر الـتي تقيـد شـعره، كـذلك أن اللهجـة الشـعبية تعطـي الشـاعر مسـاحة للتعبـير الأشمـل. وأرى أن هنـاك إبـداعات تفـوق الفصـحى في السـاحة الشـعبية. وهـذه (الهوجـة) كمـا تسـميها، و(الموجـة) كمـا أسميهـا، هـي إضـافة شـعرية تشـعرن الحيـاة وتمنحهـا جمـالًا ورقـة. أمـا بالنسـبة لي، فـأنا أرحـب بالإبـداع الحقيقـي بغـض النظـر عـن وسـيلة تعبـيره، سـواء كـان رسمـاً، نحتًـا، موسـيقى، أغنيـة، قصـيدة، وبأي لغـة ولهجـة كتبـت. أمـا سـؤالك عـن انـدماجي في هـذه السـاحة، فـأنا أقولهـا لـك وبالفـم المليـان: أنا كنـت ومـا زلـت مـن أكثـر مشـجعي الصـفحات الشـعبية منـذ بـداياتها الأولى،

وأعـرف كـل الأسمـاء الكبـيرة والصـغيرة في هـذه السـاحة، وأصـفق لكـل صـوت مبـدع، سـواء كـان فصـيحًا أو شـعبيًا، سـواء كـان في المختلف أو في غيرها من المجلات الشعبية أو الأدبية.

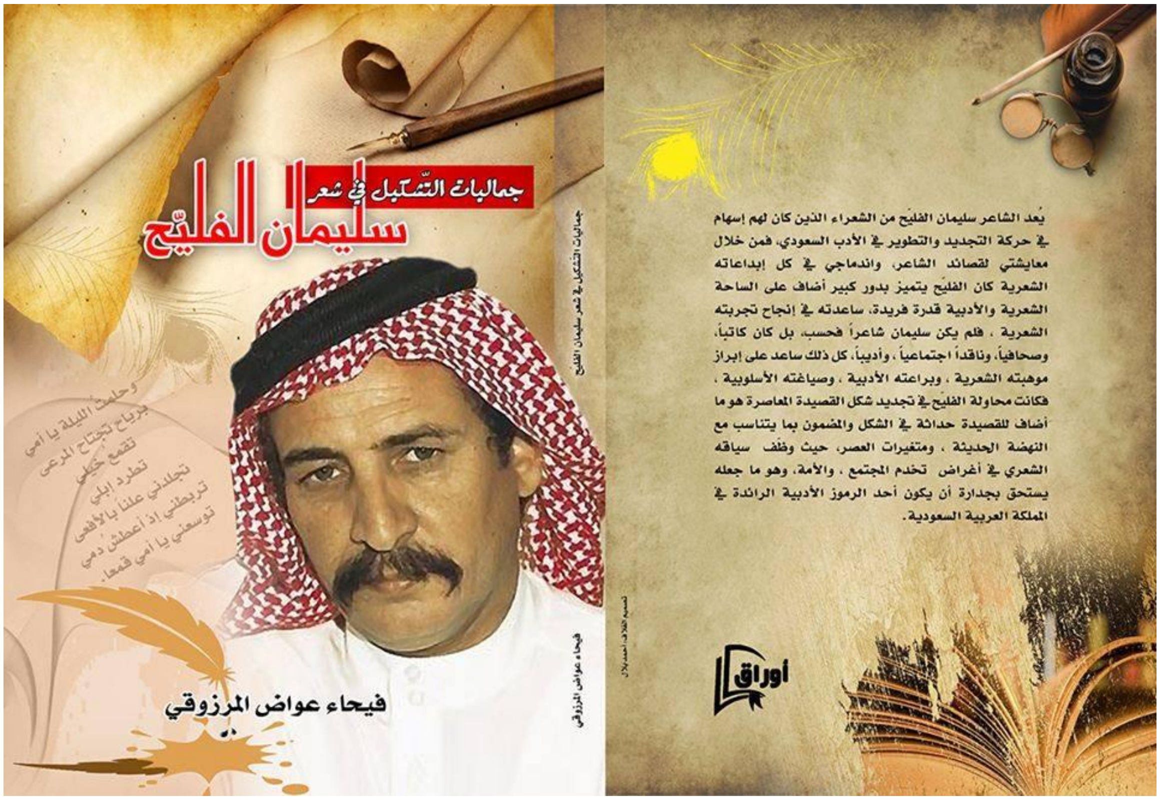
(12) «الرعـاة علـى مشـارف الفجـر»، ثم «رسـوم متحركـة»، ثم إعـادة طباعـة ديـوان الغنـاء في صـحراء الألم، وبينهمـا «ذئاب الليـالي». لكـن تجربـة وعمـق وشـهرة الفلـيّح لم تظهـر إلا في ديـوان أحـزان البـدو الرحـل، الـذي اكتسـب شـهرة كبـيرة، وغالبًـا مـا يُعـرف الفليّـح بـه وكأنـه لم يصـدر غـيره. تـرى، لمـاذا هـذا الصـيت لـه، والجهـل والـلا اهتمـام بغيره؟

- من قال لك ذلك؟ بالطبع هو غلطان، وأنت كذلك؟! فشـهرة الفليّح بدأت ككاتب في زاوية (هذرولوجيا) في أوائل السـبعينيات، ثم في زاوية (مخاريز) باللهجة الشعبية في صحيفة السياسة نفسها. ثم جاء الديوان الأول الغناء في صـحراء الألم، الذي لم يزل يثير الجدل والدراسـات والرسـائل الجامعية، وقد كتب عن هذا الديوان ما يقارب الخمسـين موضـوعًا بين نقد وعرض ودراسـة، وترجم إلى أكثر من لغة. ثم تلاه بالشـهرة (رسـوم متحركة) الذي صـدر عام 1996، بالرغم من عدم

شـــاعريته ومباشــرته، كونه يعتبر نقدًا كاريكاتيريًا بالكلمات، حيث أخذ من التناول والندوات أكثر من غيره. ثم تلاه بالطبع أحزان البدو والرحل، الذي يعتمد على القصــيدة البرقية والمكثفة، والذي أعجبك أنت. دعني أقول لك إن (رسـوم متحركة) كاد أن يخنق (الرعاة على مشـارف الفجر) لأنهما صـــــدرا معًا ومن دار واحدة. أما (ذئاب الليالي) فقد جاء من منشورات ما بعد الغزو، كما أنه لم يُطرح في الأسواق المحلية بشكل جيد رغم أهميته الشعرية بالنسـبة لي، ولربما هذا الديوان هو أقل الدواوين حظًا من التناول والعرض. فإذا لم تتابع مسـيرتي الشـعرية المتواضـعة، فلا تطلق (رغباتك) كأحكام جازمة تفرضـــها على القراء، ولو أن ذلك يســـعدني باعتبار دواويني الخمسـة مثل أولادي الـــ (12)، ولكنني أقول الحقيقة، حتى ولو غضب الأولاد والدواوين أيضًا.

أغلفة الكتب عن

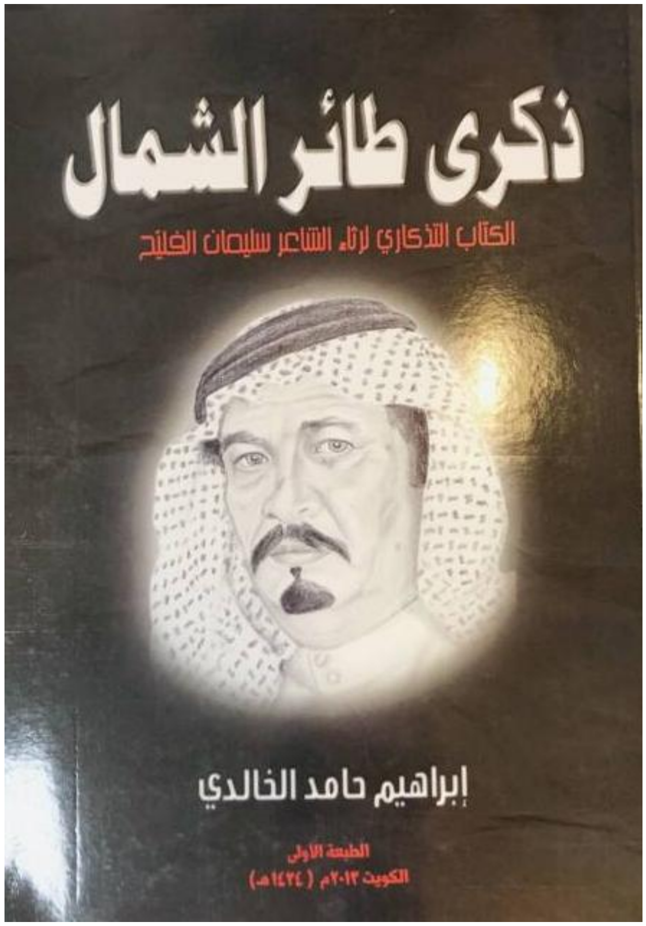
تجربة سليمان الفليح



دراسة علمية.. جماليات التشكيل في شعر سليمان الفليّح – للدكتورة فيحاء عواض المرزوقي



رسالة الدكتور شتيوي الغيثي ..حداثة البدوي قلق الهوية في الخطاب الشعري سليمان الفليّح نموذجاً

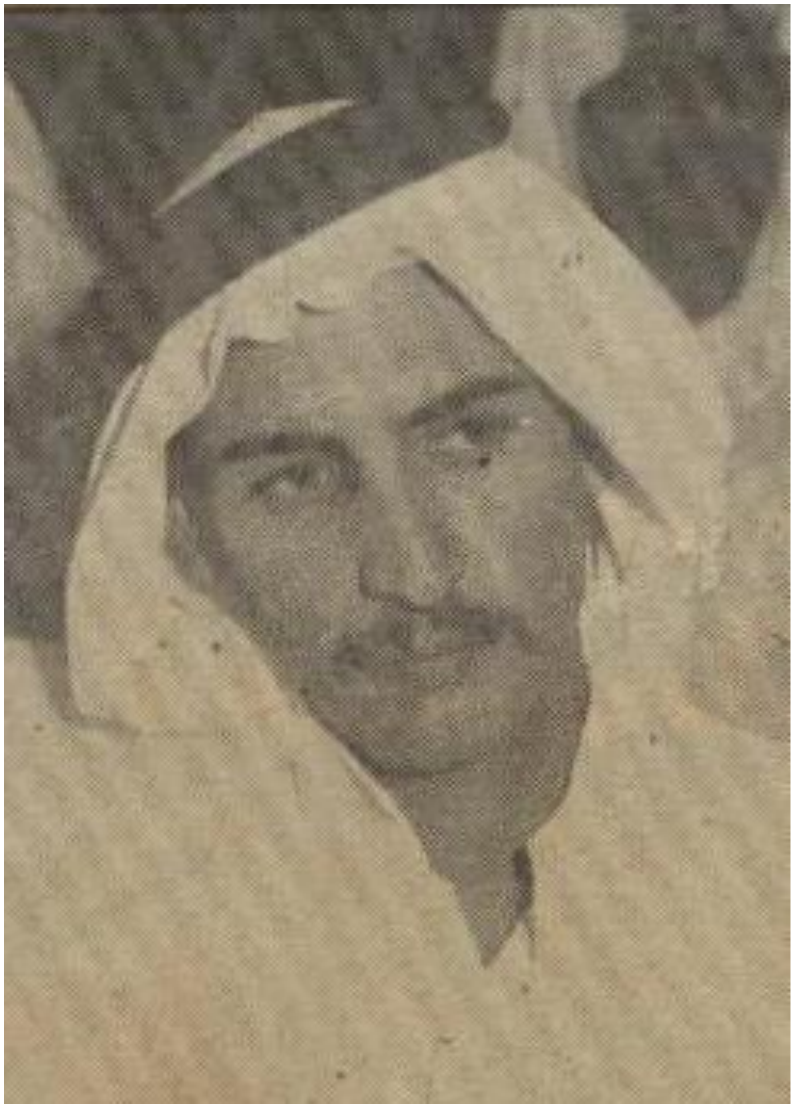


كتاب ذكرى طائر الشمال– إبراهيم حامد الخالدي

الصور البدايات



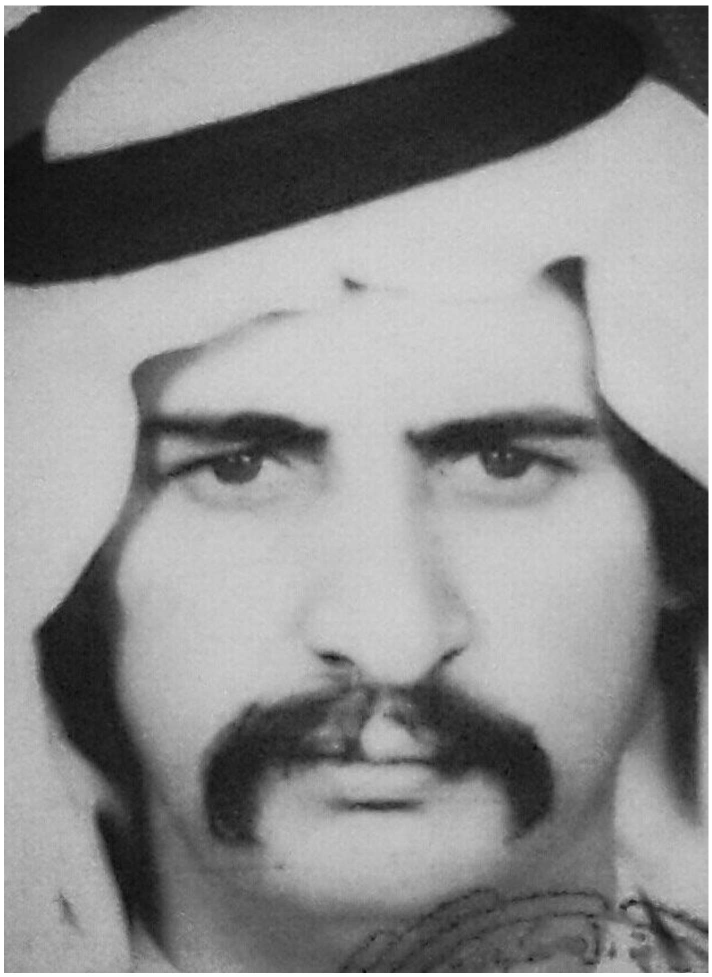




8248







8251

8252

المجلد الثامن

يحوي المجلد على مجموعة من:
الدراسات حول تجربة الراحل
ويتجاوز عددها (٣٠)

وأيضاً الشهادات حول التجربة
ويتجاوز عددها (٧٠)

وكذلك الحوارات التي أجريت من
الراحل وهي تتجاوز يتجاوز (٢٧)